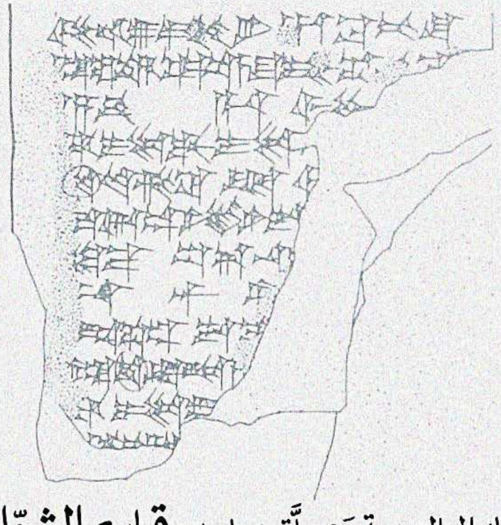
ديوان الأساطير

سومر وأكاد وآشور

الكتاب الثاني

الآلهَة والبَشر





نقله الى العربية وَعلّق عليه : قاسم الشوّاف
قدّم له وأشرف عليه : أدونيس

دار الساقي

ديوان الأساطير

من أعمال قاسم الشواف

- كتاب «الكلمة الصافية» صدر عن دار الأجيال في دمشق عام ١٩٦٩.
- «الاستعادة» بصدد الصراع الصهيوني - العربي، صدر عن مؤسسة التوجيه المعنوي في دمشق (١٩٦٩) باللغة الفرنسية.
- «نحن الملك» مسرحية مُعرَّبة عن كتاب «أنا الغاضب» للكاتب المغربي محمد خير الدين. صدرت في عام ١٩٧١ عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق.
- كتاب «مع رحلة الفنان وليد عزت، في أساطير سومر وملحمة جلجامش» محتويا على كامل لوحات الفنان الخاصة بهذه المواضيع. صدر عن مؤسسة التوجيه المعنوي بدمشق (أيلول ١٩٧٣).
- الكتاب الأول من مجموعة ديوان الأساطير: «أناشيد الحب، ماء الأرض وماء القلب» في نصوص ما بين النهرين. صدر عن دار الساقي. حزيران ١٩٩٦.

ديوان الأساطير

سومر وأكاد وآشور

الكتاب الثاني

الآلهة والبشر

نقله الى العربية وعلّق عليه : قاسم الشوّاف
قدّم له وأشرف عليه : أدونيس

دار الساقي

الطبعة الأولى ١٩٩٧

ISBN 1 85516 336 5

دار الساقي

بناية تابت، شارع أمين منيمنة (نزلة السارولا)، الحمراء، ص.ب: ١١٣/٥٣٤٢ بيروت، لبنان

هاتف: ٣٤٧٤٤٢ (٠١)، فاكس: ٦٠٢٣١٥ (٠١)

DAR AL SAQI

London Office: 26 Westbourne Grove, London W2 5RH

Tel: 0171-221 9347, Fax: 0171-229 7492

ديوان الأساطير

الكتاب الثاني

استهلال

ـ ١ ـ

بدأ في السنوات العشرين الأخيرة اهتمام خاص ومفاجىء لدى العرب، كتّاباً وباحثين وقرّاء، بالأسطورة، وبالقضايا الأدبية والفكرية التي تتولّد منها، أو تتّصل بها. فقد تُرجمت ونشرت أكثر من مرّة، ملحمة جلجامش، تمثيلاً لا حصراً. وعمل باحثون كثيرون في العراق وسورية، بخاصّةٍ على دراسة الأساطير في هذين البلدين، وعلى ترجمة نماذج عديدة منها، نقلاً عن اللغة الأصلية، أو اعتماداً على ترجماتها في اللغات الأجنبية.

ـ ٢ ـ

وهذه المحاولة التي نقوم بها، قاسم الشوّاف وأنا، ليست إلاّ استمراراً لتلك الجهود الرّياديّة، العلمية واللامعة، التي تقدّمتها، غير أنها محاولة تتميّز عمّا سبقها، بطموحها وشمولها. فهي تهدف إلى تقديم الأساطير في موسوعة، أو ديوان يحتضنها جميعاً، في عشرة أجزاء، منذ البدايات الأولى على هذه الأرض التي ننتمي إليها، في سومر بين أحضان دجلة والفرات، وفي سورية، والجزيرة العربية، وانتهاءً بمصر وضفاف نيلها الكريم.

- ٣ -

يمثّل، إذاً، هذا الاهتمام الناشىء بالأسطورة في الوسط الثقافي العربي، ما يمكن أن نسمّيه بانقلابٍ معرفيّ ونظريّ. ولا أخوض هنا في الأسباب التي أدّت إليه، بل أقتصر على القول إنّه دليل نُضْجٍ وتفتّح.

وهو، إذاً، انقلاب يشير إلى تغيّر أساسي - إلى نشوء نظرةٍ أخرى ترى في اللغة العربية أختاً وامتداداً للغات التي سبقتها، وترى أنها، إذ أخذت محلها، فقد احتفظت بشحنتها الثقافية الحية، إبداعاً وتأصُّلاً.

يشير، أيضاً، إلى ما هو أبعد وأعمق، لم يعد العربي، الكاتب خصوصاً، يرى نفسه سابحاً في تموّج لغته، كأن التاريخ مجرّد عربةٍ لغوية تقطر وراءها الحياة سائرة في فضاء مجرّد، في انقطاع عن القرار العميق: الأرض التي انبثقت منها هذه اللغة. أصبح، على العكس، يرى عمودية هذه اللغة، وعمقها الوجودي والتاريخي.

- ٤ -

في هذا ما يمثّل بدايةً لعودة نوع خاص من الدفء إلى اللغة الشعرية العربية، وإلى الحساسية العربية. فالأسطورة دفء للعقل وللجسد - مما يذكّر به الشاعر الفرنسي «باتريس دولاتور دوبان» في عبارته الجميلة: «الشعب الذي لا أساطير له يموت من البرد»، خصوصاً برد التقنية الآخذة في تدمير طفولة العالم. إن في الطاقة التخيلية التي تكتنزها الأسطورة ما يتيح التأسيس لبؤرة من العلاقات الإنسانية، يتخطّى برودة التقنية، إضافة إلى ما تولّده في الإنسان من القدرة على الاستباق والاستشراف.

وإذ يرتبط الأدب، والشعر بخاصة، بالخيالي الأسطوري، يصبح أكثر قابلية لأن يكون بناءً يشمل برؤيته الجمالية المجتمع - علماً وفلسفة، قيماً وعلاقات. فيعيد، على طريقته وبخصوصيته، النظر في العالم، بحيث يكون نقداً شاملاً، انطلاقاً من تلك الرؤية. هكذا يتاح للرؤية العلمية أن تكون هي أيضاً شعرية، ويتاح للتقنية أن تتنفّس هواء الشعر، فتظلّ الحياة أكثر إنسانية، ويظل الوجود، تبعاً لذلك، أكثر بهاء، ودفئاً.

آثرنا أن نحافظ، في الترجمة، على بناء الجملة الأصلي، بحيث تنقل إلى العربية كما هي، دون تعديل إلاّ في أشياء طفيفة تقتضيها بين وقت وآخر خصوصية الصياغة النحوية وخصوصية التعبير في اللغة العربية، وفقاً لتلك الصياغة.

نأمل أن يساعدنا الباحثون والقراء في هذا العمل، بنقدهم البصير، ومعرفتهم الدقيقة. ففي هذا ما يفيدنا في تهيئة الأجزاء التالية من هذا الديوان، فنتلافى أخطاءنا في هذا الجزء الذي بين أيديهم، ونعمل على أن تجيء الأجزاء التي ستليه أكثر ما يمكن قرباً إلى الصحة والدقة.

أدونيس

مقدّمة الكتاب الثاني

جمع الكتاب الأول، بين نصوص الخصب والإخصاب، بين ماء السماء يُخصب الأرض، و «ماء القلب» يُخصب الأرحام. وأنشد الحبّ في أجمل أغانيه، مع الراعي دوموزي وحبيبته إنانا/ عشتار. كما أنشد الحبّ مع الملوك، في طقوس الزواج الإلهي، وإذا بنا نجد أنفسنا أمام مجموعة أناشيد حبّ في تراثنا القديم، تشكّل «نشيد أنشاد» سومرياً، عرضنا توازيه مع نشيد الأنشاد التوراتي. ذلك كان تدرج الكتاب الأول في خطوطه العريضة.

وأما هذا الكتاب الثاني، فإنّه يعود بنا إلى البدء والأصول. وينوخى من بين نصوص ما بين النهرين تقديم مجمل ما يدور حول هذا الموضوع، في أقطابه الثلاثة:

القطب الأساسي، الذي لا بدء له والذي هو في بدء كل شيء تمثله الآلهة، تليه ثنائية القطب التي انبثقت منه وهي التكوين والخلق، أي البشر وما يحيط بهم.

الآلهة والتكوين والخلق، هي إذن الموضوعات الأولى التي يستعرضها هذا الكتاب في فصله الأول.

وليست الغاية من هذا الفصل، محاولة تقديم نظرية واحدة أو نظام موحّد حول كل ذلك، بل عرض ما توفر من النصوص القصيرة أو المطولة التي تم اكتشافها حتى اليوم بهذا الخصوص، مع الإشارة إلى أن تدرّج هذا العرض ينقلنا بشكل طبيعي إلى ما أسميناه بنصوص «النظرة الشاملة» في ما يتعلق بسرد قصة كل من التكوين والخلق ومن

ثمّ الطوفان، وهذه النصوص جميعها، وليست الوحيدة في هذا الكتاب، هي من الموضوعات التي تأثّرت بها توراة العهد القديم وسيلمس القارىء ذلك بنفسه.

عندما نتطرق إلى عملية خلق البشر من قبل إلّه واحد أو آلهة، فإن هذه العملية تشير بشكل مباشر أو غير مباشر إلى الغاية من الخلق، وتتأسّس منذ هذا البدء، قواعد العلاقة بين الإلّه والبشر. وأبرز ما في بداية هذه العلاقة، خدمة الآلهة وتقديم القرابين وإقامة الطقوس، والتي توصلت مع الاستمرار إلى مفهوم طهارة القلب ونقاء المقاصد بالنسبة للفرد، وإزالة الظلم والدفاع عن حق «اليتيم والأرملة» بالنسبة للمجتمع. كما تولّد عن هذه العلاقة، وبشكل طبيعي، عدم الارتياح والقلق النفسي والرهبة بسبب إهمال أمور الإلّه، وفي ذلك أساس الشعور بالذنب والعقاب، عقاب الإلّه لمن يحيد عن دربه.

وبشكل طبيعي أيضاً وبالمقابل، تولّد عن اتباع الطريق المؤدّي إليه، ارتياح النفس والبهجة والطمأنينة الداخلية والشعور باستحقاق مكافأة الإلّه وثوابه. والثواب والعقاب هما ما يحاول الفصل الثاني من هذا الكتاب تجميع النصوص بصددهما.

وبالطبع، فإنّ العقاب الإجمالي الذي عرفته البشرية وعَزَتْهُ إلى غَضَبِ الإلّه، كان بالإضافة إلى الوباء والمجاعات: الطوفان.

الطوفان المجتاح والمكتسح لكل شيء والذي كاد أن يبيد جميع البشر، لولا تدخُّل الإلّه الذي أحبّ الإنسان فأنقذه وتدخّل البشري الذي أحبّ الإلّه وأخلص له، فأنقذ البشرية وأنقذ نفسه. وما تركته لنا نصوص ما بين النهرين عن الطوفان وعن تاريخ البشرية الإجمالي منذ الخليقة وحتى الطوفان، هو من بين النصوص الرئيسية في تراثنا وهنا أيضاً لم تتردد التوراة، في عملية الاقتباس.

ويتابع الكتاب فكرة الثواب والعقاب، في النصوص التي تشدّد على سهر الإلّه كمشرّع وكقاضٍ، يراقب ويحاكم ويعاقب، وقد خَضَع الملوك لعقابه، كما خضعت الممالك التي تمّ زوالها لأنها خَرَجَتْ عن صراطه.

غَضِبَ الإلّهُ فانهارت الممالك وخُرِّبت المدن وعمّ الدمارُ البلاد، وها هو إنسان ما بين النهرين، يعود إلى الإلّه راجياً ومتضرّعاً وتائباً، وها هو يتوجه نحو مدينته

المخرّبة ومعبده المدمّر، فيبتدع المراثي والنواح عليها. وهنا أيضاً، نكتشف أن سومر، ابتدعت أدب المراثي وكانت أول من عاش مسرحاً دينياً، تمثلْ فيه مجموعةُ المنشدين (الكورس) شعبَ المدينة المخرّبة، ورئيس المجموعة هو الرّاوي الذي يستثير ردّ المجموعة وكأنه قائد فرقة موسيقية. ولإلّهة المدينة «أمّ ـ المدينة» دورها في النواح على مدينتها والتفجّع بمرارة أمام معبدها المخرّب.

ولم يكن ذلك بمثابة تمثيلية «فنّية» مّجانية، بل كانت رجاءً وابتهالاً لكي يهدأ غضب الإلّه أو الآلهة الذين قرّروا الدمار، واستدراراً للرضى وأملاً بالغفران والرحمة والسماح بأن تعود المدينة إلى سابق ازدهارها. ومسرحية «البكاء على خراب سومر ومدينة نفّر» هي كذلك من النصوص الأساسية التي يشتمل عليها هذا الكتاب.

وفي التعرض للثواب والعقاب، يتوقف الفصل الثاني أيضاً عند عدالة العقاب، وكأنه يناقش عدالة «العدالة الإلّهية» متسائلاً مع «العادل المعذّب» الرجل العادل الذي أصابته جميع البلايا، على الرغم من تقواه وأدائه لمتطلّبات الإلّه، يتساءل معه هل هو عادل هذا العقاب الإلّهي، وما الذي يُسوّغه؟

هنا أيضاً، وفي هذا النص الرئيسي، ندخل مرة جديدة في التوازي مع سفر أيوب التوراتي الذي لا يزال يحمل في شكله الحالي آثار الأصل الكنعاني/ العربي الذي اقتُبس عنه.

وحول العدالة الإلّهية أيضاً، يعرض الفصل الثاني في ختامه، حواراً بابلياً، يتوصل المحاوران بنتيجته إلى حقيقة سموّ الإلّه على جميع مخلوقاته وعجز البشر عن التعرف على مقاصده ونياته، وبلغة ذلك العصر يقول لنا النص بأن «قلب الإلّه بعيد عن متناولنا، كما هي بعيدة عنّا أعماق السماء».

وفي فصل ثالث وأخير، يروي لنا هذا الكتاب قصص الصعود إلى سماء الآلهة في مغامرتي «أدابا» بسبب حكمته وقُدرة كلمته. وبكلّ تعاطفٍ مع «إيتانا» وبتأييدٍ لسعيه ونبل قصده نصْعدُ معه إلى السماء على جناح نسر.

باريس ١٢/ ٣/ ١٩٩٦

قاسم الشوّاف

المصطلحات والإشارات
التي تسهل متابعة النصوص

* أرقام الأسطر، هي الأرقام العربية (1، 5، 10، 15 . . .) التي تمكّن من الرجوع إلى النص في كل مقارنةٍ أو استشهاد أو اقتباس.

* أشرنا أيضاً كلّما لزم الأمر إلى عدد اللوحات التي يتألف منها النص كما نوّهنا بالانتقال من محتوى وجه اللوحة إلى محتوى ظهرها والانتقال من عمود إلى عمود آخر حين كانت النصوص موزعة على عدة أعمدة في اللوحة الواحدة.

* . . . هذه الإشارة بين تعبيرين تدل على وجود كلمة أو مقطع تعذّرت قراءتهما.

* [. . . .] العقفات قصيرة كانت أم طويلة، تعني فقدان كلمات أو مقاطع على اللوحة الأصلية.

* [مع نص تحتوي عليه] تشير إلى أنه أمكن استكمال النقص بسبب التكرار في اللوحة نفسها أو عن لوحة أخرى سهلت هذه الإضافة.

* نظراً إلى اختلاف أطوال الأسطر، فإنّ تتمّة السطر الذي يتعدّى السطر الواحد المقرر للنص، هذه التتمة أوردت وكأنّها عجز مكمّل لصدر بيت شعرٍ عربي.

* (   ) ما وضع بين قوسين يشير إلى إضافة أو تكرار يساعد على تفهم النص بلغته العربية.

* ..   .. تدل هذه الإشارة أن الناسخ نسي تعبيراً أو مقطعاً معروفاً لدينا وأمكننا إضافته.

* { } ما يوضع ضمن هاتين الإشارتين يدل على أن الناسخ كرر سهواً ودون مبرر كلمةً أو مقطعاً يُعْزَلُ على هذا الأساس.

* (؟) تشير إلى قراءةٍ غير أكيدة للنص وهي تلي الاقتراح المحتمل للقراءة المعروضة.

* ! علامة التعجب تشير إلى اللجوء إلى معنىً محدّد للمقطع أو الكلمة التي سبقت هذه العلامة.

* وأخيراً فإن جميع النصوص التي يحتويها هذا الكتاب، تحمل مع عناوينها، التي هي اصطلاحية ولا أساس لها في النصوص الأصلية، تحمل إلى جانب هذه العناوين، رقماً بين قوسين (رقم) يسهّل الرجوع إليها والاستشهاد بمحتواها مثال النص ٣٥ السطر ٦ يشار إليه: (٣٥: ٦) أو الأسطر ٦ إلى ١٠ في النص نفسه يشار إليها: (٣٥: ٦ ـ ١٠).

الفصل الأول

(١) ـــ البَدْء والأصول

١ ـ كيف أتى إلى الوجود، النهر والأشجار، الحبوب والماشية، الصيف والشتاء، الطيور والأسماك؟ . . . كيف وصلت إلى الأسنان «دودة» وجع الأسنان؟ وشُعيْرَة العين، كيف دخلت إليها؟ من أخصبَ الأرض فأنبتت والنعجة فولدت؟

السماء والأرض، قالت لنا نصوص ما بين النهرين، هما زوجان بدْئيّان، ونحن نعلم أن الأرض تزيّنت واكتست أجمل حللها، لتلقّي منيّ السماء[١]. وماذا عن النجوم وصورها؟ جميعها في أفلاكها تدور، الشمس تنير الأرض وتبدّدُ الظلام فتتوضّح المعالم وتظهرُ الأشياء على حقيقتها، وكأنّ الشمس تشهدُ على الوضوح والعدالة. وعندما يبدّل القمر وجهه، فإنّه يُعلّمْ كيف ينتهي شهر ويبدأ شهر اخر.

٢ ـ وعندما تساءل إنسان ما بين النهرين، ولم يكن الوحيد في هذا المضمار، عن أصول كل ما يحيط به وعن بدء ما يحيط به، قدّم أجوبةً كانت في أساس حوافزه لبناء حضارته. ووصل بعد ذلك، وبشكل طبيعي إلى طرح سؤالٍ عن وجوده هو، وهنا هو يحاول قراءة فصل آخر من كتاب الكون: مَنْ بطل التكوين ومَنْ بطل الخلق، من كوّن ومن خلق؟

---

(١) راجع النص رقم (٣٧) من هذا الكتاب.

وتوزعت الأجوبة بين إلَهة ـ أم وآلهة عظام اثنين أو ثلاثة أو إلَهٍ واحد، إلى أن توصّل إلى الإلَه الواحد، الإلَه الواحد ذي الأسماء الخمسين.

٣ ـ وفي كتاب الكون فصل آخر، كان على إنسان ما بين النهرين، محاولة فكّ رموزه وتقديم ما يرضيه بصدده ويبدّد على الأخص قلقه. والحقيقة، أن هذا الفصل يطرح السؤال الأساسي، حول ما سبق تأليف كتاب الكون برمته. وهكذا وجد المستفسر نفسه أمام ما قبل التكوين وما قبل الخلق، أمام ما قبل البدء المرئي. ودخل خياله إلى بدْء البدْء، بدء اللامرئي، وها هو أمام «العماء»، أمام ما هو في أساس كل شيء، أمام الآلهة الذين هم وراء «الكلمة» التي بدأ بها كل شيء.

٤ ـ وهذا الفصل، عن البدء والأصول، سوف يتطرّق إلى ما وصلنا من محاولات مكتوبة أغنى بها إنسان ما بين النهرين تراثنا وتطرّق بواسطتها إلى موضوع ولادة الآلهة، وقدّم إجابات متعددة حول تفسير الأصول بالنسبة للكون المحيط بالأرض وبالنسبة للأرض ذاتها، الأرض الفسيحة التي تطفو على محيط المياه، وكذلك بالنسبة للبلاد أي بلاد ما بين النهرين: دجلتها وفراتها. كما يتعرض هذا الفصل إلى نصوص الإجابة عن سرّ خلق البشر وأسبابه، ودور الآلهة في ذلك ودور البشر الذين كُلّفوا بنشر الرخاء والكثرة على الأرض وببناء المعابد وتموينها.

٥ ـ ولا بد من الإشارة أيضاً، إلى أن إنسان ما بين النهرين ترك نصوصاً عديدة، تعرّضت بشكل غير مباشر إلى ولادة الآلهة والتكوين والخلق في مناسبات، لم تكن الغاية منها سرد هذه الأحداث المهمّة، بل التذكير بها والعودة إلى البدْء حيث كانت قوى الخلق في أقصى طاقاتها، والعودة إلى زمن البدء في «كماله»، كما اعتقد ذلك الفكر الميتي (الميثولوجي) لجميع الشعوب، والذي كان زمن الينبوع المتفجّر حيويةً وخلقاً، حيث انطلقت قوى الحياة وقوى الخصب في أثناء التكوين وكان زمن البدء محمّلاً بها. وزمن البدء وحْدَه كان يمثل الزمن «المعبّر» أو الزمن «المكثف» المحمّل بالطاقات[1] والعودة إليه كانت تعني العودة إلى «كماله» وقدراته.

---

(١) حول كمال البدء يمكن الرجوع إلى كتاب «مع الكلمة الصافية» لقاسم الشواف، الصادر عن دار الأجيال بدمشق، ١٩٦٩، (ص ٢٧ ـ ٣١).

٦ ـ وعلى هذا الأساس، اشتملت نصوص عديدة على مقاطع مختلفة تذكّر بهذا البدء في عدد من الطقوس الدينية والرقى وتعاويذ الشفاء وهذه المقاطع وحدها هي التي سنوردها من ضمن هذا الفصل.

وعاد إنسان ما بين النهرين أيضاً إلى البدء، حين أراد تفهّم الأدوار وأهميتها في الطبيعة بالنسبة مثلاً للصيف والشتاء، أو الطيور والأسماك أو الشجر والقصب... فابتدع شكلاً أدبياً كان عبارة عن مساجلة تنافسية بين الطرفين موضوع البحث، وفي كل مرة، سوف نُفيدُ من عودته إلى البدء للتعرّف على صورة مختصرة للتكوين والخلق نُدرجها أيضاً من ضمن هذا الفصل.

٧ ـ جميع هذه البدايات التي أشرنا إليها[١] ندرجها هنا قبل عرض قصة التكوين والخلق الشاملة وهي «الإينوما إيليش»[٢] للدلالة على تعدد المدارس الفكرية في بلاد ما بين النهرين، بلاد ممالك ـ المدن التي بدأت بها الحضارة، وللدلالة على العفوية وحرّية التعبير التي رافقت تلك النصوص التي امتدت على مدى قرون عديدة، قبل أن يُعمد في بابل، عاصمة جميع البلاد، إلى تدبيج قصيدة توحيد المعتقدات، وتوحيد المكوّن والخالق، الذي تأقنمت في كُنهِهِ جميع الآلهة، والذي هو الإله مردوك[٣] وأسماؤه الخمسون تشهد على ذلك.

٨ ـ وبناءً على ما عرضنا أعلاه، فإن هذا الفصل الأول سوف يتدرج متبعاً العناوين التالية:

(١ ـ ١) ـ ولادة الآلهة

(١ ـ ٢) ـ التكوين في نصوص متعددة

(١ ـ ٢) أ ـ المنافسات

(١ ـ ٢) ب ـ الرقى

---

(١) النصوص (٣٥) إلى (٥٤).
(٢) (Enuma-Elish) قصيدة التكوين والخلق البابلية وترد هنا في النص رقم (٥٥).
(٣) (Marduk) إله بابل.

(١ ـــ ١) ـــ ولادة الآلهة

١ ـ السؤال الذي طرحه على نفسه إنساننا القديم فيما بين النهرين هو: كيف تمّت ولادة الآلهة؟

وتعددت الأجوبة أو محاولات الأجوبة عن هذا السؤال: فقد تمّ تصوّر إلٓهة ـ أم، ولدت جميع الألهة، آلهة السماء وآلهة العالم السفلي.

إنها الإلٓهة ـ الأم مامّي[١] في قصيدة الصراع بين نينورتا[٢] والطائر أنزو[٣]، التي لقبت بسيدة جميع الآلهة، وهي التي أعلنت:

«أنا هي التي ولدت جميع الإيجيجي[٤]
أنا التي خلقتهم بكاملهم،
هم ومجموعة الأنوناكي[٥]، الآلهة ـ العظام،
وأنا التي منحت السيادة لإنليل[٦] أخي،
وعيّنت لآن[٧] سلطته العليا في السماء.

من النص رقم (٦٢) من هذا الكتاب لوحة أولى عمود ٤، الأسطر (٤ ـ ٨) من النص الأكادي.

---

(١) (Mammi) الإلٓهة ـ الأم البدئيه.
(٢) (Ninurta) ابن إنليل، إله الحرب.
(٣) (Anzou) الطائر الأسطوري الذي انتصر عليه نينورتا.
(٤) (Igigi) هنا: مجموع آلهة السماء.
(٥) (Anunnaki) مجموع آلهة العالم السفلي.
(٦) (Enlil) سيد مجمع الألهة في سومر.
(٧) (An) إله السماء.

٢ ـ وفي النص السومري عن الأحداث نفسها، نرى أنّ أمّ الآلهة هي ماخ، أي مامّي الفائقة السمو[١]، ونينورتا هو نينجيرسو[٢]:

«أمام الإلّهين آنو[٣] وداجان[٤]
أثار آلهة الأرض مجتمعين
قضيّة سلطانهم الإلّهية
إذن فلتعلَمْ بأنني، أنا مامّي
ولدت الإيجيجو كلّهم[٥]:
[لذلك سوف أقاتل (؟)]
ضدّ عدوّ الآلهة!
أنا هي التي مَنَحتُ السيادة
لإنليل أخي وكذلك لآنو
[فمن الآن فصاعداً (؟)] هذه السيادة
التي عيّنتها لهما شخصياً
سوف أنقلها (؟) إليك [. . .]
ولكن عليك أولاً، تحويل [هذه الكارثة]
إلى نصرٍ.
أعِدِ البهجة إلى قلوب الآلهة الذين خَلقْتُهم
أدخلْ معه في معركةٍ نهائية. . .».

النص السومري لصراع نينورتا مع الطائر أنزو: اللوحة الثانية، الأسطر (٤٥ ـ ٥٤). (انظر النص الكامل تحت رقم (٦٢) من هذا الكتاب).

٣ ـ وفي أحد الابتهالات الموجهة إلى الإلّه القمر سين/ سوئين[٦] نقرأ بأن هذا الإلّه:

---

(١) (Mah) بمعنى السامية.
(٢) (Ningirsu) التسمية السومرية لنينورتا.
(٣) (Anu) إلّه السماء.
(٤) (Dagan) المقابل الأكادي لإنليل أضيف بتأثيرٍ عمّوري.
(٥) (Iggigu) التسمية السومرية للإيجيجي وهم مجموعة آلهة العالم العلوي.
(٦) (Sin-Sou'en) التسمية الأكادية للإلّه القمر نانا (Nanna).

ونقرأ في نص آخر أن إلّه السماء آن[١] لقّح «كي»[٢]، الأرض ساكباً فيها ماءه المخصِب، الأمطار.

تتم ولادة الآلهة في معظم الأحيان بنتيجة اتصال جنسي، كما يحدث ذلك بين رجلٍ وامرأة. وهذا ما حصل في علاقة إنليل[٣] ونينليل[٤]. كما ورد ذلك في النص رقم (٢) من الكتاب الأول حيث نشهد إنليل بنتيجة اتصال أول يسكب في أحشائها: «بذرة ابنة سين ـ أشيمبابار»[٥] (السطر ٥٣).

ومن ثم: «بذرة نرجال ـ مسْلامتا ـ إيا»[٦] (السطر ٩٠).

وكذلك: «بذرة نين ـ آزو»[٧] (السطر ١١٦).

وأخيراً: بذرة إنبيلولو[٨] «المسؤول عن الأقنية» (السطر ١٤٢).

وجميع هؤلاء الآلهة هم أبناء الإلّه إنليل.

٤ ـ وأما الإلّه أنكي[٩] فلا يختلف عن إنليل من هذه الناحية، إذ يقول عنه النص رقم (١) من الكتاب الأول والمتعلق بإحياء بلاد دلمون، يقول عنه هذا النص:

74 «من أجل دامجال ـ نونّا[١٠] خصّص أنكي منيّه،

---

(١) (An) إله السماء.

(٢) (Ki) الأرض و (lil) الهواء.

(٣) (Enlil) سيد الهواء وهو رئيس مجمع الآلهة السومري.

(٤) (Ninlil) سيدة الهواء وهي قرينة إنليل.

(٥) (Sin-Ashimbabar) الإله القمر الأكادي وأضيف إليه لقب بابار السومري وهو لقب نانا السومري ومعناه، ذو الشروق المنير.

(٦) (Nergal-Meslamtaéa) إله العالم السفلي.

(٧) (Nin-Azou) أحد آلهة العالم السفلي.

(٨) (Enbiloulou) المكلف بالسهر على الأقنية.

(٩) (Enki) إله الخلق ومهارة الصنع السومري وهو إيا الأكادي.

(١٠) (Dampal. Nunna) لقب قرينة إيا نينخورساج.

75 وسكبه في حضن نين ـ خورساج»[١]

. . . . بعد ذلك . . .

87 [نينتو][٢] «أم البلاد، كالزيت الناعم،

كالزيت الناعم، كالدهان الثمين،

88 ولدت نينسار[٣] «سيدة الخضار والنباتات التي تؤكل»

. . . .

100 احتوى نينسار بين ذراعيه وجامعها

101 سكب منيّه في حضنها،

102 وتلقّت في حضنها المنيّ، منيّ أنكي!

. . . .

114 ولدت نينكورا[٤] «سيدة النبات ذات الألياف».

(انظر النص رقم (١) في الكتاب الأول)

٥ ـ وأنكي أيضاً الذي عرفته النصوص الأكادية تحت اسم إيا[٥]، كان بحكمته وحذاقته وكبير ذكائه قادراً على نزع التراب من تحت أظافره وعجنه ثمّ خلق الإلٰهة صَلْتو[٦] مُنافِسةً لعشتار وبعد ذلك، إزالتها من الوجود بمحض إرادته، كما ورد ذلك في قصيدة النزاع بين عشتار وصَلتو، التي ستنتشر في الكتاب الثالث.

٦ ـ ومتابعة لفكرة توالد الآلهة، مثل توالد البشر، لا بدّ من الإشارة إلى أن إضفاء الألوهية على قوى الكون الفاعلة وعلى عناصر الطبيعة تفسيراً وتعليلاً لما كان إنسان ما بين النهرين يعدّ نفسه جزءاً منه إضافةً إلى انتقال السلطة والسيادة من يد لأخرى، أو

(١) (Nin-Hursag) بمعنى السيدة الفائقة السمو وهو لقب نينتو.

(٢) (Nintu) الأم البدئية، أم الآلهة.

(٣) (Ninsar) الإلٰهة الأولى التي ولدتها نينتو بالاقتران مع أنكي.

(٤) (Ninkura) الإلٰهة الثانية التي ولدتها نينسار بالاقتران مع أنكي.

(٥) (Ea) المقابل الأكادي للإلٰه أنكي.

(٦) (Saltu) الإلٰهة التي خلقها إيا لمجابهة عشتار.

الصراع من أجلها ـ إلى أن هذا كلّه أظهر أنّ للآلهة طبيعتين ووجهين مختلفين، لشخصية مزدوجة، مادية وإلّهية.

وعلى هذا الأساس، فإن بعض النصوص، المشيرة إلى الحقائق الكونية والطبيعية وإلى أصولها، تحتوي على ما يدعم هذه النظرة، فبالتوالد، خُلق الإلّه الممثل لحيوانات الأرض حين اتحد إلّه بذئي مع الأرض ـ الأم[1]. وفي الجيل الثاني، تلد الأرض المروج والغياض، ثم يولد النهر، كما تولد في جيل لاحق سيدة الكرمة. . . وفي كل مرة كانت تنتقل السيادة أو الملكية، بقتل الإلّه الحاكم، السابق فالأسبق، كان يختفي حكم الإلّه أو الإلّهة السلفيْن، وتبقى بعدهما الطبيعة التي تمثلهما: تبقى الأرض أي مادة الأرض والنهر وحيوانات البراري، وتبقى المروج والغياض. . . وتترسّخ أسس الاهتمام بها وطقوسه.

٧ ـ ونحن نعلم أيضاً كما سيرد ذلك في قصيدة التكوين والخليقة (النص رقم ٥٥)، أن الأرض والسماء نتجتا عن القضاء على الأم ـ البدئية تيامت[2] وبناء السماء من نصفها العلوي وتدعيم الأرض بنصفها السفلي.

٨ ـ وبمجرد الاعتقاد بفكرة توالد الألهة كتوالد البشر، كان من الطبيعي محاولة سرد وتعداد أسلاف الألهة، الذين كانوا فاعلين وكانت لهم أدوارهم الكونية والطبيعية والتنظيمية. وقد تمّ لذلك تأليف النصوص المختصة بتسلسل الألهة ومحاولة العودة بهذا التعداد إلى أقصى حد تصوره عقل مفكري ما بين النهرين، أي زمن البدء. وهذا ما تمّ فعلاً، بدءاً من نهاية الألف الثالث لما قبل الميلاد حين وُضعت لائحة الألهة التي عُرفت بمطلعها «آن ـ آنوم»[3] والتي أخذت شكلها النهائي في منتصف الألف الثاني لما قبل الميلاد.

---

(١) تفاصيل هذا النص تعرض فيما بعد تحت عنوان «ولادة الالهة ومابنة دونو»، النص رقم (٣٥) من هذا الكتاب.

(٢) (Tiamat) التي تغلب عليها الإله مردوك.

(٣) (An-Anum).

وهذه المجموعة، هي عبارة عن لائحة جدولية تعدد بالنسبة للإله آن[1] مؤسس الأسرة الإلهية الحاكمة عشرة أزواج من الأسلاف مثال «دوري - داري»[2]، الزوج الذي يوحي أكادياً بالديمومة. وكذلك «إين - أورو - أولا»[3] و «نين - أورو - أولا»[4] بمعنى سيد وسيدة التجمع القديم (الأوّل). كما أن لوائح (آن - آنوم) تعدد بالنسبة للإله إنليل[5] ٤٣ سلفاً مزدوجاً.

وهذه اللوائح، التي لا تدخل في نطاق عرضنا هذا، تحتوي على معلومات ميثولوجية مهمة بالنسبة للتكوين وولادة الآلهة.

٩ - وعن ولادة الآلهة، أخيراً، وبالإضافة إلى المقتطفات والمقاطع التي أدرجناها أعلاه نورد تحت الرقم (٣٥) النص الذي أشرنا إليه في المقطع رقم ٦ وهو: «ولادة الآلهة ومدينة دونّو».

كما نورد عن اللوحة ١٢ من ملحمة جلجامش، تحت الرقم (٣٦)، مطلعها الذي يشير إلى توزيع الأدوار بين كل من الآلهة: آن[6] وإنليل وإيريشكيجال[7].

---

(١) (An) إله السماء.
(٢) (Duri-Dari).
(٣) (En-Uru-Ulla).
(٤) (Nin-Uru Ulla).
(٥) (Enlil) إله الهواء وسيد مجمع الآلهة، ويمكن أن نقول عنه سيد التجمع الثاني بعد تجمع آن القديم.
(٦) (An) إله السماء وسيد التجمع الأول.
(٧) (Ereshkigal) إلهة العالم السفلي.

(٣٥) ـــ ولادة الآلهة
ومدينة دونّو[١]

١ ـ لم ينشر هذا النص إلا في عام ١٩٦٤، في المجلّد رقم ٤٦ من مجموعات النصوص المسمارية في المتحف البريطاني (اللوحتان ٣٩ و٤٠). كما خصصت لهذا النص دراسة مستقلة نشرت في مجلة قدموس البريطانية لعام ١٩٦٥ تحت عنوان: «مبحث بابلي جديد في أصل الآلهة وهيزيود»[٢].

لغة هذا النص هي الأكادية وهو منقول كما يعتقد عن نسخة تعود إلى بداية الألف الثاني لما قبل الميلاد. وكان النص المشار إليه يحتوي على الأرجح حوالي ١٠٠ سطر، لم يبق منها سوى ٤٠، على وجه اللوحة التي تحمله وبقايا ٢٠ سطراً على الظهر، كما تتخلله فجوات أخرى.

٢ ـ ويروي هذا النصّ عن ولادة الآلهة أن زوج الإلّهين البدئيين هما خا ـ راب[٣] والأرض. والمعنى الأكادي لكلمة خاراب (السومرية هنا) هو المعزق أو المحراث.

ويشير النص إلى أن زوج الإلّهين البدئيين الأولين كانا يملكان محراثاً، لأنهما بضربات من محراثهما خلقا البحر وهي الابنة الأولى. وفي المرحلة الثانية من اتحادهما

---

(١) .Dunnu

(٢) (Hesiode) الشاعر اليوناني هيزيود عاش في القرن السابع ق. م وهو مؤلف قصائد «الأعمال والأيام» و «ولادة الآلهة».

(٣) .(Kha-rab)

وُلد لهما ابن هو «أماكاندو»[١] إلّه الحيوانات البريّة. وفي مرحلة ثالثة أقاما مدينة دونّو، «المدينة ذات المعقلين» وأسّس فيها خاراب سلطة دونّو الأميرية متولّياً هذه السلطة.

أما الابن «أماكاندو» فقد اتخذ أمّه الأرض قرينة له وقتل أباه خاراب ودفنه في مدينته المفضّلة دونّو، واستولى على الإمارة، كما اتخذ من أخته البحر قرينة له فولدت له «لاخار»[٢] الإلّه الحامي للماشية الصغيرة وهو بدوره قتل أباه أماكاندو واتخذ أمّه البحر قرينة له، وهي بدورها ذبحت أمها الأرض في اليوم السادس عشر من شهر كيسليم (تشرين الثاني ـ كانون الأول) واستولى بذلك لاخار على السلطة ـ الأميرية ـ والملكية.

والجيل الرابع يتألف من الابن الأول لِـ (لاخار) بزواجه من أخته النهر. ويتألف الزوج الخامس، من الابن الثاني لِـ (لاخار) بزواجه من أخته (أوا ـ إيلداك)[٣] التي هي المروج والغياض. وهنا تكثر المراعي وتنتشر الزرائب. ويتوقف وضوح النص الذي نحن بصدده، عند الزوج السابع، بإدخال إلّهتين هما «نين ـ جيشتينّا»[٤]، سيّدة الكرمة، و «خاخارنوم»[٥] التي تذكر بجيشتينانا[٦] أخت الإلّه دوموزي أو «بيليت ـ صيري»[٧] سيدة السهوب.

٣ ـ وبدءاً من السطر ٤٠ وحتى نهاية النص، نتعرّف على أسماء آلهة آخرين مثال نينورتا[٨] وإنليل[٩] ونوسكو. يغلب على نصّ ولادة الآلهة ومدينة دونّو الذي نحن بصدده الطابع التأريخي، وبعيد كما يُعتقد إلى طقوس تعتمد الأشهر القمرية وهو يُسقط تاريخَ آلهة وجدوا في أزمنة البدء على الكون والطبيعة: فنلمس فيه بداية بناء المدن والاستقرار، والتحصين، والرعاية، وبداية الزراعة، وخاصة الكرمة أو الأشجار

---

(١) (Amakandu).
(٢) (Lakhar).
(٣) (Ua-Ildak).
(٤) (Nin-Gêshtinna).
(٥) (Khakharnum).
(٦) (Geshtianna).
(٧) (Belêt-Siri).
(٨) (Ninurta).
(٩) (Enlil).

المثمرة. ويشير النص أيضاً إلى إعلان سلطة الإمارة ثم الانتقال إلى الملكية، كما يشير إلى عادات الدفن، المدفن الواحد لكامل أجيال عائلة مالكة. ولا بد من الإشارة إلى توازي النص مع «ولادة الآلهة» لهيزيود وإلى الأساطير الحورية ـ الحثية لكوماربي[١]، أبي الآلهة الحوري[٢].

وجه اللوحة

الزوج الأول: خاراب والأرض

[. . .] في البدء من [. . .]
[. . .] و [. . .] سلطة الإما [رة . . .]
[. . .] المحراث [. . .]
وبضربات من محراثهما خلقا البحر
وولّدا باقترانهما في مرحلةٍ
[ثانية؟] أماكاندو[٣]
وفي مرحلةٍ (؟) ثا [لثة] بَنوا دونّو
(المدينة) ذات المعقلين التوأمين
وتولّى خاراب سلطة الإمارة في دونّو.

الزوج الثاني: الأرض وأماكاندو

وإذْ استدارت الأرض نحو أماكاندو، ابنها
قالت له: «تعال كي أضاجعك!»
فاتخذ أماكاندو عند ذلك أمه كقرينة له
وقتل خاراب، أباه،

---

(١) (Kumarbi).
(٢) الحوريون (Hurrites) الذين عرفهم الشمال السوري في أوغاريت، كانوا الصلة بين هذا الشمال وبلاد الحثيين.
(٣) إله الحيوانات البرية.

ودفنه في دونّو، مدينته المفضّلة،
ثم استولى على سلطة ـ الإمارة،
واتخذ (أيضاً) البحرَ أخته البكر (؟) قرينةً له.

الزوج الثالث: لاخار والبحر

أتى بعد ذلك لاخار[١] ابن أماكاندو
الذي قتل أماكاندو، وفي دونّو
دفنه في [قبر (؟)] أبيه
واتخذ بعد ذلك أمّه البحر كقرينةٍ له
وهي بدورها ذبحت (؟) الأرض أمّها.
وفي السادس عشر من شهر كيسليم[٢]
استأثر (لاخار) بالسلطة ـ الأميرية ـ والملكية.
———[٣]

الزوج الرابع: ابن لاخار الأول والنهر

ثم [. . .] ابن لاخار اتخذ، نهر
أختَه كقرينةٍ له
قتل أباهُ لاخار وأمَّهُ بحر
ودفنهما في [القـ]ـبر (نفسه (؟)) [. . .].
وفي الأول من شهر [. . .]
استأثر بالسلطة ـ الملكية ـ والأميرية.
———[٣]

---

(١) (Lakhar) إلّه الماشية الصغيرة ولو أن اسمه السومري يعني: النعجة ـ الأم.
(٢) (Kislim) شهر بين تشرين الثاني وكانون الأول.
(٣) الفواصل خطّها الناسخ على اللوحة.

الزوج الخامس: ابن لاخار الثاني وأوا ـ إيلداك

وابن (آخر) [. . .؟] للاخار اتخذ قرينةً له
أخته المروج ـ و ـ الغياض (أوا ـ إيلداك؟):
جعل العشب ينبت (؟) من الأرض
وملأ (بالماشية) الزرا [ئب] [(؟)]
[من . . .] و [. . .]
[. . .] من أجل حاجات الآلهة [. . .]
ثم قتل [. . . و] نهر، أمّه
ووضعهما [في (؟) . . .].
وفي الـ [. . .] من شهر [. . .] .
استأثر بالسلطة الأميرية والملكية.

الزوج السادس: [. . .] ونين ـ جيشتينّا

[. . .] ابن (؟) [. . .] اتخذ قرينةً له
السيدة ـ كرمة (نين ـ جيشتينّا) أخته
قتل [. . . أباه] والمروج ـ و ـ الغياض أمه
ووضعهما [في . . .]
وفي السادس عشر ـ أو العشرين من شهر [. . .]
[استأثر] بالسلطة ـ الملكية ـ والأميرية.

الزوج السابع:

[. . .] ابن خاخار نو[م]
اتخذ [. . .] أخته قرينةً له
[. . .] و، بعد الاستئثار بسلطة
أبيه الأميرية [. . .].

يلي سطران غير مقروءين يليهما كسر في أسفل وجه اللوحة يحتوي على بعض

الأسطر. وفي ظهر اللوحة، هناك نقص حوالى ٢٠ سطراً. وبقيت من النصف الأسفل، رموز بدايات حوالى ٢٠ سطراً، أمكن التعرف من خلالها على أسماء الآلهة: نينورتا في (٩ و١٦)، وإنليل في (١١ و١٤)، ونوسكو في السطر (١٢) ويشير تصنيف اللوحة في نهايتها إلى «أنّ هذا النص نُسخ وجُمع عن نسخ با [بل] واشور».

(٣٦) ـــ الآلهة: آن وإنليل وإيريشكيجال
مطلع الأصل السومري للّوحة ١٢ من ملحمة جلجامش حول العالم السفلي

نحن هنا أمام الأصل السومري للّوحة الثانية عشرة من ملحمة جلجامش تمّ تقديمه لأول مرة في عام ١٩٦٣ ويذكر مطلع هذا النص كيف أنه تمّ الفصل في أزمنة البدء بين السماء والأرض وكيف توزعت الأدوار فيما بعد بين كل من إلَه السماء آن[١] والإلّه إنليل[٢] والإلّهة إيريشكيجال[٣].

في تلك الأيام، الأيام الموغلة في القدم ـ
في تلك الليالي، الليالي البعيدة البعيدة ـ
في تلك السنين، السنين العتيقة . . .
عندما فصلت السماء عن الأرض
وفصلت الأرض عن السماء . . .
حمل آن معه السماء
وإنليل حمل معه الأرض
ومنح العالم السفلي إلى إيريشكيجال

(١) (An) إله السماء السومري.
(٢) (Enlil) إله الهواء وسيد مجمع الآلهة.
(٣) (Ereshkigal) إلهة العالم السفلي.

(١ ـ ٢) ـ التكويـن
في نصوص متعددة

١ ـ بعد أن أنجزت ولادة أو ولادات الآلهة، يمكننا القول، بأن هؤلاء، قاموا في مرحلة ثانية، بإنجاز أعمال تكوينية، ذكّرت بها مقاطع مختلفة من النصوص التي وصلتنا. وتعددت بذلك قصص التكوين الجزئية، كما تعددت الألهة التي نُسبتْ إليها هذه الأعمال، متراوحةً بينَ:

* الآلهة دون تحديد
* إنكي/ إيا[١]
* إنليل[٢]
* الثالوث: آنو[٣]، إنليل، إنكي

دون أن ننسى الإلّهات:

* مامّي/ ماخ[٤]
* آرورو[٥]
* بيليت ـ إيلي[٦]

---

(١) (Enki/Ea).
(٢) (Enlil).
(٣) (Anu).
(٤) (Mammi/Makh).
(٥) (Aruru).
(٦) (Bêlét-Ili) (سيدة الآلهة).

وأخيراً الإله مردوك[1]، إله بابل، الذي استأثر وحده بعملية التكوين الكاملة وسيشار إلى دوره في الخلق، في فقرةٍ لاحقة.

٢ ـ ونستعرض فيما يلي، المقاطع التي تتحدث عن التكوين بمناسبات عديدة، لم تكن غايتها في معظم الأحيان سرد قصة التكوين بحد ذاتها، بل أرادت، كما أوضحنا ذلك في تقديم هذا الفصل، أرادت العودة إلى أزمنة البدء وإلى الأصول لأسباب عديدة يعبّر عنها كل نص بمفرده.

وتتحدّث هذه النصوص القصيرة، في بداياتها، عن موضوعات مختلفة سوف نقدّمها وفق التسلسل التالي:

النصوص

(١ ـ ٢) أ ـ المنافسات .... (٣٧ ـ ٤١)

(١ ـ ٢) ب ـ الرقى .... (٤٢ و٤٣)

(١ ـ ٢) ج ـ ابتهالات وصلوات .... (٤٤ ـ ٤٩)

(١ ـ ٢) د ـ مقدمة كتاب التنجيم .... (٥٠ و٥١)

---

(١) (Marduk) إله قصيدة التكوين والخالق البابلية وسوف ترد قصّة ارتقائه وتبوئه المركز الأول بين الآلهة في النص رقم (٥٥) من هذا الكتاب.

(١ ـ ٢) أ ـ التكوين وفق مقدمات بعض المنافسات

١ ـ بين القصائد والنصوص السومرية ذات المطلع البدئي، مجموعة تتعرّض للتنافس بين كائنين لهما أدوار متكاملة أو متناقضة أو متفاوتة في سلم التقدّم في بعض الأحيان.

ومثل هذا الشكل من الإنتاج الفكري الذي لجأ إليه السومريون، يتيح المجال للتعمّق بالأدوار والمصائر، وتفهم مسوّغات وجود المخلوقات والأشياء من ضمن مساجلة، يعرض فيها كل طرفٍ مزاياه ومسوّغات وجوده، يدافع عن نفسه متعاظماً ومقلّلاً من قيمة ودور الطرف الآخر، الذي له الحقّ، هو أيضاً، في الردّ واستعمال الأسلوب نفسه. وحين تظهر الحقيقة في عمقها وتعدّد أبعادها وفي نسبيتها بنتيجة هذا السجال، يمكن أحد الطرفين كما رأينا ذلك في نص المنافسة بين الراعي والفلاح[١]، أن يقول للطرف الآخر:

«أنا وأنت أيها الراعي، أنا وأنت،
ما الذي يدفعني للتنافس معك ؟ . . .»

٢ ـ لذلك فإن قصائد المنافسة، تجاوزت الشكل الأدبي المجاني، وكانت أسلوب بحث ومحاكمة عقلية. وكثيراً ما كانت تعود إلى البدء، فتروي أولاً، كيف أتى إلى الوجود المتنافسان، بنتيجة تدخّل الآلهة خلقاً وتكويناً. وكذلك كيف تمت تسميتهما،

---

(١) انظر الكتاب الأول، النص رقم (١١).

أي تحديد مصيرهما وفقاً لمفهوم الاسم في سومر وآكاد، وذلك قبل دخولهما المنافسة التي تسعى لشرح وإيضاح هذا المصير كي يفهمه البشر.

وبسبب عودتها إلى البدء، فإن قصائد عديدة، تفيدنا في بداياتها في سرد جزءٍ أو مرحلةٍ من مراحل الخلق والتكوين والأصول، موضوع هذا الفصل.

٣ ـ وسوف نورد تباعاً في الفقرات التالية، مقدّمات كلّ من نصوص المنافسات التالية:

ـ المنافسة بين الشجر والقصب	النص رقم ٣٧
ـ المنافسة بين الصيف والشتاء[١]	النص رقم ٣٨
ـ المنافسة بين حشرتين	النص رقم ٣٩
ـ المنافسة بين الطيور والأسماك	النص رقم ٤٠
ـ المنافسة بين إلّهتي الماشية والحبوب	النص رقم ٤١

٤ ـ وهناك منافسات أخرى، تحتوي هي أيضاً في مقدماتها على معلومات بدئية لا تختلف عما سنعرض ونكتفي بالإشارة إلى موضوعاتها وهي تتعلق بالمنافسة بين:

ـ الثور والحصان

ـ المعزق والمحراث

ـ شجرة الطرفاء وشجرة النخيل[١]

ـ الثعلب والذئب ثم الثعلب والكلب

ـ الراعي والفلاح، كما أشير إلى ذلك في الفقرة (١) أعلاه.

(١) سوف يرد في الكتاب الثالث تحت الرقم (٩٨) نص المنافسة بين هذين الطرفين من ضمن الدور التعليمي لأدب المنافسات.

(٣٧) ـ عـــرس الأرض والسمـــــاء
في مقدمة المنافسة بين الشجر والقصب

المطلع الذي نعرضه هنا، يبدأ بإعلامنا، أنّ الحَدَث تمّ في أزمنة البدء، يوم تزيّنت الأرض كعاشقة تنتظر حبيبها، مكتسية بأبهى حللها، استعداداً لاقترانها بعريسها العالم السماوي، الذي سكب في فرجها منيّه المخصب، فولدت بنتيجة ذلك، الشجر والقصب.

ولما كان التنافس بحد ذاته لا يدخل، في مجال هذا الكتاب، إلا أننا نذكّر بأن موضوع مثل هذا التنافس بين شجرة السنديان ونبتة القصب التي تلوي وتنحني أمام العاصفة دون أن تنكسر أو تُقْتَلع. . . هو موضوع إحدى حكايات[١] الشاعر الفرنسي لافونتين[٢] الذي يُعتقد أنه استوحاها هي وغيرها من حكاياته، عن إيزوب اليوناني[٣].

1 صحن الأرض القسيح، كان متألّقاً:
وخضوضراً كان سطحُها!
كانت الأرض الفسيحة ترتدي الفضة واللازورد.

---

(١) (Fables).

(٢) (Jean de La Fontaine) (١٦٢١ ـ ١٦٩٥).

(٣) (Esope) بين القرنين السابع والسادس ق. م. وحول ايزوب اليوناني، وذيْدَبا الهندي، ولقيان الحكيم، وكليلة ودمنة لابن المقفع، سوف يتعرّض الكتاب الثالث لعلاقة هؤلاء بحكايات الحيوانات لأهيقار الآرامي، كما سيرد ذلك في النص رقم (١٠٣) من الكتاب الثالث وفي ملحق خاص بذلك.

تبرّجت بالديوريت، بالعقيق الأحمر وبالإثمد
وببهاءٍ تزيّنت بالنباتات والأعشاب:
كم كان جليلاً مظهر الأرض!
لأن الأرض ذات الجلال، الأرض المقدسة
جمّلت نفسها، من أجل العالم السماوي المهيب.
وهو، هذا الإلّه البديع، غرس
في الأرض الفسيحة قضيبه
وسكب دفعةً واحدة في فرجها
بذرة الأبطال، الشجر والقصب،
والأرض بكاملها، مثل بقرة
وجدت نفسها مشبعة بمنيّ العالم
السماوي الغني.

(٣٨) ـ المنافسة بين الصيف والشتاء

نشهد في هذه المنافسة التي لا نورد منها سوى المقدمة ميلاد أول شتاء وأول صيف وفق البرنامج الذي تصوره الإلّه إنليل[1] لهذه الغاية. كان ذلك إعداداً للدورة المستمرة لتتالي الشتاء الرطب والمخصب والصيف المنْضِج والجّاف. وكان ذلك أيضاً في تخطيط الإلّه إنليل و تصَوّره، قبل خلق البشر، لما ستكون له أهمية كبرى للإنتاج الزراعي وأعمال الريّ التي سوف يحقّقها البشر لتعميم الوفرة.

وهنا نرى إنليل، يغرس قضيبه في المنطقة الجبلية ويخصبها ساكباً فيها «هديّة العرس» فتلد هذه المنطقة التوأمين «الصيف والشتاء»، ثروة البلاد. وفي تصوّره لعملية تلقيح الجبل من قبل إنليل، كان إنسان ما بين النهرين لا يجهل أن المنطقة الجبلية هي التي تغذّي منابع دجلة والفرات في ذوبان ثلوجها وهي التي تتجمع فوقها الغيوم الممطرة التي كان إنليل «سيد ـ الهواء» يجعل أمطارها تتساقط على البلاد.

وصلنا هذا النص الذي يعود إلى بداية الألف الثاني لما قبل الميلاد في اثنتي عشرة نسخة مختلفة ومتفاوتة التشويه، مكّنت من تقديم النص التالي:

---

(١) إنليل (Enlil) سيد مجمع الآلهة القديم في سومر، مدينته نفّر (Nippur) ويعني اسمه السومري «سيد ـ الهواء».

برنامج إنليل لخلق الزمن الملائم وتنفيذه

1 جعل نونامنير[١] نفسه في حالةٍ

تخوله خلق الزمن الملائم

وفي ما يتعلق بالعالم[٢] الذي سيكوّنه،

أعدّ (إنليل) برنامجاً، سوف

تستفيد منه جموع البشر.

ثم مثل ثورٍ شامخ، وضع على الأرض رجله

11 إذ قرر سيد الكون

4 أن يخلق اليوم ـ الملائم ـ الفائق الخصوبة

5 والليل ـ الملائم ـ الجزيل الوفرة.

ولكي يجعل الكتّان ينمو كثيفاً وينشرَ

الشعير في كل مكان،

لكي يضمن حدوث الفيض على جميع الضفاف،

وينشر الخصب [. . .]،

بحيث يحبسُ الصيفُ الأمطار

10 وبحيث يزوّد الشتاءُ الضفاف بالماء المخصب،

12 لذلك عمد (إنليل) إلى غرس قضيبه

في المنطقة الجبلية الرحبة،

وقدّم لقمّة الجبل «هديته»[٣].

حبلت قمّةُ الجبل بالصيف والشتاء، ثروة البلاد.

والمكان الذي غرس فيه إنليل قضيبه

جعله مثل الثور، يخور لذّة!

---

(١) (Nunnamnir) لقب الإله إنليل.

(٢) المقصود هنا هي بلاد ما بين النهرين.

(٣) أي هدية العرس.

على الجبل، ودونما حركة، قضى نهاراً بكامله
وركب القِمة أيضاً ليلة كاملة:
وهكذا وكما يُستخرج الزيت الناعم،
جعل قمة الجبل تتمخّض بالصيف والشتاء،
وقد تركهما مثل عجلين أرْخُصَينْ،
يقضمان عشب الجبال،
حتّى أنهما ازدادا سمنة، وأصبحا قويين،
بغذاء المراعي الجبلية.
[...]

(٣٩) ـ مقدمة المنافسة بيــن حشرتين

المتنافسان هما حشرتان يصعب التعرف عليهما، ويعتقد أنهما حشرتان منزليتان إحداهما قد تكون عنكبوتاً. وما يهمنا هنا هو دور الآلهة في خلق هاتين الحشرتين. وقد وصلنا النص في نسختين، نُقل كل منهما خلال الألف الأول لما قبل الميلاد عن نص أصلي.

نشرت إحدى هاتين النسختين في اللوحة رقم ٣٤ المحفوظة في المتحف البريطاني وقد أمكن رغم التشويه تتبع البداية التي تهمنا. وهنا أيضاً نرى مجمع الآلهة مهتماً بإقرار وبرمجة التكوين والخلق ضمن مجلس استشاري، ليقوم بعد ذلك من هم مكلفون بالتنفيذ من الآلهة بعملية الخلق.

ونشهد هنا ذكر عملية تكوين(١) السماء والأرض وتشكيل(١) قبّة السماء الزرقاء وجعل الحيوانات والحشرات تظهر(١) إلى الوجود. ونرى بعد ذلك الإله إيا(٢) يكمل عملية الخلق هذه بإيجاد الحشرتين خمانيرّو(٣) وإيشقافيصو(٤) موضوع المنافسة:

I عندما قام الآلهة (المجتمعون) في مجلسهم

بتكوين [السماء والأرض]

---

(١) الأفعال: كون وشكل وأظهر... المرتبطة بعملية الخلق والتكوين سوف نعود إلى استعمالاتها الأكادية في مجال اخر.

(٢) إيا (Ea) إله الذكاء ومهارة الصنع.

(٣) (Hamanirou).

(٤) (Isqalisou) تسميتان توحيان بمنافسة قد تكون هزلية وساخرة بين الحشرتين.

وتشييد القبة الزرقاء، وتثبيت [التربة؟. . .]
أظهروا إلى الوجود الحيوانات [. . .]:
الحيوانات ـ الضخمة الوحشية والحيوانات البرية
والحشرات البرية.
وبعد أن (حدّدوا) لتلك الحيوانات [. . .]
خصّصوا؟ المجال؟ للدواب والحشرات
المألوفة [؟]
[من بين جميع] (؟) الحشرات [المجمو] عة
الخليقة بكاملها [. . .]
[«. . .] التي [. . .] بين مجموع عائلتي
[. . .]!»
عندما سمع ذلك؟ نينشيكو[١] خلق؟
عندئذٍ؟ كائنين صغير[ين]
وجعلهما شهيرين بين جميع الحشرات
[؟]:
[. . .] خمانيرّ [و . . .]
و [. . .] إيشقافيصو [. . .]
[. . .] إيشقافيصو و [خمانيرّو، تجابها؟].

يلي خطّ أفقي على اللوحة يفصل المقدمة عن بداية المنافسة.

(١) (Nin-Šiku) لقب الإلّه إيا (Ea) لا يعرف معناه (سيد ـ شيكو؟).

(٤٠) ــ مقدمة المنافسة بين الطيور والأسماك

هنا أيضاً، يعود النص إلى أزمنة البدء، قبل التعرّض لموضوع المنافسة بين الطيور والأسماك، الطيور التي تملأ منابت القصب والأسماك التي تضع في الأهوار بيوضها.

الآلهة العظام، هم الذين قرروا برنامج الخلق وتنفيذه بواسطة إيا[١] إلّه مهارة الصنع الذي نظّم في البلاد توزيع المياه وحدّد أماكن السكن. كما نظّم منطقة الأهوار في الجنوب من البلاد وجهّزها بالأسماك والطيور وقرر مصير ودور كل منهما.

يعود هذا النص الذي وصلنا في أربع أو خمس نسخ مشوّهة، إلى الألف الثاني لما قبل الميلاد. وعالم السومريات كرامر[٢] هو الذي نقل هذا النص السومري في عام ١٩٦٤ ونشره. ونقدّم هنا مقدمته البدئية التي تهمّ موضوعنا.

1 عندما [في الأزمنة الموغلة في القدم]،

تمّ إقرار مصير ملائم،

وعندما وضع [أن وإنليل[٣]]

مخططهما المتعلق بالكون،

---

(١) (Enki) إله الذكاء ومهارة الصنع والمياه العذبة.

(٢) (S.N. Kramer).

(٣) (An): إله السماء، (Enlil) إله الهواء.

[نوديمّود[١] الأمير النبيل (؟)]، سيد الذكاء،
[أنكي[٢] الإلّه (؟) الذي يقرر] المصائر،
تدخّل للتنفيذ
فجمّع مياه جميع المناطق
ووزع مواضع الأماكن القابلة للسكن!
جلب بيديه المياه المحيية
التي سوف تنتج البذور الفائقة الخصوبة
جَلَبَ معه دِجْلة والفرات
وجعل المياه ترفدهما من كل صوب؛
نظّف أقل الأقنية أهمية
وحتى أنّه حفر مجاري الريّ!
نشر أنكي المبجّل الحظائر والزرائب
مُعَيِّناً لها الرعاة والبقّارين.
أسّس في البلاد، المدن والقرى
وجعل فيها الرؤوس ـ السوداء[٣] تتكاثر:
ولرعايتهم، منحهم مَلِكاً
نصّبه على رأسهم، كأمير لهم
وجعله يشع في كل مكان، مثل
نور لا ينطفىء.
بعد ذلك نظّم أنكي منطقة الأهوار:
جعل أصول القصب العتيقة،
ونبتات القصب الغضّة تنمو فيها؛
زوّد المستنقعات والأهوار

(١) و(٢) (Nudimmud): لقب الإلّه (Enki) إلّه المياه العذبة ومعناه الذي هو مختص بالخلق ومهارة الصنع.
(٣) لقب سكان ما بين النهرين.

بالأسماك والطيور
جاعلاً منها غذاءً كل ما هو حيّ (؟)
وخصّصها [لمائدة] الآلهة المتسعة.
بعد أن قام نوديمّود، الأمير النبيل
سيد الذكاء،
بتشكيل [. . .]
وملأ منابت القصب والمستنقعات
بالأسماك والطيور
عينّ لكل منها مكانه
ولقّن كلاً منها دَوْرَه . . .

(٤١) ـ المنافسة بين إلّهتي الماشية والحبوب

في هذا النص البدئي الذي يمثّل مقدمة المنافسة بين إلّهتي الماشية والحبوب، نتعرف أولاً على ما كانت عليه حالة الآلهة الأنونا[١] الذين خلقهم إله السماء آن[٢] على جبل ـ الكون، الجبل ـ المقدس، وذلك قبل خلق إلّهتي الماشية والحبوب.

سبق أن أشرنا إلى خلق هاتين الإلّهتين في النص (رقم ٧) من الكتاب الأول وإلى قرار الإلّهين إنليل[٣] وأنكي[٤] بإنزالهما إلى الأرض الفسيحة من على الجبل ـ المقدّس، بعد أن نفخ الأنونا في البشر نفسَ ـ الحياة، كما يتضح ذلك من مضمون النص.

وهذه المقدمة للمنافسة التي نحن بصددها تكمّل وتوضّح النص رقم (٧) المشار إليه أعلاه وتفيدنا في التعرف على أن الإلّه (آن) هو الذي خلق الأنونا، وكان ذلك، قبل خلق إلّهة الحبوب «أشنان»[٥] والنعجة ـ الأم «لاهار»[٦]. كما يصف الحياة البدائية التي كان يعيشها الآلهة على الجبل ـ المقدس وهم يجهلون الزراعة وتربية الماشية. وبالتالي لا يعرفون الكساء.

وحتى أنهم بعد أن تعلّموا على الجبل المقدس، إنتاج واستهلاك حبوب المزارع

---

(١) (Anunna) مجموعة الآلهة.
(٢) (An).
(٣) (Enlil) سيد مجمع الآلهة في سومر.
(٤) (Enki) إلّه الذكاء ومهارة الخلق.
(٥) (Ashnan) الإلّهة الممثلة للحبوب تقابلها سيريس (Cerès) اليونانية.
(٦) (lahar) إلّهة المواشي ترمز إليها النعجة ـ الأم.

وشرب حليب الحظائر، لم يكن ذلك كافياً لأنهم لم يكونوا يشبعون ولا يرتوون. ولذلك قرروا منح الحياة إلى البشر وطلبوا من أنكي وإنليل إنزال النعجة ـ الأم والحبوب إلى الأرض وهكذا عرف البشر تربية الماشية والزراعة وبتكاثرهم تكاثرت التقدمات وملأت البهجة قلوب الآلهة.

يعود النص الذي نثبت في ما يلي، إلى الثلث الأول من الألف الثاني لما قبل الميلاد وبقيت سبعة أجزاء منه دون ترميم وترجمة حتى عام ١٩٨٩. ولم يتم نشره كاملاً حتى هذا اليوم.

لدى ظهور الآلهة الأنونا لم تكن هناك حبوب ولا ماشية:

عندما قام أن، على جبال ـ الكون
بخلق الأنونا،
لم يأتِ إلى الوجود في الوقت نفسه بالحبوب
(أشنان) ولم يجعلها تظهر
كما لم ينتج بعد في البلاد خيوط أوتو[1]
ولم يعدّ لها نوْل الحياكة (؟)
النعجة ـ الأم هي أيضاً لم تكن موجودة بعد
ولم تكن الحملان تتكاثر؛
العنزة ـ الأم لم تكن موجودة
والجديان لم تكن هي أيضاً تتكاثر:
لم تكن هناك أية نعجة لكي تضع حمليها؛
ولم تكن هناك أية عنزة لكي تلد جدييانها!
ذلك أن الأنونا، الآلهة العظام، كانوا
يجهلون الحبوب ـ السخنية والنعجة ـ الأم،

---

(١) (Uttu) إلهة النسيج السومرية، والخيوط هنا تشير إلى الكتان وفقاً لنص اخر.

لم يكن هناك حبٌّ ولا شيغوسو[١]،
«الثلاثين يوماً
ولا الأربعين
ولا الخمسين يوماً»
كما لم يكن موجوداً «الحَبُّ الصغير» ولا
«حبّ الجبال» ولا «حبّ المدينة (؟)»
وبما أن «أوتّو» لم تكن أتت إلى الوجود بعد،
لم تكن هناك ألبسة للاكتساء
حتى أن المآزر لم تكن تُلْبس!
{كما لم يكن أتى إلى الوجود أيضاً
السيد نيمجيرسي[٢] ولا السيد كالكال}[٣]]
وشاكان[٤] لم يكن بعد قد توزّع في السهوب.
كذلك، فإن مخلوقات[٥] تلك الأزمنة الموغلة في القدم
لم يكونوا يعرفون أكل الخبز
ولا يعرفون تغطية أجسادهم بالكساء:
كانوا يمضون ويعودون بكامل عريهم
يتغذّون بالأعشاب، كما يفعل الخرفان
ولا يرتادون سوى مياه المناقع.

---

(١) (Shegusu) هكذا وردت في النص ولم يفسر معناها.
(٢) (Nimgirsi).
(٣) (Kalkal) هما إلّهان ثانويان في خدمة الإلّه إنليل وليس من المفهوم سبب الإشارة إليهما هنا. ويعتقد أن وجودهما، هو تحشية في النص.
(٤) (Shakan) تسمية تشير إلى جميع القطعان الوحشية والأليفة.
(٥) التعبير السومري المستعمل، يعني «مجموع البشر» أو «البشرية» ويستغرب ذكر البشر في هذا الموقع من النص، وهم الذين سوف يُشار إلى خلقهم في السطر ٣٧. ويمكن التساؤل عمّا إذا كنا هنا أمام آلهة ثانوية بدئية خلقها آن أم أمام بشرٍ ذوي طبيعة علوية كانوا يعيشون مع الآلهة العظام على الجبل المقدس، قبل خلق البشر على الأرض. ولذلك فضّلنا استعمال تعبير «مخلوقات» تلك الأزمنة...

الآلهة يخلقون النعجة ـ الأم والحبوب

عند ذلك، وفي مكان ولادتهم
في مقرّهم على الجبل المقدس،
(عند ذلك) خلق الآلهة النعجة ـ الأم والحبوب
وأدخلوها إلى قاعة طعامهم السامية!

لم يتوصل الأنونا إلى انتاج كفايتهم من الطعام فخلقوا البشر

وهكذا، فإن أنونّا الجبل ـ المقدس
استهلكوا بكثرة نتاج
النعجة ـ الأم وكذلك الحبوب
ولكن دون أن يشبعوا منه.
وأنونّا الجبل ـ المقدس
شربوا الحليب اللذيذ من حظيرتهم المجيدة
ولكنهم لم يثملوا به: ولذلك
ففي حظيرتهم المجيدة ومن أجل مصلحتهم هم،
منحوا البشر نَفَس ـ الحياة[1].

أنكي وإنليل يضعان النعجة ـ الأم والحبوب تحت تصرف البشر

عندئذ، قال أنكي لإنليل:
«أي إنليل الموقر، النعجة ـ الأم والحبوب
هي منذ الأن حاضرة على الجبل ـ المقدس،
دعنا ننزلها على (الأرض)!»
وهكذا، وبناء على أمر أنكي وإنليل
فإن النعجة ـ الأم والحبوب

---

(١) «وجبل الرب آدم تراباً من الأرض ونفخ في أنفه نسمة حياة، فصار آدم نفساً حيّة» (تكوين ٢: ٧).

نَزَلت على الأرض منذ الجبل ـ المقدس!

(نستكمل هذا النص عن مصدر آخر):

أنكي وإنليل يعدّان لاهار[1] وأشنان[2] لتنفيذ مهمتهما:

وبناء على الأمر المقدس الصادر عن أنكي وإنليل
نزلت لاهار وأشنان من الجبل ـ المقدّس.
من أجل لاهار (النعجة ـ الأم) أقام إنليل
وأنكي الحظيرة؛
وبكثرة قدّما له هدية النباتات والأعشاب.
ومن أجل أشنان أشادا بيتاً
كما قدّما لها هديّة النير والمحراث.

نتابع هنا ما ورد في النص رقم (٧) من الكتاب الأول:

41 تمركزت لاهار في حظيرتها
وكراعيةٍ جعلت القطيع يزداد أهميّة
كما استقرت أشنان قرب حاصلاتها
كامرأة فتية لطيفة وجذّابة!
45 وهكذا تمكنتا من إنتاج
الوفر الآتي من السماء [. . . .]
47 ومن أجل الجموع الغفيرة، حققتا الكثرة،
وجلبتا إلى البلاد الحياة.
فحقّقتا العجائب الخارقة
50 وكثّرتا على هذا الشكل احتياطات التخزين!
[. . .]

---

(١) (Lahar) النعجة ـ الأم وهنا إلّهة المواشي.
(٢) (Ashnan) هنا إلّهة الحبوب.

62 حتى إلى بيت الفقير الممتلىء بالغبار
دخلتا جالبتين إليه الوفر!
وكلتاهما، أينما كانتا
65 تمنحان كل بيتٍ رخاءً متزايداً:
وأينما وجدتا، تُشبعان! أينما
وجدتا، تجزلان العطاء،
وبذلك أبهجتا قلب كلٍ من آن وإنليل.

(١ ـ ٢) ـ ب ـ التكوين في مقدمة بعـــض الرُّقيـــات

١ ـ في رقيات أو تعويذات أكادية اللغة، غايتها التخلص من ألم أو شفاء مرض، كان يعود الراقي إلى أزمنة البدء، ليروي كيف أتى إلى الوجود مسبّب هذا الألم أو هذا المرض، وذلك للتمكن من استئصاله بالعودة إلى أصله وإلى قدرة الإله الذي أوجده وحدّد مصيره، طالباً منه التدخل من أجل ذلك. ومساعداً على تدخّله، بتلاوة رقيته.

وسوف نورد فيما يلي مثلين يتعلق الأول بالتدخل لإزالة ألم الأسنان ويروي الثاني كيف أتت إلى الوجود حبّة الشعير لشفاء شُعيرة الجفن (شحّاذ الجفن).

٢ ـ ونشهد نوعاً من الخلق التسلسلي غير المرتبط بالاتصال الجنسي كما ورد آنفاً في النصين السومريين (٣٧) و (٣٨). ونجد هنا الإلّه يطلق عملية الخلق التي تستمر بدءاً من المخلوق الأول الذي يخلق بدوره المخلوق الثاني والثاني يخلق الثالث، وهلم جرّاً، حتى الوصول إلى مسبب المرض أو الألم المراد إزالته والتخلص منه. ولا بد هنا من الإشارة إلى أن المتدخّل ويشير إليه باللغة الأكادية تعبير «أشيفو» أو الشافي كان لا يكتفي بالرقية أو التعويذ بل كان يتدخل «طبيّاً» كما سنرى ذلك في ما بعد.

(٤٢) ـ رقية لطرد وجع الأسنان واستئصاله

شبّه سكان ما بين النهرين في سومر وأكاد، عصب الأسنان حين يبدأ الوجع، بدودة استقرت «بين السن واللثة»، لتنخر تدريجياً السنّ المريض وتمتصّ دم اللّثة.

ولكي يتمكن «الشافي» من استئصال العصب وقبل استعماله دبّوساً للإمساك «بشفة» الدودة، فعليه تلاوة قصّة أصل الدودة بالرجوع إلى خلق السماء والأرض والأنهار والسواقي وصولاً إلى الحمأة التي خلقت بدورها الدودة. ويروي النص كيف أن الدودة جاءت لتبكي أمام الإله شمش[١] كما أسالت دموعها أمام الإلّه إيا[٢] طالبة منه أن يحدد لها ما يجب امتصاصه كغذاء. ولكنها، إذ ترفض كما قرر لها إيا أن تمص ثمرة التين الناضجة أو ثمرة المشمش، لتطالب بأن تستقرّ بين السن واللثة... وتنجح في مخالفتها على ما يظهر.

كانت دودة وجع الأسنان معروفة منذ حوالي عام ١٨٠٠ ق. م بدلالة العثور على نسختين ترويان كيفية التخلّص من هذا الوجع، كُتبتا باللغة الحورية[٣]، وهما من مكتشفات مدينة ماري[٤] التي تعود إلى الفترة البابلية القديمة. أما النص الذي نقدمه في ما يلي وهو الأكمل، فإنه يعود إلى الألف الأول ق. م.

---

(١) (Shamash) إلّه العدالة ترمز إليه الشمس.
(٢) (Ea) إله الخلق ومهارة الصنع.
(٣) اللغة الحورية (Hurrite) لا تزال صعبة الفهم ولم يستكمل حل كافة رموزها حتى اليوم.
(٤) (Mari) تل الحريري على الفرات قرب البوكمال في الأراضي السورية.

عندما خلق آنو[1] السماء
وخلقت السماء الأرض،
فخلقت الأرض (بدورها) الأنهار،
وخلقت الأنهار السواقي،
خلقت السواقي الحمأة،
الحمأةُ خلقت (بدورها) الدودة
جاءت الدودة باكيةً أمام شمش[2]
وأمام إيا، سالت دموعها:
ـ «ماذا تعطيني لآكل (قالت)؟
ماذا تعطيني لأمصّ؟»
ـ «أُعطيكِ ثمرة التين الناضجة
(أجاب إيا) أو ثمرة المشمش»
ـ «أنا لا تهمني ثمرة التين الناضجة
أو ثمرة المشمش!
أحرى بك أن تجعلني أستقرّ
بين السن واللثة،
لكي أمتصّ دم السن
وأقضم تدريجياً
اللثة».
(المعالجة): أغرز (عند ذلك) الدبوس
والتقط به شفة الدودة (قائلاً):
«بما أنك تكلمتِ هكذا، أيتها الدودة
فليضربكِ إيا بعزم قبضته!».

(١) (Anu) إلّه السماء وهنا خالق السماء.
(٢) شمش (Shamash) إلّه العدالة.

العنوان: وَصْفة ضد وجع الأسنان

الطقس المرافق: اخلطْ ـ بعناية جعة؟ بيالليتو[١]
وقطع ناتشة وزيت.
(ثم) اتلُ على هذه اللّزقة ولثلاث مرات
الرقية (أعلاه) قبل وضعها على السن المصاب.

التعريف: نسخة منقولة عن لوحة قديمة...

نص آخر لرقية مختصرة

حول الموضوع نفسه وصلتنا نسخة مختصرة جداً، تنتقل مباشرة من السماء إلى الأرض ومن الأرض إلى الدودة. وكان على الشافي تلاوتها، كما تشير نهاية الرقية إلى تسمية مرض الفم[٢] الذي يُراد شفاؤه والذي كانت الدودة مسؤولة عنه. وهذا النص هو التالي:

ألا[٣] خلق آنو، آنو خلق مجموعة السماء
والسماء خلقت مجمل الأرض والأرض خلقت الدودة.

---

(١) (Billetu) نوع من الجعة.
(٢) (بؤ شانو) (bu'-Shanu).
(٣) (Alla) أو ألالا (Alala) اسم إله يعتبر جدّاً بعيداً للإله آنو.

(٤٣) ـ رقية لشفاء
شُعيرة الجفن

«شحّاذ الجفن» أو شُعيرة الجفن، هو تدمّل يظهر في الجفن على شكل حبّة الشعير. لذلك فإن الرقية التي نحن بصددها، تعود إلى أزمنة البدء لتروي كيف ظهرت إلى الوجود حبّة الشعير التي استفادت من لحظةٍ لعدم انتباه الآلهة لكي تقفز إلى العين وتستقر في الجفن. وفي رواية القصة على هذا الشكل ما يلمّح ضمناً إلى مسؤولية الآلهة بسبب غفلتهم البدئية مما يحثّهم على التدخل لشفاء هذا المرض.

لدينا، حول حبّة الشعير روايتان، تروي كل منهما على طريقتها، قصة حبة الشعير هذه، عندما أتت إلى الوجود. وقد عثر على النسخة الأولى في مكتبة آشور ـ بانيبال (٦٦٨ ـ ٦٢٧ ق. م).

أما النسخة الثانية وهي أكثر تفصيلاً فإنها تعود إلى الفترة البابلية القديمة (حوالى ١٧٠٠ ق. م) وهي تتضمن تدخل الشافيات السبع، بنات آن واستعمالهن ماء البحر المقدّس لشفاء الشعيرة.

نسخة مكتبة آشور بانيبال

1 في البدء، وقبل أن يُعيّن (للعالم) شكله،

هبط على الأرض نشيد ـ العمال[1]:

---

(١) العمال هنا هم الآلهة الذين كانوا مكلفين بأعمال السخرة قبل خلق الإنسان.

(عند ذلك) وَلَّد المحراثُ الثلمَ، والثلمُ
ولّد البذرة والبذرةُ الساقَ؛ والساقُ
العقدةَ، والعقدةُ السبلةَ، والسبلةُ
حبّة الـ [شُعيرة].
كان شمش[(١)] يقوم بالحصاد وسين[(٢)]
يجمع (الحزمات)
و (إذْ) كان شمش يقوم بالحصاد وسين
يجمع (الحزمات)
دخلت الشُعيرة إلى عين الإنسان ـ أي
شمش وسين، ساعداني لكي
تختفي الشعيرة! [تلك هي الرقية التعويذية]
العنوان: [رقية] لإزالة الشُعيرة
من داخل العين.

النسخة الثانية، الأقدم

(لم يكن آنذاك) كما يُروى، غير الأرض. والأرض
ولدت الوحل،
والوحلُ
ولد الساق؛
والساق ولدت
السبلة،
وولدت السبلة
الشُعيرة.

---

(١) (Shamash) الإله الشمس.
(٢) (Sin) الإله القمر.

(إلا أنه) كما يُروى، ففي حقل إنايل[١]
(الذي كان) مربعاً
بمساحة سبع بورات[٢] من الأرض الزراعية،
سين،
كان يقوم بأعمال الحصاد
وكان شمش يشرف على جمع (الحزمات)
(عند ذلك) كما يُروى، دخلت
الشعيرة
عين الإنسان -
من عسايَ أرسل،
ومن سوف أكلّف
(للتوسط) لدى السبعة، بنات آنو السبعة،
لكي يأخذْنَ
وعاءهن من العقيق الأحمر،
وقارورتهن من الخلقيدونية[٣]
لملئهما
بماء البحر
المقدّس
و (بذلك) جَعْل الشُعيرة
تغادر عين الإنسان[٤].

---

(١) (Enlil) إلّه الهواء وهنا فلاح الآلهة.
(٢) البور (Bur) بمساحة ٤٥ هكتاراً.
(٣) نوع من بلّورات السيليس، حليبي المظهر وذو لون خفيف.
(٤) يعني ذلك أن الشُعيرة كانت منذ ذلك الوقت تعالج بماء البحر وأن المعالجة كانت من اختصاص بنات آنو.

(١ ـ ٢) ج ـ التكوين وفق مقدمات بعض الابتهالات والصلوات

١ ـ في هذه المجموعة من النصوص القصيرة إشارات مختلفة إلى أعمال تكوينية بمناسبة ترديد بعض الصلوات والابتهالات التي كانت ترافق طقوس إعادة بناء معبد قد تداعى أو بمناسبة وضع أجرّة الأساس لبناء معبد أو لتأسيسه.

٢ ـ كما أن هناك نصّاً آخر يشير رغم التشويه إلى خلق السموات وتنظيم سير وحركة هذا الجزء السماوي من الكون. كما يشير ابتهال أخير، يتوجه إلى النهر الإلّهي في دوره الخلاّق، بعد أن حفر الآلهة مجراه وتابع بدوره نشر الغنى على ضفافه وكانت حكمته تعطيه، بوصفه قاضياً[١]، حق محاكمة البشر في مياهه التي تظهر الحق أو تبتلع الشر.

٣ ـ نورد هذه المجموعة من النصوص في ما يلي تحت الأرقام (٤٤ ـ ٤٨):

(١) النصوص الأوغاريتية هي أيضاً تلقب النهر بالقاضي.

(٤٤) ـ من مطلع صلاة لمناسبة إعادة بناء معبد

١ ـ لدى تداعي أي معبدٍ مخصّص لإلّه، كان ينتج عنه في اعتقاد السومريين والأكاديين هجر الإلّه لمعبده وبالتالي هجره للمدينة التي هو حاميها. وتداعي وانهيار المعبد، كان يستوجب النّدبَ والنواح من قبل المكلّف بمرافقة طقس الترميم أو إعادة البناء وتلاوة الصلاة الملائمة لمثل هذه المناسبة. والنّداب، وهو «الكالو»[1] بالأكادية هو الذي يتدخل أيضاً لدى استخراج آجرّة الأساس القديمة للمعبد المنهار ووضعها في مكان سرّي وذلك قبل تخصيص آجرّة أساس المعبد الجديد. وعند ذلك كان على «الكالو» تلاوة الصلاة التالية التي لم يصلنا منها سوى مطلعها والطقس المرافق لها.

٢ ـ وهذه الصلاة تبدأ بالتذكير بزمن البدء وبتكوين النصفين المتناظرين: السماء (الفوق) وما يقابلها مما هوَ (تحت) وهنا «الأبسو»[2] لأن المتدخلَين في عملية التكوين هما إلّه السماء آنو[3] والإلّه إيا[4] إلّه الخلق ومهارة الصنع ومقرّه الأبسو.

٣ ـ ويخبرنا هذا النص، كيف أن الإلّه آنو خلق السماء مقراً له. وأن الإله إيا خلق

(١) (Kâlu) وما يقارب كلمة كالو باللغة العربية، هو تعبير أكلّ البكاء بصره، أي جعله كالاً؛ والكَلال بمعنى الإعياء؛ ومصدر الكَلّ بمعنى المصيبة. ونعتقد أن عادة «حائط المبكى» بالنسبة لمعبد أورشليم، تجد هنا مصدرها. ولا ننسى طبعاً «البكاء على الأطلال» الجاهلي، حين كان يزول «معبد» الحبيبة.

(٢) (Apsu) محيط المياه الباطنية.

(٣) (Anu) إلّه السماء.

(٤) .(Ea)

بدوره مقره الأبسو، ومن صلصال الأبسو وقدرة إيا على الخلق، نشهدُ عملية خلق مجموعةٍ من الآلهة الثانويّين الذين سيعهد إليهم، في تكوينٍ يدور حول مركزية المعبد الأول، أي مقرّ إيا في الأبسو، وفي ما بعد في المعابد الأخرى، يعهد إليهم، بأعمالٍ ومهام مرتبطة بتجديد بناء المعابد وبتنفيذ أعمال البناء وأعمال الإنهاء والإشراف على إعداد التقدمات وإقامة الطقوس والاحتفالات في المعابد.

٤ ـ وبالطبع، فإن مواد البناء تم توفيرها عبر خلق الأبسو مصدر الصلصال لصنع الآجر، وكذلك المقاصب وغياض الشجر. كما تمّ توفير انتظام التقدمات في المعابد عبر خلق الجبال والبحار والماشية والحبوب التي تتميز بإنتاجها الغزير من أجل إمداد الآلهة. وكل ذلك تمّ في كونٍ أسطوري إلَهي، ثمّ عُمِد إلى خلق الملك لتموين معابد الأرض وخلق البشر لتعميم الرخاء والكثرة على الأرض.

٥ ـ أما عن الطقس المرافق لإعادة البناء فيمكن الاطلاع على وقائعه في الفصل الثاني من هذا الكتاب لمناسبة تقديم موضوع المراثي.

.. [. . .]

24 عندما خلق آنو السماء

25 وخلق نوديمّود[١] الأبسو، مقره،

استخرج إيا من هذا الأبسو حفنةً من الصلصال

وخلق الإله كولا[٢] للإشراف على

تجديد [المعابد]؛

(ثمّ) خلق المقاصب وغياض الشجر (لتلبية احتياج)

مهمة بنائها

29 (ثمّ) خلق الآلهة نين ـ إيلدو[٣] ونين سيموج[٤]

وأرازو[٥] لأعمال إنهاء [بنائها]؛

---

(١) (Nu-dim-mud) لقب الإله إيا ومعناه المكلف بالخلق والصنع.

(٢) (Kulla).

(٣) (Nin-Ildu).

(٤) (Nin-Simug).

(٥) (Arazu).

31 (ثمّ) خلق الآلهة جوشكين ـ باندا[١] ونين ـ آجال

ونين ـ زاديم[٢] ونين ـ كوّرا[٣] [لتنفيذ] الأعمال فيها؛

30 (ثم) خلق الجبال والبحار من أجل [. . .] كل [. . .]،

32 ومن أجل [. . .] إنتاجها الغزير بالتقدمات ـ الغذائية

33 (ثم) خلق الآلهة أشنان[٤] ولاهار[٥] وسيريس[٦]

ونين ـ جيزّيدا[٧] ونين ـ سار[٨] وآ [. . .]

لإنماء الدخل المنتظم في (المعابد)؛

35 (ثمّ) خلق أومون ـ مو ـ تام ـ كو[٩] وأومون ـ

مو ـ تام ـ ناج[١٠] للإشراف على إعداد التقد [مات]

(ثم) خلق كو ـ سو[١١]، الحبر الأعظم المكلف من قبل

كبار الآلهة بإقامة الطقوس [والاحتفالات (في المعابد) (؟)]

(ثم) خلق الملك، لإمداد [معابد الآلهة ([؟])]،

(وأخيراً)، خلق البشر لتنفيذ [. . .]

[. . .] آنو، إنليل وإيا[١٢] [. . .]

. . . . .[١٣]

---

(١) (Gushkin-banda).

(٢) (Nin-Zadim).

(٣) (Nin-Kurra).

(٤) (Ashnan) إلّهة المواشي.

(٥) لاهار (lahar) إلّهة الحبوب.

(٦) (Siris).

(٧) (Nin-Gizzida).

(٨) (Nin-Sar).

(٩) (Umun-mu-tam-ku).

(١٠) (Umun-mu-tam-nag).

(١١) (Ku-Su).

(١٢) الآلهة (Anu, Enlil, Ea).

(١٣) يمكن التعرف على التعليمات المعطاة للكالو بمناسبة إقامة طقوس إعادة البناء بالرجوع إلى النص رقم (٦٩) من هذا الكتاب.

(٤٥) ـ عن صلاة لإعداد آجرّة الأساس لبناء معبد

في هذا المقتطف التكويني العائد لطقوس الإعداد لوضع آجرة ـ أساس المعبد، والتعاويذ التي ترافقها، يذكّر النص بالتدخل البدئي لثالوث الآلهة العظام: آنو، إنليل، وإيا[١] الذين «صمّموا» السماء والأرض[٢] ثم أعدّوا لأنفسهم مقرّاً مبهجاً وأحبّوا هذا المقر. وخلافاً لما ورد في النص السابق رقم (٤٤) فإن هذا المعبد الأول البدئي لم يشيّد ضمن كون أسطوري، بل في عالم البشر وكان بمثابة المركز الذي انتشرت حوله البلاد (ما بين النهرين). كما أن هناك إشارة لدور الملك في مرحلةٍ عَرفَتْ ضمناً خلق البشر وحدّدت لهم دور «الخدمة ـ الغذائية» تجاه الآلهة.

وفي مقاطع النص التي تشير إلى طقوس إعداد ووضع آجرّة الأساس، والتي لا تدخل في مجال هذا العرض، نذكّر بأن هذه الطقوس كانت تتم بحضور الآمر ببناء المعبد، الملك أو من يمثله وتشمل إعداد تماثيل صغيرة من الفروض لها أن تمثل هذا الأخير، كانت توضع مع الأجرّة لدى القيام بعملية التعويذ المرافقة وتلاوة الصلاة الخاصة بذلك.

. . . . [. . . .]

71 عندما قام آنو، إنليل وإيا «بتصميم»

السماء والأرض

---

(١) الثلاثي (Anu, Enlil, Ea).

(٢) التعبير الأكادي المستعمل والذي يترجم عادة بـ «خططوا» أو «صمموا» هو حرفياً «اتخذوا» (Aḫâzu) بمعنى أخذوا على عاتقهم...

ابتدعوا طريقةً ماهرة لتأمين ـ قوت
الآلهة :
أعدّوا لأنفسهم في البلاد مقراً مبهجاً،
ودَخلَ (؟) الآلهةُ هذا المقرّ: معبدهم
الرئيسي!
(ثم) (كلّفوا (؟)) الملك (بمهمّة) (؟) (تأمين)
دخلٍ ـ مستمر يلائم اختيارهم،
(كما) فرضوا الخدمة ـ الغذائية تأميناً لطعام
الآلهة المختار.
وأحبّ الآلهة مقرّهم (هذا)
(وبذلك) وضع الآلهة يدهم على (ما أصبح)
البلد الرئيسي للبشر.

(٤٦) ـ مقدّمة تكوينية
لتعويذة من أجل الشفاء

١ ـ هذا النص القصير الذي يتقدم صلاة أو تعويذة لم يصلنا مضمونها، يشير إلى دور آنو[١] في خلق السماء وإلى دور إيا[٢] في تأسيس الأرض ويعطي سين[٣] الإلّه القمر دور تقدير المصائر أو تخصيص الأدوار حتى بالنسبة للآلهة. ومن الطريف، أن يشير النص إلى أن عملية تحديد الأدوار ينفذها سين «برمي الزهر»[٤] أو النرد والتي نتج عنها إعطاء الإله «شمش»[٥] مهمة التنبؤ بالمستقبل[٦] فيما يتعلق بالمرض وبالشفاء.

٢ ـ يستعمل النص بالنسبة لعملية الخلق والتكوين من قبل الإلّهين آنو وإيا فعلين مختلفين باللغة الأكادية إذ نرى أن آنو «ولّد»[٧] السماء وأن إيا «كوّن»[٨] أو بنى الأرض وقد أشرنا إلى تعدد الأفعال المستعملة في الملاحظة رقم (١) التي اشتمل عليها النص (٣٩) وسوف نستعرضها جميعاً في ما بعد.

(١) (Anu).
(٢) (Ea).
(٣) (Sin).
(٤) وفق القراءة التي تبناها علماء الأكاديات.
(٥) (Shamash).
(٦) بمعنى العرافة وهنا تندمج العرافة بمعنى الطبابة.
(٧) التعبير الأكادي المستعمل هو ريخو (Rêhu) ويشمل أصل كلمة روح أي ما به حياة المخلوق.
(٨) التعبير الأكادي المستعمل هنا هو كونو (Kunnu) وهو أصل فعل كوّن والكون والتكوين.

(1) بعد أن قام آنو بخلق السماء
(و) إيا بتأسيس الأرض،
رمى سين ـ الباسل الزهر:
«أي شمش» (قال لهذا الإلٓه)، أنت الذي
جميعُ (أسرار) العرافة (؟)
(5) وُضِعَتْ في يدك [. . .]
[(أعلمني إذن؟)] كيف [. . .] ما يلائم
(للشفاء؟ من) هذا المرض. . .

(٤٧) ـ التكوين عن صلاة بمناسبة بناء معبد ودور الإله مردوك

١ ـ يتعلق النص بمقدمة صلاة لم يصلنا مضمونها، كانت تتعلق ببناء معبد وكتبت باللغتين الأكادية والسومرية. ويعتقد أن النسخة الأكادية هي الأصل وأن مقابلها عبّر عنه بلغة سومرية رديئة نوعاً ما. والجديد في هذا النص التكويني هو الدور الذي أعطي للإله مردوك[١] في عملية الخلق والتكوين وعدم ورود أية إشارة لكل من آنو وإنليل والاكتفاء بذكر الإله إيا وهو أبو الإله مردوك، لمناسبة بنائه لمعبده في الأبسو وليس لمناسبة مساهمته في التكوين.

٢ ـ وعلى الرغم من العودة إلى بدءٍ يشبه ما سوف نتعرّف عليه تفصيلاً في قصيدة التكوين والخليقة «الإينوما إيليش»[٢] وبطلها الوحيد هو مردوك وخاصة في ما يتعلق بالمياه البدئية «الغمر» أو «العماء» أو «البحر البدئي» وتكوين الأرض ـ على الرغم من هذا التشابه ـ الذي شجع على الاعتقاد بأن هذا النص هو أحدث من الإينوما إيليش فإنّ هناك اعتقاداً آخر يجعل من هذا النص نسخةً معدّلة عن نص أقدم اكتُفي فيها بإقحام اسم الإله مردوك عوضاً عن المتدخلين الآخرين من الآلهة.

٣ ـ يبدأ النص بتعديد ما لم يكن قد كُوّن بعد من الأماكن المقدسة ومن مواد بناء

---

(١) (Marduk) إله بابل منذ الفترة البابلية ـ القديمة وخاصة خلال حكم حمورابي (١٧٩٢ ـ ١٧٥٠ ق. م).

(٢) (Enuma-Elish) قصيدة التكوين والخليقة البابلية.

المعابد ثم يشير بعد ذلك إلى تكوين الأرض وخلق البشر والحيوانات ومجاري المياه والنباتات.

٤ ـ وحين «يصنع» مردوك البشر فإن الإلّهة آرورو[١] تنتج معه «بذرة البشرية» التي تُخلق لكي تحقق لعالمنا وَجْهَهُ النهائي. ولا بد من الإشارة هنا إلى أن مردوك، لا يلجأ لآرورو في عملية الخلق وفق «الإينوما إيليش»، بل على العكس فإنه يتخلص من الإلّهة ـ الأم البدئية تيامت[٢] في معركةٍ دامية قبل أن يقوم بأي عملٍ تكويني (النص رقم ٥٥/ اللوحة ٤).

«الفراغ» البدئي قبل التكوين

لم يكن هناك أي مقرّ مقدس، وأي معبد في مكانه
المقدس، لم يكن تمّ بناؤه بعد:
لم يكن هناك أيّة ساق قصبٍ قد خرجت من الأرض
وأية شجرةٍ لم تكن أُنتجت،
وأية آجرةٍ لم تكن وُضعت،
ولم يكن أي قالب ـ آجرّ، قد صُنِع
ولم يكن هناك أيّ مسكن قد بني؛
ولا أية مدينة.
لم يكن أي تجمّع سكاني قد نُظّم
ولم يكن أي قطيع قد شكّل بعدا!
لم تكن نفّر[٣] موجودة ولا الإيكور[٤] مبنياً

(١) (Aruru) هي التسمية السومرية للإلّهة ـ الأم وهي أيضاً الإلّهة المشرفة على الولادة، يقابلها بالأكادية «بيليت ـ إيلي» (Bêlet-ili) = بعلة الآلهة أو «سيدة الآلهة».
(٢) (Tiamat).
(٣) (Nippur) مدينة الإلّه إنليل سيد الهواء والأمطار.
(٤) (Ekur) بمعنى بيت ـ الجبل وهي تسمية معبد إنليل في نفّر.

لم تكن أوروك[١] موجودة ولا الإيانا[٢] مبنياً
لم يكن الأبسو[٣] موجوداً ولا الأريدو[٤] مبنياً:
ومن أي مقرّ مقدس وأي معبدٍ
لم يكن بعد قد تمّ إعداد الموقع:
كل المناطق لم تكن سوى بحر!
وبينما لم يكن محتوى هذا البحر
يشكّلُ بعد، غير حفرة (؟)
عند ذلك تمّت إقامة الإريدو
ومن ثمّ بُني الإيساج إيل[٥]:
الإريدو (!) الذي أقامه لوچال ـ دو ـ كوچا[٦]
في وسط الأبسو
وبعد ذلك بنيت بابل واستُكمل الإيساج إيل!
وإذْ وزّع مردوك، بعد ذلك، الآلهة الآنوناكي[٧]
على مجموعتين متساويتين،
قاموا بدورهم بمنح بابل (مصيراً) رائعاً
كمدينة مقدسة وكمقرٍ لسعادتهم الأبدية.

تدخل مردوك في عملية التكوين والخلق

وبعد ذلك صنع مردوك عوّامة (ودفعها)

---

(١) (Uruk) مدينة جلجامش وحاميتها الإلهة إنانا/ عشتار.
(٢) (Eanna) بمعنى بيت السماء وهو معبد إله السماء ومقر إنانا/ عشتار في أوروك.
(٣) (Apsu) محيط المياه العذبة التي تطفو عليها الأرض ومقر الإله أنكي/ إيا.
(٤) (Eridu) مدينة أنكي ومعبده المقام في الأبسو.
(٥) (Esag-il) بمعنى «البيت الشامخ الرأس» وهو معبد الإله مردوك في بابل.
(٦) (Lugal-du-ku-ga) لقب الإله إيا ومعناه «سيد ـ الجبل ـ المقدس» ولقب «الجبل المقدس» هو أحد أسماء التمجيد لإريدو وكان أيضاً يطلق على نفر وإنليل سيد الجبل المقدس.
(٧) هنا (Anunnaki) تعني كافة الآلهة للعالمين العلوي والسفلي.

إلى سطح الماء
18 وأنتج تربةً وكدّسها على العوّامة
31 كما أقام حاجز ردمٍ على شاطىء البحر (؟)
19 ومن ثمّ، ولكي يؤمن للآلهة عَطالةً
في ذلك المقر لسعادتهم الأبدية
20 قام بخلق البشر:
وبذرة هذه البشرية أنتجتْها معه آرورو[١].
خلق الحيوانات الوحشيّة
وكل حيوانات السهوب؛
أوجد دجلة والفرات ووضعهما في مكانهما
مقدراً لهما مصيراً خيّراً؛
25 أنتجَ القصب ـ الجاف والقصب ـ الغضّ
والمستنقع ومنابت القصب والأخياس[٢]؛
كما أوجد خضرة السهوب:
27 جميع المناطق لم تكن غير مستنقع ومقاصب
29 وأكمات وغياض!

دور البشر بعد تدخل مردوك

28 عند ذلك وُضعت البقرات وعجولها وثيرانها
والنعجات وحملانها وأكباشها
30 وكذلك الأرويّات والعَنز البري،
(وُضعت) تحت تصرف (البشر).
32 فقام [هؤلاء] بتجفيف المقصبة

---

(١) (Aruru) إلّهة ـ أم تشرف على الولادة. وهي أخت إنليل كما ورد ذلك في النص رقم (٣) من الكتاب الأول.
(٢) مفردها خيْس بمعنى غابة صغيرة تقلّم أشجارها بين الوقت والآخر.

لكي تظهر الـ [. . .]
وأخْرجُوا قصباً وأخْرَجوا خشباً
كما أنتجوا [. . .] في المكان نفسه (؟)
[وبنوا بالآجر]
بعد أن صنعوا قالب ـ الآجر؛
أقاموا المساكن وبنوا المدن
[نظموا التجمعات السكانية]، وشكلوا
قطعان الماشية.
[أقاموا نفّر] وبنوا الإيكور
[أقاموا أوروك] وبنوا الإيانا
(بقية النص مفقودة).

(٤٨) ـ السماوات الفسيحة والآلهة ـ العظام

لدينا هنا نص قصير وصلنا على لوحة مكتوبة على وجه واحد، وقد فُقدت بدايتها ونهايتها وكذلك الجزء الأيمن منها. فهل نحن أمام نص ميثولوجي؟ أم أمام جزء من صلاة؟ أم مقدمة لمنافسة؟ من المتعذر فهم المحتوى العام بسبب التشويه إلا أن ما أُنقذ من النص يمكنه إفادة هذه المجموعة: إذْ يُعلمنا من جهته عن المجموعات الكوكبية وعن السماوات والشرق والغرب وعن المسارات وكذلك عن دور الإله شمش(١) والمناطق الخاصّة بالآلهة. ويعملنا النص أيضاً على أنه بعد أن أقام إيا(٢) في الأبسو(٣) مقره، يتشاور الآلهة فيما بينهم لوضع خطة عملهم وللموازنة بين المهمّ والأقل أهمية، ولتحقيق التوافق والتناغم في عالم السماوات... كل هذه المعلومات والتفاصيل تجعلنا نأسف لحالة النص كما وصل إلينا.

[........]

I إيا، أقام (عند ذلك) في الأبسو(٤) [مقرّه (؟)]

والآلهة ـ العظام تشاوروا (بعد ذلك) [...]،

[صوّروا؟] في النجوم مَعالم مظنا [هرهم]

[...] السماوات الفسيحة [...]

---

(١) (Shamash) الإله الشمس وهنا بصفته إلهاً للعدل وإصدار الأحكام.

(٢) (Ea) إله المياه العذبة الباطنية وسيد الخلق ومهارة الصنع ومقره إريدو (Eridu).

(٣) الأبسو (Apsû) محيط المياه الباطنية التي تحمل الأرض.

(٤) (Apsu) محيط المياه العذبة التي تطفو عليها الأرض، وهي مقر الإله إيا.

من الشرق إلى الغرب [. . . . .]
حققوا توازن (؟) المهم والأقل أهمية [. . .]
[عهدوا إلى شمش (؟)] القضاء والأحكام [. . .]،
وبعد أن عيّنوا للآلهة [مناطقهم الخاصة؟]،
[جعلوا كلاً منهم (؟)] في منزل طقوسه [. . .].
ليلاً ونهاراً [. . .]
[. . . . . .]

(٤٩) ـ البدء في ابتهال موجّه إلى النهر الخلاّق

١ ـ النهر بمياهه المنعشة ينشر الخصب والرخاء على ضفتيه. كما أن مياهه الجارية تطهّر، إذ تحمل معها ما يجب إبعاده، وأمّا أعماقه الرهيبة فإنها تبتلع الشر كعقاب لمن يحمله في قلبه ولهذا السبب، كان النهر ـ القاضي حين يُحتكم إليه يفصل بحكمةٍ في قضايا البشر.

٢ ـ والنهر هو الخلاّق، وليس بغريب أن يكون كذلك لأنّه يستمدّ وجوده من المياه البدئية، المياه ـ الأم ومنها وُلد كل شيء. وهو الذي، كما ورد في نصوص سابقة[١]، ملأه أنكي بمنيّه، حين منحهُ «هدية العرس»، محمّلاً بالخصب مياهه المتلألئة.

٣ ـ نورد في ما يلي ما وصلنا من ابتهال موجّه إلى النهر الخلاّق يعظّمه إرضاءً له ورهبةً منه. ولكي يفصل النهر في قضايا البشر يعود النص إلى أزمنة البدء إذ منحه كل من إيا[٢] ومردوك[٣] ما هو عليه من قدرةٍ وحكمة.

---

(١) أنظر النص رقم (٥) في الكتاب الأول.

(٢) (Ea) إلّه المياه العذبة وهو أنكي السومري (Enki).

(٣) (Marduk) إلّه بابل في الفترة الحمورابية وبطل التكوين والخليقة كإلّه وحيد حل مكان جميع الآلهة.

(4) «هو أنت، أيها النهر، الذي خلقت كل شيء،
عندما حفر الآلهة، العظام (مجراك)
وضعوا على ضفافك الرخاء،
(و) في أعماقك أقام الملك إيا مقره:

(5) منحك الهياج والتألق والرهبة
(و) جعل منك[١] طوفاناً لا يقهر!
إيا ومردوك منحاك الحكمة
لكي تفصل شخصياً في قضايا البشر...[٢]»
[...]

(١) حرفياً: «سمّاك»: تلفظ باسمك.

(٢) في نص آخر، تعويذي يُشار إلى النهر كـ «خالق الآلهة والبشر» وهذه الصورة تعني دور النهر المزدوج وهو أنه يُنتظر منه أولاً: «أن يجعل في قلبه الرحب وأن تبتلع مياهه وتطرد بعيداً» التماثيل الصغيرة التي ترمز إلى المرض الذي يؤلم المريض، أو السوء الذي سلّطه أحد السحرة عليه.
وثانياً: فإن النهر هو الذي يقدّم الصلصال بعد القيام بطقوس خاصة لتقديس حفرة استخراجه، ومنه تصنع التماثيل الصغيرة الاستبدالية التي ترمى في النهر لتحلّ محل مرض المريض يبتلعه النهر فيعافى المريض، ومن صلصاله أيضاً تصنع تماثيل الألهة وبمادة الصلصال بالإضافة إلى تدخل الإله تمّ خلق البشر وعلى هذا الأساس يمكننا فهم تعبير «النهر خالق الألهة والبشر».

(١ ـ ٢) د ـ التكوين في مقدمة
كتاب التنجيم الأكادي

١ ـ كتاب التنجيم الذي يشير إليه هذا العنوان هو عملٌ عملاق وشهير يعود إلى النصف الثاني من الألف الثاني لما قبل الميلاد وهو مؤلف من ٧٠ لوحة فخارية تحتوي ما يقارب ٧٠٠٠ رصد سماوي إضافة إلى التنبؤات والتكهنات التي ترافقها.

٢ ـ والنص الذي يهمّنا هنا هو مقدمة هذا الكتاب الضخم، التي وصلت إلينا باللغتين السومرية والأكادية، ويرجح أن الأكادية هي الأصل، إلا أن النسخة السومرية موازية لها وليست ترجمة حرفية عنها.

٣ ـ تشتمل اللوحات (١ ـ ٢٢) من كتاب التنجيم على أرصاد للقمر واعتباراً من اللوحة ٢٣ يبدأ إثبات أرصاد الشمس وبقية السيارات وكواكب أخرى وكذلك النيازك. وبنهاية اللوحة ٢٢ وقبل الانتقال إلى الأرصاد الأخرى في الكتاب، رأى «الناشر»[1]، لأسباب نجهلها، وقد تكون لمصلحة الحفاظ على نصٍّ ديني، لم يشأ استبعاده ـ رأى هذا الناشر ـ أن يثبت مقدمة ثانية يُعتقد أنها من أشور وهي باللغة الأكادية وحدها. ولا ندري إذا ما كانت في موضعها في «نشرة» سابقة أم لا، ولكنها توافق في محتواها ما وصلنا في نصين شاهدين مصدرهما نينوى.

٤ ـ وبالطبع، بما أنه كان على كتاب التنجيم أن يهتمّ بشؤون السماء وتتبع سير

(١) أي المسؤول عن محفوظات الأرصاد التنجيمية.

كواكبها للكشف عمّا أراده الآلهة لها تأميناً لحسن سير نظام الكون، فإن هذه المقدمة التكوينية لم تهتم بكيفية مجيئها إلى الوجود بقدر ما اهتمت بدورها والغاية من حركتها ومهمتها المرتبطة بحياة البشر وفقاً لمقررات الآلهة.

٥ ـ كانت الكواكب بالنسبة لإنسان ما بين النهرين تمثل شخصيات متأقنمة مع الآلهة[١]، ترمز إليها وتشكل مع كل منها دوراً وإرادةً، كان من مصلحة البشر التكهن بها، برصد السماء، ولضمان حسن سير حياتهم على الأرض. كما كان من مصلحة الآلهة كشفها للبشر تأميناً لخدمة معابدهم ولكي يجعلوا هذا النظام العملاق يتابع حركته ليعمل بأفضل ما يحقق مصلحة الآلهة والبشر في الوقت نفسه.

٦ ـ وسوف نورد هاتين المقدمتين في ما يلي تحت الرقمين (٥٠) و (٥١).

---

(١) من هذه الشخصيات الإلّهية نذكر: الإله القمر سين والإله شمش وكوكب الزهرة للإلّهة عشتار وبصورة عامة فالنجوم هي «آلهة الليل».

(٥٠) ـ التكوين في المقدمة الأولى لكتاب التنجيم

النص السومري

عندما آن، إنليل وأنكي[١] الآلهة ـ العظام
في مجلسهم (الذي لا) يخطىء،
ومن بين الأنظمة الرئيسية حاكمة السماء والأرض،
أقاموا هلال القمر،
من أجل إحداث النهار (و) تشكيل الشهر،
(وكذلك) لتقديم التنبؤات
(بصدد) الأرض والسماء،
فتألق الهلال في السماء، وظهرت النجوم
لامعةً في قبّة السماء.

النص الأكادي

ويتعبير آخر: عندما آنو، إنليل وإيا[٢]
الآلهة ـ العظام

(١) (An, Enlil, Enki) ثالوث التكوين السومري.
(٢) (Anu, Enlil, Ea) الثالوث الأكادي المقابل.

أقروا في مجلسهم مخططات السماء والأرض
وكلّفوا الآلهة ـ العظام
بإحداث النهار وتحديد الشهر
من أجل أرصاد البشر،
شوهد عند ذلك شروق الشمس
وتألقت «الكواكب» إلى الأبد
في وسط السماء {وعلى الأرض}[1].

(١) وردت تسمية الأرض هنا، مقحمة خطأً من قبل الناسخ بسبب العادة الغالبة لذكر الأرض بعد السماء في أكثرية النصوص الأخرى.

(٥١) ـ التكوين، في المقدمة الثانية لكتاب التنجيم

(1) عندما آنو، إنليل، وإيا[١] الآلهة ـ العظام،
خلقوا السماء والأرض، أرادوا أن
تكون الإشارة ظاهرة (للعيان):
فثبّتوا (عندئذٍ) المنازل[٢] على أسسها ورسموا
مواضع (الكواكب)
حدّ [دوا (؟)] مهّام النجوم[٣] ووضعوها
على مساراتها

(4) رسموا وفق صُورهم [الخاصة] النجومَ في
مجموعاتٍ كوكبيـ[ـة]
قدروا زمن ـ النهار ـ والليل، وخلقوا
الشهر والسنة؛
رسموا للقمر وللشمس مسارهما: ـ
(هكذا) اتخذوا قرارهم [بصدد
السما [ء] والأرض.

---

(١) (Anu, Enlil, Ea) ثالوث الآلهة الأكادي.
(٢) أي دائرة بروج السماء.
(٣) حرفياً «آلهة الليل».

(١ ـ ٣) خلق البشر
وبداياتهم

١ ـ تكاد معظم النصوص التي روت لنا خلق البشر وبصرف النظر عن الإلّه أو الآلهة الذين أسهموا بهذا العمل، تكاد معظم هذه النصوص تتفق على أن الأسباب التي من أجلها خُلق البشر لم تكن «حبّاً» بالبشر بل لمصلحة الآلهة، لتأمين معيشتهم بضمان استمرار الطقوس في المعابد، بواسطة التقدمات والقرابين ـ غذاء الآلهة ـ التي كان على البشر تخصيصها للآلهة.

٢ ـ وقبل أن نتعرض لخلق البشر، فإن النصوص تعلمنا بأن «مجتمع الآلهة» تمّ تصوره وفق نظام شورى بالنسبة للقرارات المهمّة التي يتم اتخاذها في مجلس الآلهة. ولكن «مجتمع» الآلهة هذا كان «طبقياً»، ليس في ما يختص بآلهة السماء (ما هو فوق) وآلهة ما هو تحت (العالم السفلي) الذين لم يكونوا أقل مرتبة منهم، ولكن هذه الطبقية كانت مؤسّسة على العمل. فهناك آلهة أسياد هم الأنوناكو[١] وآلهة عمّال هم المكلفون بأعمال «السخرة» وهم الإيجيجو[٢] آلهة الدرجة الثانية. يتضح ذلك من النصوص السومرية التي سوف نستعرضها في ما بعد، وكان ذلك قبل عملية خلق البشر.

٣ ـ في تصور السومري وقبل خلق البشر، كان الآلهة يقيمون في مكان أسطوري هو «الجبل المقدس» أو «جبال الكون» حيث خلقوا لأنفسهم النعجة ـ الأم و «أشنان»[٣]

---

(١) (Anunnaku) تسمية جميع كبار الالهة، جميع الالهة العظام.
(٢) (Igigu) الآلهة الذين فرضت عليهم أعمال السخرة.
(٣) تسمية إلهة الحبوب وهنا بمعنى الحبوب.

الحبوب وأدخلوا نتاجهما إلى مائدتهم على الجبل ـ المقدس ولكنهم لم يرنووا ولم يشبعوا... ولذلك منحوا البشر نَفَس الحياة[1] وأنزلوا إلى الأرض النعجة ـ الأم والحبوب وتركوا للبشر أمر تحقيق الكثرة وأخذ معيشة الآلهة على عاتقهم.

٤ ـ وعندما تمرّد الآلهة المكلفون بأعمال «السخرة» وأضربوا عن العمل وتجمهروا أمام بوابة مقر إنليل[2]، قرر الآلهة إنقاذاً للموقف، خلق البشر لكي تصبح، «سخرة الآلهة سخرتهم».

٥ ـ ولإنماء الزراعة ولإكثار الماشية في الزرائب، ولبناء المعابد... خَلَق إنليل الفأس وباركها ووضعها في أيدي البشر ليعملوا بها. وكان على البشر حفر الترع وجرّ المياه وتحقيق أعمال الري اللازمة اعتماداً على مخطط الآلهة، بمنح البلاد نهري دجلة والفرات، لكي يعمّ الرخاء فتمتلىء أهراءات المعابد وتغطي القرابين موائد الآلهة، ليتفرغوا إلى أعمالهم الرئيسية وهي تسيير شؤون الكون.

٦ ـ كان للزراعة إذن وتربية الماشية دورٌ أساسي في بلاد سومر تحقيقاً لتكاثر كل شيء حيث كانت مياه الريّ متوافرة والتربة خصيبة مما أدى حتماً إلى التمركز وبناء المدن وبناء الحضارة... وهذا ما سوف نعود إليه بالتفصيل في الكتاب الثالث.

وما يهمّنا هنا هو فقط إعطاء فكرة عن تصور حالة البشر قبل إدخال الزراعة إلى سومر وقبل نزول النعجة ـ الأم والحبوب من السماء، وكذلك أوتّو[3] وخيوطها التي نشرت النسيج، وترمز النصوص إلى كل ذلك باعتماد العناصر التالية: النعجة والشعير والكتان. ولهذه الأسباب وحين لم تكن تلك العناصر الحضارية متوافرة (راجع النصّ رقم ٤١)، تصوّرت النصوص البشر يتجولون عراة يأكلون العشب مثل الخرفان ويرتادون مياه الحفر... وهذه الصورة هي التي حملتها لنا ملحمة چلچامش[4]. فيما

(١) انظر النص الكامل تحت رقم (٤١) من هذا الكتاب (السطر ٣٦).
(٢) (Enlil) سيد مجمع الآلهة.
(٣) (Uttu) إلّهة النسيج السومرية ورد ذكرها في الكتاب الأول، راجع النص (رقم ١، السطر ١٤٠).
(٤) (Gilgamesh).

بعد، حين صوّرت لنا حياة أنكيدو[1] قبل أن تقوم غانية المعبد بتلطيف وحشيته حين «علّمته جسد المرأة»، ثمّ جرّته معها إلى المدينة ليصبح صديقاً لجلجامش وبعد أن قدّمت له الخبز ليأكل ودسّت جسده ومسحته بالزيت.

٧ ـ أما عن إنجاز عملية الخلق بحد ذاتها، فقد أشارت النصوص كما ورد أعلاه في النص (٤١) بشكل مختصر جداً إلى أن الألهة منحوا البشر نفس ـ الحياة ولكن عملية الخلق تتم في نصوص أخرى وكأننا في مصنع للبشر استعمل فيه قالب تم ملؤه بالصلصال المجبول بدم إله وهذا ما يفسّر تعبير نفس ـ الحياة المستعمل أعلاه وكون البشر من مادة الصلصال (التراب) ومن «روح» إله.

٨ ـ ويمكننا القول اعتماداً على بعض النصوص أن البشر حين خُلقوا، لم يكن الموت مصيرهم الحتمي وأن الموت للجسد و «العودة إلى التراب» قُرر فيما بعد وسوف نعرض في حينه ما يشير إلى ذلك.

٩ ـ وكما ورد ذلك في نصوص تكوينية متعددة تعرضت إليها الفقرة (١ ـ ٢) من هذا الكتاب وأثبتناها انفاً (النصوص ٣٧ ـ ٥١)، يمكننا الملاحظة بأن تلك النصوص، لم تتبع مدرسة مذهبية واحدة، بل صدرت عن مراكز حضارية متعددة في سومر وأكاد، وفي فترات زمنية مختلفة، ولم يتم جمعها وإخضاعها إلى مراقبة عقائدية مركزية. وهي باعتقادنا، حين كانت تنسخ عن لوحات أقدم منها، لحفظها أو للاستجابة لطلب ملك يريد إغناء مكتبته بها[2] كانت باعتقادنا، تحترمُ نصوصها «القدسية» محتواها ولم تكن تعدّل أو تحوّر بل كان كل تأليف جديد يتوزّع خلال فترات ازدهار النشاط الأدبي أو بالأحرى الفكر الديني على مدى ما يزيد على عشرة قرون، كان كل تأليف جديد يمثل مراحل تطور هذا الفكر الديني، ولذلك، فقد كانت النصوص المباشرة وغير المباشرة التي استعرضناها بالنسبة للتكوين، تمثل اتجاهات

(١) (Enkidu).

(٢) مثال مكتبة تغلاتبلاصر الأول (١١١٥ ـ ١٠٧٧ ق. م) ومكتبة أشور بانيبال (٦٦٨ ـ ٦٢٧ ق. م) ووفرها شعر عات لوحات نفر (Nippur) حوالى ١٧٠٠ ق. م أو إريدو (Eridu) أو أور (UR).

تفسيرية عديدة لبدء الكون تعدّد فيها دور المتدخلين وهكذا أيضاً بالنسبة لخلق البشر نشهد أحياناً تدخل إنليل[١] وحده، أو أنكي/ إيا[٢] أو كليهما معاً تساعدهما الإلّهة ـ الأم آرورو[٣] أو نينماخ[٤]. واعتباراً من مرحلة تاريخية معينة بدأت مع ملكية حمورابي (١٧٩٢ ـ ١٧٥٠ ق. م) نشهد سيطرة الإلّه مردوك[٥] إلّه بابل على عالم الآلهة والبشر، فيصبح وحده بطل التكوين والخليقة، إذْ تُعاد آنذاك، وعلى أقلّ تعديل، صياغة قصّة التكوين والخليقة خلال فترة حكم نبوخذ نصّر الأول (١١٢٤ ـ ١١٠٣ ق. م) أو في فترة سابقة لها[٦]. وهكذا قدمت لنا بابل أول «سفر للتكوين والخليقة» بطله مردوك وعرف تحت تسمية مطلعه «الإينوما إيليش»[٧] وتناقله العديد من المراكز الدينية في عالمنا القديم.

١٠ ـ ولا بد هنا من ذكر نص آخر يشكل خلقُ البشر أحد فصُوله وهو من النصوص الشمولية الضافية التي تستعرض تاريخ البشرية منذ الخلق ومسوّغاته، مروراً بتكاثر البشر والنكبات الأولى التي عرفتها البشرية حتى كارثة الطوفان وهذه المجموعة تعرف بقصيدة أَتَرْ ـ حسيس[٨] أو الفائق ـ الحكمة. ونورد نصها الكامل فيما بعد تحت رقم (٥٦).

١١ ـ وقبل التعرض إلى النصين الشاملين المشار إليهما أعلاه حول خلق البشر والطوفان لا بد من استعراض بعض النصوص القصيرة والمتفرقة التي اشتملت على مقاطع تشير إلى خلق البشر، منها ما ورد في الكتاب الأول في النص رقم (٤) حيث نرى آلهة «السخرة» الذين أشرنا إليهم في المقطع ـ ٣ ـ أعلاه يعملون ولكنهم في الوقت نفسه يشتكون من سوء مصيرهم مما حدا بالإلّهة ـ الأم نامّو[٩] أن توقظ ولدها

---

(١) Enlil.

(٢) (Enki/Ea).

(٣) (Aruru) إلّهة ـ أم تسهر على الولادة.

(٤) (Nin-Mah) بمعنى السيدة الفائقة السمو وهي الإلّهة ـ الأم، قرينة أنكي.

(٥) (Marduk) إلّه بابل.

(٦) يُرجع بعض العلماء تأليف قصيدة التكوين البابلية إلى فترة حكم حمورابي.

(٧) (Enuma-Elish) ومعناها «بينما في الأعالي» أنظر النص الكامل تحت رقم (٥٥).

(٨) (Atar-hasis) بمعنى الفائق الحكمة أو الفائق الفطنة وهو «نوح» السومري وسمته ملحمة چلچامش أوتنا ـ نافيشتيم Uta-Napishtim.

(٩) (Nammu) الإلّهة ـ الأم البدئية التي ولدت جميع الآلهة.

أنكي الذي كان مسترخياً على فراشه ويمضي وقته في النوم، طالبةً منه أن يمارس مواهبه ليصنع من يحل محل آلهة السخرة ليتوقفوا عن العمل. والحل الذي اقترحه أنكي هو: خلق البشر. ونورد فيما يلي المقتطفات التي تشير إلى تلك العملية:

. . . .

حين كان يتوجب على الآلهة الاستحصال على طعامهم
عمدوا إلى العمل جميعهم (؟)
وآلهة المرتبة الثانية كُلفوا بأعمال السخرة
فحفروا الأقنية وكدّسوا التربة
وكانوا يقومون بطحن الحبوب:
ولكنهم كانوا يشتكون من سوء مصيرهم
بينما كان «الذكاء الخارق»، صانع (؟)
جميع الآلهة الكبار
(بينما كان) أنكي في عميق (مقرّه) إنچور الجياش[1]
حيث لا يمكن لأي إلّه إلقاء نظرة عليه،
كان دائم الاسترخاء على فراشه:
لا يتوقف عن النوم
والآلهة تستمر في الأنين والاعتراض:
«إنه هو سبب شقائنا
هو الذي يبقى مستلقياً (على فراشه) للنوم
ولا يغادره قطّ!»
عند ذلك، نقلت نامّو[2]، الأم البَدْئية
مولّدة الآلهة جميعاً
نقلت لابنها أنكي الشكاوى (قائلة):

. . . .

(١) (Engur) مقر أنكي في الأبسو وهو محيط المياه العذبة حيث تطفو الأرض.
(٢) (Nammu).

«غادر فراشك يا بنيّ
ومارس مواهبَك بذكاء
لتصنع من يحلّ محلَّ (؟) الآلهة
لكي يتوقفوا عن العمل!»
لدى استماعه كلمة أمه نامّو
غادر أنكي فراشه
وبعد أن قام [الذكي . .]
الذكي والحكيم والفطن [. . .] والماهر
صانع كل شيء (قام) بإعداد قالب[١]
وضعه بالقرب منه ودرسه بإمعان
وعندما توصل أنكي بشكل طبيعي،
إلى إنجاز مشروعه بدقة (؟)
توجّه عند ذلك إلى أمّه نامّو:
أمّاه، المخلوق الذي فكّرتِ به
هوذا جاهز للقيام بالعمل من أجل الآلهة!
عندما تعمدين إلى عرك كتلةٍ من الصلصال
تستخرجينها من ضفاف الأبسو
سوف نعطي شكلاً (؟) لصلصال ذلك القالب (؟)
وعندما ترغبين أنت بنفسك
أن تضعي له «طبيعة» (؟)[٢]
سوف تساعدك نينماخ[٣]
وكذلك . . . .
و . . . .

---

(١) ما يماثل النموذج الأولي في الصناعة.
(٢) الكلمة السومرية تعني حرفياً: «أعضاء الجسم أو أطرافه».
(٣) (Nin-Mah) قرينة أنكي ومعنى اسمها السيدة الفائقة السمو.

سوف يكنّ مساعداتٍ[1] لك،

تقررين بعد ذلك مصيره يا أمّاه

وتعين له نينماخ مهمة العمل من أجل الآلهة.

يمكن متابعة النص الكامل في الكتاب الأول النص رقم (٤).

١٢ ـ وإذا ما عدنا إلى النص رقم (٤٧) الوارد أعلاه، نجد الإله مردوك، بعد أن يصنع الأرض المسطّحة، على شكل عوامة يدفعها إلى سطح الماء ويكدس فوقها التربة...، يعمد إلى خلق البشر ويقول النص:

19 ومن ثم، ولكي يؤمن للآلهة عَطالةً

في ذلك المقر لسعادتهم الأبدية

20 قام بخلق البشر:

وبذرة هذه البشرية أنتجتها معه آرورو[2]

خلق الحيوانات الوحشية،

وكل حيوانات السهوب،

أوجد دجلة والفرات ووضعهما في مكانهما

....

١٣ ـ وقبل أن نعرض النص الكامل لقصيدة التكوين والخليقة البابلية «الإينوما ـ إيليش»[3] في نهاية هذا الفصل ـ تاركين للفصل الثاني قصة الطوفان وما سبقها من فترات ـ لا بدّ لنا من عرض النصوص التالية بسبب ارتباطها كليّاً أو جزئياً وبشكل مباشر أو غير مباشر بخلق البشر ونوردها كما يلي:

---

(١) أغفلنا تسمية سبع إلَهات ذكرن في النص وهن مساعدات لنينماخ مهمتهنّ الإشراف على الولادة أو إعارة الرحم.

(٢) (Aruru) إلَهة ـ أم، تشرف على الولادة وكان لها دور أخت إنليل كما ورد ذلك في النص رقم (٣) من الكتاب الأول.

(٣) (Enuma-Elish) بمعنى: بينما في الأعالي.

(٥٢) ـ النص المزدوج اللغة لخلق البشر ودم الإآله.

(٥٣) ـ اختراع الفأس وأصل البشر.

(٥٤) ـ كيف أدخلت الحبوب إلى سومر، وحياة البشر قبل ذلك.

(٥٢) ـ خلق البشر ودم الإله

يُعرف هذا النص، بالنص المزدوج اللغة لخلق البشر، لأنه وصلنا باللغتين السومرية والأكادية وفق أسطر متبادلة بين اللغتين. ويرجح أن السومرية ترجمت عن الأصل الأكادي. وقد توافرت نسختان من هذا النص يعود أقدمهما إلى فترة حكم تغلات فلصّر الأول (١١١٥ ـ ١٠٧٧ ق. م)، وهي صادرة عمّا عُدّ مكتبة هذا الملك. وهذا يعني أن تأليف النص الأصلي سابق لنهاية الألف الثاني لما قبل الميلاد، ومن الممكن إرجاعه إلى تاريخ أقدم من ذلك، لأنه يَجهلُ دورَ الإلّه مردوك[1]، وأن هذا النص كما يشير إلى ذلك ناسخه، نُقل عن لوحة أصابها بعض التشويه بين الأسطر (٣٠ ـ ٣٥) وهذا ما يعلن عنه الناسخ بنفسه.

نقدّم فيما يلي محتوى هذا النص مأخوذاً عن اللغة السومرية:

البدء وإعداد الأرض لدورها المستقبلي

1 عندما فُصلت السماء عن الأرض
بعد أن كانتا مشدودتين معاً بقوة ـ
وعندما ظهرت إلى الوجود الإلّهات ـ الأمّهات؛
وأُسّست الأرض واتخذت مكانها

(١) (Marduk) تم تبني سيطرته على بقية الآلهة اعتباراً من فترة حكم حمورابي (١٧٩٢ ـ ١٧٥٠ ق. م).

وأعدّ الآلهة برنامج الكون،
و (أنهم) بغية إعداد نظام الريّ
شكّلوا مجرى دجلة والفرات،
عند ذلك (قام) آن وإنليل ونينماخ
وأنكي، الآلهة الرئيسيون[١]
وكذلك الأنونّا[٢]: الآلهة ـ العظام الآخرون،
(قاموا) باتخاذ أماكنهم على المنصة العالية
وعقدوا مجلسهم.

قرار خلق البشر

وبما أنهم كانوا قد أعدّوا من قبل
برنامج الكون،
وبغية إعداد نظام الري
فقد شكّلوا مجرى دجلة والفرات
«وإذ أعلن إنليل»: «والآن،
ماذا سنفعل؟
ماذا سنضع الآن؟
أيها الأنونا، الآلهة ـ العظام،
ماذا سنصنع الآن؟
ماذا سنخلق إذن؟»
والآلهة ـ العظام الحاضرون،
مع الأنونا مقرري المصائر
أجابوا إنليل مجمعين:

(١) (An) إلّه السماء؛ (Enlil) إلّه الهواء وسيد مجمع الآلهة؛ (Nin-mah) قرينة إنليل: السيدة الفائقة السمو؛ (Enki) إلّه الذكاء والخلق ومهارة الصنع.

(٢) (Anunna) بقية الآلهة أعضاء مجلس الآلهة.

«في مصنع ـ الأجساد»[١] في دور ـ آنكي[٢]
سوف نضحي بألآلين[٣] إلّهين اثنين،
بدمهما سوف نخلق البشر!

الهدف من عملية الخلق:

وسخرة الآلهة، سوف تكون سخرتهم:
سوف يُعيِّنون نهائياً حدود الحقول
وسوف يحملون الفؤوس والسلال،
لمصلحة بيت الآلهة ـ العظام،
المقر الذي يليق بالمنصة العالية،
سوف يضيفون مَدَرةً إلى مَدَرَة[٤]؛
ويعينون نهائياً حدود الحقول،
وسوف ينفِّذون نظاماً للريّ
{ويعينون حدود الحقول}[٥]
لتعميم السقاية
وبذلك يحققون إنماء جميع أنواع النباتات.
[. . .] الأمطار [. . .]
سوف يعينون حدود الحقول
ويكدسون حُزَم الزرع
ـ موضع كسر[٦] كسر

---

(١) بالسومرية (أوزو ـ مو ـ آ) (Uzu-mu-a) بمعنى «مصنع الأجساد» وهي إحدى قاعات معبد الإلّه إنليل في نفّر (Nippur) حيث يتم خلق البشر.
(٢) دور ـ آن ـ كي (Dur-An-Ki) بمعنى الرباط بين السماء والأرض وتسمية لمعبد إنليل في نفّر.
(٣) (Alla) و (Alala) ذكر في جدول آلهة سومر كأحد الأجداد القدامى للإلّه آن. ومن الصعب فهم استعمال المثنى من قبل الناسخ، مع ترجيح الخطأ.
(٤) الأرض المزروعة.
(٥) كرر هذا السطر سهواً من قبل الناسخ.
(٦) هذه الإشارة للكسر وضعها الناسخ معلناً بذلك عن النقص في اللوحة التي ينسخ عنها. وفي مناسبات أخرى يكتب: خفي أو غامض.

ـ موضع كسر كسر
ـ موضع كسر كسر
هكذا سوف يزرعون حقول الأنونّا
مضاعفين بذلك ثروة البلاد
ومحتفلين بأبّهة بولائم الآلهة
ساكبين الماء المنعش في المقر ـ الكبير
المقر اللائق بالمنصّة العالية!
وسوف تطلق عليهم تسمية أولّيجارّا[١]
وأنيجارا[١]
ومن أجل ثروة البلاد، سوف يضاعفون
الأبقار والأغنام (وبقية) الحيوانات (وكذلك)
الأسماك والطيور!

المصادقة على برنامج الخلق

«هذا هو قرار (إن ـ أول)[٢] و (نين ـ أول)[٢]،
الذي خرج من فمهما المقدس
ووافقت على برنامجه الواسع، آرورو/[٣]
بيليت إيلي[٤] الإآلهة الجليلة!

---

(١) (Ullegarra) و (Annegarra): تسميتان غريبتان مشكلتان من (چارّا) السومرية بمعنى: (ظهر إلى الوجود) و (أولّ) الأكادية بمعنى أول أو القديم وآنّي الأكادية بمعنى القريب زمنياً مثل الآني. وقد يكون النص أراد التحدّث عن البشر كأولين وكحاليين؟

(٢) (En-Ul) و (Nin-Ul) إلّهان قرينان تظهر تسميتهما للمرة الأولى بمعنى السيد والسيدة الأولين أي إلّه وإلّهة العهد العتيق. وهما جدّان بعيدان للإلّه إنليل.

(٣) (Aruru) إلّهة ـ أم، أعطتها ملحمة چلچامش دور الخالقة للبشر وهنا هي التي تصادق على برنامج الخلق.

(٤) بمعنى بعلة الآلهة أو سيدة الآلهة وهو هنا لقب آرورو.

مهنيّ بعد مهنيّ وريفيّ بعد ريفيّ،
سوف يَنْبتون من تلقاء أنفسهم مثل الحَبّ:
وليس بأقلّ من النجوم الأبدية في السماء
فلن يتبدّل ذلك قط!
عند ذلك سوف يُحتفل بأبهة، ليلاً ونهاراً
بأعياد الآلهة،
(وذلك) وفق البرنامج الواسع الذي وضعه
كل من آن وإنليل وأنكي ونينماخ[١]
الآلهة ـ الرئيسيون!»
وفي المكان نفسه، حيث تمّ خلق البشر
نُصّبت نيسابا[2] سيدة عليهم
ـ ها هنا عقيدة سرية
يجب ألاّ يتمّ التحدث بها إلا
في ما بين المؤهّلين![٣] ـ.

(١) (Nin-mah) قرينة إنليل ومعنى اسمها السيدة الفائقة السمو.
(٢) (Nisaba) الإلّهة الحامية للزراعة ولسنا هنا أمام النص الوحيد الذي يعطي للزراعة كامل أهميتها في بلد مثل ما بين النهرين ذي التربة الخصبة والمياه الوفيرة.
(٣) هل نحن هنا ولأول مرة أمام فكرة التفريق بالنسبة لأسرار الآلهة بين الخاصة والعامة؟

(٥٣) ـ إختراع الفأس وأصل البشر

١ ـ هذا النص السومري يعود إلى بداية الألف الثاني لما قبل الميلاد، ونشهد فيه فيما يتعلق بعملية الخلق غياب دور الإلّه أنكي وتفرّد الإلّه إنليل في الاستعداد لتنفيذها بدءاً باختراع أداة حضارية مهمّة هي الفأس وبعد مباركتها فإنه يحملها إلى قاعة «مصنع ـ الأجساد» في معبده ويستعملها لاستخراج الصلصال لملء القالب (قالب خلق البشر) وهذه الفأس هي التي يسلّمها الآلهة إلى البشر فيما بعد ليعملوا بها.

٢ ـ وإنليل هو وحده الذي يقرر للبشر مصير أعمال السخرة وهو وحده الذي يبتدع أداة هذه السخرة وهي الفأس التي تطلق أعمال الزراعة والبناء وتعمر البلاد.

إنليل والتكوين

في الحقيقة، الإلّه (إنليل) هو الذي
أظهر إلى الوجود كل ما يتصف بالكمال!
الإلّه الذي إلى الأبد، يقرر المصائر،
قبل أن يُخرج من الأرض بذور البلاد
عمِد بعناية إلى فصل السماء عن الأرض
وفَصَل الأرض عن السماء!

صنع الفأس وتمجيدها

ولكي يخلق في «مصنع ـ الأجساد»[١]
الأوّلَ (من سلالة البشر)
ففد أتى بوتدٍ إلى دور ـ آن ـ كي[٢] (نفّر)!
وصنع منه فأساً
ومنذ اليوم التالي
قرر نظام السخرة معيناً بذلك مصير
(البشر في المستقبل)
وبتعيين أدوات هذه السخرة
مجّد إنليل الفأس:
الفأس الذهبية، ذات «الرأس» المصنوع
من اللازورد
والمشدود بأربطة من الذهب والفضة النقيين،
شفرتها تشبه محراثاً من لازورد
ورأسها يشبه ثوراً وحيد القرن
منفرداً على كتلة ردمٍ عريضة!

خلق البشر

بعد أن تأمل بإعجاب بهذه الفأس
قرر الإلّه مصيرها
وبعد تتويجها بإكليل ـ من ـ الخضرة (؟)
حملها إلى «مصنع الأجساد»

---

(١) إحدى قاعات معبد الإلّه إنليل في نفّر (Nippur)، وردت في النص (٥٢)، السطر (١٨).
(٢) (Dur-An-Ki) بمعنى الرباط بين السماء والأرض، وردت أيضاً في النص (٥٢)، السطر (١٨).

واستعملها، ليضع في القالب (المخلوق)
الأول (من سلالة البشر).
منذ ذلك الوقت، وأمام (إنليل)، بدأ
تكاثر البشر على هذه الأرض!
بينما كان إنليل يسهر على ذوي
الرؤوس ـ السوداء[١].

تمجيد إنليل من قبل بقية الآلهة ووضع الفأس بيد البشر

والأنونّا[٢] الذين هم حاشيته،
وأيديهم على أفواههم وبكل تأييد
مجدّوا عند ذلك إنليل هاتفين له
ووضعوا الفأس تحت تصرف ذوي الرؤوس ـ السوداء
[......]

---

(١) وهي الصفة التي تطلقها النصوص على سكان ما بين النهرين.
(٢) (Anunna) هنا، الآلهة ـ العظام أعضاء مجلس الآلهة.

(٥٤) ـ كيف أدخلت الحبوب إلى سومر وحياة البشر قبل ذلك

١ ـ يطرح هذا النص السومري تساؤلات عدّة لفهم محتواه، ومع أنه لا يتعلق مباشرة بخلق البشر، فإنّه يصف لنا حالة معيشتهم قبل إدخال الزراعة إلى سومر: إذْ كانوا كالخرفان يرعون العشب.

ويرى النصّ أن الإلّه آن[١] هو الذي أنزل الحبوب من السماء، تحت التسمية الإلّهية: أشنان[٢]. أما الإلّه إنليل[٣] حين نزل من «جبل الكون» حيث كان مقر الآلهة لم يجد مكاناً لإيداع الحبوب إلا على الجبل ذي أريج الأرز، فكدّس الحبوب على جبل الأرز وأقفل المنافذ إليه من بلاد سومر حيث كان يعيش البشر آنذاك مثل الخرفان.

٢ ـ إلا أن أخوين إلّهيّين هما «نين ـ آزو»[٤] و «نين ـ مادا»[٥] يريدان إنزال الحبوب من الجبل وكشف سر الشعير إلى بلاد سومر التي تجهله... وبسبب تردد أحدهما وتمنّعه عن مخالفة أوامر إنليل الذي أقفل الجبل، يذهبان لاستشارة إلّه الشمس أوتو[٦] السماوي، والاستشارة على ما يظهر تتم ليلاً حين كان أوتو نائماً. ويقف النص عند هذا الحدّ.

---

(١) (An) إلّه السماء.
(٢) (Ashnan) التسمية الإلّهية للحبوب وهي تشمل هنا الشعير والكتان.
(٣) (Enlil) إلّه الهواء ورئيس مجمع آلهة سومر.
(٤) (Nin-azu) ومعناه السيد الذي يعرف المياه.
(٥) (Nin-mada) ومعناه السيد الذي يعرف الأرض.
(٦) (Utu) الإلّه الشمس.

٣ ـ ويرجّح أن للنص تتمة مفقودة، وهو من مكتشفات نفّر ويعود إلى نهاية الألف الثالث ق. م.

آن يُنزل الحبوب من السماء

في ذلك الزمان، كان البشر لا يأكلون سوى العشب
كما يفعل الخرفان:
عند ذلك، ومنذ القِدم
أنزل آن من السماء، الحبوب
(أشنان): الشعير والكتان.

لكن إنليل منع من الوصول إليها

وبينما كان إنليل يستعد مثل عنزٍ بري
للهبوط من الجبل الشديد الانحدار[١]
(فإنه) ألقى بنظرةٍ إلى الأسفل: فهذا هو البحر الأجرد
نظر عندئذ نحو الأعلى:
فذلك هو الجبل ذي أريج الأرز[٢]
وَضَع إذن، الشعير في أكداس
وأودعه على ذلك الجبل ـ
جعل ثروة البلاد في أكداس
وأودعها جبل [. . .]
ثم سدّ منافذ جوانب المنطقة الجبلية
التي كانت سهلة ـ الولوج
بأوصدةٍ تصل بين السماء والأرض

(١) مقر الآلهة: جبل الكون.
(٢) المنطقة الجبلية المشرفة على ما بين النهرين شرقاً وفي الشمال الشرقي.

وبمزالج هي [. . .]
.[. . .]

إلّه ثانوي يقترح على أخيه إنزال الشعير إلى بلاد سومر

في يوم من الأيام، قال نين ـ آزو[(١)] [. . .]
لأخيه نين ـ مادا[(١)]:
«لنصعد إلى الجبل حيث ينمو الشعير والكتان،
وبواسطة النهر ذي المياه الجيّاشة
التي تتدفق من الأرض،
لننزل الشعير من على الجبل
ولنجلب حتى سومر هذا الشعير ـ إينّوخا[(٢)]
وبذلك نكشف سرّ الشعير إلى سومر التي تجهله!».

تردد الأخ واقتراح استشارة أوتو، إلّه الشمس

لكن نين ـ مادا الذي كان خاضعاً لآن[(٣)] [أجابه]:
«بما أن أبانا لم يصدر لنا الأمر بذلك ـ
وبما أن إنليل[(٤)] لم يكلفنا بذلك
لماذا إذن سنصعد إلى الجبل
وننزل منه الشعير
لنجلب حتى سومر، هذا الشعير اينّوخا
ونكشف بذلك عن سر الشعير إلى سومر
التي تجهله؟

(١) انظر الملاحظتين (٤) و (٥) في المقدمة.
(٢) (innuha) نوع من الشعير الجبلي.
(٣) آن: (An).
(٤) إنليل: (Enlil).

أولى بنا! أن نذهب [لاستشارة]
أوتو السماوي:
الذي ينام، الذي ينام ويغفو،
أوتو الباسل ابن نينچال[١]
الذي ينام ويغفو!»
رفعا عند ذلك أيديهما[٢]
نحو أوتو ـ ذي ـ السبعين باباً . . .

(التتمة مفقودة).

(١) (Nin-Gal) بمعنى السيدة العظيمة، وهي قرينة الإلّه القمر نانا (Nanna) ووالدة إينانا (Inanna) وأوتو (Utu).
(٢) بقصد الصلاة.

(١ ـ ٤) ـ النظرة الشاملة للتكوين والخلق

١ ـ عرفت بلاد ما بين النهرين في تاريخها القديم المدن ـ الممالك. ويمكننا القول: عرفت «حضارات ـ المدن» التي كانت آلهتها الحامية تمثلها وكان كل إلّه يسعى لكي تزدهر مدينته ويزداد تألقها. وفي ذلك الوقت، كانت علاقات المدن والتبادل فيما بينها، يتم بكل بساطة عن طريق زيارات الولاء والتكريم ووسط احتفالات ومآدب سلمية. ولم تكن الحروب هي التي تقرر المصائر وتفرض السيطرة. وإذا ما استعرضنا نصوص تلك الفترة التي سيأتي إثباتها بالتفصيل في الكتاب الثالث من هذه المجموعة، فإننا نشهد:

- الإلّه القمر يغادر مدينته أور[١] محملاً بالهدايا ويتوجه إلى نفّر[٢] طالباً من الإلّه إنليل[٣] الرخاء لمدينته.
- وهذا هو الإلّه أنكي[٤] يبني معبده في إريدو[٥] ويتوجه إلى نفّر لتلقي بركة إنليل.
- أما الإلّهة إنانا[٦] فهي بدورها تغادر مدينتها أوروك[٧] لتزور أنكي في إريدو ولتعود بعد ذلك بسفينتها المملوءة بأسس الحضارة لمدينتها أوروك.

---

(١) (Ur).
(٢) (Nippur).
(٣) (Enlil).
(٤) (Enki).
(٥) (Eridu).
(٦) (Inanna).
(٧) (Uruk).

ـ والإلّه نينورتا[1] (ابن إنليل) يزور مدينة إريدو مقدّماً ولاءه لأنكي، تيمّناً بالرخاء والكثرة في مدينته. ونينورتا أيضاً بعد انتصاره على «الجبل» يعود إلى نفّر مطالباً والده إنليل بمزيد من السلطة بسبب انتصاره...

٢ ـ تلك كانت الصورة المبسّطة، يوم كان الآلهة وليس الملوك هم الذين يتبادلون فيما بين مدنهم نقل أسس الحضارة ويسهرون هم بأنفسهم على مصلحة المدينة وبالتالي على مصلحة الملك وكان دور الملك تكريم الإلّه ورعاية الشعب، بتكليف من الإلّه.

٣ ـ أما هذه الصورة التي قلنا عنها بأنها صورة مبسّطة توحي بها النصوص أو تحركات الآلهة التي استعرضناها في الفقرة السابقة والتي ستكون موضوع الكتاب الثالث من هذه المجموعة، هي باعتقادنا صورة مثالية مجمّلة، نقلتها ذاكرة ما بين النهرين عمّا تداولته طِوالَ حوالي ألف عام سبق، الروايات الشفهية عن قصص المدن والآلهة وعن تلك الفترة التي لم يبق منها سوى سحرها الميثولوجي المثالي، يوم سُجّل مضمونها اعتباراً من نهاية الألف الثالث وبداية الألف الثاني لما قبل الميلاد، على اللوحات الفخّارية التي وصلت إلينا. ويمكننا القول إنها تمثّل تاريخاً ميثولوجياً لفترة «إلّهية التدخّل»، كما يمكن وصفها.

٤ ـ أما ما يسمّيه علماء السومريات، بالفترة البطولية أو العصر البطولي الذي سبق ابتداع الكتابة بدءاً من تاريخ ٢٨٥٠ ق. م تقريباً وتطورها طِوالَ ما سمي بعصور بدايات الملكية الأولى (بين حوالى ٢٨٥٠ و٢٥٠٠ ق. م) والملكية الثانية، (بين حوالى ٢٥٠٠ و٢٣٥٠ ق. م). وفي هاتين الفترتين تتحدث النصوص، ذات الأساس التاريخي عن مدن مثل:

ـ أوروك[2] وملوكها: لوچال باندا وإينمركار وچلچامش[3].

---

(١) (Ninurta).

(٢) (Uruk).

(٣) (Lugalbanda) و (Enmerkar) و (Gilgamesh).

ـ وكيش[١] وملوكها: (اينميبار اجيزي) و (آكّا) و (ميسليم)[٢].

ـ وآراتّا[٣] في بلاد عيلام وملكها اينشوكوشيرانّا[٤].

ولن نعدد ملوك الفترة الثانية لبدء الملكية وأشهر المدن التي برزت خلالها هي أور[٥] وقبورها الملكية الشهيرة، ولغش[٦] وأومّا[٧] وأوروك[٨]...

٥ ـ عن هاتين الفترتين وصلتنا إذن بعض النصوص التي تروي أحداث التنافس على المواد الأولية الذهب والفضّة والأحجار الكريمة، وحتى الصخور، الضرورية لبلاد الصلصال؛ وكذلك احتياج المناطق الجبلية إلى الحبوب التي نمت بكثرة في البلاد المنخفضة. وتروي كذلك المنافسات على السلطة للاستحصال على تلك المواد كجزية لمنتصرٍ أو كتبادلٍ جبري بين مملكتين... ونخرج هنا من العصر المثالي لتدخّل الآلهة، في «عصر ذهبي» خيالي، لندخلَ أكثر فأكثر في عالم الملوك والمطامع البشرية للامتلاك والسيطرة وبسط النفوذ بالاعتماد على الحرب والدمار، أكثر من الاعتماد على حرب الأعصاب والتهديد بغضب الإلّه أو الإلّهة التي سحبت حمايتها عن مملكة معيّنة لتمنحها إلى مملكة أخرى أحسنت تزيين معبدها مثلاً، يذكرنا ذلك بنصّ سوف نورده في الكتاب الرابع عن حرب الأعصاب التي دارت بين أوروك وآراتّا[٩] وكانت إنانا، هي التي حَسَمت النزاع، بتحويل وجهها عن ملك آراتّا مما جعله يخضع لأوروك.

٦ ـ وبقدر ما كانت تزداد أهمية نفوذ المملكة وتتوسع سلطتها، بقدر ما كانت تزداد أهمية الملك الذي حققها وتزداد بالتالي أهمية إلّه المملكة الذي سمح بها وتتوسع عبادة هذا الإلّه.

---

(١) (Kish).

(٢) (Enmébaraggesi) و (Akka) و (Meslim).

(٣) (Aratta).

(٤) (Ensukushiranna).

(٥) (Ur).

(٦) (Lagash).

(٧) (Umma).

(٨) (Uruk).

(٩) (Aratta).

وقد عرفت الفترات التالية القيام الصاعق لأمبراطورية سرجون الأكادي، سرجون الكبير ابتداءً من سنة ٢٣٤٠ ق. م والتي لم تدم أكثر من قرنٍ وربع القرن إذ غُلبت على أمرها على يد قبائل الجوتو[١] وهم جبليو المناطق الغربية من إيران وهم الذين اجتاحوا سومر وأكاد ومسحوا نهائياً مدينة «أكّادي»[٢] عاصمة سرجون، ولم تقم لها قائمة بعد ذلك. واستعادت بعد ذلك ملكية لغش[٣] الثانية أهميتها (حوالى ٢٢٠٠ ـ ٢١٠٠ ق.م) وكذلك شهدت بلاد سومر عودة ملكيتي أور[٤] الثالثة (حوالى ٢١١٠ ـ ٢٠٠٠ ق.م) وملكية إيسين[٥]، وقد تعرفنا من خلال الكتاب الأول على ملوك هاتين الفترتين الذين اشتركوا في طقوس الزواج الإلّهي[٦].

إلا أن مدينة جديدة، لم تكن لها أهمية، كتلك التي عرفتها المدن والعواصم التي ذكرناها في المقاطع السابقة ولم تعرف الآلهة ـ العظام مثال آلهة (نفّر) و (أريدو) و (أوروك)... بدأت تبرز وتفرض أهميتها وتعرُف بإلّهها. تلك المدينة التي بدأت تصعد منذ بداية الألف الثاني لما قبل الميلاد (حوالى ١٨٩٤ ق. م) هي مدينة بابل وإلّهها هو مردوك[٧].

٧ ـ عمدنا إلى إدراج هذا الاستعراض عن المدن ـ الممالك التي لعبت دوراً في تاريخ سومر وأكاد وعن آلهتها بغية التوصل إلى تقديم دور بابل ودور مردوك. ونحن بالطبع في مرحلة تاريخية سبقت نشوء نينوى وأشور.

ومن المفيد التذكير بأن الإلّه مردوك، كان في البداية إلّه مدينة صغيرة لم تكن لها أية أهمية خاصة في بلاد ما بين النهرين ولم يتألّق نجمها قبل مجيء سادس ملوك أسرتها المالكة إلى الحكم وهو حمورابي الشهير (١٧٩٢ ـ ١٧٥٠ ق. م) حين جعل منها

---

(١) (Qutu) أو (Gutu).

(٢) (Akkadé) لم يعثر على بقاياها حتى اليوم ويرجح أنها كانت تقع على بعد حوالى ٤٠ كم إلى الشمال الغربي من بابل.

(٣) (Lagash).

(٤) (Ur).

(٥) (Isin).

(٦) انظر الكتاب الأول: فصل (٢) فقرة (٢).

(٧) مردوك (Marduk) قدّم في مجمع الآلهة الأكادية كابن للإلّه أنكي/ إيا، وقرينته هي زرابانيت (Zarpanit)، ومعبده في بابل هو الـ إيساجيل (E. SAG. IL) بمعنى البيت ذو الرأس الشامخ.

عاصمته، وعاصمة مملكة ضمت أخيراً وبشكل مستمر كامل البلاد والتي عرفت من جديد، انطلاقاً مهمّاً في عالمي السياسة و «الثقافة» وارتفعت بابل في جميع المجالات وارتفع وارتقى معها الإله مردوك الذي لم يكن غير إله من الدرجة الثانية ولم يكن معروفاً قبل بداية الألف الثاني، ارتقى إذن مردوك وبالتدريج عمّت أهميتُه جميعَ أنحاء المملكة.

٨ ـ ولم يغفل حمورابي الإشارة إلى أهمية مردوك والتشديد عليها في مقدمة تشريعه[١] التي نورد عنها المقتطف التالي:

«آنو[٢] العظيم، ملك الآنوناكي[٣] وإنليل[٤] سيد السماء والأرض، مقرّراً مصائر البلاد، خصّا مردوك[٥] ابن أنكي[٦] بالسلطة المطلقة على جميع البشر. ورجّحاه بين الإيجيجي[٧]، عندما مَنَحُوا بابل دَوْراً فائق السمو وجعلوا سلطتها تغمر العالم، وذلك حين أقاما فيها ملكية أبدية، هي مثل السماء والأرض، لا تتزعزع...»[٨].

وتلك الفترة، والفترة التي تلتها عرفت في مجال التشريع والثقافة الدينية ازدهاراً هائلاً ولتلك الفترة بالذات يعود نسخ وحفظ معظم ما وصلنا من النصوص السومرية، وتمّ ذلك خلال الربع الأول من الألف الثاني ق. م[٩].

٩ ـ وبعد فترة خمود خلال الاحتلال الكوشي، بين حوالى عامي (١٥٩٤ ـ ١١٥٦ ق. م) استعادت البلاد استقلالها واستعادت بابل نفوذها بعد نشوة انتصار نبوخذ نصّر

---

(١) سوف تنشر بكاملها في الكتاب الثالث.
(٢) (Anu).
(٣) (Anunnaki): الآلهة القادة.
(٤) (Enlil).
(٥) (Marduk).
(٦) (Enki).
(٧) (Igigi) مجموع الآلهة ـ العظام.
(٨) مقدمة تشريع حمورابي: الوجه الأول (١ : ٢٦).
(٩) انظر المقطع (٩) أعلاه في الفقرة (١ ـ ٣) من هذا الفصل.

الأول (حوالى ١١٢٤ ـ ١١٠٣ ق. م) على العيلاميين وعودة تمثالي مردوك وقرينته زاربانيت[1] إلى بابل.. بعد اختطافهما قبل حوالى نصف قرن من قبل الأعداء «لإضعاف بابل» ـ بعد عودة مردوك منتصراً إلى مدينته وتأمينه النصر لنبوخذ نصّر الأول على أعدائه ـ عاد مردوك ليصبح إلّه البلاد وإلّه العالم. وبين مقدمة تشريع حمورابي ومحتواها التفخيمي لقدرة مردوك وتفوقه، وبين الانتصار الذي حقّقه نبوخذ نصّر باسمه، نضجت أكثر فأكثر شمولية النظرة إلى مردوك وإلى دوره وشمولية دور المملكة وأصبح من الممكن عندئذٍ إعطاء مردوك كل الأدوار الإلّهية التي تليق به وتجعل من بابل ملكية «مثل السماء والأرض، لا تتزعزع» ـ أصبح من الممكن آنذاك تأليف أكمل وأشمل قصيدة تمجّد مردوك وهي «الإينوما إيليش» قصيدة التكوين والخلق البابلية، ليصبح مردوك بطل الانتصار في الحرب الكوسمية بين آلهة البدْء وليصبح بطل التكوين وخالق البشر والإلّه الوحيد الذي يجمع في شخصه وفي «أسمائه» صفات جميع الآلهة.

١٠ ـ وفي مجال تلك النظرة الشاملة للتكوين والخلق نقدّم في ما بعد قصيدة التكوين والخلق تحت الرقم (٥٥) ونرى أنه من المفيد قبل ذلك، بالنسبة لهذا النص الكامل للتكوين والخلق، وبالنسبة لبعض النصوص التكوينية القصيرة التي تم عرضها سابقاً من ضمن الفقرة (١ ـ ٢) من الفصل الأول، أن نستعرض مجموعة الأفعال المستعملة لغوياً في سرد ورواية عمليات التكوين والخلق.

١١ ـ نشير إذن إلى الأفعال الأكادية المستعملة في عملية التكوين والخلق ونقدّم بصددها المعنى الذي تمّ تبنيه من قبل علماء هذه اللغة ونستعرض بالنسبة لكل من هذه الأفعال ما حافظت عليه اللغة العربية وفقاً للمعاني والصيغ الأكادية مشيرين في الوقت نفسه إلى مكان ورود هذه الأفعال في النصوص التي نحن بصددها مثال: (٤٧ : ٣) أي النص رقم ٤٧ والسطر ٣. أو (٥٥/١ : ٧ و١٠) أي النص ٥٥/ اللوحة الأولى، السطران ٧ و١٠. ونقدم هذا العرض وفقاً للجدول التالي:

---

(١) (Zarpanit).

التعبير الأكادي ومكانه في النص	المعنى المتبنى من قبل علماء الأكاديات	المقابل باللغة العربية
(شوفو) (١) (٧: ٣) و (٥٥/١ : ٧ و١٠)	أظهر الشيء، جعله يُرى.	(١) تشوّف للشيء: تطلّع إليه وتشوّف من السطح: تطاول ونظر وأشرف وكذلك اشتاف إليه. وشافَهُ العامية بمعنى نظر إليه(*)
(شوفو) (٢) (٥٠ : ٨) و (٥٥/٥ : ١٢)	جعل الشيء يَلْمع	(٢) شافَهُ يَشُوفه بمعنى جلاه وصقله، ودينار مَشُوفٌ أي مجلوّ. وتشوّف بمعنى تزين وتشوفت الجارية: تزينت ويحتوي هذا المعنى على بهجة ولمعان الزينة.
(إزوزّو) (٤٧ : ٣٠)	بمعنى انتصب وقام ليوضع تحت التصرف (هنا تصرف البشر)	أزّت القدر، أزاً وأزيزاً: اشتد غليانها أزّ النارَ: أوقدها
(أودّو) (٥١ : ٢) و (٥٥/١ : ٧٦) (٥٥/٥ : ٣)	بمعنى: عيّن، حدّد (السنة) وعيّن استعمال (قاعة) وجعل الإشارات ظاهرة للعيان	ما يقارب هذه المعاني في اللغة العربية، لا نجد سوى: ـ عدّد: أي سمّى الواحد تلو الآخر وحدّ الشيء عن الشيء الآخر أي ميّزه عنه
تعابير مستوحاة من النشاطات اليدوية:		
(خِيرو) (٤٩ : ٢)	حفر: مجرى نهر	الخُرّ: ما خدّه السيل من الأرض الخَرور: المكان فيه أخاديد وماء
(قاراصو) (٤٤ : ٢٦) أو (كاراصو)	بمعنى التقط حفنة أو قبضة (من الصلصال ـ قَرَصَ	ـ القَرْص: الأخذ بأطراف الأصابع ـ كَرَصَ واكْتَرَصَ الشيء: جَمَعَهُ

(*) لقب الشوّاف وهو كنية المترجم، مشتق من شوفو الأكادية.

التعبير الأكادي ومكانه في النص	المعنى المتبنّى من قبل علماء الأكاديات	المقابل باللغة العربية
(راكاسو) (٤٧ : ١٧)	ـ ربط فيما بينها عناصر (العوّامة)	ـ رَكَسَ البعير: شدَّهُ بالركاس والركاس هو الحبل.
(مُلُو وتملُو) (٤٧ : ٣١)	بمعنى كوّم (التربة)	ـ ملأ الإناء ماءً وبالماء فهو مالىء والإناء مملوء ـ تملأ من الطعام والشراب
(إصرُوا) (٥١ : ٣) (٥٥/ ٥ : ٣ و٥)	رسم (هيئة) صوّر	ـ الصورة: الشكل وكل ما يُصَوّر مشبَّهاً بأصل ويقال اشتقاق الصورة من صَارَه إلى كذا أي أماله إلى شَبَهِ وهيئته.
تعابير مستوحاة من أعمال البناء		
(شُرشودو) (٥١ : ٣) (٥٥/ ١ : ٧٧) (٥٥/ ٥ : ٦)	أسّس أو أقام على أساس	ـ الشرش: ما يسري في الأرض من أصول الشجر ـ والشرش في لغة أعمال البناء هو أساس الركيزة.
(رامو) (٤٧ : ١٣)	«رفع» (بناءً) أقام (بناءً)	ـ المَرَام بمعنى المطلب ومرام النفس يتضمن العلو والرفعة ـ حافظت الأوغاريتية على معنى رفع وأقام بناءً في فعل رَمَمَ ـ واسم رام الله يعني الارتفاع
(قصارو) (٣٩ : ٢)	شيّد (بناءً)	ـ القصر: المنزل الفخم وكل بيت من حجر، وما شيّد من المنازل وعلا خلافاً للخيام وقصور الناس عن الارتقاء إليه واقتصاره على بقعة أرض ـ القصارة: الدار الواسعة المحصّنة.

التعبير الأكادي ومكانه في النص	المعنى المتبنّى من قبل علماء الأكاديات	المقابل باللغة العربية
(باشامو) (٤٣ : ١)	أعطى شكلاً (لبناء) ثبّت (تربة)	لم تحافظ اللغة العربية على علمنا بمثل هذا المعنى
(بشّومو) (٣٩: ٢) و (٥٥/٥: ١٢٢)		
(كونّو) (٤٩ : ٢) (٥٥/١ : ٧١) (٥٥/٥ : ٨ و٦٢)	أقام بشكل ثابت ومتين (بناء)	حافظت اللغة العربية على معاني: كوّن الشيء تكويناً أي أحدثه والكائنات: الموجودات من كل شيء والكون: الوجود
(عِفِيشُو) (٤٥ : ٧٣) (٥٥/٥ : ١٢٢)	صَنَع يدوياً وتستعمل لإقامة وإعداد بناء	ـ عَفَش الشيء، يعفشه، عفشاً بمعنى جمعه ـ العفش بالعامية ما تجمّع من الأثاث والأمتعة
(بانو) (٤٤ : ٢٤ و٢٧) (٣٩ : ١). . . وفي غالبية النصوص	بنى، أقام (بناءً) وتستعمل أيضاً بالنسبة للتربة	ـ لم يتبدل هذا المعنى بالنسبة للغة العربية
(فتاقو) (٤٧ : ٢ و٣٤) (٤٧ : ٢٢). . . (٤٤ : ٣٦ و٣٧)	أخرج، أحدث، شكّل، خلق بالنسبة للنباتات بالنسبة للحيوانات بالنسبة للبشر	ـ فَتَقَ بمعنى شقّ، ضد رتق ـ فتِقَ بمعنى أخْصَبَ ـ فَتَقَ المِسك بغيره: استخرج رائحته ـ الصبح الفتيق: المشرق ـ تفتقت (القريحة)

التعبير الأكادي ومكانه في النص	المعنى المتبنّى من قبل علماء الأكاديات	المقابل باللغة العربية
تعابير ذات علاقة بالإنجاب والولادة		
(ريحو) (٤٦ : ١) (٥٥/١ : ٨٠)	خلق، أنجب	حافظت اللغة العربية على: - روَّحَ قلبه: أنعشه وطيّبه - الروْح: الراحة والرحمة - الرُوح: ما به حياة الأنفس
(ألادُو) (٥٥/١ : ١١٥) (٤٣ : ١ وما بعد)	ولّد، ولد استعمل هنا بصدد توليد الرياح	لم يتبدل المعنى بالنسبة للغة العربية

(٥٥) ـ الإينوما إيليش: قصيدة التكوين والخلق البابلية[١] وارتقاء الإله مردوك

١ ـ هذه القصيدة الشموليّة التي تتألف من حوالى ١١٠٠ سطر أمكن تجميعها من حوالي ستين نسخة لأجزاء منها مختلفة، تمّ اكتشافها في أماكن عديدة وخلال فترات زمنية متباعدة. أما عن التعريف باكتشاف مثل هذه القصيدة، فقد أشير منذ عام ١٨٧٥، إلى وجود نص بابلي يحتوي على قصة التكوين والخلق[٢]. وأكمل نسخة نشرت عن الـ (إ. إ) حتى اليوم بلغتها الأكادية وبمقاطعها المسمارية، تمّت في عام ١٩٦٦. كما تمت ترجمتها منذ بداية هذا القرن إلى أكثر من لغة، وأقدم ترجمة فرنسية لها ترجع إلى عام ١٩٣٥؛ وبما أنها لم تعد صالحة اليوم، فقد أعيد النظر فيها ضمن نشرة ١٩٧٠. وأحدث ترجمة لهذه القصيدة تعود لعامي ١٩٨٥ و١٩٨٩.

٢ ـ قلنا في المقاطع السابقة إن تاريخ تأليف قصيدة الـ (إ. إ) اعتماداً على الرأي الذي يجعل منها أكثر حداثة، أي أقل قدماً، أُعيد إلى فترة حكم نبوخذ نصّر الأول (حوالى ١١٢٤ ـ ١١٠٣ ق. م) وأقدم نسخ منها، وهي التي عثر عليها في أشور لم تكن سابقة لبدايات الألف الأول لما قبل الميلاد، كما أن أجزاء كثيرة منها، عثر عليها في مكتبة أشور بانيبال (٦٦٨ ـ ٦٧٢ ق. م) في نينوى ولكن نسخاً أخرى تمّ اكتشافها في كل من كيش[٣] وسيبار[٤] وسلطان ـ تيبي[٥] وحتى بعد سقوط بابل في عام (٥٣٩

---

(١) خلال عرضنا لهذه القصيدة وتحاشياً لتكرار مطلعها الأكادي في كل مرة، سوف نكتفي بالإشارة إليها بالحرفين المهموزين (إ. إ) للتبسيط عوضاً عن (إينوما إيليش).
(٢) مقال ج. سميث (G. SMITH) في الديلي تلغراف بتاريخ ١٤ آذار ١٨٧٥.
(٣) (Kish).
(٤) (Sippar).
(٥) (Sultan-Tepe) على الخابور شمالي البلاد.

ق. م)، استمرت البلاد على نسخ وتداولِ هذه القصيدة، حتى النصف الأول من الألف الأول للميلاد (أي حتى عام ٥٠٠ م).

٣ ـ وممّا يلفت النظر، أن هذا النص لم يعدّل خلال الفترات الزمنية اللاحقة لتأليفه، بل كان يعاد نسخه فقط. والجدير بالذكر أيضاً، بأنه يوم أراد الأشوريون في فترة حكم سنحريب (٧٠٤ ـ ٦٨١ ق. م)، رفع إلّههم أشور إلى ما كانت عليه مرتبة مردوك، استبدلوا اسم مردوك باسم أشور وأعادوا نشر قصيدة الـ (إ. إ)، دون أي تعديل آخر[1] ليصبح الإلّه أشور بطل التكوين والخلق وسيد الآلهة والبشر.

٤ ـ ولا بد من الإشارة، قبل الدخول في تفاصيل محتوى الـ (إ. إ) أن هذه القصيدة تمّ تأليفها، من قبل مفكرٍ أو مفكرين بابليين، كانوا على اطلاع كامل وعميق على تراثهم السومري ـ الأكادي الذي تناقلته التقاليد الشفهية منذ أكثر من سبعة عشر قرناً والذي تمّ تسجيله على اللوحات الفخارية باللغتين السومرية والأكادية منذ أكثر من عشرة قرون، هذا التراث اتُخذ كأساس في ذلك الوقت، وتمّ استيحاؤه بذكاء وخيالٍ لا يمكن معهما التشكيك بعبقرية مؤلف الـ (إ. إ) الذي تَصوّر خِدمةً لقضية الإلّه مردوك وبقصد إعطائه الأولوية والأفضلية في كل شيء، تصوّر أن خطراً بَدْئياً كان «يتهدّد» جميع الآلهة، وأن مردوك هو البطل الوحيد الذي أنقذهم منه، وبكل ذكاءٍ بعد ذلك، عمد إلى الاستفادة من انتصاره، فخلق الكون وخلق البشر ووضع كل شيء في مكانه وحدد الأدوار وقرر المصائر. فأصبح إلّهاً وسيداً لجميع الآلهة والبشر واستحق مركز الصدارة، فاعْتُرِفَ بمجده من قبل الآلهة جميعاً وأغدقت عليه جميع الألقاب والأسماء الإلّهية الخاصة.

٥ ـ هذه القصيدة البدئية هي بمثابة الميتوس لأصول الأشياء كلّها. فهي تروي قصة ولادة الآلهة وتحديد الأدوار، أدوار الآلهة، وقصة التكوين وإطلاق عناصر الكون على مساراتها وفق نظامٍ أقرّه الإلّه مردوك. كما تروي قصّة خلق البشر وتقرير مصيرهم ودورهم كبشر.

وليس من المستغرب، حين كان البابليون وهم يحتفلون بعيد رأس السنة

(١) أي فيما يتعلق بعمليتي التكوين والخلق.

«الأكيتو»[١]، يعودون إلى حالة الفوضى، «العماء البدئي»، ثم يسيطرون على هذا العماء، ويعيدون بناء المملكة بعد ذلك في حلّة جديدة ومتجدّدة، تحمل كل الخير والرخاء لشعبها، لم يكن من المستغرب ـ أن يُتلى في هذا العيد، أمام جماهير الشعب المحْتفلة، النص الكامل لقصيدة التكوين والخلق الـ (إ. إ) تمجيداً لمردوك إلّه جميع الآلهة والبشر، وذلك في مدينته بابل التي يضاهي قدمها قدم الآلهة[٢]. وليس بالمستغرب بالتالي أن يحمي مردوك مدينته ومَلِكها ويغمرها بالأمجاد، وأن يَحْملَ لها «الزواجُ الإلّهي»، الزواج المقدس الذي يحققه الملك[٣]، الخصبَ والكثرة لكامل المملكة.

٦ ـ تتوزع قصيدة الـ (إ. إ) على سبع لوحات، تحوي كل لوحة حوالى ١٥٠ سطراً أو بشكل أدق، فإن عدد الأسطر من اللوحة الأولى حتى السابعة هو كما يلي: ١٦٢/١ ، ١٥٠/٣ ، ١٣٨/٣ ، ١٤٦/٤ ، ١٥٥/٥ ، ١٦٦/٦ و١٦٣/٧ أي بمجموع ١٠٧٩ سطراً لكامل القصيدة. أما محتواها الإجمالي، وقبل التعرض للنصّ بحدّ ذاته، فيمكننا عرضه وتلخيصه كما يلي:

اللوحة الأولى: العماء البدئي وولادة الآلهة ـ نشوب الأزمة الأولى وتدخل الإلّه إيا ـ نشوب الأزمة الثانية والاستعداد للمجابهة.

اللوحة الثانية: الآلهة المهدّدون يفتشون عن منقذ، وتوجّه الأنظار نحو الإلّه مردوك.

اللوحة الثالثة: مردوك يُمنح جميع الصلاحيات بناء على طلبه.

اللوحة الرابعة: المعركة والنصر
ـ مردوك يكوّن وينظّم.

اللوحة الخامسة: متابعة تنظيم الكون ومبايعة مردوك
ـ مشروع بناء بابل وخلق البشر.

اللوحة السادسة: خلق البشر ثم إقامة بابل
ـ تنصيب مردوك والبدء بتعديد أسمائه.

اللوحة السابعة: متابعة تعديد ألقاب وأسماء مردوك الخمسين والتمجيد الأخير.

تلك هي بصورة مقتضبة العناوين العريضة لمحتوى اللوحات وسوف يتمّ التعليق على أهمّ تفاصيل هذا المحتوى من خلال عرض النص.

---

(١) (Akitu) الموافق أول الربيع بشكلٍ عام.

(٢) سوف يفهم ذلك من خلال نص القصيدة (اللوحة السادسة).

(٣) راجع، حول الزواج الإلّهي، الكتاب الأول، الفصل الثاني، الفقرة (٢ ـ ٣).

اللوحة الأولى

المياه البدئية (الغمر)

بينما في الأعالي
لم تكن السماء قد سمّيت[١] بعد،
والأرض اليابسة في الأسفل،
لم يكن أطلق عليها أي اسم،
وحدهما، أبسو[٢] ـ الأول
والدهم
والأم (؟) تيامت[٣]
والدتهم جميعاً،
كانا معاً يمزجان
مياههما:
فلا منابت القصب كانت قد تكتّلت بعد
ولا المقاصب كانت فيها مُميّزة.

---

(١) التسمية بمفهومها الأكادي هي مرادفة للوجود، وجود الشيء بتسميته.
(٢) (Apsu) هو أحد عنصري المياه البدئية وهو هنا بمثابة عنصر الذكورة.
(٣) (Tiamat) هو العنصر الثاني للمياه البدئية، عنصر الأمومة. إنهما يحملان رمز الألوهية قبل اسميهما. وهما هنا ممتزجان كمياهٍ عذبة ومياه مالحة يمثل مزيجهما وسطاً هو أساس كل شيء حيّ.

ظهور الآلهة

آنذاك، لم يكن أيّ من
الآلهة قد ظهر بعد،
ولم تكن أطلقت عليهم أسماء
ولم تكن مصائرهم قد قُرّرت بعد.
ففي وسط (أبسو ـ تيامت)، الآلهة،
شُكّلوا[١]:
(لحمو) و (لحامو)[٢] ظهرا[٣]،
وأُطلقَ اسمٌ على كلٍ منهما.
وقبل أن يكبرا
ويصبحا قويين[٤]
تمّ تشكيل[٥] أنشار[٦] وكيشار[٧]
وكانا يفوقانهما مرتبة[٨]
وبعد أن مددا أيامهما
وضاعفا سنيهما.
كان آنو[٩] أول مولودٍ لهما

---

(١) التعبير الأكادي المستعمل هو: الآلهة «إبّانو» وسط المياه البدئية الممتزجة.
(٢) (Lahmu) و (Lahamu) هما مخلوقان متميزان وليسا زوجين على ما يظهر.
(٣) يستعمل النص الأكادي لظهورهما تعبير «أوشتافو» بصيغة المجهول، بمعنى أمكن رؤيتهما، وحافظت اللغه العامية على هذا المعنى في «شَافَهُ» أي رآه ونظر إليه.
(٤) يبدأ النص هنا بالإعداد لفكرة إهمال مصير هذين المخلوقين قبل نموهما، وقبل الانتقال إلى الزوج الإلّهي الذي ظهر بشكل مستقل عنهما.
(٥) يستعمل النص الأكادي هنا أيضاً كما في السطر التاسع أعلاه تعبير «إبّانو».
(٦) (Anshar) أي (آن ـ شار) ومعناه كل ما هو (فوق): السماء بمختلف طبقاتها وما سوف تحتوي عليه.
(٧) (Kishar) أي (كي ـ شار) ومعناه كل ما هو (تحت): الأرض والمياه الباطنية (الأبسو) والعالم السفلي ومع هذين الإلّهين تبدأ فكرة ثنائية الكون في بعديه الأعلى والأسفل.
(٨) تظهر هنا فكرة ارتقاء وتطور مرتبة المخلوقات الإلّهية من خلال تدرج عملية الظهور والخلق.
(٩) (Anu) وهو هنا ابن آنشار الذي سوف يبقى فيما بعد جداً بعيداً لآنو إلّه السماء.

مماثلاً لوالديه
وكما عمل أنشار شبيهاً له
كذلك عَمِل آن، ولده:
آنو كما والده، أنجبَ
(إيا ـ) نوديمّود[١] شبيهاً له.
إلاّ أن نوديمّود، وهو
المنظم المستقبلي لوالديه
كان واسع الفهم والحكمة
ومتحلياً بقوة فائقة؛
وكان حقاً أكثر قدرة
من أنشار والد أبيه
لم يكن له مضاهٍ قط
إذا ما قورن بالآلهة إخوته[٢].

نشوب الأزمة الأولى

هؤلاء الآلهة إخوته، حين
شَكّلوا تجمّعاً،
أثاروا قَلَقَ تيامت
وحين أحدثوا الجَلَبة (؟)
وجعلوا داخل
تيامت يضطرب،
أزعجوا بألعابهم

(١) (Ea) ولقبه (Nu. Dim. Mud) ومعناه بالسومرية: الذي هو مختص بالخلق والإنجاب (أو الصنع).

(٢) يتابع النص هنا فكرة الارتقاء والتطور بمجرد تسلسل أجيال الآلهة، وذلك إعداداً لبلوغ قمة التفوق مع مردوك عند ولادته في الفترة التالية. وتعبير «الآلهة إخوته». يُعِدُّ منذ الآن لفكرة مجمع الآلهة المستقبلي.

قلب «المسكن الإلّهي»[١].
لم يتمكن أبسو
من إخماد ضجيجهم
بينما بقيت تيامت
هادئة الأعصاب تجاههم:
كانت أعمالهم
مكروهة لديها
وتصرفاتهم تستحق اللوم
ولكنها كانت متساهلة معهم.
عند ذلك، عمد أبسو
مولّد الآلهة ـ العظام
إلى مناداة مومّو[٢]
قائلاً له:
«أي مومّو، أنت حاجبي
الذي يبهج قلبي
تعال،
ولنذهب لمقابلة تيامت!»
توجّها إذن إليها،
وهما جالسان أمام تيامت
تكلّما وناقشا
بصدد الآلهة أبنائهما.
فتح أبسو فمه،

(١) يعتبر النص حتى الآن أن الآلهة لا يزالون يعيشون في وسطهم البدئي داخل تيامت، أو داخل المياه البدئية أبسو ـ تيامت.
(٢) (Mummu) هو هنا حاجب أبسو ويُمثّل مع أبسو، الآلهة القدامى الذين أزعجتهم حيوية الآلهة الجدد الذين شكّلوا تجمعهم كما ورد في السطر ٢١

رفع صوته
وقال لتيامت:
«تصرّفاتهم
تزعجني:
أنا لا أرتاح نهاراً
وفي الليل لا أنام!
أريد إفْنَاءَهم[١]
وإلغاء نشاطاتهم
لكي يُستعاد الهدوء
ولكي نتمكن نحن من النوم!»
تيامت
لدى سماعها ذلك
اشتد غضبها
وأطلقت الشتائم ضد قرينها،
علا هياجها
ووجهت اللوم بمرارة إلى أبسو
لأنه لـمّح وضمر
الشر في قلبه:
«لماذا تريد أن نهدم بأنفسنا
ما نحن صنعناه؟
نعم، تصرفاتهم بغيضة جداً؟
فلنتحَلَّ بالصبر والتسامح!»[٢]

(١) التعبير الحرفي: تحويلهم إلى العدم.
(٢) يتضح من خلال هذه المواجهة بين أبسو وتيامت أنهما لم يعودا ممتزجين كما في البداية وأن لكل منهما شخصيته كما يتضح أن السلطة تمثلها تيامت الأم.

آنئذٍ بادر موّمو بالكلام
ناصحاً أبسو
ومع أنه لم يكن سوى حاجب
فإنه ناقض رأي مولدته:
«أخمد إذنْ يا أبي
هذا النشاط الكثير الشغَب
لكي ترتاح نهاراً
وفي الليل لكي تنام!»
ابتهج أبسو لسماع ذلك
وانفرجت معالم ـ وجهه،
متمثلاً الشر الذي أعده
ضد أبنائه الآلهة:
أحاط بذراعه
عنق مومو
الذي جلس على ركبتيه
وقبّله أبسو.

تدخل الإله إيا

إلا أن كل ما أعدّه (أبسو)
خلال اجتماعهما[١]
تمّ نقله
للآلهة أبنائهما.
ولدى اطلاعهم على ذلك
اهتاج هؤلاء الآلهة

---

(١) أي اجتماع أبسو وتيامت ونية أبسو التي تلت ذلك.

ثم ركنوا إلى الهدوء
ولاذوا بالصمت.
غير أنّ الفائق الذكاء
المجرب والنافذ البصيرة،
إيا الذي يتفهّم كل شيء،
كشف مخططهم
وأعدّ بصدد أبسو
مشروعاً كاملاً
وحين جهّز ضدّه رقية
سحره الأقوى
تلاها أمامه،
وبواسطة شرابٍ سحري هدّأه:
فاستولى عليه النعاس
ونام بغبطةٍ ساذجة
أما مومّو مستشاره، فقد كان
غبياً لدرجةٍ حالت دون تدخّله (؟)
عند ذلك عمد إيا إلى نزع عصابة جبين أبسو
وجرّده من تاجه
كما صادر تألّقه الخارق ـ للطبيعة[1]
وأحاط نفسه به؛
ثم طرح (أبسو) أرضاً
وانتزع حياته
ثم سجن مومّو
وأحكم إغلاق باب (سجنه).

(١) يقصد بذلك تألق الآلهة وهو بهاء لا يملكه سوى الآلهة ـ العظام.

إقامة إيا مقره فوق أبسو

أقام بعد ذلك فوق أبسو(١)
مسكنه
وجرّ مومّو مُمسكاً إيّاه،
بزمامٍ ـ في ـ أنفه
وهكذا، بعد أن أبطل إيا
وأعدم حركة مُضمرَيْ الشر هذين
وحقّق هذا
النصر على خصميه
وبداخل مقرّه
عمد إلى الراحة بهدوء تام:
أطلق على هذا القصر تسميه أبسو(١)
وعيّن فيه قاعات ـ الاحتفال
وفيه أيضاً، أعدّ
حجرة ـ زفافه
حيث استقرّ إيا، مع دامكينا(٢)
قرينته بكل جلال.

ولادة الإلّه مردوك وإعجاب جدّه به:

ففي حَرم ـ الأقدار هذا،
في هذا الهيكل ـ لتحديد ـ المصائر
تمت ولادة الإلّه الأكثر ذكاءً

(١) نرى هنا أن أبسو بعد القضاء عليه من قبل إيا، يتحول أو يعود إلى مادته الأساسية التي هي المياه العذبة وفيها بنى إيا مقره ومن الآن فصاعداً يتخذ أبسو هذا المعنى في مختلف النصوص الأخرى.

(٢) (Damkina) قرينة إيا وتُذكرُ هنا للمرة الأولى إعداداً لولادة مردوك.

الحكيم بين الآلهة والسيّد:
في وسط الأبسو
تمت ولادة مردوك،
في قلب الأبسو ـ المقدس
تمت ولادة مردوك
مولّده
إيا أبوه
ومولّدته
أمّه دامكينا
لم يرضع قط
سوى الأثداء الإلّهية
والمرضعة التي ربّته
ملأته بحيوية فائقة.
طبيعته كانت طافحة
ونظرته ساطعة؛
كان رجلاً ـ كاملاً منذ ولادته
وبكامل قوته منذ البداية
وحين رآه آنو
والد أبيه
امتلأ بهجةً وأشرق وجهه
وكان قلبه عظيم الارتياح.
وعندما نظر إليه مليّاً، (قال):
«ألوهيته مختلفة،
إنه أكثر روعةً (من بقية الآلهة)
ويفوقهم في كل شيء!
تكوينه لا مثيل له

ومدهش شكله،
من الـمُحال تصوّره
لا أحد يتحمل النظر إليه.
عيونه أربع
وآذانه أربع
وعندما يحرك شفتيه
فإن ناراً تتوهّج
أربع آذانٍ
نبتت له
وعيونه ذات العدد المماثل
تراقب الكون!
إنه حقّاً الأسمى بين الآلهة
وذو القامة الأكثر علواً
ضخمةٌ هي أعضاؤه
وهو فائق السمو منذ ولادته!
إبني هو أوتو[١]
إبني هو أوتو
إبني هو شمس:
شمس الآلهة الحقيقية
يحيط به التألق الخارق للطبيعة لعشرة آلهة
إنه متوج به بشكل رائع
وخمسون إشعاعاً رهيباً
يصدر عنه!».

---

(١) (Utu) التسمية السومرية للإلّه الشمس وهنا استعملها المؤلف كصفة للتألق.

هدية الجد آنو لمردوك ونشوب الأزمة الثانية

عند ذلك شكّل آنو، وأوجَدَ
الرياحَ الأربع
التي أهداها لمردوك (قائلاً):
«لكي يلعب بها ولدي!»
وهكذا صنع مردوك الغبار
وجعل العاصفة تحمله،
وإذ سبّب الهياج
جعل تيامت تضطرب.
وباضطرابها، كانت تيامت
تهتز ثائرة ليل نهار
والآلهة (أبناؤها) ودونما انقطاع
كانوا يتلقون ضربات ـ الرياح (؟)
وحين ضمروا الشر
في قلوبهم
توجّهوا لأنفسهم
إلى تيامت أمهم (قائلين):
«عندما تمّ القضاء
على قرينك أبسو
لم تدافعي عنه
وبقيتِ خرساء!
والآن، بعد أن صَنَع آنو
الرياح ـ الأربع الرهيبة
فإن داخلك أصابه اضطراب كبير
ولم نعد نستطيع النوم!

أبسو قرينك
لم يعد فيك[١]
ولا مومّو الذي قُيّد
وهكذا بقيتِ وحدك!
[ألسـ] ـتِ إذن [أمّـ] ـنا؟
فها أنت مهتزّة وعظيمة الاضطراب!
ونحن الذين لا نستريح قط
أنت ألم تعودي تحبّيننا إذن؟
لقد جمدت أعيننا
ونحن (دون نوم) على أسرّتنا (؟)
خلّصينا من هذا النير المستمر،
لكي نتمكن أخيراً من النوم!
إنهضي إذن [وثوري عليهم (؟)]
انتقمي منهم
[أحيليهم إلى العدم (؟)]
وحوّليهم إلى أشباح!»[٢].

تيامت تستعد للحرب

حاز هذا الخطاب رضى تيامت
لدى سماعها إياه و (قالت):
«بما أنكم قررتم ذلك مجتمعين
فلنصنع العواصف!»

---

(١) منذ مقابلة أبسو تيامت للاحتجاج اعتباراً من السطر ٣٥، وقبل القضاء على أبسو، بَطُلَ مفهوم المياه البدئية الممتزجة وأصبح لكل من أبسو وتيامت شخصيته المستقلة.

(٢) وفقاً للاعتقاد الذي يجعل البشر يتحولون إلى أشباح بعد الموت وقد طبق هنا على الآلهة أنفسهم.

وبما أن آلهة آخرين

[كانوا انضمّوا] إلى الداخل[١]

وكانوا هم أيضاً ضمروا [الشر]

ضد أبنائهم الآلهة![٢]

وهم ملتفّون في دائرةٍ

حول تيامت

غاضبون ومتآمرون دون كلل،

ليلَ نهار

يحمِّس للقتال بعضُهم بَعْضاً

يضربون الأرض بأرجلهم وهم مهتاجون.

عقدوا مجلساً

بقصد إعداد الحرب.

والأم ـ الهَوْر

التي شكّلت كل شيء

أعدت لنفسها أسلحةً لا تقاوم:

إذْ ولّدت تنّينات عملاقة[٣]

ذات أسنان [حا] دّة

وأنياب لا ترحم،

ملأت أجسادها

بالسمّ عوضاً عن الدم،

(كما ولّدت) حيّات شرسة[٣]

---

(١) أي داخل تيامت.

(٢) يتضح أن آلهة قدامى انضموا إلى تيامت، ونستبعد أن يكون الصراع القائم صراعاً بين الأجيال، بل كان صراعاً على السلطة (انظر اللوحة ٢: السطرين ١٣١ و١٣٢).

(٣) نلاحظ هنا أن تيامت تولّد وتخلق بمفردها دونما حاجة لأبسو، قرينها السابق، الكائنات الرهيبة والمخيفة...

ألبستها ثوب الرعب
وحمّلتها بالتألّق الخارق للطبيعة
مما جعلها مثيلة الآلهة:
«من يرها
تنهار قواه!
وبمجرد دفعها للانقضاض (قالت)
فإنها لا تتراجع قط!»
كما فتّقت أيضاً وحوشاً مائية
وتنّينات ـ هائلة ومسوخاً بحرية
وكذلك أسوداً ـ جبارة
وكلاب حراسة هائجة وبشراً ـ عقارب
ومسوخاً هجومية
وبشراً ـ أسماكاً وثيراناً وحشية ـ ضخمة:
جميعهم شاهرون أسلحةً لا ترحم، (وهم)
لا يعرفون الخوف في المعارك.
لا حدّ لما خُوِّلوه من قدرات
ومقاومتهم غير ممكنة!
هكذا حقّاً، صنعت
هؤلاء الأحد عشر
ثم بعد ذلك وفي وسط الآلهة أبنائها،
الذين عقدوا مجلسهم معها
رفعت من قدر كينغو[١]
مانحةً إياه، أعلى مرتبة بينهم:
(وهي) السير على رأس الجيش

(١) (Quingu) الشخصية التي سلمتها تيامت القيادة والسلطة.

وإدارة مجلس ـ الحرب
(وكذلك) إصدار الأوامر للالتحام
وقيادة المعركة
والسلطة التامة
على المحاربين:
كل ذلك سلّمته إياه
وأجلسته على كرسي ـ الشرف
(قائلة): «لقد لفظت من أجلك العبارة (السحرية)
وجعلتك على رأس مجمع الآلهة،
مَنَحتُكَ
الإمارة عليهم جميعاً!
كن إذن الأعظم بينهم،
وكن قريني الوحيد!
وليُشد باسمك
أمام جميع الأنوناكي!»[١]
ثم سلمته لوحة ـ الأقدار
التي ثبتتها على صدره (معلنةً):
«لتكن أوامرك غير قابلة للرد
ولتتحقق [كلمتك]!»[٢]
هكذا تمّ إعلاء شأن كينغو
ووُضِعت بيده السلطة العليا.

---

(١) (Anunnaki).
(٢) تيامت، هي التي تملك لوحة الأقدار وهي التي تمنح السلطة.

ومن أجل الآلهة أبنائها
[قررت لهم (تيامت)] هذا المصـ[ـير]:
«بمجرد أن تفتحوا أفواهكم
تطفئون النار!
وليتمكن سمّكم المكثف
من التَغلّب على الظلم!».

اللوحة الثانية

وصول أخبار استعدادات تيامت إلى إيا وتوجهه إلى أنشار

وإذْ استنهضت
تيامت صنائعها
جمعت جيوشها من أجل المعركة
ضدّ ذريتها من الآلهة:
ومنذ ذلك الحين (؟) وأكثر من أبسو
أظهرت تيامت علائم الشرا
ونُقلت الأخبار إلى إيا
بأنها استنفرت ـ قواها ـ للقتال
وعندما تعرّف إيا
على هذه القضية
بقي في البداية [مشد] وهاً، دون حركة
وبقي صامتاً.
إلا أنه بَعـ [ـد أن] عمد إلى التفكير
وبعد هدوء غضبه
توجّه شخصياً

لمقابلة جدّه أنشار
دخل إلى حضرة أنشار
والد مولّده،
وكرر على مسامعه
المؤامرة التي أعدّتها تيامت:
«أي أبي، مولِّدتنا تيامت
وجّهت نحونا حقدها.
عندما عقدت مجلسها
أزبدت غضباً
والآلهة جميعهم
أحاطوا بها:
وحتى الآلهة الذين صنعتَهم أنت
انحازوا إليها!
وهم ملتفون في دائرةٍ
حول تيامت
غاضبون ومتآمرون دون كلل،
ليلَ نهار
يحمّس للقتال بعضُهم بعضاً
يضربون الأرض بأرجلهم وهم مهتاجون،
عقدوا مجلساً
بقصد إعداد الحرب.
والأم ـ الهوَر
التي شكّلت كل شيء
أعدت لنفسها أسلحةً لا تقاوم:
إذ ولّدت تنّينات عملاقة[١]

(١) نكرر هنا كما سبق ملاحظته أن تيامت تولّد وتخلق بمفردها دونما حاجة لأبسو، قرينها السابق، الكائنات الرهيبة والمخيفة...

ذات أسنان [حا] دّة
وأنياب لا ترحم،
ملأت أجسادَها
بالسّمّ عوضاً عن الدم،
(كما ولّدت) حيّات شرسة[١]
ألبستها ثوب الرعب
وحمّلتها بالتألق الخارق للطبيعة
مما جعلها مثيلة الآلهة:
«من يرها
تنهار قواه!
وبمجرد دفعها للانقضاض (قالت)
فإنها لا تتراجع قط!»
كما فتّقت أيضاً وحوشاً مائية
وتنّينات ـ هائلة ومسوخاً بحرية
وكذلك أسوداً ـ جبارة
وكلاب حراسة هائجة وبشراً ـ عقارب
ومسوخاً هجومية
وبشراً ـ أسماكاً ـ وثيراناً وحشية ـ ضخمة:
جميعهم شاهرون أسلحةً لا ترحم، (وهم)
لا يعرفون الخوف في المعارك.
لا حدّ لما خُوّلوه من قدرات
ومقاومتهم غير ممكنة!
هكذا صنعت حقاً
هؤلاء الأحد عشر
ثم بعد ذلك وفي وسط الآلهة أبنائها،
الذين عقدوا مجلسهم معها

(١) راجع الهامش على الصفحة السابقة.

رفعت من قدر كينغو[١]
مانحةً إياه، أعلى مرتبة بينهم:
(وهي) السير على رأس الجيش
وإدارة مجلس ـ الحرب
(وكذلك) إصدار الأوامر للالتحام
وقيادة المعركة
والسلطة التامة
على المحاربين:
كل ذلك سلّمته إياه
وأجلسته على كرسي ـ الشرف
(قائلة): «لقد لفظت من أجلك العبارة (السحرية)
وجعلتك على رأس مجمع الآلهة،
مَنَحتُكَ
الإمارة عليهم جميعاً!
كن إذن الأعظم بينهم،
وكن قريني الوحيد!
وليشد باسمك
أمام جميع الأنونّاكي!»[٢]
ثم سلمته لوحة ـ الأقدار
التي ثبّتتها على صدره (معلنةً):
لتكن أوامرك غير قابلة للرد
ولتتحقق [كلمتك]!»
هكذا تمّ إعلاء شأن كينغو

(١) (Quingu) الشخصية التي سلمتها تيامت القيادة والسلطة.
(٢) (Annunaki).

ووُضِعت بيده السلطة العليا
ومن أجل الآلهة أبنائها
[قررت لهم (تيامت)] هذا المصـ [ـير]:
بمجرد أن تفتحوا أفواهكم
تطفئون النارا
وليتمكن سمّكم المكثّف
من التغلّب على الظلم!».
[عندما تعرّف أنشار]
على هذه القضية الخطيرة (؟)
[ضرب بكفّه على فخذه (؟)]
وعضّ على شفتيه:
وكان [داخـ] ـله [غير مرتاحٍ (؟)]
وقلق خاطره
[ولكن لدى رؤيته لإيا] حفيده
تبددت مخاوفه:
«أنت شخصياً (قال له) (؟)،
كن أنت خصمها في المعركة:
ردَّ صدمة
[الهجمات التي تشنها (؟) ضدك]
[أنت الذي قيدت مومّو (؟)]
وقضيت على أبسو:
[وأمام تيامت الغا] ضبة،
أنّى لنا أن نجد نداً أفضل منك؟
[ألست أنت (؟)]
الذي تتفوه بالحكمة،
[مستشار الآ] لهة

نوديمّود؟
[. . . . .]
[. . . . .]»
عند ذلك فتح إيا
فمه (قائلاً):
[«يا أنتَ المفكر الـ] ـعميق
الذي يقرر المصا [ئر]،
[أنت وحدك] مالك سلطة
الخلق والإبادة! ـ
أنشار يا ذا الفكر العميق
الذي يقرر المصائر
[لك وحدك] سلطة
[الخلق والإبا] دة
[الأمر] الذي أصدرته لي
نحن [. . ـه] على الفور
وبمجرد (؟) أن (؟) قمتُ
[بـ . . . .]
[أنا] شخصياً، [. . . . تُ]
أبسو من أجل [. . . . .]
وحتى الآن [. . . . . . .]
[. . . . .]
[. . . أزَلْتُ (؟)] الثائر
[أبَدْتُ [. . . . .]
قَضيت على [. . . .]
[. . . . .]».

تكليف إيا وعزوفه

عندما [سمع] أنشار هذا الخطاب
رَضِيَ [به]
[أبدى موا] فقته (؟)
قائـ [ـلاً] لإيا
«فليبتهج [. . .]
قلبـ [ـكَ].
[تَصرُّفُ (؟)] تيامت المعيب
يجب أن [يعاقب (؟)]
خُضْ (؟) [إذن المعركة
[ضدّ (؟)] تيامت
[. . . . . .]
[. . . . .]
[ذهب إيا، عند ذلك، محاولاً كـ] ـشف
مخط [ـطات] تيا [مت].
[ولكنه . . .]
[قفل] را [جعاً]
[ولم يتمكن إذن (؟) أن
يكون] منتقم الآلهة
[ثم عاد لمقابلة أنشار]
وتوجه [إليه] (قائلاً):
«[. . . . .]
[. . . ـها تغلبت (؟)] عليّ
[. . . . .]
[بكينغو (؟).] قرينها

[. . . . .]

خشية (؟) [القتال]

[. . . . .]

من إذن بمقدوره أن [يتقـ] ـدم نحوها

[ويحيـ] ـلها إلى الصمت

[. . . . .] ؟

[هذا ما حدا بي (؟)]

[أن أر] جع أدرا [جي] !

[ومع ذلك يبقى آنو (؟)]

أرسِله [عوضاً عني (؟)]».

[. . . . .]

[. . . . .]

[. . . . .]

[. . . . .]

[. . . . .]

[. . . . .]

[. . . . .]

[. . . . .]

[. . . . .]

[. . . . .]

تكليف آنو بالمجابهة وعجزه

وجّه إذن [(أنشار)] هذه [الكلمات]

[إلى آنو] ابنه:

[أي آنو (؟)]، [هـ] ـذا هو

سلاح الأبطال الخارق للطبيـ [ـعة]

قدرته [عجيبة (؟)]،
وضرباته لا تقاوم!
[إذهب إذن]، شخصياً
وانتصب لمجابهة تيامت
[لكي تهـ] ـدأ نفسُها
وينفرج قلبُها.
[وإذا ما] رَفَضَتْ
سماع كلماتك،
[استعذ] برقية [. . . .]
سوف تسكّنها!»
بعد أن [سمـ] ـع (آنو)
ما وجّهه إليه أبوه أنشار،
[اتخـ] ـذ [طر] يقه نحوَها،
نحوَ (تيامت) وجَّهَ خطاه.
[ذهـ] ـب آنو:
ولكنه عندما اكتشف مخططات تيامت
[تملكه الخوف (؟) . . .]
وقفل راجعاً.
[ولدى عودته لمقابلة]
أنشار أبوه ومولِّده،
[إنه . . . . . .]
ووجّه كلامه إليه:
[« . . . .]
[كانت لها الغلبة (؟)] عليّ!».

نقص في اللوحة، يقدر بحوالى عشرة أسطر، والترقيم الذي تمّ تبنّيه أدناه هو اصطلاحي محض جعل استئناف النص يبدأ اعتباراً من السطر ١٠٦.

106؟ إنها . . . يدها
ووضعتها علي!»
كان أنشار مأخوذاً
ينظر إلى الأرض.
ويَهزّ رأسه
كان يوجّه إشارات لإيا.
ولما كان الإيجيجي[1] حاضرين جميعهم
مع الآنونا [كي] هذا المجلس العمومي:
110؟ كانت شفاههم مغلقة
وظلّوا صامتين.
لا أحد من الآلهة
عمد إلى التقدم . . .
ولا الخروج . . .
لمجابهة تيامت
وأبو الآلهة ـ العظام
أنشار [كان . . .

مشجعاً من قبل والده إيا، الإلّه مردوك يعرض نفسه للمجابهة

عند ذلك، نادى إيا الخَفِيّ
والحامي للجميع (؟)
115؟ وليّ العهد الكلي ـ القدرة،
المنتقم لآبائه،
مردوك البطل
المتعطش للقتال،

(١) (Igiggı) هم مع الأنوناكي (Anunnaki) مجموع آلهة ما فوق وما تحت.

ناداه إيا

حيث كان (في صفٍّ) خلفي[١]

شارحاً له

الخطة التي تصورها في قلبه:

«أي مردوك،

استمع إلى نصيحة والدك،

أنت يا ولدي

الذي تُفرج[٢] نفسي!

تقدم نحو أنشار

مقترباً منه كثيراً و [أما] مه

[أعـ] ـلن عن نفسك، وأنت واقف:

وسوف يرتاح لرؤيتك!»

ابتهج الإلّه (مردوك)

لكلمات أبيه

وباقترابه

وقف مقابل أنشار.

رآه أنشار،

فامتلأ قلبه ارتياحاً.

[قـ] ـبّل (مردوك) شفتيه

وبدّد قلقه (قائلاً):

«يا [أبـ] ـتي لا تغلق شفتيك

بل اجعلهما تنفتحان:

[أريد الذ] هاب

(١) في مجمع الآلهة كان مردوك بالنسبة لسنّه يقف أو يجلس في الصفوف الخلفية.

(٢) التعبير الأكادي المستعمل يعني حرفياً «تمدد» نفسي.

لتحقيق كل ما ترغب!
أي ذَكرٍ قام حتى الآن
بخوض القتال من أجلك؟»
(أنشار) ـ «يا ولدي، تيامت الأنثى[1]
سوف تتقدم نحوك بأسلحتها!»
(مردوك) ـ [«أي أبي] ومولِّدي
إبتهج وتهلّل:
قريباً سوف تدوس شخصياً برجليك
[رقبة] تيامت!
[أي أنشار أبي] ومولدي
ابتهج وتهلّل:
سريعاً سوف تدوس شخصياً برجليك
[رقبة] تيامت!»
(أنشار) ـ «[إذهب] إذن يا ولدي
التامّ الحكمة
اجعل [تيا] مت تهدأ
بواسطة سحرك الرفيع!
قُدْ بأقصى سرعة
[عربة الحر] ب ذات العواصف!
ولكن إذا لم ترضخ (؟) بعد [الهجوم]
عُدْ على عقبيك!»

مردوك يطالب بسلطات مطلقة

فَرِحَ الإلّه السيد

(١) تبدأ هنا بالاتضاح معالم المعركة بين الذكورة والأنوثة أي بين النظام الأبوي ونظام الأمومة الذي كان بيد تيامت.

لسماع خطاب أبيه
وبقلب تملؤه البهجة
أعلن لهذا الأخير:
«أي [سـ] سيد الآلهة
الذي يقرر مصير الآلهة ـ العظام،
إذا كان عليّ أنا
الانتقام لكم:
والإطاحة بتيامت
لإنقاذكم
اعقدوا مجلساً
وامنحوني سلطةً فائقة!
في قاعة ـ اتخاذ ـ القرارات
اجتمعوا بكاملكم مسرعين
وأقروا في مكان ـ اجتماعكم، بكلمة واحدةٍ منكم،
أن أفوّض بتقرير المصائر:
وأن لا يُبدّل أي شيء
في ما سوف أنظّمه بنفسي
وأن يبقى كل قرار صادر عن شفتيّ
دون معارضةٍ، وغير قابل للنقض!».

اللوحة الثالثة

مجمع الآلهة يقرر

عند ذلك، فتح
أنشار فمه
موجِّهاً هذه الكلمات
إلى كاكا[1] حاجبـ[ـه]:
«كاكا يا حاجبي
الذي يُرضي قلبي،
نحو جميع لحمو ولحامو[2]
أريد إيفادك
أنت الذي يتقن محاكمة الأمور
والذي هو قادر على الخطابة!
إعملْ لكي تُحضِرَ أمامي
الآلهة آبائي

---

(١) (Kaka) اسم حاجب أنشار.

(٢) (Lahmu) و (Lahamu) يمثلان هنا مجموعة آلهة قدماء يعتبرهم أنشار كآباء له بمعنى الآلهة الأقدم منه وليسوا آباء له بشكل مباشر، يتضح ذلك من الأسطر (١٠ ـ ١٢) من اللوحة الأولى.

ولْيُؤْتَ إليّ إذن
بالآلهة بكاملهم،
لعقد مؤتمر (عام)
واتخاذ أماكنهم في الوليمة
آكلين خبزهم
وشاربين جعتهم
ولإقرار مصير مردوك
المنتقم لهم!
إذهب يا كاكا
وأمامهم واقفاً
كرر لهم
[كل] ما أقوله لك هنا:
«ابنكم أنشار
أوفدني
لأعرض عليكم بالتفصيل
[ما أملاه عليه] قلبه:
مولّدتنا تيامت
وجهت نحونا حقدها.
عندما عقدت مجلسها
أزبدت غضباً
والآلهة جميعهم
أحاطوا بها
وحتى الآلهة الذين صنعتموهم
انحازوا لجهتها.
وهم ملتفون في دائرةٍ
حول تيامت

غاضبون ومتآمرون دون كلل،
ليلَ نهار
يحمّس للقتال بعضُهم بعضاً
يضربون الأرض بأرجلهم وهم مهتاجون.
عقدوا مجلساً
بقصد إعداد الحرب.
والأم ـ الهوَر
التي شكّلت كل شيء
أعدت لنفسها أسلحةً لا تقاوم:
إذ ولّدت تنّينات عملاقة[١]
ذات أسنان [حا] دّة
وأنياب لا ترحم،
ملأت أجسادَها
بالسُمّ عوضاً عن الدم،
(كما ولّدت) حيّات شرسة[٢]
ألبستها ثوب الرعب
وحمّلتها بالتألق الخارق للطبيعة
مما جعلها مثيلة الآلهة:
«من يرها
تنهار قواه!
وبمجرد دفعها للانقضاض (قالت)
فإنها لا تتراجع قط!»
كما فتّقت أيضاً وحوشاً مائية

(١) نكرّر هنا كما سبق ملاحظته أن تيامت تولّد وتخلق بمفردها دونما حاجة لأبسو، قرينها السابق، الكائنات الرهيبة والمخيفة...

وتنّينات ـ هائلة ومسوخاً بحرية
وكذلك أسوداً ـ جبارة
وكلاب حراسة هائجة وبشراً ـ عقارب
ومسوخاً هجومية
وبشراً ـ أسماكاً وثيراناً وحشية ـ ضخمة:
جميعهم شاهرون أسلحةً لا ترحم، (وهم)
لا يعرفون الخوف في المعارك.
لا حدّ لما خُوِّلوه من قدرات
ومقاومتهم غير ممكنة!
هكذا حقاً صنعت
هؤلاء الأحد عشر
ثم بعد ذلك وفي وسط الآلهة أبنائها،
الذين عَقدوا مجلسهم معها
رفعت من قدر كينغو[١]
مانحةً إياه، أعلى مرتبة بينهم:
(وهي) السير على رأس الجيش
وإدارة مجلس ـ الحرب
(وكذلك) إصدار الأوامر للالتحام
وقيادة المعركة
والسلطة التامة
على المحاربين:
كل ذلك سلّمته إياه
وأجلسته على كرسي ـ الشرف
(قائلة): لقد لفظت من أجلك العبارة (السحرية)

(١) (Quingu) الشخصية التي سلمتها تيامت القيادة والسلطة.

وجعلتك على رأس مجمع الآلهة،
مَنَحتُكَ
الإمارة عليهم جميعاً!
كن إذن الأعظم بينهم،
وكن قريني الوحيد!
وليشد باسمك
أمام جميع الأنونّاكي!»[١]
ثم سلمته لوحة ـ الأقدار
التي ثبتتها على صدره (معلنةً):
لتكن أوامرك غير قابلة للرد
ولتتحقق [كلمتك]!»
هكذا تمّ إعلاء شأن كينغو
ووُضِعت بيده السلطة العليا
ومن أجل الآلهة أبنائها
[قررت لهم (تيامت)] هذا المصـ[ـير]:
بمجرد أن تَفْتَحوا أفواهكم
تطفئون النار!
وليتمكن سمّكم المكثّف
من التَغلّب على الظلم!».
أرسلتُ آنو
ولكنه لم يتمكن من الصمود أمامها
ونوديمّود، مرعوباً
عاد على عقبيه!
عند ذلك تقدم مردك

(١) (Anunnaki).

حكيم الآلهة، ابنكم:
دفعته بسالته
للذهاب لمجابهة تيامت.
إلا أنّه وبشكل صريح
أعْلَنَ لي شخصياً:
«إذا كان عليّ أنا
الانتقام لكم
والإطاحة بتيامت
لإنقاذكم،
اعقدوا مجلساً
وامنحوني سلطة فائقة!
في قاعة ـ اتخاذ ـ القرارات
اجتمعوا بكاملكم مسرعين
وأقروا في مكان ـ اجتماعكم، بكلمة واحدة منكم،
أن أُفوّض بتقرير المصائر:
وأن لا يبدّل أي شيء
في ما سوف أُنظّمه بنفسي
وأن يبقى كل قرار صادر عن شفتيّ
دون معارضةٍ، وغير قابل للنقض!»
أَسرِعوا إذن بالمجيء
لكي تُصْدروا لهُ، دون تأخيرٍ، قراركم
حَتّى يتوجّه للقاء
عدوتكم الشَرسة!»
ذهب كاكا
موجهاً خطاه
نحو اللحمو واللحامو

الآلهة آبائه
سجد أمامهم
وقبّل الأرض،
ثم انتصب
ووقوفاً توجه إليهم (قائلاً):
«ابنكم أنشار
أوفدني
لأعرض عليكم بالتفصيل
ما أملاه عليه قلبه
مولدتنا تيامت
وجهت نحونا حقدها.
عندما عقدت مجلسها
أزبدت غضباً،
والآلهة جميعهم
أحاطوا بها
وحتى الآلهة الذين صنعتموهم
انحازوا إليها!
وهم ملتفون في دائرةٍ
حول تيامت
غاضبون ومتآمرون دون كلل،
ليلَ نهار
يحمّس للقتال بعضُهم بعضاً
يضربون الأرض بأرجلهم وهم مهتاجون.
عقدوا مجلساً
بقصد إعداد الحرب.
والأم ـ الهوَر

التي شكّلت كل شيء
أعدت لنفسها أسلحةً لا تقاوم:
إذ ولّدت تنّينات عملاقة
ذات أسنان [حا] دّة
وأنياب لا ترحم،
ملأت أجسادَها
بالسُمّ عوضاً عن الدم،
(كما ولّدت) حيّات شرسة
ألبستها ثوب الرعب
وحمّلتها بالتألق الخارق للطبيعة
مما جعلها مثيلة الآلهة
«من يرها
تنهار قواه!
وبمجرد دفعها للانقضاض (قالت)
فإنها لا تتراجع قط!»
كما فتّقت أيضاً وحوشاً مائية
وتنّينات ـ هائلة ومسوخاً بحرية
وكذلك أسوداً ـ جبارة
وكلاب حراسة هائجة وبشراً ـ عقارب
ومسوخاً هجومية
وبشراً ـ أسماكاً وثيراناً وحشية ـ ضخمة:
جميعهم شاهرون أسلحةً لا ترحم، (وهم)
لا يعرفون الخوف في المعارك.
لا حدّ لما خُوّلوه من قدرات

ومقاومتهم غير ممكنة!
هكذا حقّاً صنعت
هؤلاء الأحد عشر
ثم بعد ذلك وفي وسط الآلهة أبنائها،
الذين عَقدوا مجلسهم معها
رفعت من قدر كينغو(١)
مانحةً إياه، أعلى مرتبة بينهم:
(وهي) السير على رأس الجيش
وإدارة مجلس ـ الحرب
(وكذلك) إصدار الأوامر للالتحام
وقيادة المعركة
والسلطة التامة
على المحاربين:
كل ذلك سلّمته إياه
وأجلسته على كرسي ـ الشرف
(قائلة): لقد لفظت من أجلك العبارة (السحرية)
وجعلتك على رأس مجمع الآلهة،
مَنَحتُكَ
الإمارة عليهم جميعاً!
كن إذن الأعظم بينهم،
وكن قريني الوحيد!
وليشد باسمك
أمام جميع الأنوناكي!»(٢)
ثم سلمته لوحة ـ الأقدار

---

(١) (Quingu) الشخصية التي سلمتها تيامت القيادة والسلطة.
(٢) (Anunnaki).

التي ثبتتها على صدره (معلنةً):
لتكن أوامرك غير قابلة للرد
ولتتحقق [كلمتك] !»
هكذا تمّ إعلاء شأن كينغو
ووُضِعت بيده السلطة العليا
ومن أجل الآلهة أبنائها
[قررت لهم (تيامت)] هذا المصـ[ـير]:
بمجرد أن تفتحوا أفواهكم
تطفئون النار!
وليتمكن سمّكم المكثف
من التّغلب على الظلم!».
أرسلتُ آنو
ولكنه لم يتمكن من الصمود أمامها
ونوديمّود، مرعوباً
عاد على عقبيه!
عند ذلك تقدم مردوك
حكيم الآلهة، ابنكم:
دفعته بسالته
للذهاب لمجابهة تيامت.
إلاّ أنه وبشكل صريح
أعْلَنَ لي شخصياً:
«إذا كان عليّ أنا
الانتقام لكم
والإطاحة بتيامت
لإنقاذكم،
اعقدوا مجلساً،

وامنحوني سلطةً فائقة!
في قاعة ـ اتخاذ ـ القرارات
اجتمعوا بكاملكم مسرعين
وأقروا في مكان ـ اجتماعكم، بكلمة واحدة منكم،
أن أُفوّض بتقرير المصائر:
وأن لا يبدّل أي شيء
في ما سوف أُنظّمه بنفسي
وأن يبقى كل قرار صادر عن شفتيّ
دون معارضةٍ، وغير قابل للنّقض!»
أسرعوا إذن بالمجيء
لكي تُصدروا له، دون تأخير قراركم
حتى يتوجه للقاء
عدوتكم الشرسة!»
لدى [سما]ع لحمو ولحامو[1] ذلك،
أطلقا صراخاً عالياً
وجميع الإيجيجي
تساءلوا بمرارة متعجبين:
أي عمل عدائي ارتكبنا
لكي تتخذ ضدنا مثل هذا القرار؟
نحن نجهل من جهتنا
مؤامرة تيامت!»
ركضوا (لتوّهم) وبدون نظام
ليكونوا قُرْبَ أنشار
جميع الآلهة ـ العظام

(١) لحمو ولحامو هما هنا على ما يظهر على رأس مجمع الآلهة الإيجيجي.

الذين يقرون [المصائر]،
حين وصلوا أمام أنشار
ملأتهم [البهجة]
وتعانقوا فيما بينهم (للتحية)
وفي مؤتمرهم [العام (؟)]
عقدوا اجتماعهم (للتداول)
واتخذوا أماكنهم في الوليمة:
أكلوا خبزهم
وشربوا جعـ [ـتهم]:
135 وبالشراب ـ العذب ـ المثمل
ملأوا مصاصات ـ شربهم.
وهم يرتشفون هكذا شرابهم ـ المسكر،
كانوا يشعرون بارتخاء أجسادهم؛
وبدون أي همّ شاغل،
كانت نفوسهم جذلة،
138 وهكذا قرروا المصير
لمردوك المنتقم لهم

اللوحة الرابعة

مردوك يُمنح جميع الصلاحيات

أقاموا من أجله
المنصة ـ الملكية.
ومقابل آبائه،
استقر عليها كمليك.
«وحدك، (أعلنوا أمامه) أنت الأسمى
بين الآلهة ـ العظام
قدرك لا مثيل له
وسائدة أوامرك!
أي مردوك! وحدك أنت الأسمى
بين الآلهة ـ العظام
قدرك لا مثيل له،
وسائدة أوامرك!
من الآن فصاعداً
لا مردّ لقراراتك!
تَرفع وتخفض (شأن من تشاء)،

سوف يكون ذلك طوع إرادتك
والكلمة التي تخرج من فمك ستتحقق،
ولن تكون قط أوامرك مضلِّلة!
لا أحد، بين الآلهة
سيتجاوز الحدود التي تضعها!
وبما أن أماكن ـ إقامة ـ طقوسنا
تحتاج إلى قيّم،
سوف يكون لك مكانك الخاص
في جميع هياكلنا!
أي مردوك، أنت وحدك
أنت المنتقم لنا،
نخصّك بالسيادة
على كامل الكون!
سوف تكون كلمتك هي النافذة
عندما تعقد مجالس مجمع (الآلهة)،
وأسلحتك بلا ريب
سوف تمزّق أعداءك!
أيها الإلّه السيد، أنقذ حياة
من لجأوا إليك.
وكل من ضمر الشر
أهرِقْ دمه!»
وبعد أن أحدثوا في وسطهم
كوكبة وحيدة[١]،

(١) يتعمد النص أن تكون الكوكبة وحيدة، لاختبار قدرة مردوك ولأنه هو الذي فيما بعد سوف يحدث وينظم سير «مصابيح السماء».

وجهوا هذه الكلمات
إلى مردوك ابنهم:
«إذا كان قدرك أيها الإلّه
يوازن حقاً قدر بقية الآلهة،
أصدر أمرك لكي يتحقق
اختفاءٌ ثمّ ظهورٌا
بكلمة من فمك
فلتختفِ هذه الكوكبة
وبأمر آخر فلتعد
للظهور ـ كاملةً!»
بكلمة منه أمر (مردوك)
فاختفت الكوكبة،
ثم أصدر أمراً جديداً
فأعيد تشكيل الكوكبة!
عندما تعرّف الآلهة آباؤه
على تأثير ما يصدر عن فمه
حيّوهُ بفرحٍ (معلنين):
«مردوك وحده، هو الملك!»
وسلّموه بعد ذلك
الصولجان والعرش وعصا ـ الملكية.
ثم منحوه السلاح ـ الذي ـ لا يضاهى
والذي يطرح ـ الأعداء ـ أرضاً:
«إذهب إذن
واقطع عنق تيامت
ولتحمل الرياح

دَمَها إلى مكان السر!»[١]
بعد أن حددوا هكذا، للإله مصيره،
وَضعَهُ الآلهة آباؤه
على طريق
النجاح والنصر

مردوك يستعد للقتال

أعد (مردوك) لنفسه قوساً
وعيّنها سلاحاً له.
صَلَّ عليها سهماً
وشدّ من وترها.
ولكي يشهر كتلة ـ سلاحه[٢]
قبض عليها بيمينه.
علّق على جنبه
القوس والجعبة
كما حمّل بالبروق
وجهه
وكسا جسده
بشعَلٍ ملتظية.
ثم صنع شبكةً
لكي يأسر فيها تيامت.
وجمع الرياح الأربع
لكي لا يفلت منها أي شيء ـ:

---

(١) مكان السر، هو المكان الذي لا يعرفه إلا صاحبه حيث يتم إخفاء دم العدو منعاً لعودته إلى الحياة وسوف يرد هذا التعبير فيما بعد بصدد جناح الطائر أنزو الذي اغتصب السلطة (انظر النص رقم (٦٢)).

(٢) عبارة عن هراوة تتألف من قبضة وكتلة متعددة الرؤوس.

ريح ـ الجنوب وريح ـ الشمال
ريح ـ الشرق وريح ـ الغرب
وعلّق هذه الشبكة إلى جانبه:
وبالهديّة من جدّه آنو[١]
صنع مرّةً أخرى ريحاً خبيثة
وعواصف دوّامية
وريحاً ـ رباعية القوة وريحاً ـ سباعيتها
وريحاً جائحة وريحاً لا تقاوم،
وعندما أطلق عنان هذه الرياح
السبع التي شكّلها
هبّت جميعها لمواكبته
لكي تَقْلبَ تيامت من الداخل.
ثمّ شهر الإله.
سلاحه ـ الأعظم «الطوفان»،
وركب العربة المرعبة
«الزوبعة التي لا تُقَاوَم»
مُسرِجاً، مجموعة جر رباعية،
أعدّها لها (وهي):
«القاتل» والـ «بلا رحمة»
و «العذو السريع» و «الطيّار»
فاغرة فكوكها
ومحمّلة بالسم أسنانها
مدرّبة على الدوس
ولا تعرف التعب

(١) ورد ذكر الهدية في السطر ١٠٥ من اللوحة الأولى.

(المساعدون الذين اعتمدهم لمؤازرته: على يمينه،
«المرهِب ـ عند ـ الالتحام» و «القتال»
وعلى يساره: «المعركة ـ التي ـ
تطيح ـ أرضاً ـ بالطوابير»[1].
ومرتدياً فوق لباسه
دِزعَ الرعْب
يكسو رأسَه
بريقٌ رهيب خارق ـ للطبيعة
ومتوجّهاً نحو الأمام
باشر الإلّه (مردوك) طريقه.
توقف حيث
كانت تيامت الهائجة.
وكانت على شفتيه
تعويذة سحر.
وقبضته مغلقة
على عشبة ـ إطفاء ـ السم.
ومع ذلك فالآلهة كانوا يحومون حوله،
كانوا يحومون حوله ـ
الآلهة آباؤه كانوا يحومون حوله
الآلهة كانوا يحومون حوله.

وصف المعركة

عند ذلك اقترب الإلّه
ودرس نوايا تيامت

---

(١) تقليد حافظت عليه بلاد اليونان القديمة حيث كان يرافق المحارب في عربته مساعدون ثلاثة، اثنان إلى يمينه وواحد إلى يساره.

وكينغو قرينها
محاولاً كشف خططهما.
ولكن لدى اقترابه منهما
اضطرب تفكيره
وتشتتت إرادته
وارتبكت قدرته ـ على ـ التصرّف
كذلك الآلهة حلفاؤه
وأنصاره
حين شهدوا (وَضْعَ) بطلهم وزعيمهم
تشوشت عقولهم
مما جعل تيامت العنيدة
توجّه إليه سحرها
ومن شفاه هذا الكائن ـ البدائي
تردّدت نحوه أكاذيبها (قائلةً):
«[. . .] ومع أنك (؟) لهم (؟) سيد،
فالآلهة سوف ينقلبون ضدك (؟) أنت!
هل لمصلحتك أم لمصلحتهم
قد اجتمعوا من حولك؟»
ولكن الإلّه (مردوك)، حين شهر
«طوفان» سلاحه، الأعظم
وجّه إنذاره هذا
إلى تيامت، التي كانت ـ تتعمّد ـ اللطافة:
«لماذا أنت تتسترين بسيماء ـ الطيبة
في الظاهر،
بينما قلبكِ يضمر
خوض المعركة؟

بسبب أخطائك أنتِ، فرّ أبناؤكِ
واستهزأوا بآبائهم
وأنتِ مولّدتهم
تنبذين كل رحمة!
لقد سميتِ لنفسكِ كينغو
ليكون قريناً لكِ؛
وأجلسته دون حقٍ
على المنصة ـ السامية!
وإلى أنشار، ملك الآلهة الحقيقي
تحاولين الإساءة
وقد أثبتٌّ أذيّتكِ
للآلهة آبائي!
فليتأهب جيشكِ وأعوانك
وليتقلّدوا أسلحتهم
وتعالي ـ للقائي
لكي نتشابك أنا وأنت!»
سمعت ذلك
تيامت
فجنّ غضبها
وفقدَتْ عقلها
وأخذت تصرخ،
هائجةً وبأقصى قدرتها:
ومن أسفلها إلى أعلاها، ومن كل جهةٍ
بدأت تهتزّ أطرافها
وكانت تتمتم تعويذاتها
ولا تتوقف عن استجلاب الأذى بسحرها،

بينما الآلهة المحاربون (أغوانها).
كانوا يشحذون أسلحتهم بأنفسهم.
وعندما تقاربا،
فإن تيامت ومردوك حكيم الآلهة،
تقابلا وتشابكا
وتوصّلا إلى الالتحام!
ولكن الإله، قام بنشر شبكته
وأحاط بها (تيامت)
ثم أفلت ضدها الريح ـ الخبيثة
التي كانت تحرس مؤخرته
وعندما فتحت تيامت
فمها لابتلاعه،
أقحم فيه الريح ـ الخبيثة
فمنعها ـ من ـ إغلاق شفتيها[١]
وعند ذلك هبّت كل الرياح الثائرة
فملأت جَوْفها
بحيث أصبح جسدها منتفخاً
وفمها فاغراً[١]
أطلق عند ذلك سهمه
فمزّق به جوفها.
ثم شق جسدها من منتصفه
وفتح لها بطنها

(١) مما يحول دون تلفّظها بتعويذاتها السحرية ويجرّدها من قوة تأثير الكلمة.

انتصار مردوك

هكذا انتصر مردوك على (تيامت)
مبيداً حياتها
ثم رمى بجثتها أرضاً[١]
وانتصب فوقها.
وعندما قام القائد
بالقضاء على تيامت
تفككت فرقها
وتشتتت أركان حربها
بينما الآلهة حُلفاؤها
ونصراؤها
خائفين ومرتجفين
كرّوا متراجعين.
وولّوا أدبارهم
لإنقاذ حياتهم،
ولكنهم كانوا مُطوَّقين من ـ كل ـ جانب
دون إمكانية الفرار:
أحاط بهم (مردوك) عند ذلك،
وحطّم أسلحتهم.
وهم مرميون تحيط بهم الشبكة،
غير قادرين على الحركة وهم في فخّهم
محشورون جانباً
يملؤهم الأنين،
نالوا عقابهم

(١) بمعنى أرض المعركة وليست أرضنا التي لم تكن قد كوّنت بعد.

إذ طُرحوا في السجن.
أما المخلوقات الأحد عشر
التي يحيط بها الرعب،
الحاشية البغيضة،
فأفرادها الذين رافقوها جميعهم
وضع لهم أزمّةً ـ في ـ أنوفهم
وقيّد سواعدهم:
وعلى الرغم من عدوانيتهم
فقد داسهم برجليه
وأخيراً، فإن كينغو
الذي كان رُقّي من بينهم جميعاً
فأطاح به
وجعل منه «إلّهاً ـ محكوماً ـ بالموت»
نزع عنه لوحة ـ الأقدار
التي لم تكن تلائمه
وبعد أن طبع عليها ختمه
علّقها على صدره.
وبعد أن جمّد حركتهم، وأطاح
بهؤلاء الأشرار
وبعد أن جعل خصومه المتصلّفين
يَحْنون (؟) رؤوسهم
وبعد أن حقق بشكلٍ كامل
نصر أنشار[١] علّى أعدائه
وبعد أن حقق مردوك البطل
رغبة نوديمّود[٢]

(١) (Anshar) سيد آلهة البدء وجدّ مردوك.
(٢) (Nudimmud) لقب الإلّه إيا والد مردوك.

وحين أصبحت سيطرته على
الآلهة المغلوبين وثيقة،
عاد في نهاية الأمر
إلى تيامت التي أطاح بها.
فصعد الإله عند ذلك
على القسم السفلي من تيامت،
وبكتلة ـ سلاحه التي لا ترحم
شدخ جمجمتها
ثم قطع
مجاري دمها
وجعل ريح ـ الشمال
تحمله إلى السر![1]
وعندما شاهد ذلك آباؤه
هلّلوا وابتهجوا
ومن تلقاء أنفسهم، أمروا أن تحمل إليه
التقدمات والهدايا.

مردوك يباشر التكوين وينظّم الكون

وبارتياح، عمد الإله
إلى التأمل في جثة تيامت
كان ينوي تقطيع (هذا) الجسم الهائل[2]
ليصنع منه العجائب،

(١) للحيلولة دون إعادة إحيائها.

(٢) بعد القضاء على تيامت فإنها مثل أبسو (اللوحة الأولى: السطر ٧١ وما بعد)، تتحول إلى مادة السماء. وكما أشاد إيا على أبسو مقره، كذلك مردوك سوف يشيّد على تيامت، على نصفها المشكل كقبة للسماء معبد الإيشارّا.

فشطره إلى نصفين،
مثل سمكةٍ يُقصد تجفيفها،
وتناول نصفها
وقَنْطَرَهُ وجعل منه شكل سماء.
(ثمّ) بسط جلده
ووضع عليه حُرّاساً
عينّ لهم مهمّة
منع تدفق المياه،
اجتاز السماء بعد ذلك
ودرس أماكن قاعات ـ الاحتفالات
لكي يقيم فيها نسخة مطابقة للأبسو
مقر نوديمّود[١]
وبعد أن قاس الإلّه (مردوك) أبعاد
مخطط الأبسو
أشاد على غراره
معبد الإيشارّا[٢] الكبير
ومعبد الإيشارّا الكبير
الذي أشاده هكذا، هو السماء!
التي جعل آنو وإنليل وإيا[٣]
يشغلون فيها أماكنهم

---

(١) (Nudimmud) لقب الإلّه إيا ومعناه المختص بالخلق والصنع.
(٢) (E. sharra) ومعناه بيت ـ الكون.
(٣) هذه هي المرة الأولى هنا التي يذكر فيها الإلّه إنليل (Enlil) ويلتقي هنا مؤلّف أو مؤلفو الـ (إ. إ) مع ثالوث الآلهة الذين تعرّفنا إليهم في قصص التكوين السابقة (الفقرة ١ ـ ٢ من الفصل الأول) والتي يعرفها جيداً مبتدع هذه القصيدة.

اللوحة الخامسة

بعد إقامة السماء، مردوك يتابع تنظيم الكون

كما أعدّ فيها[1] منازل
الآلهة ـ العظام؛
ثمّ أحدث في مجموعات كوكبية
النجوم التي هي صور لهم؛
عينّ السنة
ورسم لها إطارها؛
ومن أجل الأشهر الاثني عشر
أحدَثَ لكل منها ثلاث نجوم.
وعندما أنهى بالنسبة لتتمة السنة
رَسْمَ مخططها على هذا الشكل،
عمد إلى تثبيت المحطة القطبية(؟)
بقصد تعيين تماسك (؟) الكواكب
ولكي يحول دون تمكين أيٍ منها من ارتكاب
خطأ أو إهمالٍ في مسارها

(١) أي السماء.

أقام بجوار المسمّاة بالقطبية (؟)
منزلَيْ إنليل وإيا.
وإذ فتح بعد ذلك من جهتي
السماء بوّابات ـ كبيرة
زوّدها بمتاريس قويّة
إلى اليسار وإلى اليمين.
وفي موضع كبد تيامت
أحدَثَ المناطق ـ السماوية ـ العلوية.
ثمّ جعل نانّا (ـ القمر)[1] يظهر
وعهد إليه بالليل
الذي عيّن له الجوهرة الليلية
لتحديد الأيام:
«في كل شهر، (قال له) وبدون انقطاع
فليمضِ قرصك في مسيرته.
في الأول من الشهر
أضىء بنفسك فوق الأرض
ثم حافظ على قرْنيك اللامعين
للإشارة إلى الأيام الستة الأولى؛
وفي اليوم السابع،
يجب أن يكون قرصك في نصفه
وفي اليوم الخامس عشر، وفي كل منتصف ـ شهر
ضع نفسك في اقتران مع شمش[2]
وعندما يتوجه شمش

(١) (Nanna) هي التسمية السومرية للإلّه القمر، الذي هو سين (Sin) بالأكادية.
(٢) (Shamash) إلّه الشمس بالأكادية و (Utu) أوتو بالسومرية.

نحوك وهو في الأفق
وكما هو ملائم،
إنقص وتضاءل.
وفي يوم التعتيم
اقترب من مسار شمش
لكي تتمكن من جديد في اليوم الثلاثين
أن تدخل ـ في ـ اقتران معه
وباتباعك هذا المسار
عيّن المنذِرات:
إقترنا [......]
للتعريف بالأحكام التكهنية.
وليعمد شمش [......]
[...] الجرائم وأعمال السلب[1]
[..........]
[..........]
عندما [..........]
[..........]
[..........]
[..........]
شمـ [ـش ......]
[..........]
في [..........]
[..........]
وليد (؟) [........]

(١) مما بقي من السطر ٢٥ يمكن فهم دور شمش في السهر على العدالة.

[...........]
[...........]
[...........]
وألاّ يكون [.....]
[...........]
وليد (؟) [......]
[...........]
في [...........]
[...........]
كل يوم [.....]
[...........]
من [ـذ (؟) .....]
[...........]
[...........]
[...........]
[...........]
[...........]
السن [ـة .....]
[...........]
في رأس السن [ـة]
[...........]
السن [ـة .....]
[...........]
وليـ [...........]
[...........]
مزلاج المنفَـ [ـذ (؟) .....]

[. . . . .]
عندما يكون قد عـ [يّن]
اليومَ لشمش (؟)]
[وكلّف . . . .]
بحراسة الليل والنها [ر]،
[قام بتجميع (؟) . . .]
رُوال تيا [مت]
وبه شكّل مردوك [الغماه (؟)]
الذي كلّف به أدد (؟)[1]].
وبعد أن حوله سحا [باً]،
جعله عائماً (في السماء)[2].
(وكذلك) هبوب الرياح
و [سقو] ط زخّات (المطر)
ودخان الضباب،
وتراكم زبد ـ تيامت[3]،
هذا ما عيّنه (لأدد) شخصيّاً
وجعله يأخذ ذلك على عاتقه.
ثم بعد أن أعدّ رأس تيامت
كوّم فوقـ [ـه جبلاً]
وأخرج منه ينبوعاً
يرتعش (فيه) سيل (دائم).
وفتح في عينيها
دجلة والفرات.

(١) (Adad) أو حَدَد أو هدد إلّه الرعد والأمطار ومنه هدّت السماء أي أرعدت.
(٢) ﴿السحابُ المسخّر بين السماء والأرض﴾ (قرآن كريم: سورة البقرة).
(٣) أي الثلوج التي هي زبد ريال تيامت.

(كما) سدّ مِنخَريْها
اللذيْن خصصهما لِـ [. . .].
وعلى ضُروعها، كدّس
الجبا [ل] البعيدة،
وحفر فيها عيوناً
لكي تسيل مياهها في شلاّلات.
وأخيراً، قام بليّ ذيلها
وتوثيقه إلى «الكتلة ـ الشامخة»[1]
التي [. . . . .] من تحتها
الأبسو.
[كما أعدّ رذ] ف (؟) تيامت
لسند السماء
ثم سقّف [نصفها الآخر (؟)]
لتدعيم الأرض.
وبعد أن [أنهى] عمله على هذا الشكل
حقّق توازنه (؟) داخل تيامت؛
ثم نشر شبكته
ومدّها من كلّ جهة
لتشكّل بذلك [غلافاً] (؟)
للسماء والأرض
يؤمّن بشكل [تا] مّ (؟)
[. . .] ارتباطهما (؟)
ثمّ بعد ذلك خطّط لهما قواعد ـ حسن ـ السير

(١) أو «المرابط ـ الشامخ» والتعبير السومري ـ الأكادي، المستعمل هو (دور ـ ماخو) وقد يعني بالاعتماد على (ماخ) السومرية أي الشامخ، و (دور) السومرية أي الصلة أو الرباط، وهي البلاد المرتفعة حيث تلتقي السماء مع الأرض.

ونسّق أنظمة حركتهما:
وضع نظام السلطات ـ الموكلة إلى الآلهة
وكلّف به إيا[١]،
كما تناول [لوحة ـ الأقد] ار
التي صادرها من [كيـ] نغو
وحملها بغية تقديمها إلى آنو[٢]
كهدية أولى ـ للتأهيل ـ به
[وفي (؟) شبـ] ـكة المعركة
التي كان قد علّقها إلى جانبه،
إستجلب أمام [آبا] ئه
[آلهة عصابة] (تيامت)[٣]،
وكذلك جميع الكائنات الأحد عشر
التي هي صنيعتها والتي [. . .]:
إذْ ربطها عند رجليه
بعد أن حطّم [أسلـ] ـحتها.
وجعل منها صوراً[٤]
وضعها على [بوابات] الأبسو:
«(قائلاً) لكي يكون في ذلك ذكرى
يجب ألا تُنـ [ـسى] قط فيما بعدا».

---

(١) (Ea) ولقبه نوديمّود في هذه القصيدة أي المختص بالخلق والإنجاب والصنع هو والد مردوك.
(٢) آنو (Anu) الإلّه الذي خُصصت له السماء وهو والد إيا.
(٣) سوف يظهر مصير هذه المجموعة فيما بعد، انظر اللوحة السادسة: السطر ١٥٢ وما بعد واللوحة السابعة: السطر ٢٧ وما بعد و٥٣.
(٤) يذكّر ذلك بنقوش الحيوانات الأسطورية المصنوعة من الصلصال المزجج والتي تزيّن جانبي بوّابة عشتار في بابل.

مبايعة مردوك الأولى

عندما شاهد الآلهة (كل) هذا، ظهرت
عليهم [تلقا] ئياً علائم الفر [ح] والابتهاج
وبينهم لحمو ولحامو وآباؤه
جميعهم.
قبّله أنشار[١]
وحيّاه بأبهة مثل ملك (؟)،
[آ] نو، إنليل وإيا
غمروه (بدورهم) بالهدايا،
[و (؟)] دامكينا[٢] والدته
أطلقت ـ زغاريد ـ فرحٍ، أمامه:
[وبتمنيـ] ـاتها (؟) له بالسعادة
جعلت وجهه يتألّق.
وإلى الإلّه أو سمو[٣] الذي حمل إلى السر[٤]
هدايا أُمّه الترحيبية،
عهد إليه بإدارة الأبسو
لكي يقوم بمراقبة قاعات ـ الاحتفالات.
وعند ذلك سجد الإيجيجي [مجتمـ] ـعين،
(سجدوا) أمامه

---

(١) (Ansu.ai) هو الأب الأول في سلالة مردوك ويظهر من السطر ٧٠. أن آنو هو الذي مُنِح رئاسة مجلس الآلهة حين تلقى لوحة الأقدار هديةً من مردوك.

(٢) (Damkina) قرينة إيا ووالدة مردوك.

(٣) (Usmû) إلّه ثانوي أوكل إليه مردوك حمل هدايا والدته إلى السر وإدارة الأبسو.

(٤) هدايا الأم التي تحمل إلى السر، هل تعني أن السلطة التي منحتها الأم إلى ابنها مردوك، والتي ترمز إليها الهدايا، هي المرة الأخيرة التي يتلقى فيها إلّه سلطته من إلّهة ـ أم؟ ونذكر بأن دم تيامت في (٤ : ٣٢) حُمِل إلى السرّ وكذلك كان الأمر بالنسبة لجناح الطائر أنزو في النص رقم (٦٢).

وجميع [الأ] نوناكي
قبّلوا رجْليه:
وفي مؤتمرهم، قرروا [بالإ] جماع
السجود ووجوههم إلى الأرض.
(ثم) بعد أن انتصبوا [أمامه] (؟) انحنوا
قائلين: «هوذا مليكنا!».
[وبعد أن قام الآلهة (؟)] آباؤه
بالتمتّع حتى الارتواء من تألّقه،
[وكان مردوك، لا يزال (؟)] محمّلاً
بغبار المعركة
[. . . . .]
[. . . في (؟) الما] ء (؟):
ونعّم (؟) جسد [ه]
بدهونٍ من زيت السرو و [. . .][١]
[لبـ] ـس
[ردا] ءه الأميري
و [بريق] الملكية [الخا] رق للطبيعة،
وكذلك التاج الرهيب.
رفع كتلة ـ سلاحه[٢]
وثبتها بيمينه،
وأمسـ[ـك] [بيسـ] ـاره
[. . . . .]
[. . . . .]

(١) يذكّر الاغتسال وتدليك الجسد بالزيوت باستعدادات چلچامش لدخول المدينة بعد انتصاره على الثور السماوي.
(٢) انظر أعلاه (٤ : ٣٧): لوحة رابعة، سطر ٣٧.

[. . . . .]
وضع على [. . . .]
[. . . . .]
[. . . . .]
[. . . . .] أمام قدميه
كما أحكم على جنبه تثبيت
صولجان النجاح والفلاح.
وعندما [. . . تألّقه (؟) الخارق للطبيعة]،
[. . . . .]
وإشعا (عه؟) الرهيب
غمر الأبسو (الذي كان بمثابة) حصيرة له (؟)
وهو [مقيم مثـ] ـل
[. . . . .]
في قاعة العر [ش]
[. . . . .]
في قدس الأقداس
[. . . . .]
الآلهة جميعهم
[. . . . .]
لحمو و [لحا] مو
[. . . . .]
حين فتحوا أفواههم
أعلنـ [ـوا إلى (؟)] الإيجيجي:
«لم يكن مردوك في السابق
سوى ابننا الحبيب
ومن الآن فصاعداً، فهو ملككم.

أطيعوا (إذن) أوامره!»
وباستئنافهم الكلام
أعلنوا بالإجماع
«اسمه هو لوچال ـ ديمّر ـ آن ـ كي ـ آ[١].
إجعلوه أميناً عليكم!»
وبعد أن بايعوا مردوك
بالملكية على هذا الشكل
تلفّظوا أيضاً من أجله
عبارة السعادة والنجاح:
«بدءاً من هذا اليوم
كن القيم على أماكن ـ طقوسنا!
وسوف ننفذ
كل ما تأمرنا به!»

مردوك يعرض مشروعه لإنشاء بابل

بعد ذلك فتح مردوك فمه
وبدأ بالكلام
موجهاً هذا الخطاب
إلى الآلهة آبائه:
«فوق الأبسو
المقر الذي تشغلون؛
وكنسخةٍ عن الإيشارا[٢]

(١) (Lugal Dimmer. An. Ki A) بمعنى ملك آلهة ما هو فوق وما هو تحت ويشمل هنا جميع الآلهة، الإيجيجي والأنوناكي.

(٢) (E. Sharra) ورد في (٤ : ١١٤) ومعناه بيت ـ الكون الذي حافظ على تسميته السومرية وهو نسخة عن أبسو إيا أقامه مردوك في السماء.

الذي أقمته بنفسي من أجلكم،
ولكن في مكان أكثر انخفاضاً،
قمتُ بدعم أسسه
سوف أبني لنفسي معبداً
ليكون مقرّي المختار
لأنني في وسطه
سأقيم حَرَمي،
وأعيّن فيه أجنحة سكني
وفيه سوف أمارس ملكيتي.
وأنتم، عندما تغادرون الأبسو
للصعود، بغية حضور المجمع
سوف تكون لكم هنا مرحلة،
تمكّنني من استقبالكم جميعكم ـ معاً!
وكذلك عندما تغادرون السماء
نزولاً، بغية حضور [المجمع]
سوف تكون لكم هنا مرحلة
تمكنني من استقبال جميعكم ـ معاً!
وهذا المكان سوف أسميه «بابل»:
«معبد الآلهة ـ العظام»
وهنا، هنا
سوف نقيم أعيادنا (؟) [نحـ] ـن!»

خلق البشر

[والآلهة] آباؤه
لدى [سمـ] ـاعهم حديثه (هذا)
تقدّموا [من ولدهم مردوك]

[بهذا المـ] ـطلب (؟):
«على كل
ما صنعت يداك
من أكثر منك
يمتلك [السلطة] ؟ ـ
على هذه القاعدة
التي دعَّمَتْها يداك.
من أكثر منك
يمتلك [السلطة] ؟
في بابل
التي تلفّظت باسمها،
في هذا المكان بالذات، وإلى الأبد
أقمْ لنا [مقرّاً (؟)]:
حيث تُقدّم لنا [فيه]
مخصصاتنا اليومية
و [لكي] نـ [.....]
[..........]
ولكن ليقمْ آخر (غيرنا)
بإنجاز عملنا[١]،
وفي هذا المكان بالذات
[فليجعلنا نستفيدُ] من جهده!»
وبفرحٍ (عظيم) تقدّم
[مردوك بالإجابة التالية]،

(١) يتفق هذا الاتجاه مع قصة الطوفان التي سنقدّمها فيما بعد والتي تشير إلى اضطرار الآلهة أو طبقة منهم للعمل لتأمين احتياجاتهم وتمّ تحريرهم من سخرتهم بخلق البشر.

إلى الآلهة الذين [. . .]

[. . . . .]

والذين حَرّرهم

[بعد القضاء على تيامت.

فتح [عند ذلك فمه

ـ وكلمـ] ـته كانت مجيـ [ـدة! ـ]

و [. . . . .]

[قال] لهم:

«إنهم [. . . . . .]

الذين سوف يُعهد إليهم بمخصّصاتكم اليومية!»

(عند ذلك) وهم سجّد أمامه

تكلم الآلهة:

إلى «لوچال. ديمّر ـ آن ـ كي ـ آ»[1] سيّدهم

قالوا:

لم يكن الإلّه في السابق

سوى ابننا الحبـ [ـيب] !

ومن الآن فصاعداً فهو ملكنا

الحـ [ـكيم و . . . . .] !

وهو الذي برُقـ [ـيته] المقدّ [سة]

أعاد [لنا] الحيا [ة]،

وهو الذي يملك . . .]

[التألق] الخارق للطبيعة لكتلة ـ سلاحه وصولجانه]

(١) لقب مردوك، انظر ملاحظة السطر ١١٢ أعلاه.

فليقم [إيا الخبير بوسائل الصنع]
وبالفنو [ن كلّـ] ـها[١]،
بإعداد المخططا [ت . . (؟)]:
ونحن، [سوف نـ] ـفّذها!»

---

(١) الآلهة يعتبرون هنا حسب التقليد المعروف بالنسبة لشهرة الإلّه إيا الخبير بوسائل الصنع أنه هو القادر على إنجاز مهمة خلق من يحل محلهم بإنجاز عملهم (السطر ١٤١). إلا أنه يتضح فيما بعد، (اللوحة السادسة) أن مردوك هو صاحب المشروع ومصمّم المواد الأساسية وأن إيا هو المنفّذ.

اللوحة السادسة

لدى سماع مردوك
ما أعلنه الآلهة
دفعه قلبه
من جديد ليخلق العجائب!
ففتح عند ذلك فمه
متوجِّهاً لإيا[١]
وأحاطه علماً بالمشروع
الذي كان أنضجه في قلبه:
«سوف أعمد إلى تكثيف دمٍ[٢]
وتشكيل هيكل
وبذلك سوف أحدث نموذجاً ـ أولياً
سوف تطلق عليه تسمية «بشري»!
هذا النموذج ـ الأولي، هذا البشري
أريد خلقه

(١) (Ea) الإله المعروف بخبرته بجميع وسائل الصنع وبالفنون كلّها. انظر نهاية اللوحة الخامسة والملاحظة رقم (١).

(٢) الدم المكثف بمعنى الجسد (اللحم) وفق مفهوم تلك الفترة.

لكي تُفرضَ عليه سخرة الآلهة
ولكي يتوقّفوا هم عن العمل، للراحة.
ومن جديد،
أريد تحسين وجودهم،
ولو كانوا مقسومين إلى مجموعتين،
لكي يتم تبجيلهم بدرجة واحدة!»
وللاستجابة على هذه الرغبة
وجّه إليه إيا هذه الكلمات
مشتملةً على مشروعه[١]
من أجل إراحة الآلهة:
«ليُسلِّمَ إليّ (إذن)
أحد إخوتهم:
وهذا سوف يَهْلك
لكي يتم تشكيل البشر!
فليجتمع إذن،
الآلهة ـ العظام
لكي يتمّ تسليم المذنب
ولا ضَيْر بعد ذلك على الباقين!»
قام مردوك عند ذلك
بجمع الآلهة ـ العظام
وأمرهم برفقٍ
موجِّهاً إليهم تعليماته؛
وعندما فتح فمه للكلام
استمع إليه جميع الآلهة باحترام.

(١) المقصود هو خطّة إيا من أجل التنفيذ.

وجّه إذن الملك
هذه الكلمات إلى الأنوناكي:
«حتى الآن لم تتلفظوا قطّ،
وبكل تأكيد، إلا بكلمة الحق!
ولذلك، فعليكم مرةً أخرى،
ألا تقولوا سوى الحق!
من هو
الذي حَرّض على القتال
ودفع تيامت على الثورة
ونظّم المعركة؟
فليسلّم إليّ،
الذي حرّض على القتال
لكي يتلقى عقابه
ولكي تتوقفوا أنتم عن العمل!»
فأجابه الإيجيجي،
الآلهة ـ العظام
أجابوا (لوچال ـ ديمّر ـ آن ـ كي ـ آ)[١]،
ملك الآلهة وسيدهم:
«كينغو[٢] وحده
هو الذي حرّض على القتال
ودفع تيامت إلى الثورة
ونظّم المعركة!»
عند ذلك عُمد إلى تقييده

---

(١) (Lugal. Dimmer. An. Ki. A) لقب مردوك ومعناه: ملك آلهة ما هو فوق وما هو تحت ـ انظر السطر (١١١، لوحة ٥).

(٢) (Quingu) هو قرين تيامت بعد القضاء على أبسو وقائد المعركة.

وأُتِيَ به أمام إيا:
ومن ثمّ، ولكي يتلَقّى عقابه
تمت إسالة دمه.
وبدمه
أنتج إيا البشر(١)
فارضاً عليهم سخرات الآلهة
ومحرِّراً جميع هؤلاء.
بعد أن قام إيا ـ الحكيم
بإنتاج البشر
فرض عليهم
سخرات الآلهة
ـ كان ذلك إذن، عملاً رائعاً
يتجاوز الإدراك.
وإذا ما تمكن نوديمّود(٢) من تنفيذ عمله
فالفضل في ذلك يعود إلى موهبة مردوك(٣)
قام مردوك الملك (بعد ذلك)
بتوزيع الآلهة،
الأنونانكي بكاملهم
في السماء وعلى الأرض(٤)

(١) قصيدة الـ (إ. إ) تتبنّى هنا، ودون الدخول في التفاصيل نظرية خلق البشر المعروفة فيما بين النهرين وهي مزج الصلصال بدم إلّه.
(٢) (Nudimmud) لقب الإلّه إيا. ورد سابقاً ومعناه: المختص بالخلق ومهارة الصنع وهو هنا منفذ عملية الخلق وإنتاج البشر.
(٣) أراد الشاعر أن يؤكد هنا من جديد أن الفضل في عملية الخلق يعود لمردوك.
(٤) يتضح من النص أن الأنونّاكي وُزِّعوا وفق مجموعتين: نصفهم في السماء والنصف الآخر على الأرض التي تشمل الأبسو حيث تطفو الأرض وكذلك العالم السفلي. أما الإيجيجي (السطر ٢٧ أعلاه) فهم مجموعة الآلهة الذين كانوا مكلفين بأعمال السخرة وسوف يرد ذكرهم في السطر ٦٩ كمقيمين في السماء.

وجعلهم تحت سلطة آنو
لكي ينفّذوا تعليماته
ونصّب منهم حراساً
ثلاثمائة في السماء
وعدداً مماثلاً
للسهر على تنظيم عمل الأرض.
نصّب منهم إذن مجموع ستمائة،
بين السماء والأرض.
وبعد أن وزّع عليهم
كامل السلطات ـ المنتدبة
وبعد أن عيّن لأنوناكي السماء والأرض
اختصاصاتهم
هؤلاء الأنوناكي بالذات،
فتحوا فمهم
وتوجّهوا شخصياً
إلى مردوك، سيدهم:
«الآن، أيّها السيد (قالوا)،
وقد قررت تحريرنا
ما الذي يمكننا تقديمه لك
اعترافاً بجميلك؟

إقامة مدينة بابل تكريماً لمردوك

فلنبنِ إذنا معبدك[1]
الذي تَلَفّظتْ باسمه شفتاك،

---

(١) المقصود هو معبد الإيساج ـ إيل(E. Sag. Il) معبد مردوك في بابل الذي حافظ على تسميته السومرية ومعناه البيت الشامخ الرأس.

وأجنحة سكنك فيه سوف تكون لنا مرحلة
نأخذ خلالها قسطنا من الراحة!
فلنُقِمْ أسس هذا المعبد
حيث تكون لنا فيه أريكة
تمكّننا من الراحة
في كل مرة نحضر فيها إليك!»
لدى سماع مردوك
هذا (التصريح)،
تألّقت إلى أبعد حدّ، معالم وجهه
وأصبحت كالنهار ـ الساطع:
«أقيموا إذن بابل (قال لهم)
على اعتبار أنكم ترغبون بتأمين العمل!
ولتُعدّ إذن جدرانه الآجرية
لكي ترفعوا سقفه بعد ذلك!»
حفر الأنوناكي التربة
بفؤوسهم،
وخلال سنة كاملة
عمدوا إلى صبّ الآجر في قوالبه،
ثمّ، بدءاً
من السنة الثانية
رفعوا رأس الإيساج ـ إيل
وهو نسخة مطابقة للأبسو(١)
وبنوا كذلك

(١) (Apsu) هو مقر الإلّه إيا الذي أقامه لنفسه بعد قضائه على أبسو قرين تيامت الأول. ونحن نعلم من النصوص السومرية أن مقر أنكي في الأبسو هو قصر الإريدو (Eridu). وسوف يرد نصّ بناء هذا المقرّ في الكتاب الثالث تحت الرقم (٨٢).

البرج العالي ـ ذا ـ الطبقات لهذا الأبسو الجديد
حيث أعدوا فيه مسكناً
لكلٍ من آنو وإنليل وإيا.
عند ذلك شغل بكل وقار
مكانه أمام هؤلاء
ومنذ قاعدة الإيشارا[1]
كان يمكن تأمّل قمّته.
ولدى إنجاز
بناء الإيساج ـ إيل،
جميع الأنوناكي
أعدّوا فيه أماكن ـ عبادتهم:
ثلاثمائة إيجيجي من السماء وستمائة بما في ذلك آلهة الأبسو
اجتمعوا فيه بعددهم الكامل!
وفي المكان ـ الفائق ـ السمو الذي أقاموه
للإلّه مردوك كمقر له،
إلى وَليمته دعا
الآلهة آباءه.
«هذه هي بابل (قال لهم)
مسكنكم، ومقر لكم:
إمرحوا فيه
وتشبّعوا من بهجته!»
أخذ الآلهة ـ العظام
عندئذ أماكنهم

(١) (E. Shara) ومعناه بيت ـ الكون وهو المقر الذي أقامه مردوك كمثيل للأبسو في السماء، وكذلك سيكون (الإيساج ـ إيل) في بابل.

75 وضعوا أقداح شرابهم
وشاركوا في المأدبة.

مبايعة مردوك الرسمية وتنصيبه النهائي

بعد أن نفّذ الآلهة
نَغَمَ العيد
وفي الإيساچ ـ إيل المهيب
عمدوا إلى تقديم القرابين
وبعد أن تمّ تأكيد السلطات الموكلة إليهم
وكذلك جميع طقوسهم،
وبعد أن وزّع مردوك عليهم جميعاً
مراكز السماء والأرض،
80 أخذ الآلهة ـ العظام وعددهم
خمسون، أماكنهم
ونقلوا قراراتهم إلى آلهة تقرير ـ المصائر
وعددهم سبعة
عند ذلك عرض الإله (مردوك) قوسه
ووضع أمامهم هذا السلاح،
كما تأمل الآلهة، آباؤه
الشبكة التي صنعها
ولمسوا بإعجاب، كم كانت رائعة
بُنية القوس
85 وأشادوا بالأعمال المجيدة
التي حققتها!
وعندما رفع آنو[1] القوس

---

(١) (Anu) إلّه السماء وسيد مجمع الآلهة مع بقاء أبيه آنشار (Anshar) في مركز الشرف.

قبّلها
وأعلن أمام مجمع الآلهة:
نعم، هذا هو ولدي!»
وهذه هي الأسماء
التي أطلقها على القوس:
«الاسم الأول، سوف يكون «الخشب ـ الفَرْع»؛
والثاني هو: «المظفّر»
والاسم الثالث هو:
«كوكبة ـ القوس ـ المتألقة ـ في السماء»!»
ـ والتي عيّن لها موضعها
بين أخواتها الكوكبات ـ الإلّهية![1]
بعد أن عيّن آنو
مصير القوس
أقام عرشاً مَلَكياً
يفوق رفعةً عروش بقية الآلهة
وفي وسط مجمع الآلهة
أجلس آنو عليه مردوك:
وعمد الآلهة ـ العظام،
وبالإجماع،
إلى الإشادة بقدر مردوك
وسجدوا أمامه،
ثمّ تلفّظوا من تلقاء أنفسهم
بقسمٍ يُلعنُ الحانث به،
أقسموا بالماء والزيت

(١) المجموعات الكوكبية والسيارات كانت تعتبر صوراً ورموزاً للآلهة.

وأيديهم على رقابهم
طالبين أن
يمارس سيادته على الآلهة
معترفين له بالسلطة المطلقة
على آلهة السماء والأرض.

تمجيد مردوك الأول

وأضاف أنشار[١] إلى أسماء مردوك
اسم الـ «أَسَلُوحي»[٢]:
«عند التلفّظ بهذا الاسم، (قال لهم)،
فلنجعل إلى الأرض وجوهنا
وعندما يفتح (مردوك) فمه
فلتنصت إليه الآلهة باحترام
ولتكن أوامره نافذة
كما في السماء كذلك على الأرض![٣]
وليرفع إلى أقصى درجة قَدْر
ولدنا المنتقم لنا!
وليسد تفوقه
وليكن دون مثيل!
وليمارس رعاية
خلائقه ذوي الرؤوس ـ السوداء![٤]

---

(١) (Anshar) الجدّ الأول لمردوك.
(٢) اسم إلّه قديم لمدينة كوآر (Ku'ar) المجاورة لإريدو (Eridu) وهو موضع ولادة دوموزي الراعي وسوف يرد النص المشير إلى ذلك في الكتاب الرابع ـ والتفسير اللغوي لهذا اللقب أمكن إعادته إلى: أسار ـ ري ـ لو ـ حي ٢ أسارلوحي وخفّف إلى أسلوحي بمعنى مؤسس الزراعة وأعمال تحديد الأراضي.
(٣) حرفياً فيما هو فوق وما هو تحت.
(٤) لقب سكان ما بين النهرين.

من الآن فصاعداً ولكي لا ينسى قط
لتُتْلَ أخبار مآثره!
وليؤمّن لآبائه
تقدمات ـ غذائية وافرة!
وليمارس من أجلهم، مهمّة الموّن
وليأخذ على عاتقه أماكن ـ طقوسهم!
وليجعل طيب روائح تبخير المحارق يتصاعد!
وليسهر على (فاعلية) الرقى ـ التعويذية!
وليحقّق على الأرض
مثيل ما حقّقه في السماء!
وليعلّم ذوي الرؤوس ـ السوْداء
وسائل تبجيله!
وليجعل الشعوب
تهتم بآلهتها وتتضرّع إليها؛
وبكلمة منه،
ليعاملوا باحترام إلاهاتهم!
وليقدّموا إلى آلهتهم وإلاهاتهم
مخصصاتهم ـ الغذائية.
وألا ينْسوا
تقديمها لآلهتهم (الخاصة)[١]
وليعمموا النور في بلادهم
بإشادة أماكن عبادةٍ لهم!
وإذا ما كان ذوو الرؤوس ـ السوداء

(١) كان سكان ما بين النهرين يعتقدون أن لكل فرد إلهاً خاصاً أو شخصياً يتقرّب منه ليتوسط له أمام بقية الآلهة التي يقصدها وبقي هذا الاعتقاد في الملاك الحارس في الديانة المسيحية وفي ملائكة النصوص التوراتية وفي القرآن الكريم.

منقسمين بالنسبة لآلهتهم الخاصة،
أما نحن، فمهما عدّدنا أسماءه
فليكن هو إلّهنا الأوحَد!

أسماء مردوك: المجموعة الأولى

ولنعدّدْ إذن
أسماءَه الخمسين
لكي نظهر شخصيته المجيدة
وكذلك مجيد أعماله!
(١)[*] وقبل كل شيء: مردوك[١]، كما منذ ولادته
سمّاه أبوه آنو[٢]:
المزوّد بالمراعي وبمآخذ المياه،
الذي يجعل الزرائب تعجّ (بما فيها)
والذي غَلب بسلاحه:
«الطوفان» مثيري ـ الاضطرابات
وأنقذ من الخطر المحيق
بآبائه، الآلهة!
(٢) وكذلك مار ـ أوتو[٣]: الولد ـ شمس ـ الآلهة:
لأنه يتألّق
ولأنهم مغمورون بنوره الوهاج
وهم في ذهابٍ وإيابٍ أبدي!
وعلى البشر، خلائقه،

(*) سوف نشير إلى أسماء مردوك بأرقام هندية موضوعة بين قوسين بجوار المقاطع المشتملة على هذه الأسماء.

(١) سوف يرد تحليل المحتوى اللغوي لمردوك في الاسم الثاني.

(٢) آنو جدّ مردوك هو الذي يختار اسم حفيده.

(٣) مار بالأكادية بمعنى ابن، وأوتو (Utu) السومرية الإلّه الشمس.

الكائنات الذين منحهم الروح[١]
فرض عليهم سخرات الآلهة
ليحرر هؤلاء من أعمالهم!
الغلّة أو المحق
العفو أو العقاب:
كل ذلك طوعاً لرغبته،
وهم[2] لا يسعهم سوى التأمل (في عظمته)!
(٣) ماروكّا[٣]: وبتعبير آخر، الإلّه
الذي خلقهم[٢] بإرادةٍ منه
من أجل سعادة الأنوناكي
وتحرير الإيجيجي!
(٤) ماروتوكّو[٤]: أو بتعبير آخر، سند
البلاد وسند المدينة وسكانها!
فلتواصل الشعوب من الآن
فصاعداً الاحتفال به!
(٥) مار ـ شا ـ كوش ـ أو[٥]: ينفعل ولكنه
يحتكم لنفسه، يتملكه الغضب ولكنه يتمالك نفسه
طويل الأناة
وهو يمسك بزمام نفسه!
(٦) لوچال. ديمّر. آن. كي. آ[٦]: هو الاسم،

(١) حرفياً: النَفَس.
(٢) المقصودون هنا، هم البشر.
(٣) (Marukka).
(٤) (Marutukku).
(٥) (Mar. Sha. Kush. U-).
(٦) (Lugal. Dımmer. An. Ki. A) ورد تفسيره في (٥: ١١٢) ومعناه ملك آلهة ما هو فوق وما هو تحت.

هو الاسم الذي أطلقه عليه مجمعنا
مما يجعل كلمته أكثر ـ مهابة
من كلمة آبائه الآلهة:
لأنه، هو حقاً سيد
جميع آلهة السماء والأرض
وهو الملك الذي يرهب
حضوره، آلهة ما هو فوق وما هو تحت
(٧) نادي. لوچال. ديمر. آن. كي. آ[١]: هو الاسم
الذي أعطيناه له بصفته مدير جميع الآلهة؛
وهو الذي في السماء وعلى الأرض
أصلح أمورنا وأبعد عنا الخ [طر]
وعيّن للإيجيجي والأنوناكي
مهامّهم
فليضطّرب الآلهة لسماع هذا الاسم
وليرتجفوا، أينما كانوا!
(٨) أسلّوحي[٢] هو الاسم
الذي خصّه به أبوه أنشار:
لأنه حقّاً نور الآلهة
وزعيمهم المقتدر
وهو الذي، عملاً بهذا الاسم
حامي الآلهة وحامي العالم،
وهو الذي بنتيجة مبارزة مذهلة
أنقذ من الخطر وضعنا!

---

(١) (Nade. Lugal. Dimmer. An. K. A) بإضافة لقب مدبّر إلى الاسم السابق وهو هنا مدبّر أمور جميع الآلهة.
(٢) (Asalluhi) ورد في (٦: ١٠١) انظر التفسير المرافق.

(٩) وسمي أيضاً أسلّوحي ـ نامْتيلا[١]:
الإلّه المحيي
وهو الذي بالتوافق مع طبيعته الخاصة
أعاد جميع الآلهة المهدّدة بالضياع إلى مراكزها!
وهو الإلّه الذي برقيته المقدسة
أعاد إلى الحياة «الآلهة ـ الأموات»
ودمّر خصومهم المتعنّدين!
فلنحتـ [ـفل] إذن ببسالته!
(١٠) أسلّوحي. نامرو[٢]، وفق الاسم
الذي خصّ به في المرحلة الثالثة
الإلّه الطاهر
الذي يجعل سلوكنا نقياً».
وأنشار[٣] ولحمو[٤] ولحامو[٥]،
وهم الذين أطلق كل منهم أحد الأسماء الثلاثة الأخيرة.
أعلنوا
أمام أبنائهم الآلهة:
«نحن الذين عيّن كل منا
أحد هذه الأسماء الثلاثة!
والآن! عليكم أنتم مثلنا
التلفظ بأسماء أخرى!»
عمّت البهجة الآلهة

(١) (Asalluhi. Namtila).
(٢) (Asalluhi Namru).
(٣) (Anshar) والد آنو وجد مردوك.
(٤) (Lahmu).
(٥) (Lahamu) الآلهة القدامى الذين ظهروا إلى الوجود قبل أنشار وكيشار في بداية الـ (إ. إ).

لدى سماعهم هذا التوجيه
وفي قاعة ـ المداولات
تبادلوا الآراء (معلنين):
«بخصوص ولدنا البطل
والمنتقم لنا
بخصوص تموّن (معابدنا)
لنقم بدورنا بالإشادة بأسمائه!»
وفي مجلسهم المنعقد
عيّنوا له أسماء قَدَرِه،
لكي يتم في جميع الاحتفالات
التوجّه إليه تحت اسم مختلف.

اللوحة السابعة

مجموعة الأسماء الثانية

(١١) أساري[١]: المانح لهبة الزراعة
ومبتدع أصول مسح الحقول
وخالق الحبوب والقنّب
ومنتج كل خضرة!
(١٢) أسار. أليم[٢]: السائد في قاعة المجلس
حيث رأيه هو الراجح!
[الذي] يحترمه الآلهة
ولا يعرف الخوف!
(١٣) أسار. أليم. نونّا[٣]: الموقر
نور آبائه ومولديه
الذي يوصل إلى غايتها، توجيهات
آنو وإنليل وإيا ـ الأمير (؟)

---

(١) (Asari) سومرياً (A. Sar. Ri) بمعنى (آ): أعمال المساحة و (سار): زراعة الحقول و (ري) مانح أو هبة.
(٢) (Asar. Alim).
(٣) (Asar. Alim. Nunna).

إنه القيّم عليهم
وهو الذي يعين لهم مخصّصاتهم،
وهو الذي من أجل مصلحة البلاد
يضاعف الوفر في الحقول!
(١٤) توتو(١)
المنفِّذ الحقيقي لتجديد (وجودهم)
أجل، إنه حرّر معابدهم
لكي يتوقفوا عن العمل؛
خلق الرقية
لكي تهدأ قلوب الآلهة
بحيث إذا ما اندفعوا بغضبٍ
يترا [جعـ] ـون!
إنه يحتل المكانة الأسمى
في مجمع الآلهة. [آبائـ] ـه
ولا أحدٌ من بينهم،
يمكن أن يماثله أبداً
(١٥) توتو. زي أوكِّينّا(٢):
حياة رعاياه!
هو الذي أسس من أجل الآلهة
السماء الصافية
وأخذ على عاتقه كيانهم
وعيّن لهم مناصبهم
فلتبقَ أعماله ـ المجيدة

(١) (Tutu).
(٢) (Tutu. Zi. Ukkinna).

ولتترسّخ في [ذاكرة] الجموع!
(١٦) توتو. زي. كو[1]، سمّوه في المرحلة الثالثة:
المحافظ على الطهارة
الإلّه ذو النَفَس المُنعم
سيد الاستجابة والرحْمة
منتج الثروة والوفرة
ومدعِّم أسس الرخاء
الذي يحوّل إلى الكثرة
كل قلّة!
وأثناء شدّتنا الرهيبة
تنفّسنا روحه ـ الخَيِّرة!
فلنكرر ذلك محتفلين به
ولننشد مدائحه.
(١٧) وعلى البشر في المرحلة الرابعة
تمجيد توتو. آجا. كو[2]:
سيّد الرقية المقدسة،
ومحيي المحتضرين،
وهو الذي تملّكته الرحمة
تجاه الآلهة ـ المغلوبين
فنزع عن الآلهة المعادين
القيود المفروضة عليهم
وهو الذي من أجل إراحتهم
خلق البشر!

(١) (Tutu. Zı. Kù).
(٢) (Tutu. Aga. Kù).

إنه الغفور وإليه يعود
أمر منح الحياة ـ من جديد!
فلتبقَ سيرة أعماله
تُردَّدُ باستمرار
على شفاه ذوي الرؤوس ـ السوداء
الذين خلقهم بيديه!
(١٨) وحين سمّوه للمرة الخامسة توتو. تو. كو[١]
صدر عن أفواههم سحر عجيب:
فهو الذي برقيته المقدّسة
استأصل كل شرّ!
(١٩) شا. زو[٢]: العارف بما في صدور الآلهة
وسابر دخائلهم!
هو الذي لا يترك قط للأشرار
فرصة الإفلات من يديه!
المحافظ على (مصالح) مجمع الآلهة،
الذي يبهج قلوبهم.
إنه حمايتهم الشاملة
الذي يحني (رؤوس) المناهضين
هو الذي يُعلي كلمة الحق
ويستأصل لغة ـ الرياء
والذي يميّز في كل الأحوال
بين الكذب والصدق!
(٢٠) وليُمجّد بعد ذلك كَ شا. زو. زي. سي[٣]:

---

(١) (Tutu. Tu. Ku).
(٢) (Sha. Zù).
(٣) (Sha. Zu. Zi. Si).

الذي فرض - الصمت على الثّوار
وطرد الذهول من نفوس
الآلهة آبائه!
(٢١) وثالثاً تحت اسم شا. زو. سوح. ريم[١]:
الذي اجتثّ بسلاحه جميع الأعداء
وكشف مؤامراتهم
وحوّلها إلى الرياح؛
قضى على المجرمين برمتهم:
على جميع من اتجهوا ضدّه!
فلتستمر الآلهة وبصوت واحد
بالتهليل لمنجزاته!
(٢٢) ورابعاً تحت اسم شا. زو. چو. زيم[٢]:
الذي أعاد الخضوع لآبائه الآلهة،
والذي اجتث جميع الأعداء
وقضى على نسلهم
وبدّد مُنَاوِريهم
ولم يبقِ على أحد منهم!
فليلفظ إذن، وَلْيُكَرّر لفظ
اسمه هذا على الأرض!
(٢٣) خامساً كـ شا. زو. زاح. ريم[٣]:
وليتم تناقله في المستقبل هو أيضاً
هو الذي أحال إلى العدم جميع الخصوم
والمناهضين بكاملهم!

---

(١) (Sha. Zù. Suh. Rim).
(٢) (Sha Zù. Gù. Zim).
(٣) (Sha. Zù. Zaḥ. Rim).

هو الذي لـمّ شمل جميع الآلهة الهاربين (خوفاً)
وأعادهم إلى قاعات ـ الاحتفال!
فلتدم تسميته هذه
إلى الأبد!
55 (24) سادساً، ليُحتفل به في كل مكان
كـ شا. زو. زاح. چو. ريم[1]:
وهو الذي شخصياً، ألقى بنفسه في المعركة
وأباد جميع خصومه!
(٢٥) اين ـ بي ـ لولو[2]: هو الإلّه
الجواد ـ بطبيعته!
راعي الآلهة القدير، الذي
فرض نظام التقدمات،
هو الذي أوجد على الأرض المراعي
ومناهل المياه، وجعلها تنمو وتتكاثر
60 كما حفر (مجاري) الأنهار
ووزّع مياهها الـمُخْصِبة!
(٢٦) ولْيُسَمَّ أيضاً إين ـ بي. لولو. إي. پا. دون[3]:
إلّه الفيض (؟) والبلاد ـ المسطّحة
62 إنه سيد ينابيع الكون
ومؤسس الأثلام!
b62 الذي أوجد الزراعة المقدسة
في قلب الصحراء
63 والذي راصف حواجز ـ التراب والأقنية

(١) (Sha. Zù. Zaḫ Gu. Rim).
(٢) (En. Bi. Lulu).
(٣) (En. Bi. Lulu. E. Pa. dun).

ورسم خطوط الحراثة!
(٢٧) وليحتفل به ثالثاً كـ إين. بي. لولو. چو. چال[١]:
سيد ينابيع مجاري المياه الإلّهية
إلّه الرخاء والكثرة
والمواسم الضافية!
الذي أوجد الثراء
وجعل المعمورة تطفح بأرزاقها،
وهو الذي منح الحِنطة
وأنتج الحبوب!
(٢٨) وأخيراً كـ إين. بي. لولو. حي. چال[٢]:
الذي يكدس الوفر لجميع (؟) الناس
ويمطر على الأرض الرخاء
ويجعل الخضرة تنمو ـ كثيفـ [ـةً]!
(٢٩) سير. سير[٣]: هو الذي كوّم
الجبال فوق تيامت
والذي (بقوة) سلاحه
حمل كغنيمة جثتها!
إنه الساهر على الأرض؛
راعي البشر الحقيقي!
وليس شَعرُه سوى
مزارع وحقول محروثة وأثلام!
هو الذي في غضبه، يجتاز
ذهاباً وإياباً تيامت المترامية الأطراف

---

(١) (En. Bi. Lulu. Gù. Gal).
(٢) (En. Bi. Lulu. ḫé. Gal).
(٣) (Sir. Sir).

يعبر ذهاباً وإياباً مثل جسر
مكان معركته معها!
(٣٠) سمّوه أيضاً سير. سير. مالاح[1]:
ليكن ذلك إلى الأبد،
تيامت سفينته الخاصة
وهو ملاّحها.
(٣١) جيليم[2]: مجمّع الأكوام الضخمة
في العنابر
خالق الحبوب والماشية
الذي يؤمّن البذور للبلاد!
(٣٢) جيليم. ما[3]: موثّق ـ الرباط بين الآلهة
وخالق الحق؛
الزمام الذي يكبح الأشرار
محقّقاً سيادة النظام.
(٣٣) آ. جيليم. ما[4]: الرفيع ـ المقام
الذي يبعد الفيضان ويراقب الثلو [ج]،
والذي، بعد أن دعّم المناطق ـ العلوية،
خلق الأرض فوق الماء[5]
(٣٤) زو. لوم[6]: الذي عيّن للآلهة أريافهم
وقَسَم فيما بينهم نِتاجها.
وزّع عليهم حصصاً وتقدمات

(١) (Sir. Sir. Malaḥ).
(٢) (Gilim).
(٣) (Gilim. Ma).
(٤) (A. Gilim. Ma).
(٥) وفقاً للاعتقاد الذي يجعل قرص الأرض يطفو فوق الماء.
(٦) (Zu. Lum).

وموّن قاعات ـ احتفالاتهم!
هو خالق الكون، وهو
الذي يشرف على سيره!
(٣٥) وكإلّه مطهِّر للسماء والأرض
سمّوه كذلك: زو. لوم. أوم. مو[١]:
الذي لا مثيل لقدرته
بين الآلهة!
(٣٦) جيش. نومون. آب[٢]: خالق جميع الشعوب
وصانع العا [لم]:
هو الذي، بعد أن قضى على آلهة تيامت
خلق الشعوب بشيء منهم!
(٣٧) لوچال. آب. دو. بور[٣]: الملك الذي شتّت
أعوان تيامت وجرّدها من أسلحتها؛
وهو الذي، أسُسَ مُلْكِه راسخة،
في المستقبل كما في الماضي!
(٣٨) پا. چال. چو. إينّا[٤]: سيد جميع الآلهة
ذو السلطة الفائقة!
الأسمى بين الآلهة إخوته
وسيد جميعهم!
(٣٩) لوچال. دور. ماخ[٥]: الملك الذي يشكل
الرباط بين الآلهة، إلّه الرباط ـ العظيم[٦]

---

(١) (Zu. Lum. Um Mu).
(٢) (Gish. Numun. Ab).
(٣) (Lugal. Ab. Du. Bur).
(٤) (Pa. Gal. gù. Enna).
(٥) (Lugal. Dur. Mah̬).
(٦) المقصود، هو الرباط بين السماء والأرض ودور ـ أنكي (Dur. an Ki) هو لقب الإلّه إيا والد مردوك.

هو الأكثر ـ سمواً على العرش ـ الملكي
بين الآلهة الفائقي ـ الرفعة!
(٤٠) آ. را. نونّا[1]: مستشار إيا؛ خالق
آبائـ [ـه] الآلهة،
الذي لا يضاهيه أي إلّه
بالنسبة لِمشيته الأميرية!
(٤١) دومو. دو. كو[2] الذي يتجدد
مسكنه الطاهر، على «الجبل ـ المقدس»!
إنه «ابن ـ الجبل المقدس» وبدونه
لا يتخذ إيا «ملك ـ الهيكل ـ المقدس» أي قرار!
(٤٢) لوچال ـ شو. آنّا[3]: الملك ذو السلطة الرفيعة
بين الآلهة!
إلّه قوة آنو، وهو أيضاً
يزيد سمواً شخصَ أنشار!
(٤٣) إر. أوچ. چا[4]، الذي في داخل تيامت،
جعلهم جميعاً سجناء!
والذي امتلك كل معرفة
ولا حدود لذكائه.
(٤٤) إر. كين. غو[5]، الذي أسر كينغو
في خضمّ المعركة
وهو الذي نظّم في الكون، توكيل ـ السلطات

(١) (A. Ra. Nunna).
(٢) (Dumu. Du. Ku).
(٣) (Lugal. Shu. Anna).
(٤) (Ir. Ug. Ga).
(٥) (Ir. Qin. Gu).

وأقام أُسُس السيادة!
(٤٥) كين. ما[١]: حاكم جميع الآلهة
ومُسدي النصح لهم.
هوَ الذي بمجرد ذكره، يرتجف الآلهة
خشيةً وكأنهم في عاصفة!
(٤٦) وبصفته إي. سيسكور[٢]، فإنه
سوف يجلس بجلال في بيت ـ الصلوات
وأمامه سوف يعرض الآلهة
تقدماتهم
بينما يتلقى بدوره
جليل احترامهم!
لا أحدٌ غيره
كان بإمكانه خلق مثل تلك الروائع!
والمجموعات الأربع لذوي الرؤوس ـ السوداء،
هي خلائقه:
وباستثنائه هو، لا إلّه غيره
يعرف إدارة شؤونهم!
(٤٧) جيبيل[٣]: الذي ضمن
نتيجة الحرب،
وبنهاية الالتحام مع تيامت
عمد إلى خلق العجائب!
واسع إدراكه
هو القادر الحادّ الذكاء

---

(١) (Kin. Ma).
(٢) (E. Siskur).
(٣) (Gibil) إلّه النار وهنا يطلق اسمه على مردوك.

والآلهة جميعهم، غير قادرين
على فهم قلبه الذي لا يسبر غوره!
(٤٨) آدو[١]، سيكون أيضاً اسمه
وهو بذلك يغطي كامل وجه السماء!
120 فليجعل هديره الخيّر
يُدوّي فوق الأرض!
وليصرِّف بالأمطار
مادة الغيوم
بحيث يقوم على هذه الأرض
بتزويد الشعوب بقوتها!
(٤٩) أشارو[٢] هو الذي وفقاً لهذا الاسم
قرر مصائر الآلهة
وأخذ شخصياً على عاتقه
كلّية شعوب العالم جمعاء!
124bis (٥٠) نيبيرو[٣]: إنه هو
الذي يشرف على الممرات سماء ـ أرض:
125 لا أحد يعبر إلى ما هو فوق أو ما هو تحت
دون التوجّه إليه!
ونيبيرو[٤] هي نجمته
التي تلمع في السماء:
محتلةً فيها القطب
والآلهة ينظرون إليه فيها بإعجاب،

---

(١) (Addu) يحتل مردوك هنا مكانة إله الرعد والأمطار أدد أو هدد، ومنه هدّ الرعد أي هدر.
(٢) (Asharu).
(٣) (Nebiru).
(٤) (Nebiru) نجم القطب وهو أحد نجوم مجموعة الدب الأصغر.

قائلين: «إنه دونما كللٍ يمر ويمر من جديد
في داخل تيامت،
فليكن اسمه نيبيرو
لأنه يسيطر على داخلها!
ووفقاً لهذه الصفة، فإنه ينظم
مسارات نجوم السماء
ويرعى، كمثل الخراف
جميع الآلهة ـ الكوكبية![١]
فليتمكن من الإطاحة بتيامت
وليَضْعَفْ نَفَسُها حتى الانطفاء:
وبنهاية الأمر
وعلى مدى استمرار الأيام
فلتعمد إلى الفرار دون أن يتم التمسك بها
وأن تختفي إلى الأبد!»

إسمان آخران يضيفهما كل من إنليل وإيا

(٥١) ولأنه خلق السماء
وصنع العالم السفلي
فإن أباه إنليل[٢] خصّه إضافةً
باسم إين. كورا![٣]
تلك هي الأسماء التي عددها
الإيجيجي طويلاً

(١) المقصود بالآلهة الكوكبية الآلهة التي ترمز إليها الكواكب، مثال القمر للإلّه سين والزُّهرة للإلّهة عشتار... والنصوص الأكادية تلقب النجوم بآلهة الليل.

(٢) (Enlil) ومعنى اسمه السومري سيد الهواء وهو أحد آلهة الثلاثي الحاكم آنو، إنليل، أنكي/ إيا ومعبد إنليل في نفّر (Nippur) هو إيكور (E. Kur) أي بيت الجبل.

(٣) سيد الجبل (En. Kur) يسمى مردوك وهكذا يحتل مكان إنليل.

(٥٢) وعندما سمعها إيا
تهلّل قلبه (وقال):
«إن الذي عَمد آباؤه
إلى تمجيد أسمائه
ليكن اسمه هو كذلك، إيا[١]
مماثلاً لاسمي!
فليرفع من شأن
مجموع أنظمتي
وليطبّق شخصياً
شمولية مهامّي!»

التمجيد الختامي:

بهذه الأسماء الخمسين
فإن الآلهة ـ العظام،
عندما خصّوا (مردوك) بأسمائه الخمسين
منحوه شخصية استثنائية!
فليتمّ حفظ (هذه الأسماء)
وليقم بعرضها القدماء!
وليتأمل بمدلولها على السواء
كل حَكيم وعالم!
وليردّدها كل أب
ليعرّف بها أبناءه!
وليَعمُد حامي وراعي الشعب[٢]

(١) (Ea) إلّه الأبسو والخلق ومهارة الصنع يتخلى لابنه مردوك عن دوره الشمولي.
(٢) المقصود هنا الملك الذي عليه نشر عظمة مردوك بحرارة على شعبه لكي يزدهر ملكه ويطول عمره.

إلى تفهم معناها،
وإذْ يُسْتثنى بذلك كل فتورٍ
تجاه مردوك، إنليل الآلهة(١)،
يزدهر ملكه
ويبقى هو سالماً ومعافىً.
دائمة هي كلمة (مردوك)
ولا تعديل لأوامره:
لا يمكن لأي إلّه تبديل
ما يخرج من فمه!
وإذا ما أصرّ على إلقاء
نظرةٍ عدائية،
في أثناء غضبه، فلا يستطيع
أيّ إلّهٍ أن يجابهه!
قلبه لا يسبر غوره
وواسع إدراكه
المذنب والجانح
يقفان أمامه!(٢)
تلك هي الظاهرة التي تمّ
عرضها أمام أحد القدماء
والتي حفظها ووضعها كتابةً
لتعلّمَ إلى الأجيال القادمة!
و [مآثر (؟)] مردوك
الذي خلق الإيجيجي

(١) إنليل الآلهة بمعنى سيد الآلهة أصبحت هنا صفة لمردوك.
(٢) يقوم مردوك هنا بدور إلّه العدالة شمش.

[فلتُتْلَ (؟)]
وليلفظ اسمه
[وليتم الترنم (؟)]
بنشيد مردوك
[الذي] بعد أن أطاح بتيامت
تلقى السلطة ـ العليا.

خلاصة حول أسماء مردوك

بعد أن عَرَضْنا النص الكامل لقصيدة التكوين والخلق الـ (إ. إ) يمكننا الآن العودة إلى أسماء مردوك واستعراضها، ليس بالرجوع إلى مقاطع اللغة السومرية التي عبرت عنها ونحن نعلم أن هذه اللغة بقيت لفترة متأخرة اللغة الرسمية للطقوس الدينية، ولكننا سنستعرض أسماء مردوك بالرجوع إلى الشروح التي قدمتها القصيدة في متن نصها ونقدّم في ما يلي مجموعة الأسماء والصفات المردوكية التي يمكن استنتاجها وتلخيصها لدى إعادة قراءة النص الكامل:

اللوحة الأولى: تكوينه لا مثيل له. مدهش شكله. لا أحد يتحمل النظر إليه. عيونه أربع وآذانه أربع[1]. نار تتوهج عندما يحرك شفتيه. عيونه تراقب الكون. يحيط به بهاء[2] عشرة آلهة. يصدر عنه خمسون إشعاعاً رهيباً.

اللوحة الثانية: الحفيّ. الحامي للجميع. التام الحكمة.

اللوحة الثالثة: حكيم الآلهة.

اللوحة الرابعة: وحدك أنت الأسمى. قدرك لا مثيل له. سائدة أوامرك. لا مردّ لقراراتك. ترفع وتخفض شأن من تشاء. المنتقم للآلهة. ملكيته على كامل الكون.

---

(١) للدلالة على أنه يرى كل شيء ويسمع كل شيء ويتضح ذلك أيضاً من تعبير «عيونه تراقب الكون».
(٢) أي التألق الخارق للطبيعة الذي لا يملكه سوى كبار الآلهة.

اللوحة الخامسة: ملك آلهة ما هو فوق وما هو تحت[1].

اللوحة السادسة: نافذةٌ أوامره، كما في السماء كذلك على الأرض. مهما تعدّدت أسماؤه، ليكن إلّهنا الأوحد. مانح المراعي ومآخذ المياه. شمس الآلهة المتألق. يغمر الآلهة بنوره الوهّاج. مانح الروح للبشر خلائقه. يُغلُّ ويمحق، يعفو ويعاقب، كل ذلك وفقاً لرغبته. لا يسع البشر سوى التأمل في عظمته. خلق البشر بإرادة منه.

سَنَدُ البلاد وسندُ المدينة وسكانها. طويل الأناة ويمسك بزمام نفسه. سيد جميع آلهة السماء والأرض. هو نور الآلهة. حامي الآلهة وحامي العالم. هو الإلّه المحيي. الإلّه الطاهر الذي يجعل سلوكنا نقياً.

اللوحة السابعة: المانح لهبة الزراعة ومنتج كل خضرة. رأيه هو الراجح. لا يعرف الخوف. هو نور آبائه.

يضاعف الوفر في الحقول. هو حياة رعاياه. أسّس من أجل الآلهة السماء الصافية. المحافظ على الطهارة. الإلّه ذو النَفَس الـمُنْعِم. سيّد الاستجابة والرحمة. يحوّل إلى الكثرة كل قِلّة.

أثناء شدتنا الرهيبة، تنفّسنا روحه الخيِّرة. فلننْشد مدائحه. إنه محيي المحتضرين. إنه الغفور. إليه يعود أمر منح الحياة من جديد. استأصل برقيته المقدسة كل شرّ.

العارف بما في صدور الآلهة وسابر دخائلهم. لا يترك قط للأشرار، فرصة الإفلات من يديه.

هو الذي يعلي كلمة الحق ويستأصل لغة الرياء.

ليلفظ اسمه وليكرر لفظه على الأرض. هو الجواد بطبيعته. راعي الآلهة القدير. أوجد على الأرض المراعي ومناهل المياه. حفر مجاري الأنهار ووزّع مياهها الـمُخصِبة. إنه سيد ينابيع الكون. إلّه الرخاء والكثرة. جعل المعمورة تطفح بأرزاقها. إنه يمطر على الأرض

(١) ملك آلهة السماء والأرض.

الرخاء ويكدس الوفر لجميع الناس.

هو الساهر على الأرض وراعي البشر الحقيقي. هو موثِّق ـ الرباط بين الآلهة، وخالق الحق. إنه الزمام الذي يكبح الأشرار ويحقق سيادة النظام.

هو خالق الكون الذي يشرف على سيره. مطَهِّر السماء والأرض. خالق جميع الشعوب وصانع العالم.

قضى على آلهة تيامت وخلق الشعوب بشيء منهم[١].

راسخة أسس ملكه، في المستقبل كما في الماضي.

الأسمى بين الآلهة وسيد جميعهم. حاكم جميع الآلهة ومسدي النصح لهم.

لا أحد غيره كان بإمكانه خلق مثل تلك المآثر.

باستثنائه هو، لا إلَه غيره يعرف إدارة شؤون البشر.

واسع إدراكه وهو القادر. قلبه لا يسبر غوره.

يغطّي كامل وجه السماء. هديره الـخَيّر يدوّي فوق الأرض. يصرّف بالأمطار مادّة الغيوم.

إنه يقرر مصائر الآلهة ويأخذ على عاتقه كلية شعوب العالم.

دائمة هي كلمة مردوك ولا تعديل لأوامره.

ملاحظة عامة:

يمكن استكمال أسماء وصفات مردوك، من ضمن الابتهالات والصلوات الموجهة إليه أو لبقية الآلهة الذين حل محلهم، كما ظهر من سياق عرض قصيدة الـ (إ. إ) وذلك بالرجوع إلى الكتاب الرابع في فصل: التقرّب من الآلهة المشتمل على أمثلة عديدة عن الابتهالات والمدائح الموجهة إلى الآلهة.

---

(١) المقصود دم الإلّه كينغو.

الفصل الثاني

(٢) ـ الثواب والعقاب

١ ـ قبل الدخول في تفاصيل محتويات هذا الفصل، وهي ترتبط بتوزيع الثواب والعقاب، والمستحقون هنا، هم البشر، يمكننا قبل ذلك الرجوع بسرعة إلى مجتمع الآلهة بمعزل عن مجتمع البشر في علاقتهم مع الآلهة: ففي مجتمع الآلهة كما تصوره قدماء بلاد ما بين النهرين، يمكننا التعرّف على بعض القواعد الأخلاقية التي تبنّاها ذلك المجتمع، في فترةٍ لم يكن بعد، مسرح الأحداث قد شُغل من قبل البشر، بل كان الآلهة أنفسهم، هم أبطال الحوادث، يَسهرون على إدارة الكون وعلى تنظيم شؤون الأرض (بلاد ما بين النهرين وما يحيط بها)، معدّين البشر، إذا ما مرّ ذكرهم في تلك المناسبات، لدورهم المستقبلي في متابعة مهامّ الآلهة، في المعبد وفي المدينة وفي علاقتهم بالأرض المنتجة... وذلك بإشراف ملكٍ يمثّل الإلّه على الأرض.

٢ ـ بين القواعد الأخلاقية التي عرفها مجتمع الآلهة، كانت أمثلة الثواب والعقاب، ترتبط، بمكافأة البطولة، وارتقاء مرتبة الإلّه البطل، وازدياد سلطته بين الآلهة. وكذلك إقامة هياكل تعبّدية له في المعابد الرئيسية، حيث تغدق عليه القرابين. وهذا ما سوف يتّضح بالنسبة للإلّه نينورتا[١]، في صراعه مع الطائر أنزو[٢]، كما سيرد ذلك

---

(١) (Ninurta) بمعنى سيد الأرض وهو ابن الإلّه إنليل (Enlil) سيد مجمع الآلهة وإلّه مدينة نفّر (Nippur) وهي العاصمة الدينية القديمة لبلاد سومر.

(٢) (Anzu) طائر أسطوري إلّهي المنشأ.

هنا في النص رقم (٦٢). وكانت المكافأة أيضاً ترتبط بالولاء، ولاء مدينة لمدينة أخرى، وسوف ترد أمثلة عن ذلك في عدة نصوص من الكتاب الثالث: ففي زيارة الإلّه القمر إلى مدينة نفّر[(١)]، اعترافاً منه بسلطة الإلّه إنليل[(٢)]، كانت المكافأة تعني الرخاء والوفر، يمنحهما الإلّه إنليل لمدينة أور[(٣)]. ومن إريدو[(٤)] مدينة الإلّه أنكي[(٥)]، تعود الإلّهة إنانّا[(٦)] محمّلة بكامل أسس الحضارة تقدّمها لمدينتها أوروك[(٧)].

وفي الكتاب الثالث أيضاً، وبعد انتصار الإلّه نينورتا على شعب الحجارة، نراه يعود إلى مدينته نفّر ويعرض على أبيه إنليل[(٣)] أسلحة انتصاره وغنائمه؛ فيعترف مجمع الآلهة بتفوقه وتسمو مرتبته في معبد نفّر. ويكافىء هو بدوره مدينتّه وملكها.

٣ ـ وعن الكتاب الأول، يمكن تقديم عدة أمثلةٍ عن العقاب:

- ففي النص رقم (١)، حين غضبت الإلّهة ـ الأم نينخورساج[(٨)] على الإلّه أنكي بسبب تذوقه للنباتات التي خلقتها هي، وتقريره مصير تلك النباتات، حوّلت عنه نظرتها المانحة للحياة، فأصبح مهدّداً بالموت وهي التي تقوم بشفائه فيما بعد، فتخلق من أجله إلّهين وستّ إلّهات للشفاء. (راجع الأسطر ٢٠٠ ـ ٢٢٠).

- ونرى مجمع الآلهة كما ورد في النص رقم (٢)، يأمر الإلّه إنليل، مغتصب الإلّهة ننليل[(٩)] بمغادرة المدينة والتوجّه إلى العالم السفلي، عالم الموت، إلاّ أن ننليل تبعته (الأسطر ٦٠ وما بعد) ولكنه يتابع احتياله للاستمرار على مضاجعتها.

---

(١) (Nippur) وردت في الملاحظة رقم (١) من الصفحة السابقة.
(٢) (Enlil): ورد في الملاحظة رقم (١) من الصفحة السابقة.
(٣) (Ur) مدينة الإلّه القمر نانا (Nanna) السومري.
(٤) (Eridu) مدينة الإلّه أنكي، حيث أقام مقرّهُ في الأبسو (Apsu).
(٥) (Enki) إلّه المعرفة والخلق ومهارة الصنع.
(٦) (Inanna) قرينة إلّه السماء آن (An). ويرمز إليها كوكب الزهرة وهي عشتار الأكادية إلّهة الخصب ومدينتها أوروك.
(٧) (Uruk) وهي المركز الديني لإلّه السماء آنو وعشتار.
(٨) (Ninḫursag) بمعنى سيدة الجبل وهي نينتو (Nin-tu) إلّهة الولادة.
(٩) (Ninlil) المقابل الأنثوي لإنليل.

● كما يسرد لنا النص رقم (١٠) من الكتاب الأول قصة اغتصاب إنّانا[١] من قبل بشري (؟) مقرّبٍ من أنكي، وهو البستاني، الذي كان قصاصه، أن تمّ تحويله إلى نجم (؟)، بعد عدّة عقوبات فرضتها إنانا على البلاد بكاملها.

٤ ـ وكما سترد أيضاً في الكتاب الثالث قصة خلق الإلَهة صَلتو[٢] منافسةً لعشتار وذلك بقصد الحدّ من غرور عشتار وشراستها ووضعها أمام مرآة ترى فيها نفسها على حقيقتها.

٥ ـ وفي الفصل الثالث من هذا الكتاب، يمكننا التعرّف من ضمن النص رقم (٧٤)، على تجربة الإلَه نينورتا وتلقينه درساً في التواضع من قبل الإلَه إيا. وأخيراً، وبالنسبة لإلَهٍ ثانوي، هو مارتو[٣] سوف ترد قصته في الكتاب الثالث، يمكننا أن نقرأ بابتهاج، كيف استحق مارتو بسبب فوزه ببطولة ألعاب المصارعة، الزواج من الفتاة الإلَهية الجميلة ابنة حامي المدينة. وهي المكافأة التي أصرّ على نيلها، رافضاً الذهب والفضة.

٦ ـ نخرج الآن من هذه المقدمة السريعة المتعلقة بعالم الآلهة ومجتمعهم، لندخل في عالم ومجتمع البشر، متابعين عرض موضوع الثواب والعقاب، وهو الموضوع الأساسي لهذا الفصل الثاني. وأول عقاب جماعي عَرفته البشرية بالإضافة إلى الوباء والمجاعة، هو الطوفان الذي نخصّص له فقرة مستفيضة من هذا الفصل تروي لنا قصة البشر من الخليقة إلى الطوفان.

٧ ـ أما الفقرات التالية من هذا الفصل فإنها تتعرّض على التوالي إلى موضوع سهر

---

(١) (Innana) إلَهة الخصب وابنة الإلَه القمر يرمز إليها كوكب الزهرة وهي عشتار الأكادية.
(٢) (Saltu) مخلوق خاص ابتدعه الإلَه إيا (Ea) لمجابهة عشتار.
(٣) (Martu) هو إلَه ثانوي «بدوي» أو «نصف بدوي»، يمثل القبائل الرحّل التي كانت تنتقل في منطقة الفرات الأوسط وحوض البليخ والخابور. ومارتو هي التسمية السومرية لأمورو الأكادية.

الآلهة على تطبيق العدالة واحترام الطقوس ومن ثمّ، حين يكون العقاب شاملاً ومدمّراً لمدينة بكاملها، فإن البكاء على أطلال المدينة ومعبدها المدمّر، والبكاء على خراب البلاد، ولّد في عالم ما بين النهرين ومنذ الفترة السومرية، أدب المراثي الذي استمر فيما بعد في كل من الفترتين الأكدية البابلية والأشورية وتبّنته التوراة العبرية فيما بعد. وبالإضافة إلى ذلك، فإن المراثي السومرية وصلنا عنها نص مهمّ، سوف نثبته فيما بعد، وهو النص رقم (٦٨) مفاخرين بكونه أقدم نص معروف لمسرح ديني سومري سبق المسرح اليوناني بأكثر من ألف عام.

وأخيراً، فإن الثواب والعقاب، تطبيقاً لعدالة الآلهة، لم يمنع إنسان ما بين النهرين من أن يتساءل مع مفكريه، إذا ما كانت العدالة الإلّهية تجزي الخير وتعاقب الشرّ، وإذا ما كان المرض والألم عقاباً على خطيئة، فما هي هذه العدالة التي تجعل الرجل الصالح يتألم؟ وفي هذه الفقرة المتعلقة ببحث العدالة الإلّهية سوف نورد قصة العادل المعذّب(١) وكذلك حواراً بابلياً فلسفياً بصددها.

٨ ـ ووفق هذه المقدمة التي رسمنا خطوطها العريضة، فإن محتوى الفصل الثاني من هذا الكتاب سوف يشتمل على الفقرات التالية:

(٢ ـ ١) ـ من الخليقة إلى الطوفان

(٢ ـ ٢) ـ الثواب والعقاب وسهر الآلهة

(٢ ـ ٣) ـ أدب المراثي والمسرح الديني السومري

(٢ ـ ٤) ـ الثواب والعقاب والعدالة الإلّهية.

---

(١) قصة أيوب التوراتية.

(٢ ـ ١) ـ من الخليقة إلى الطوفان

١ ـ استعرضنا من خلال الفقرتين (١ ـ ٣) و (١ ـ ٤) من الفصل الأول، النصوص العائدة لخلق البشر، والتي أظهرت غاية الإلّه أو الآلهة من عملية الخلق، والتي هي تنفيذ أعمال السخرة عوضاً عن الآلهة، وتأمين نظام الريّ وزرع حقول الآلهة لمضاعفة ثروة البلاد والاحتفال الباذخ بولائم الآلهة، كما ورد ذلك في النص (رقم ٥٢).

وفي نص آخر، نجد الإلّه إنليل، يخلق الفأس المباركة مقرراً للبشر عند خلقهم نظام السخرة، واضعاً الفأس بأيديهم ليعملوا بها (النص رقم ٥٣). وأما في نص الإينوما إيليش، فإن الإلّه مردوك يخلق البشر بناء على طلب الآلهة، لكي يقوم البشر بإنجاز أعمالهم، هم (النص رقم ٥/٥٥ : ١٤١)، ولكي تُفرض عليهم سخرة الآلهة، فيتوقفوا عن العمل من أجل الراحة (٦/٥٥ : ٨).

ويشير النص رقم (٥٢) إلى استعمال دم إلّه في عملية الخلق ويشير إلى ذلك أيضاً النص رقم (٥٥). وعملية جبل دم الإلّه بصلصال تربة ما بين النهرين لخلق البشر، يكرّس بالنسبة لهؤلاء وجود طبيعتين: طبيعة مادية (الجسد) وطبيعة إلّهية وهي ما يبقى بعد موت الجسد وعبّرت عنه اللغة الأكادية بكلمة (طيمو)[١] بمعنى الذكاء أو النّفس، ومن هنا بدأت ثنائية الجسد والروح، وسوف يتضح ذلك بشكل أفضل من خلال النص الآتي رقم (٥٦) حين يتعرّض لخلق البشر، معتبراً أن دم وجسد الإلّه هو الذي يجعل أن تكون للبشر روح تبقى حية بعد موت الجسد.

---

(١) (Temu).

٢ ـ وعلى أساس هذا التصور لتكوين البشر، كان عليهم العمل على إرضاء الآلهة بمعنى الاستجابة إلى عنصرهم الإلّهي في توافقه مع أساسهم «الترابي» ودون الوقوع بالطبع في خطأ المغالاة، والاهتمام «بتُرابيتهم» فقط وإهمال ما يتوجب عليهم تجاه الآلهة، أو إصابتهم بالغرور والاعتقاد بإمكانية مضاهاة الآلهة.

ومن هذه الرمزية لمعنى الإلّه وتجاه المغالاة في الإهمال أو الغرور، يتولد الشعور بالذنب ويتّخذ الإلّه عند ذلك دور القاضي الذي يحكم أو يحاكم، يكافىء أو يعاقب.

٣ ـ والنصوص التي سوف نعرضها من ضمن الفقرة (٢ ـ ١) من هذا الفصل المشمولة بعنوان الثواب والعقاب، تروي لنا، خلال عرضٍ ضافٍ لتاريخ البشرية الإجمالي منذ ما قبل الخلق، تروي لنا عملية الخلق، ومن ثم قصّة رجلٍ حكيم كان قريباً من إلّهه، يكلّمه ويطالبه بالتدخل عند الحاجة لمصلحة البشر ولإنقاذهم من العقاب الذي وقع عليهم. وهذا الرجل تداولت قصته نصوص عدّة عُثر عليها في مواقع مختلفة فعرفته منطقتنا تحت لقب الفائق ـ الحكمة (أتَرْ ـ حسيس)[١] البابلي ـ القديم، أو (زي. أو. سود. را)[٢] السومري، بمعنى الذي «حياته ـ مديدة ـ الأيام» أو (أوتا ـ نافيشتي)[٣] وقد روت قصّته اللوحة الحادية عشرة من ملحمة چلچامش، أو أخيراً (نوح) التوراتي وجميعهم نجوا من الطوفان وأنقذوا البشرية والحياة على الأرض. وكانت المكافأة منحهم الحياة الأبدية[٤] باستثناء نوح.

ولقد كان الوباء والجفاف والمجاعة وأخيراً الطوفان الرهيب عقاباً للبشر. ـ وتسوّغ النصوص هذا العقاب بنتيجة التكاثر والضجيج، وسوف نعود إلى تحليل ذلك فيما بعد.

٤ ـ تبدأ إذن هذه الفقرة بعرض ما وصلنا من نصوص عن هؤلاء الفائقي ـ الحكمة من ضمن نصّ مهمّ، يسرد لنا قصة البشرية الأولى، منذ ما قبل الخليقة إلى ما بعد

(١) (Atar-Ḥassis) أو (Atarm-Ḥassis)، يُترك التفسير اللغوي لمناسبة عرض النصّ.
(٢) (Zi U. Sud. ra) (زِيُوسودرا) وهي التسمية السومرية.
(٣) (Uta. Napishti) وهو التعبير الأكادي الذي يعني «وجدتُ ـ حياتي».
(٤) وهو المسعى الذي شغل واستحوذ على چلچامش بعد موت رفيقه أنكيدو.

الطوفان ونعرض بعدها ما وصلنا مِن قصص الطوفان الأخرى التي نوّهنا بها أعلاه.

والنصوص المقصودة هنا، هي التالية:

النص (٥٦): الفائق الحكمة والتاريخ الإجمالي للبشرية من الخليقة إلى الطوفان

النص (٥٧): الطوفان السومري

النص (٥٨): الطوفان من رأس ـ شمرا

النص (٥٩): الطوفان في ملحمة چلچامش

النص (٦٠): طوفان التوراة (الملحق رقم ١)

النص (٦١): طوفان بيروز

(٥٦) ـ الفائــــق ـ الحكمــــة
والتاريخ الإجمالي للبشرية
من الخليقة إلى الطوفان

١ ـ تروي قصيدة الفائق ـ الحكمة، من ضمن نظرة شاملة التاريخ الإجمالي للبشرية منذ ما قبل الخلق وتنتهي بالطوفان وهو أحد الموضوعات الرئيسية في هذه القصيدة الطويلة التي هي أقدم قصّة للتكوين حاولت، بكثير من بعد النظرة، الإجابة عن سؤال ما الغاية من خلق البشر؟ والتساؤل عمّا يتوجب عليهم نحو الآلهة. كما تعرّضت لعلاقات الآلهة فيما بينهم وحاولت التعرّض من ضمن نظرة الآلهة إلى التكاثر السريع للبشر والقرار لتحديده بتقليص عمر البشر وقد نقول بفرض الموت إفرادياً، بعد أن كاد الطوفان يقضي على البشرية جمعاء وعلى كل شيء حيّ، لولا تدخّل أحد الآلهة ـ وهو إلّه الذكاء والخلق ومهارة الصنع ـ لإنقاذ الموقف بواسطة البشري «أتر ـ حسيس»[١] الفائق ـ الحكمة[٢].

وقصة الخليقة هذه وطوفان البشر الذي سبق الأزمنة التاريخية هو المسار نفسه الذي تبعته التوراة العبرية بعد أكثر من ألف عام متأثرة طبعاً بما تعرّفت عليه في كل من كنعان وبابل.

٢ ـ وصلت إلينا قصيدة «الفائق ـ الحكمة»[٣] وفقَ نسخٍ عديدة جميعها غير كاملة

(١) أو أترا ـ حسيس.

(٢) ومن المفيد الإشارة إلى أن هذه القصيدة عُرفت من قبل البابليين أنفسهم وفق عنوان مطلعها وهو (إينوما. إيلو. أوّيلوم) ومعناه: «حينما الإلّه مثل الإنسان».

(٣) الفائق ـ الحكمة هي الترجمة المعادلة للتسمية الأكادية «أتْرَ ـ حسيس» أو «أتْرَم ـ حسيس» والتي يمكن إعادتها عربياً إلى الحِسّ والإدراك، فالحاسة هي القوة المدركة، والحواس الخمس هي ظاهرة وباطنة، والباطنة هي الذّكر والفكر والتّصوّر والفهم والإرادة وفي ذلك فائق الحكمة.

وقد أمكن بالاعتماد على أجزائها المختلفة تتبع محتوى هذا النص.

وإذا كنا لا نعرف إلا تقريبياً تاريخ تأليفها إذ أمكن إعادتها إلى فترة حكم حمورابي أي الربع الأول من الألف الثاني لما قبل الميلاد، فإنّنا نعرف تماماً اسم ناسخ هذه القصيدة والعدد الصحيح لأبياتها وهو ١٢٤٥ بيتاً كما أوضح ذلك الناسخ بنفسه في نهاية النص الموقع من قبله.

الناسخ هو كَسَفْ ـ آيا[1] أو نور ـ آيا[2] وفقاً لقراءتين مختلفتين لهذا الاسم وتؤدّيان إلى المعنى نفسه لأن كسَف ومعناه الفضة ومجازياً تألقها أو نورها الصادر عن آيا. وقد نفّذ نور ـ آيا عمله هذا خلال فترة حكم الملك عامي ـ صادوقا (١٦٦٤ ـ ١٦٢٢ق. م) وهو الخلف الرابع لحمورابي.

٣ ـ ونسخة نور ـ آيا هي أقدم ما وصلنا من قصيدة الفائق ـ الحكمة، إذ إنّ هذه القصيدة تمّ نشرها أي إعادة نسخها خلال فترات مختلفة تلت، دون إدخال تعديلات أساسيّة عليها واقتصر التعديل على توزيعها على اللوحات التي احتوت نصها وعلى عدد الأعمدة التي تحملها كل لوحة.

وقد وصلنا منها عدد من النسخ جميعها غير كاملة كما أوضحنا آنفاً وهي تتوزع كما يلي:

سبع نسخٍ تعود إلى الفترة البابلية القديمة أي حوالى الربع الأول من الألف الثاني لما قبل الميلاد.

نسختان تعودان إلى النصف الثاني من الألف الثاني (حوالى ١٣٠٠ ق. م).

أجزاء حوالى عشر نسخ تعود إلى النصف الأول من الألف الأول (حوالى ٦٥٠ ق. م) عثر عليها في مكتبة أشور بانيبال في نينوى.

نسختان تعودان لفترة أحدث سَبَقَتْ سقوط بابل (٥٣٩ ق. م).

---

(١) (Kasap-Aya)، ورد التفسير من ضمن العَرض.

(٢) (Nûr-Aya) بمعنى تألُق أو نور آيا. وآيا هي قرينة الإلّه الشمس وبقي اسمها في إيا الشمس أي نورها وحسنها.

٤ ـ ومن خلال هذه المجموعة من الأجزاء أمكن التعرّف على المحتوى العام للقصيدة واستعادة محتوى ثلثيها. ونصّ نور ـ آيا، وهو الأقدم، هو الذي سوف يتبع كأساس في عرض هذه القصيدة التي سوف تُستكمل من خلال هذا العرض بالاعتماد على أجزاء أخرى تتكامل معها مع الإشارة إلى ذلك.

كما أننا سنقدّم في نهاية هذا العرض، النص الآخر لنسخة مكتبة أشور بانيبال في نينوى ولهذا النص أهميته أيضاً.

٥ ـ ومن ناحية نشر محتوى قصيدة الفائق ـ الحكمة في الأوساط العلمية والأدبية والأوساط المتلهفة لتتبع تاريخ الديانات في منطقتنا، فلم تُعرف أهمية شمول هذا النص إلا في عام ١٩٥٦، عندما تمّت مقاربة جزءين من لوحة عائدة لمكتبة أشور بانيبال إذْ دلّت هذه المقاربة على أن النص الذي كان يتفحصه أحد العلماء الدانمركيين، هو عبارة عن تاريخ شامل للبشرية منذ خروجها من بين أيدي الآلهة في عملية الخلق وحتى نهاية الطوفان.

وبعد عشر سنوات من هذا الاكتشاف، نُشرت مجموعة النصوص المحفوظة في المتحف البريطاني حول قصّة الفائق ـ الحكمة وأكثرها كمالاً نسخة نور ـ آيا التي أشرنا إليها آنفاً والمنسوخة على ثلاث لوحات تحمل كل لوحة أربعة أعمدة.

٦ ـ أما فيما يتعلق بتسلسل الأحداث كما روتها نسخة نور ـ آيا التي نعرضها فيما يلي، فيمكننا تتبعها وفق المراحل التالية:

(٥٦ ـ أ) ـ قبل خلق البشر:
- سخرة الآلهة
- التمرد الأول
- المفاوضات
- قرار خلق البشر

(٥٦ ـ ب) ـ عملية خلق البشر:
- مسوّغات لعملية الخلق
- الصلصال ودم الإلّه
- الرحم الأولى

(٥٦ ـ ج) ـ أعمال البشر وتكاثرهم:

- توسيع البلاد
- تكاثر البشر وضجيجهم
- البلية الأولى يطلقها إنليل
- تدخل أتر ـ حسيس واستجابة الإلّه أنكي

(٥٦ ـ د) ـ التكاثر من جديد والضجيج:

- توسيع البلاد
- تكاثر جديد وضجيج
- الجفاف والمجاعة
- تدخل أتر ـ حسيس
- قبول الإلّه أدد بتكثيف الندى سراً

(٥٦ ـ هـ) ـ عودة إلى الضجيج وإحكام المراقبة:

- تدخل أتر ـ حسيس دون جدوى
- إحكام المراقبة
- تزايد الجفاف والمجاعة
- إنليل يعقد اجتماعاً مهمّاً
- مشروع الإبادة بالطوفان
- دفاع أنكي عن البشر
- القرار النهائي: الطوفان

(٥٦ ـ و) ـ الطوفان:

ـ أنكي ينبىء أتر ـ حسيس بواسطة حلمٍ منذر

ـ أتر ـ حسيس يتوجه إلى أنكي لتفسير حلمه

ـ تعليمات أنكي للإنقاذ وتنفيذها

ـ الطوفان وردود الفعل

(٥٦ـ ز) ـ بعد الطوفان:

ـ أتر ـ حسيس يغادر الفلك

ـ النقاش والقرار بصدده

□ نسخة نور ـ آيا (العهد البابلي ـ القديم)

(٥٦ ـــ أ) ـــ قبل خلق البشر/ اللوحة الأولى/ العمود الأول

الطبقية الإلّهية: الأنوناكو القادة والإيجيجو العمال[١]

عندمَا كان الآلهة مثل البشر
يؤدون أعمال السخرة ويَكْدَحون:
مُرْهِقاً كان عملهم،
وكانت سخرتهم ثقيلة ولا نهاية لكدّهم.
لأن الأنونّاكو، كانوا يفرضون
على الإيجيجو سخرةً سباعية الوطأة!
أبو جميعهم آنو[٢]، كان ملكاً عليهم
وإنليل[٣] الباسل كان سيدهم
ونينورتا[٤] [محا] فظَهم.
وكان إينّوجي[٥] رئيس عملهم.
وبموافقتهم جميعاً (؟)
لجأ الآلهة ـ العظام إلى القرعة بصدد مراكزهم:

---

(١) (Anunnaku) و (Igigu) هما هنا مجموعتا الآلهة الذين يفرق بينهما العمل أو إصدار الأوامر وليس كما عهدنا ذلك باعتبارهما آلهة ما هو فوق وما هو تحت أو آلهة السماء والعالم السفلي.

(٢) (Anu).

(٣) (Enlil).

(٤) (Ninurta).

(٥) (En. nugi) المشرف على عمال السخرة.

فصعد آنو إلى السماء؛
واتخذ إنليل من الأرض مقراً لحكمه (؟)
أما المزلاج الذي يُحكم السدّ (؟) أمام البحر
فقد سُلّم لأنكي[١] ـ الأمير (؟).
[عندما آنو] صعد إلى السماء
فإن [آلهة الأبسو][٢] نزلوا إليه:
و [آنذاك فرض الأنوناكو] السماويون
على الإيجيجي [سخرتهم]
وكان [على هؤلاء الآلهة] حفر [مجاري المياه]
و [فتح الأقنية] التي تحيي الأرض
[كان على الإيجيجو] حفر [مجاري المياه]
و [فتح الأقنية] التي تحيي الأرض.
[وهكذا شقوا] مجرى دجلة
و [بعـ] ـده، [مجرى الفرات][٣]

الأسطر (٢٧ ـ ٣٣) مفقودة بشكل شبه كامل ولم يبقَ منها سوى بعض الكلمات في نهايات الأسطر، تساعد على الافتراض بأن الإيجيجور تابعوا أعمالهم بعناء. وقد أمكن اعتماداً على النسخة الأشورية (K 8562) في المتحف البريطاني إضافة الأبيات الأربعة التالية التي تشير إلى إرهاق آلهة السخرة بسبب أعمالهم التي لا نهاية لها:

(a) [خلال مائة (؟) عام] عملوا ـ
[خلال خمسمائة (؟) عام] عملوا ـ
[خلال تسعمائة (؟) عام] عملوا ـ

---

(١) (Enki).
(٢) (Apsu) الأبسو هو محيط المياه العذبة الباطنية.
(٣) يستنتج من بداية أعمال السخرة أنها كانت تتعلق برسم معالم بلاد ما بين النهرين وإحياء أرضها بالماء وكذلك تكوين الجبال المحيطة بالبلاد (راجع السطر ٣٣).

[خلال ألف (؟) عام] عملوا!
[بعد أن انتهوا من تكويم (؟)] جميع الجبال،
[عمدوا إلى حساب عدد سنوات] كدْحهم
[وعندما أنهوا تنظيم (؟)] الأهوار في الجنوب
[عمدوا إلى حسـ] ـاب [سنوات] كدْحهم:
[ألفان وخمـ] ـسمائة سنة وأكثر
عملوا خلالها ليل، نهار
متحملين عبء هذه السـ] ـخرة!
[وبدأوا عند ذلك باللـ] ـوم والاحتجاج

التمرد الأول

[وبتعبيرهم عن شكواهم بسبب أعمال التنقيب (؟) (صاحوا):
«هيا بنا لمقابلة المحافظ [رئيسنا]
لكي يحررنا من سخرتنا [الثقيـ] ـلة!
[تعا] لوا كي نخرجه من مقرّه -
(كي نخرج) إنليل - (الباسل) سيد] الآلهة
[تعا] لوا لنخرجه من مقرّه!»
[عند ذلك...[1]] فتح فمه
[متو] جهاً نحو الآلهة إخوته:
«[...] إنّ محافظ الزمن القديم (؟)...[2]

الأسطر (٥٠ - ٥٦)، مفقودة ويحتمل أنها كانت تحتوي على تحريض أحد آلهة السخرة لإخوته بغية إيقاف العمل. نرى هنا أن جزءَي اللوحة (K 10082)

(١) هنا يتكلم أحد آلهة السخرة للتحريض.
(٢) من الصعب فهم المقصود بالزمن القديم هنا وقد يكون ذلك مرحلة سبقت اقتسام المناصب والقرعة المشار إليها في السطر ١٢ أعلاه قبل تسلم إنليل مهمة الإشراف على الأرض.

و (K 6325) المحفوظتين في المتحف البريطاني والعائدتين لبداية الألف الأول لما قبل الميلاد، لا يضيفان في حوالي ٧ أو ٨ أسطر شيئاً يذكر.

العمود الثاني

«سـ [ـيد] الآلهة البا [سل]
هيّا لنخرجه من مقره ـ
إنليل [(الباسل) سيّـ] ـد الآلهة
تعالوا لنخرجه من مقره!
علينا إذن إعلان الحرب:
فلننقل القتال إلى المعركة (؟)»
سمع الآلهة نداءه
فأحرقوا أدوات عملهم
رموا إلى النار فؤوسهم،
وقففهم إلى اللهب
تجمعوا، ثم ذهبوا بعد ذلك
(للتجمهر) أمام باب معبد إنليل ـ الباسل.

الخوف يستولي على إنليل

كان ذلك في المساء وعند منتصف السهرة،
وبدون علم الإله، هوذا قصره محاصر
كان ذلك ليلاً وعند منتصف السهرة
وبدون علم إنليل، هذا هو الإيكور[1] محاصرا!
ولكن كلكال[2] تنبّه إلى ذلك فأوصَدَ الباب:
أحكم المزلاج وعمد إلى مراقبة [الباب].

(١) (E. Kur) تسمية مقر إنليل ومعناه بيت الجبل.
(٢) (Kalkal) بوّاب الإيكور.

ثم أيقظ كلكالُ [نوسكا][١]،
وبينما كانت ترتفع جَلَبة [الإيجيجو]؛
وقام نوسكا بإيقاظ [سيـ] ـده،
مخرجاً [إيا] ه من فراشه:
«[قصرك] محا [صر]، سيدي!
المعركة [وصلـ] ـت حتى با [بك] ! -
قصرك محاصر، أي إنليل!
ووصل القتال إلى بابك!»
استقدم إنليل أسلحةً إلى مكان وجوده
ثم فتح فمه متوجهاً إلى نوسكا، حاجبه:
«أوصد بابك يا نوسكا!
هيّيء سلاحك وضعْ نفسك بإمرتي!»
أَوْصَدَ نوسكا بابه
أعدَّ سلاحه ووضع نفسه بإمرة إنليل.
ثم فتح فمه
وتوجّه إلى إنليل - الباسل (قائلاً):
«وَجْهُك مخضرّ خوفاً، سيدي!
إنهم أبناؤك، فما الذي تخشاه؟ -
أي إنليل وجهك مخضرّ خوفاً
إنهم أبناء لك، فماذا تخشى؟
أرسل من يسعى إلى آنو؛ ولينزل إلى هنا
ويُستَقدم كذلك أنكي[٢] [أما] مك!»
أرسل إذن من يسعى إلى آنو لكي ينزل
كما استقدم أنكي أمامه

(١) (Nuska) حاجب إنليل الخاص ومستشاره.
(٢) (Enki) ملك الأبسو وإلّه الذكاء والمعرفة ومهارة الصنع.

اجتماع القادة

ترأس آنو ملك [السمـ] ـاء الاجتماع
وكان أنكي ملك الأبسو [مصغياً تماماً (؟)]
وبينما كان الأنونا [كو] العظام [مجـ] ـتمعين
وقف إنليل: مفتتحاً التدا [ول]
فتح إنليل عند ذلك فمه
وتوجه إلى الآلهة ـ العظام (بقوله):
«إن [ثور] تهم، قاموا بها ضدي أنا
لذلك فأنا سوف أقاتل [. . .]!
يا معشر الآلهة! ما الذي رأته عيني؟
وصلت المعركة حتى بابي!»
فتح آنو عند ذلك فمه
وتوجه إلى إنليل الباسل:
«لأيّ سبب (؟) عَمَد الإيجيجو
إلى حصار بابك،

العمود الثالث

ليخرج نوسكا لكي [يستعلم (؟)]:
[كلّفه بهذه المهمة]
لدى أبنائك!»

مهمة نوسكا للتفاوض وفشله

فتح إنليل فمه
وتوجّه إلى [نوسكا حاجبه] (قائلاً):
«اسحب مزلاج [بابك] يا نوسكا
احمـ [ـل] سلاحك،

وأمام [جميع الآلهة] المتجمهرين
قم بالسجود، ثمّ انهض واقفاً
وكرر كلماتـ[ـنا] (هذه):
«آنو [أبوكم] هو الذي أرسلني،
(وكذلك) سيدكم [إنـ] ـليل ـ [الباسل]
و [محافـ] ـظكم [نيـ] ـنورتا
ورئيس عملكم [إينـ] ـوجي!
إنهم يقولون لكم: «من الذي سيقاتل؟
من سيخرج [للمعـ] ـركة؟
من الذي [يجرؤ] على شن الحرب؟»

الأسطر (١٣١ ـ ١٣٣) مفقودة وفيها نهاية الأوامر المعطاة إلى نوسكا.

[نوسكا أمام جميع] الآلهة [المتجمهرين]
كرر إذن، كلمة بكلمة [ما قاله إنليل]:
«إنه آنو أبو [كم]، هو [الذي أرسلني]
[وكذلك سيدكم] إنليل ـ [الباسل]؛
و [نيـ] ـنورتا، [محافظكم]،
و [رئيس عملكم إينـ] ـوجي
[إنهم يسألونكم]: من الذي سيقاتل؟
من [سيخرج للمعـ] ـركة؟
من [يجرؤ على شن] الحرب؟»

الأسطر (١٤٣ ـ ١٤٦) مشوهة مع نهاية خطاب نوسكا وكذلك أولى كلمات الناطق باسم الإيجيجو وقد يكون هو نفسه الذي حرض فيما سبق على إيقاف العمل وتستمر إجابته كما يلي:

«نحن بَذَلنا (كل) [جهدنا (؟)]

في هذا التنـ [ـقيب (؟)]:
والمهمـ [ـة الشاقة] [قتلتنا] !
ثقيلة جداً كانت سخـ [ـرتنا، ولا نهاية لكدّنا] !
ولهذا السبب (؟) [عمد الآلهة بكا] ملهم
إلى دفعنا [إلى الاحتجاج ضد إنلـ] ـيل!»
استعاد نوسكا [عندئذٍ سلاحه]
وعاد لـ [ـنقل هذه الكلمات إلى إنليل (؟)]
«سيدي، [أنت] أو [فدتني] من أجل [...]
ذهبت [...]
وكرّرت كلمة بكلمة أقوالك!
[وهذه هي إجابتهم لي (؟)]
«(نحن) جميع الآلهة [وبكاملنا]
[قررنا (؟)] أن نقاتل
لقد بذلنا (كل) [جهدنا (؟)]
في أعمال التنقيب هذه (؟):
المـ [ـهمة] الشاقة قتلتنا!
[ثقيلة جداً] كانت [سخـ] ـرتنا ولا نهاية لكدّنا!
ولهذا السبب (؟) فالآلهة بكاملهم
د [فعونـ] ـا إلى الاحتجاج ضد إنليل!»

حُزْن إنليل عند تلقيه هذه الإجابة وتوجُّهه إلى آنو:

عندما سمع إنليل هذا الخطاب
سالت من (عينيه) الدموع
مما حدا به بعد ذلك
إلى التوجه نحو آنو [ـ الشجـ] ـاع (قائلاً):
«يا صاحب الجلالة، بيدك أنت، في السماء [...»]

الأسطر (١٧١ ـ ١٨٨) مفقودة على لوحة نور ـ آيا ولكن جزءاً من لوحة المتحف البريطاني رقم (+ K 7109) العائدة لبداية الألف الأول لما قبل الميلاد تفيدنا على الأرجح في متابعة النص أو على الأقل بالنسبة للمعنى.

1(b) «يا صاحب الجلالة (؟)، بيدك أنت، في السماء
حافظ (؟) على سلطتك ومارسها (؟):
بينما يجتمع الأنوناكو بحضرتك
إجعل أحد (هؤلاء) الآلهة يمثل أمامك
ولتفرض عليه العقوبة القصوى!»
لكن آنو فتح فمه
[وتو] جّه نحو الآلهة إخوته:
«بماذا سوف نتّهمهم؟
ثقيلة (حقاً) كانت سخرتهم، وكدّهم لا نهاية له!
[كل يو] م [. . .]
كانت [صرخات نداءاتهم بالغة الأ] همية
[نحن سمعـ] ـناهم يطلقون احتجاجاتهم. . .

(٥٦ ـــ ب) ـــ مشروع إيا لخلق البشر

وعلى جزءٍ آخر من لوحة عائدة هي أيضاً للمتحف البريطاني ومعاصرة تقريباً لنسخة (نور ـ آيا) وهي اللوحة (BM 78257) C توصف الأحداث بشكل مختلف نوعاً ما، وعوضاً عن آنو فإن الإلّه إيا هو الذي يدعو إلى التسامح والإنصاف ويقدم مشروعه للإنقاذ:

1(c) [فتح] إيا فمه
متوجهاً إلى الآلهة [إخو] ته:
«بماذا سوف نتهمهم
ثقيلة كانت سخرتهم و [كدهم لا نهاية له] !

في كل يوم [. . .]
كانت صرخات نداءاتهم بالغة الأهم [ـية. . .]
إلا أنه يمكن [معالجة ذلك (؟)]:
بما أن [بيليت ـ إيلي[١] الرحم] حاضرة هنا،
فلتصنع نموذجاً أو [لياً ـ لرجل]
وهو الذي سوف يحمل نير [الآلهة (؟)]
[هذا الرجل هو الذي سيكلف] [بعمـ] ـلهم! . . .

وهنا يمكن العودة إلى النسخة الأشورية التي اعتمدت آنفاً تحت رمز الحرف (a)، لنتعرف في الجزء (+ K 3339) على مقطع يمكننا إدخاله هنا لنعلم بموجبه أن المحرّض على التمرد هو مطلوب من قبل الآلهة ـ العظام وهذا المقطع هو كما يلي:

(a) «بحضور الأنوناكي المجتمعين
وبحضور بعلة الآلهة، الرحم
«أحْضِرْ أحد (هؤلاء) الآلهة
[وليُقضَ عليه (؟)] !
حين فتح آنو فمه، توجه إلى نوسكا:
«اسحب مزلاج بابك يا نوسكا! واحمل
سلاحَك [. . . (؟)]
لدى وصولك حيث يجتمع الآلهة ـ العظام[٢] (!)
انحنِ [. . . ثم قف أمامهم (؟)]
وقل لهم: «[. . . .]
آنو، أبوكم هو الذي أوفدني
وسيدكم إنليل ـ الباسل
ونينورتا محافظكم

(١) (Bêlet-Ili) بعلة ـ الآلهة وهي الإلّهة الأم ويلقبها النص بالرحم.
(٢) المقصودون هنا هم الإيجيجو آلهة السخرة المتمردون.

وكذلك [أنّوچال[1]، سيد عملكم (؟)!]
من المحرك على القتال [رئيس المعركة]،
الإلّه الذي باشر [بالتحريض]
ناقلاً [النزاع] حتى مقر إنليل
بحيث إنه وصل إلى بابي؟»
لدى سماع نوسكا هذه الكلمات
حمل سلاحه [. . .]
وعند وصوله إلى اجتماع الآلهة ـ العظام (!)
[إنحنى. . . ثم وقف أمامهم (؟)]
وقال لهم: «[. . .]
إنه آنو [أبوكم، الذي أوفدني]،
[وكذلك سيدكم إنـ] ـليل ـ الباسل؛
[ونينورتا محافظكم،
ورئيس عملكم (؟)] أنّوچال.
من المحرك على القتال، [رئيس] المعركة،
[الإلّه الذي با] شر بالتحريض
[ناقلاً النزاع حتى مقر] إنليل؟ . . .

نتابع هنا نص نسخة نور ـ آيا

188 [. . . . . . .]
«بما أن بعلة الآلهة، الرحم حاضرة هنا،
هي التي سوف تلد (؟) وتصنع
البشر، لتأمين سخرة الآلهة!»

(١) (Annugal) ما يقابل (En. nugi) في نسخة نور ـ آيا.

نادوا إذن الآلهة، وطلبوا
من قابلة الآلهة، مامّي ـ الخبيرة[١]:
«أنت التي سوف تكونين الرحم التي
سوف تصنع البشر؟
إصنعي إذن نموذجاً ـ أوّلياً[٢] لبشري
لكي يحمل النير عنّا،
لكي يحمل النير الذي فرضه علينا إنليل ـ
ولكي يتحمّل البشر سخرة الآلهة!»
ولكن نينتو[٣] فتحت فمها مجيبة
الآلهة ـ العظام:
«بواسطتي أنا وحدي، لن يتحقق ذلك،
ولكن بمشاركة أنكي،
نَعم، هذه العملية ممكنة التنفيذ!
هو وحده قادر على «تطـ [ـهـ] ـير» كل شيء
فليقدّم لي الصلصال طاهراً وأنا
سوف أنفّذ العمل!»

أنكي يعرض تفاصيل مشروع خلق البشر

فتح أنكي عند ذلك فمه
وتوجّه إلى الآلهة العظام:
«في مطلع الشهر، في السابع منه أو الخامس عشر
سوف أقرّر تطهيراً بالاغتسال.

(١) (Mammi) هي الإلّهة ـ الأم بعلة الآلهة.
(٢) صناعة البشر، على ما يظهر تم تصورها على مرحلتين، النموذج الأول. بالأكادية لولّو (Lûllû) بمعنى دبيجة لبشري. وبعدها يتم الإنتاج عددياً.
(٣) (Nintu) هي نفسها الإلّهة الأم مامّي بتسميتها السومرية ومعناها «سيدة ـ الولادة».

وعند ذلك سوف نضحي بإلّه (وذلك)
قبل أن (؟) يتطهر الآلهة بالتغطيس[١]
210 وبجسده ودمه،
سوف تجبل نينتو الصلصال:
وهكذا سيتحد الإلّه والبشر
المجتمعيْن في الصلصال
وسوف نتمكن بعد ذلك من الراحة (؟)
215 وبفضل جسد الإلّه، وإضافةً
سوف تكون للبشر «روح»[٢]
بحيث تُثبت أنهم أحياء دوماً بعد موتهم
وهذه «الروح» سوف تكون حاضرة هنا،
لحفظهم من النسيان!»
219 (وعند ذلك) فإن الأنوناكو ـ العظام
220 مقرري المصائر
218 وافقوا جميعهم مجيبين «بنعم!»

تنفيذ عملية خلق البشر بموجب مشروع أنكي

221 في مطلع الشهر، في السابع منه أو الخامس عشر
قرر أنكي إذن، تطهيراً بالاغتسال،

---

(١) يفهم من النص أن الآلهة بعد تضحية أحدهم سوف يتطهّرون بواسطة عملية اغتسال.

(٢) أشرنا في مقدّمة هذا الفصل (المقطع ١)، إلى التعبير الأكادي المستعمل هو طيمو (Ṭemu). ويحتوي النص بحد ذاته تفسيره لتعبير (طيمو). ويمكننا القول اعتماداً على الأسطر (٢١٥ ـ ٢١٨) أن هذه الكلمة تشمل، ما ليس له في البشر أساس مادي ويبقى بعد موت الجسد. ولا نرى أفضل من هذا التفسير الذي يقدمه لنا مؤلف هذا النص للتعبير بلغة ذلك العصر عن كلمة «روح» التي اعتمدناها. مع العلم أن تعبير نَفْش (nphs) بمعنى «نَفَس» هو مستعمل في كل من الأكادية والأوغاريتية وهو يوازي (رح) = روح الأوغاريتية ويعني المبدأ الحيوي أو الدليل على الحياة أو اللاموت. ومن كلمة (طيمو) اشتقّ أيضاً تعبير إيطيمو (Etemmu) ومعناه شبح الميت.

والإلّه «وي»[1] الذي كان يمتلك روحاً
تمت تضحيته خلال (هذا) الاجتماع.
وبجسده ودمه
جبلت نينتو الصلصال،
< لكي يتم اتحاد الإلّه والبشر
مجتمعين في الصلصال > [2]
وهكذا، مُكّن الآلهة بعد [ذلك، من الـ] ـراحة (؟)

العمود الخامس

وبفضل جسد الإلّه
أضيفت «رو [ح]» إلى البشر
بحيث تثبت أنهم أحياء دوماً بعد موتهم
وهذه «الروح» [كانت] حاضرة [هنا]
لحفظهم من النسيان!
وعندما أنهى أنكي خَلْطَ هذا الصلصال
دعا الأنوناكي، الآلهة ـ العظام،
وكذلك الإيجيجو (الذين أصبحوا هم أيضاً) آلهة ـ عظاماً
وجميعهم تفلوا على الصلصال[3]
بعد ذلك فتحت [ما] مّي[4] فمها
[وتو] جهت إلى الآلهة ـ العظام (قائلة):

---

(١) (Wê) أحد آلهة الإيجيجي الذي تمت تضحيته لخلق البشر. ويرجّح أن اختيار هذا الاسم كان لابتداع التعبير المركّب: وي ـ طيمو إيطيمّو الذي يعني شبح الميت المحتوي على «روح» الإلّه (وي). وهناك أيضاً كما يعتقد، تفسير لغوي آخر على أن كلمة أ. وي. لو (awêlu/awîlu) ومعناها بشري في أكادية ذلك الوقت كانت تحتوي على اسم الإلّه وي. (Wê) وإيلو (Elu) الإلّه وهذا ما أراده أنكي.

(٢) سطران نسيهما الناسخ.

(٣) طريقة رمزية لإشراك الآلهة في عملية خلق البشر.

(٤) (Mammi) لقب نينتو أو بعلة الآلهة وهي الإلّهة الأم والخبيرة بكل ما يتعلق بالولادة.

[«العمـ] ـل الذي كلفتموني به
أنا أنجزته!
لقد ضحّيتم بهذا الإلّه وبه «روحه»
وقد حررتكم من سخرتكم الثقيلة.
بفرض عملكم على البشر.
وعندما تسلّمون للبشر
بضجيج تكاثرهم السريع
أكون أنا قد نَزَعْت قيودكم
وقد] حرّرتكم!»
وعندما سمع (الآلهة) هذا الخطاب
تسارعوا لتقبيل رجليها، (معلنين):
«حتى اليوم، قالوا لها،
كنّا نسميك مامّي:
ليكن اسمك من الآن فصاعداً
سيّدة ـ كلّ ـ الآلهة (بعلة ـ كالا ـ إيلي)[1]!»

مباشرة عملية إنتاج البشر الجماعية

دخل عند ذلك إلى قاعة ـ تقرير ـ المصائر
كل من الأمير ـ أنكي (؟) والخبيرة مامّي

الأسطر (٢٥١ ـ ٢٧٠) مفقودة، إلا أن جزءاً من لوحة عائداً لمكتبة أشور بانيبال (+ d K 7816) محفوظاً هو أيضاً في المتحف البريطاني، يصف عملية الإنتاج على هذا الشكل:

8 d عندما أُعدت مجموعة أرحام

(١) (Bêlet-Kala-Ili).

جَبَل إيا الصلصال تحت أنظار نينتو،
وكانت تكرر الرقية
التي كان يمليها عليها إيا الجالس أمامها.
وعندما أنهت تلاوة هذه الرقية
استخرجت أربع عشرة «قَرْصة»[(١)]
وضعت سبعاً منها إلى يمينها
والسبعَ الأخرى إلى يسارها
ثم أقامت بينها حاجز ـ الآجر

وهنا يمكن العودة إلى النسخة الأشورية التي اعتمدت آنفاً ورُمِزَ إليها بحرف a وذلك لمتابعة النص:

[. . .] من يقطع حِبَال السُرَّة
للأرحام الأربع عشرة
التي جمعتها الخبيرة الحكيمة:
لكي تلد سبع أرحام منها ذكوراً
والسبع الأخرى إناثاً.
وبحضور الرحم الإلَهية[(٢)] صانعة الأقدار،
تمّت مزاوجتهم
وموافقتهم ثنائياً[(٣)].
وهكذا وضعت مامّي
قواعد (ولادة) البشر:

---

(١) عن اللغة العامية «في تقريص العجين» والأكادية «قاراصو»، راجع معنى هذا الفعل في الفقرة (١ ـ ٤)، المقطع ١٢.
(٢) الرحم الإلَهية هو لقب الإلَهة ـ الأم مامّي/ نينتو التي تسهر على الولادات.
(٣) يتّضح من النص أن البشرية بدأت بسبعة أزواج تكاثروا وتوالدوا فيما بعد وفق قواعد ولادة البشر التي وضعتها الإلَهة ـ مامّي.

«في الغرفة، حيث توجد، وهي
(لا تزال) في فراشها منتظرة المخاض
خلال سبعة أيام سوف يبقى في مكانه
حاجز ـ الآجرّ.
ويجب خلال ذلك تكريم سيدة ـ الآلهة
مامّي الخبيرة
وسوف تكون القابلة ـ المولّدة مبتهجة
في الغرفة حيث مُنتَظِرةُ المخاض، هي في فراشها.
وعندما تتم ولادتها
فالأم ـ الجديدة، سوف تبقى في فراشها
حسبَ رغبتها. . .

الأسطر (٢٧١ ـ ٢٧٨): هذه الأسطر الثمانية مأخوذة هنا عن نسخة بابلية ـ قديمة من المتحف البريطاني تحمل الرقم (BM 92608) ورمز إليها بالحرف (f) وهي كما يظهر تتطابق مع نسخة نور ـ آيا، التي نتابعها مباشرة بعد إثبات الأسطر المشار إليها.

271 (f) [. . .]
[. . .] ثديي (كل) امرأة.
[. . .] الذقن
[. . .] خذّي (كل) رجل
[. . .] وفي الخارج،
كل زوج وكل امرأة [. . .]
إذ إنه، بمجرّد إعداد [الأر] حام،
نينتو [كانت حا] ضرة
[تحسـ] ـب أشهر الحمل
إلى أن أعلن الشهر العاشر

العمود السادس

ولدى حلول هذا الشهر العاشر
فإنها سحبت «الإصبع» (؟)[١] وكشفت (؟)
عن أسفل ـ البطن (؟):
نوّرت البهجة وجهها!
ثم سَتَرتْ رأسها
وقامت بدور القابلة:
شدّت (إزاراً) حول قَطَنِها
ثم تَلَتْ مباركةً
ورسمت خطاً ـ من ـ الطحين
وجعلت حاجز الآجر في مكانه (قائلة):
«أنا التي صنعت هذا، صنعته بيديّ!
في منزل «المكرّسة»[٢]
فلتبتهج القابلة
في كل مكان تتمّ فيه ولادة المُنتظرةِ المخاض
أو تلدُ دون مساعدة أم ـ فتية،
حاجز ـ الآجر يجب أن يبقى تسعة أيام
سوف تتلقّى خلالها، نينتو ـ الرحم كل التكريم
ومامّي [. . .] المشار إليها
هي التي [. . .] الرحم
وهي التي تقوم بفرش الحصيرة.

---

(١) قد يكون هذا الإصبع ما يشبه، العود الصغير، يستعمل لإحكام شدّ إزار حول بطن الحامل ويسحب لكشف أسفل ـ البطن استعداداً للولادة.

(٢) «المكرّسة» هنا بمعنى «المُحضِّرة» للولادة بموجب الطقوس التي كانت ترافقها.

وعندما يعدّ الفراش من أجل الولادة
فالزوج والزوجة سوف يفترقان
300 وعندما يعودان ليكونا معاً
فإن عشتار[١] سوف تبتهج في الغرفة [الزوجية (؟)]:
وسوف تدوم الأفراح، تسعة أيام
وسوف يتم التوجه إلى عشتار تحت اسم إشارا...[١]

الأسطر (٣٠٥ ـ ٣٢٦) مفقودة تماماً ودونما وجود نص موازٍ لها معروف. ويظهر من النص عند استئنافه وبعد نقص آخر سوف نشير إليه أن البشر بدأوا بتنفيذ مهامهم.

(٥٦ ـ ج) ـ أعمال البشر وتكاثرهم

العمود السابع: أعمال البشر توسع البلاد

الأسطر (٣٢٨ ـ ٣٣٣) مفقودة وما بقي اعتباراً من السطر ٢٣٤ يساعد على الاعتبار بأن البشر نظموا حياتهم ونجحوا في أعمالهم.

337 صنعوا فؤوساً جديدة ومعازق
ثم أقاموا سدوداً ضخمة من أجل الري
وذلك لسد حاجات معيشة البشر
وتأمين طعام [الآلهة].

الأسطر (٣٤٠ ـ ٣٥١) ناقصة ومن المرجح أنها كانت تحتوي تفاصيل أخرى عن نجاح أعمال البشر وازدهارها.

352 [ولم تكذ تمضي مدة] اثنتي عشرة مائة من السنين[٢]

(١) أضيفت هنا إلى عشتار إلّهة الحب والاتصال الجنسي، الإلّهة إشارا في دور مماثل.
(٢) «لم تكد تمضي ستمائة وستمائة عام» في نص طه باقر.

[حتى تم توسيع رقعة البلاد]
وتكاثر عدد السكان.
والبلا [د] [مثل (خوار ثو] ر ارتفع صوتها
بحيث أزعج [الضجيج] سيد ـ الآلهة[١]

إنليل يريد القضاء على البشر بواسطة الوباء

[عندما سمع إنليل] ضجيجهم
[توجّه إلى] الآلهة ـ العظام (قائلاً):
أنا لم أعد أستطيع النوم [وسط هذا الضـ] ـجيج!
[أصدروا إذن أوامركم] لكي يصيبهم الوباء

الأسطر (٣٦١ ـ ٣٦٣) مفقودة ولا بد أن تشير إلى حلول الوباء وتصف اجتياح أضراره.

تدخّل أتر ـ حسيس، الفائق ـ الحكمة وإجابة أنكي

إلا أنه كان هناك [شخص فائق ـ الحكمة]،
متعبد لأنكي وكثيـ [ـر المهارة]،
وكان قادراً على التكلم [مع إلّهه]
الذي كان يعدّه بطيبة خاطر [محاوراً له]!
الفائق ـ الحكمة [فتح إذن] فمه
وتوجّه إلى إلّهه (قائلاً):
إلى متى سيدوم [هذا الوباء (؟)]
هل سيُفرض علينا هذا البلاء حتى [النهاية] (؟)
فتح أنكي فمه

---

(١) المقصود هنا هو الإلّه إنليل سيد مجمع الآلهة.

متوجهاً إلى خادمـ[ـه]:
< «ادع القدماء للاجتماع لديك وقل لهم >[١]:
«أيها القدماء[٢] استمعوا إليّ!
[. . .] في القصر (؟) [. . .]
أصدروا أوامركم إلى المنادين في البلاد
لكي يعلنوا بكل وضوح:
«توقفوا عن تكريم آلهتكم!
وكفوا عن التضرّع إلى إلٰهاتكم!
ولكن لازموا في توجّهكم نامتار[٣] وحده:
إليه وحده قدِّموا قرابين الأطعمة ـ المطبوخة!
مثل هذه التقدمات سوف تحوز رضاه
وحين يجد نفسه مغموراً بكل تلك الهدايا
سوف يعمد إلى إيقاف أذاه!»
وبموافقته على هذه التعليمات، فإن الفائق ـ الحكمة
جمع عنده القدماء
وفتح فمه
متوجهاً إليهم
«ـ أيها القدماء! استمعوا إلي!

العمود الثامن

[. . .] في القصر (؟) [. . .]
أصدروا أوامركم إلى المنادين في البلاد
لكي يعلنوا بكل وضوح:

---

(١) سطر نسيه الناسخ.
(٢) أي الشيوخ.
(٣) (Namtar) الإلٰه المكلف بنشر الوباء وهو أحد آلهة العالم السفلي وعرف كإلٰه الطاعون.

[توقفوا عن تكريم] آلهتكم
و [كفوا عن التضر] ع إلى إلّهاتكم!
ولكن [لازمـ] ـوا في توجهكم [نامتار] وحده:
إليه وحده [قدّموا قرابين الأطعمة المطبوخة] !
هذه التقد [مات] سوف تحوز رضاه
وحين يجد نفسه مغموراً بكل تلك الهدايا
فسوف يوقف أذاه!»
وامتثالاً لهذا الإيعـ [ـاز فإن القد] ماء
شيّدوا في المدينة
مقاماً لنامتار
وأمروا [المنادين] أن يعلنوا
[بكل وضو] ح [في البلاد]:
توقفـ [ـوا] عن تكريم [آلهـ] ـتكم!
وكفّوا عن التضرع [لإلّهاتكم] !
ولكن لازمـ [ـوا] [نامتار] وحده:
إليه وحده [قدموا قرابين] الأطعمة ـ المطبوخة!»
فهذه التقدمات حازت [على ر] ضاه
وعندما وجد نفسه [مغمو] راً بكل هذه الهدايا
قام بإ [يقاف] عمله المؤذي
وعندئذ [بعد الوباء عن البشر]
وعادوا من جديد [إلى الازدهار (؟)]

السطران الأخيران (٤١٤ ـ ٤١٥) مفقودان.

اللوحة الثانية / العمود الأول

(٥٦ ـــ د) ـــ مع الازدهار عاد التكاثر وارتفع الضجيج من جديد

لم تكد تمضي بعد ذلك أكثر من اثنتي عشرة مائة من السنين
حتى تمّ توسيع رقعة البلاد
وتكاثر عدد السكان
ومثل (خوار) ثور ارتفع صوت البلاد
بحيث أزعج الضجيج سيد ـ الآلهة

إنليل يسلط الجفاف والمجاعة

عندما سمع [إنـ] ـليل ضجيجهم
توجه نحو الآلهة ـ العظام (قائلاً):
«أصبح ارتفاع صَخب البشر لا يطاق:
أنا لم أعد أستطيع النوم وسط هذا الضجيج!
اقطعوا عنهم إذن الأرزاق
ولتتضاءل النباتات ـ الغذائية!
وليحتبسْ أدد[1] كليّاً أمطاره،
بحيث يتوقف الفيض على الأرض
عن الوصول من منبعه!
ولتهب الريح (اللاّفحة)
لتحمّص الأرض!
وليتجمّع السحاب
ولكن دون إهطال أية نقطة ماء!
ولتُنقص الحقول غلالها!

---

(١) (Adad) إلّه الجو والأمطار.

ولتحجب عنهم الإلّهة نيسابا[١] عطاء ثدييها
ولتنعدم بينهم الأفراح
ولتتبدّد [. . . . . ـ] ـهم كالدخان».

السطر ٢٢ وما يليه، أي بقية العمود، المقدرة بحوالي ٣٠ سطراً كلها مفقودة. ومن المرجح أنها كانت تصف حلول وأضرار الجفاف والمجاعة المقررين، ثم تدخّل الفائق ـ الحكمة من جديد متوسطاً الإلّه أنكي وتعليمات هذا الأخير لاستبعاد الضرر. ويمكن هنا استكمال نص نور ـ آيا جزئياً بواسطة كسرة اللوحة التي عثر عليها في حفريات نفر[٢] والمحفوظة في متحف إستنبول تحت الرقم (+ Ni 2552) ونرمز إليها هنا بحرف (g).

الفائق ـ الحكمة ينفذ تعليمات أنكي

g ـ العمود الثاني

. . . .]
[«أيها القدماء! استمعوا إليّ!] !
[. . .] القصر. . (؟) [. . .]
[أصدروا أوامركم إلى المنادين في البلاد
[لكي يعلنوا بكل وضو] ح:
«توقفوا [عن تكر] يم آلهتكم!
وكفّوا عن التضرع إلى [إلّها] تكم!
ولكن [لازموا] في توجهاتكم أدد وحده
[إليه وحده] قدموا قرابين الأطعمة المطبوخة.
مثل هذه التقدمات سوف تحوز رضاه فيخجلُ
حين يجد نفسه مغموراً بكل تلك الهدايا،

(١) (Nisaba) بصفتها هنا كإلّهة للزراعة والمحاصيل وهي أيضاً إلّهة الكتابة.
(٢) (Nippur).

وسوف يعمد إلى إيقاف أذاه:
وفي الصباح سوف (يرسل) الرذاذ
وخفية أثناء الليل،
سوف يقطّر الندى
بحيث تعود الحقول سرّاً
إلى (توفير) غلالها.
أُشيد إذن في المدينة مقام لأدد
وأُمِرَ المنادون بالإعلان
بكل وضوح في البلاد:
«توقفوا عن تكريم آلهتكم!
وكفوا عن التضرع لإلَهاتكم!
بل لازموا [أدد] وحده،
إليه وحده [قدموا] قرابين أطعمتكم المطبوخة!»
تلك التقدمات حازت [رضـ] ـاه
وعندما وجد نفسه [مغمـ] ـوراً بكل تلك الهدايا، عَمَد
خجلاً إلى إيقاف عمله المؤذي:
ففي الصباح أرسل الرّذاذ
وخِفية أثناء الليل
[قطّـ] ـر الندى
[بحيث عادت الحقول سـ] ـراً
إلى توفير غلالها!

(٥٦ ـــ هــ) ـــ عودة إلى الضجيج وإحكام المراقبة

وبذلك غادرهم [الجفاف/ المجاعة (؟)]
ومن جديد [. . .] [. . . ـ] ـهم

التتمة، اعتباراً من السطر ٣٦ وحتى نهاية هذا العمود، أي حوالى ١٥ سطراً، مفقودة بكاملها. وما يلي ذلك، وحتى العمود السابع، لا يمكن التعرف على محتواه جزئياً وبشكل تقريبي، إلا بواسطة كسرة اللوحة البابلية ـ القديمة المشار إليها أعلاه وفق الحرف (g) والتي تسمَحُ بتلخيص التسلسل التالي اعتماداً على بعض الكلمات التي أمكنت قراءتها:

١ ـ بعد تخليص البشر من الجفاف والمجاعة عاد التكاثر من جديد، ومن جديد علا الضجيج والصخب.

٢ ـ مما أزعج إنليل من جديد وحرمه من النوم. وفي هذه المرة يقرر الإبقاء على عقاب الجفاف والمجاعة مضيفاً إليه مراقبةً محكمة.

٣ ـ لهذه الغاية يجعل الآلهة يتخذون قراراً أو يؤدون قسماً بالمحافظة على ذلك وعدم السماح لأية رطوبة بتغذية الأرض.

٤ ـ وكلف إنليل آنو وأدد بمراقبة السماء وأخذ هو على عاتقه مراقبة الأرض.

٥ ـ وهكذا ساءت أحوال البشر وفشلت محاولات الفائق ـ الحكمة.

العمود الثالث: يأس الفائق ـ الحكمة

[. . . . .]

4 كانت الدموع تلازم (الفائق ـ الحكمة) كل يـ [ـوم]

وبعد إعداد، ما يسمح في كل صباح

من أداء تقدمة تبخيرية [. . .]

10 + 8 كان يعير [انتباهاً] لأحلامه

11 وفي مقام إلّهه [كان دوماً]،

14ـ 12 يبقى [خائر القوى (؟)] يبكي. . .

الأسطر (١٥ ـ ٣٥) مشوهة ويمكن أن يستنتج منها بأن الفائق ـ الحكمة، بناء على إرشادات إلّهه أنكي أو بمبادرة من قبله، كان يقوم بطقوس تعويذية من المحتمل أن تكونَ لهدف جعل «النهر» يحمل معه بعيداً أسباب البلاء الذي يخضع له البشر. وكان أنكي يستمع إلى هذا الرجاء. وكان على ما يظهر يأمر كائنات (أسطورية)[1] نهرية أو

بحرية بالتدخل ولكن دون جدوى. وحين يُستأنف النص في العمود الرابع نرى الوضع يزداد سوءاً.

تزايد الجفاف

العمود الرابع

في الأعالي [. . .]
بينما الفيض على الأرض
ما عاد يـ [ـصل] من منبعه
ولم تحمل رحم الأرض:
فلم تعد تظهر النباتات [. . .]،
ولم يُشاهد أحد [. . .]
وجفّت الحقـ [ـول] المعشبة (؟)
وغطّى الملح] السهول!
في السنة الأولى أكلوا المخزون
وفي السنة الثانية أفرغوا الأهراءات
وبحلو [ل] السنة الثالثة
تبدّلت بسبب الحرمان، ملامحهم،
كأن وجوههم غطّاها طحين حبوبٍ مُنَتَشَة (؟!)،
ولشدّة ما دكنوا (؟) [. . .]،
ظهر التغضّن على وجو [ههم]
كانوا جميعهم يطوفون في الـ [ـشوارع] مرهقين
وضمرت أكتافهم العريضة
وصَغُر أكثر فأكثر المكان الذي يشغلون (؟)

(١) يطلق النص على هذه المخلوقات اسم «لحمو» (Lahmu) الذي ورد في قصيدة التكوين والخليقة كأول مخلوقات تيامت إلى جانب «لحامو».

التتمة اعتباراً من السطر ١٨ وما يليه مشوهة في بدايتها ومفقودة فيما بعد بمقدار ثلاثين سطراً.

وما بقي من بداية العمود الخامس، لا يسمح بالتعرف على تطور الأحداث. ومع ذلك، يظهر أنّ أنكي، مستجيباً لرجاء وإلحاح خليله الفائق ـ الحكمة نجح بطريقة نجهل تفاصيلها من تخفيف المجاعة نوعاً ما. وهذا ما سبّب له نقد وغضب إنليل الذي يظهر لدى استئناف النص.

العمود الخامس

[........]
تملّكه غضب شد [يد] [على الإيجيجو] !
«[نحن جميعنا] قال، نحن الأنو [ناكو] العظام،
قرّرنا معاً بالإجما[ـاع] آخذين [تعهداً]:
كان على آنو [وأدد] مراقبة المناطق العليا
وأنا أراقب الأر [ض في الأسفل].
ثم [تدخّل] أنكي
[لتحرير البشر] بنزع قيو [دهم]
والسماح لهم مرة أخرى [بخيرات وفيرة] !»
[.......]
وفتح إنليل فمه [من جديد]
وتوجّه إلى نوسكا حاجبه:
فليؤت إليّ إلى هنا بالمتواطئين[1] (؟)
وليحضروا أمامي
وحين أُدخلوا أمامه
توجه إليهم [إنليل] ـ الباسل

---

(١) المقصودون هنا هم آنو وأدد المكلفان بالحراسة وأنكي المدافع الدائم عن البشر.

قائلاً: [نحن جميـ] ـعنا الأنوناكو ـ العظام
قررنا معاً وبالإجماع، آخذين تعـ [ـهداً]
كان على آنو وأدد حراسة المناطق ـ الـ [ـعليا]
وكنت أنا بنفسي أحرس الأرض في [الأسفل] !
ثم تد[خّلت] أنت[١]
[لتحرير البشر، بنزع قيودهم
والسماح لهم مرة أخرى بخيرات وفيرة] !

بعد نقص كبير، يقدر بحوالى ١٥ سطراً حتى نهاية العمود الخامس و٣٥ سطراً من بداية العمود السادس ويمكن الاستنتاج لدى استئناف النص أن إنليل عقد اجتماعاً هاماً لاتخاذ قراره الخطر الذي لا مردّ له وهو الطوفان وإزالة البشر نهائياً.

إنليل يذكّر من جديد خلال الاجتماع بمخالفة التعليمات

[أَسْقَـ] ـطَ أدد من جديد أمطاره
وعادت [الخضرة] لإكساء الحقول
بينما كانت [السماء (؟)] تغطيها
الغيوم المحمّلة بالماء!
«كلا! كفّوا عن تغذية البشر!
توقفوا عن تزويدهم بالغلال!»

أنكي يظهر استهزاءه بمقررات إنليل الذي يكرّر اتهامه له

ولكن (أنكي) أتعبه الجلوس في زاويته (؟)
وفي وسط مجلس الآلهة، تملّكه الضحك ـ
تعب من الجلوس في زاويته (؟)
وفي وسط مجلس الآلهة تملك [أنكي] الضحك

---

(١) إنليل يتوجه هنا إلى أنكي.

الأسطر (٤٥ ـ ٤٨) مفقودة ويتابع النص ردّ فعل إنليل تجاه قلّة احترام أنكي.

49 [نحن جميعاً]، [الأنوناكو العـ] ـظام،
اتخذنا مجتمـ [ـعين تعهداً]
كان على آنو وأدد حراسة المناطق ـ العليا
وأنا بنفسي كنت أحرس الأرض في الأسفل
ثم تدخّلتَ أنت
لتحرر البشر نازعاً عنهم قيودهم
وسمحت لهم مرّة أخرى بخيرات وفيرة!
[. . .]

العمود السابع

الأسطر (١ ـ ٣٠) مفقودة. من هنا يتابع نص نور ـ آيا بالتوازي مع النص البابلي ـ القديم (g) الذي قدم لنا محتوى الأعمدة الأخيرة أعلاه. لا بد أن يكون إنليل قد أعلن في مجلس الآلهة عن قراره بإبادة البشر بإرسال طوفان جَارف ولدى استئناف النص نشهد دفاع أنكي عن البشر الذين خلقهم هو لمصلحة الآلهة.

دفاع أنكي عن البشر متوجهاً إلى الآلهة ومعارضته لقرار إرسال الطوفان:

[هكذا، أنا حررتكم من سخرتكم الثقيلة]
[بفرض] عمـ [ـكم على البشر]
وقد سلّمتم آنذاك للبشر بضجيج تكاثرهم
وبالإضافة إلى ذلك فقد ضحّيتم [بإلّه]
(بغية منحهم) «الر [وح]»
والآن، خلال هذا الاجتـ [ـماع]، أتأمرون
[بإبادتهم (؟)] ؟
أتسمحون لأنفسكم بالانجرار إلى إقر [ار]

عودتهم إلى العـ [ـدم] ؟
لنجعله يرتبط بقسمٍ (ا) (كنتم قررتم) بصدد
أنكي ـ الأمير (؟)!
وفتح فمه أنكي
متوجهاً من جديد إلى الآ [لهة إخوته]:
لماذا تريدون توثيقي بقسم؟
هل بإمكاني رفع يدي على مخـ [ـوقاتي] ؟
وهذا الطوفان الذي تتحدّ [ثون عنه]،
أنا [أجهل] معناه
أيتوجب عليّ أنا إحداثه؟
كلا! فهذه المهمة تعود [لإنليل] !
فليقرر هو بنفسه و [ليأمر]؛
وعند ذلك فإن «شولّلات» و [«خانيس»][١]
سوف يتقدمان الموكب المشؤوم
و [ليقتلع] نر [چال] دعائم بوابات السماء
وليجعل نينورتا [السدود العلوية] تطفح!

نقص جديد يقدّر بحوالى ٣٠ سطراً، بمعدل سطر واحد أو سطرين في نهاية العمود السابع والباقي من بداية العمود الثامن الذي لم يبق منه سوى القرار النهائي بإحداث الطوفان.

العمود الثامن

اتخذ الآلهة عند ذلك قرارهم النهائي:
قرار مؤذٍ أراده إنليل لهلاك البشر!

---

(١) (Shullat) و (Hanis) هما مساعدان لأدد إلّه الرياح والزوابع والأمطار وهما يتقدّمان أدد للإنذار بالحوادث الجوية.

(٥٦ ـــ و) ـــ الطوفان

اللوحة الثالثة/ العمود الأول

الفائق ـ الحكمة يتوجه إلى أنكي الذي يستجيب لرجائه بواسطة حلم يفسّره له فيما بعد بشكل غير مباشر.

1 فتح [الفائق ـ الحكمة] فمه
[وتوجّه] إلى إلّهه (أنكي):

الأسطر (٣ ـ ١٠) مفقودة. واستجابةً لابتهالات وتضرعات الفائق ـ الحكمة فإن أنكي ينبئه بواسطة حلم منذر.

الفائق ـ الحكمة يطلب تفسير الحلم

11 فتح [الفائق ـ الحكمة] فمه (مرة جديدة)
(وتوجه) إلى إلّهه
فسّر لي معنى [هذا الحلم]
لكي أتفهّم [مغزاه]
وأتعرّف على نتائجه!»
15 فتح عندئذ أنكي فمه
متوجّهاً إلى عَبده:
«تريد أن تفهم مغزى [هذا الحلم]، كما تقول
19 إذن! فاحفظ تماماً
18 الرسالة التي أبلّغك إياها:
20 أيها الحائط! استمع إليّ جيداً[١]
إحفظ كل ما أقوله أيها السياج![١]

---

(١) أنكي يكلّم الفائق الحكمة بطريقة غير مباشرة بتوجّهه إلى سياج القصب وسوف يتضح سبب ذلك فيما بعد.

إهدم بيتك لكي تبني فلكاً!
تخلّ عن ممتلكاتك
لكي تنقذ حياتك!
الفلك الذي عليك بناؤه
[. . .] متساوية أضلاعه
[. . . . . .]
اجعل له سقفاً، لكي، مثل الأبسو
لا ترى الشمس داخله!
ليكن محكم الإغلاق من كل جهاته
ولتكن تجهيزاته متينة
وتقليفها[١] سميكاً ومقاوماً
بعد ذلك سوف أمطرك
بوافر من الطيور وبسلال من الأسماك!»
فتح أنكي عند ذلك الساعة المائية[٢] وملأها
وعيّرها لتشير إلى حلول الطوفان، بعد سبعة أيام!

الفائق ـ الحكمة يدّعي أمام شيوخ المدينة أنه يغادرها بسبب خلاف بين إلّهه أنكي والإلّه إنليل وبناء على طلب أنكي.

عندما تلقى الفائق ـ الحكمة هذه التعليمات
جمع حوله قدماء[٣] المدينة
وفتح فمه
متوجهاً إليهم (بقوله):

---

(١) «قلفطتها» باللغة الدارجة على الساحل السوري وتعني سد فواصل ألواح بناء الفلك بواسطة القنب والقار لتأمين عدم نفاذ المياه إلى داخلها وكذلك غرز أسافين خشبية بين الفواصل.
(٢) استعملت بابل منذ ذلك الزمن الساعات المائية والشمسية.
(٣) أي شيوخ المدينة.

«إلَٰهي لم يعد [على وفاق] مع إلَٰهكم:
أنكي وإنليل غضب كل منهما على الآخر
مما يضطرني إلى مغارة [مدينتكم (؟)]
لأنني أتعـ [ـبد لأنكي] !
وهذا ما قرره هو:
لن تطـ [ـأ رجلي بعد ذلك]
أرض إنليل
ولكن سوف [. . .] مع الآلهة] و [. . .] !
و [هذا] ما قرره أنكي!

نقص خمسة أسطر من نهاية العمود الأول وتسعة أسطر من بداية العمود الثاني. ومن المحتمل أنها كانت تشتمل على تتمة تعليمات أنكي.

تنفيذ أوامر أنكي

العمود الثاني

الشيوخ [. . .]
النجا [رون ومعهم مقاشطهم]،
وشاغلو [القصب المزوّدون، بمطارقهم الحجرية]
[. . . الصغار أتوا] بالقار (وجلب الكبار)
الأكثر قوة [بالحاجات الأخرى]

الأسطر (١٥ ـ ٢٩) المحتوية على متابعة إعداد الفلك إما مفقودة أو كثيرة التشوه ويليها كما يظهر تحميل الفلك.

كل ما كان لديه [من الذهب]،
كل ما كان لديه [من الفضّة]؛

و [الحيوانات] «الطاهرة» (؟) [. . .]
الأكثرها سمنة (؟) [. . .]،
أمسك بها وأد [خلها] إلى الفلك.
[أطيار] السماء ذات الأرياش
والماشية [. . .]
ودو [يبات] السهوب:
(جميعها) أد [خلها] إلى الفلك.
و [. . .] عندما [اختـ] ـفى (؟) القمر
دعا (معارفه) إلى وليمة [. . .]
[. . . . . .]
بعد أن أركب عائلته في الفلك.
[أكلـ] ـوا إذن بوفرة
[وشر] بوا بغزارة
أما هو فكان يدخل ويخرج باستمرار.
دون أن يجلس قط أو حتى يقعد القرفصاء
لشدة ما كان حزيناً وجائش النفس.

الطوفان

ثم تبدلت هيئة الجو
وأرعد أدد في السماء:
ويمجرد سماعه لهدّ[1] الإلّه
أُحْضِر له القار لسدّ رَوْزَنَةِ[2] الفلك
وما أن أحكم سدّها

---

(١) مأخوذ عن الهادّة والهادّة بمعنى الدويّ والرعد، وأصله من اسم أَدَدْ أو حَدَدْ أو هَدَدْ إلّه الرعد.
(٢) الكوة أو الفتحة في سطح الفلك المؤدية إلى الداخل.

حتى أرعد أدد (من جديد) في السماء
بينما الرياح الغاضبة عصفت دفعة واحدة
وقطّعت مرابط الفلك وأطلقته.

فقدان سطر واحد أو سطرين من نهاية هذا العمود والأسطر الأربعة الأولى من بداية العمود الثالث.

العمود الثالث

[. . .] العاصفة،
[. . . . .] المقرونة إلى [. . .]
و [مزّق أنزو[1]] السماء
بمـ [ـخا] لبه
ضربت العاصفة الأرضَ
وحطّمت ضجيجها [كما (تحطم) الجرّة]
و [بثورة] الطوفان
مرّ الجِزْمُ على البشر
فاتكاً مثـ [ـل الحرب] !
لم يعد الأخ يرى أخاه
ولم يكن ممكناً تمييز أحدٍ في هذه المهلكة
ارتفع صوت الطو [فان] مثل خوار ثور
و [مثل] صـ [ـفير] عقاب
كانت [تهدر] العاصفة،
[قائمة] كانت الظلمات
إذ اختفى وجه الشمس.

(١) أنزو (Anzou) هو طائر أسطوري عُرف بمحاولة اغتصاب سلطة الإلّه إنليل وسوف يرد نص حوله في الفقرة الثانية من هذا الفصل.

[وهلك البشر (؟)] مثل الذباب
(20 _ 22) [. . . . .]

ردود فعل الآلهة أثناء حدوث الطوفان

[. . .] جَرفَ الطوفان
أرهب (؟) حتى الآلهة
وكان أنـ [ـكي] يستشيط غيظاً
[لرؤية (؟)] أبنائه يهلكون
[أما] م عينيه!
و [نينـ] ـتو السيدة السامية
لم تتمكن شفتاها من كَتْم هَلَـ [ـعها]
بينما الأنوناكو، الآلهة ـ العظام
كانوا هنا قاعدين وقد أرهقهم الجوع والعطش.
وأمام هذا المنظر أجهشت الإلّهة منتحبةً
و (صاحت) مامّي ـ الخبيرة، قابلة الآلهة:
«ليت هذا النهار[1]
إلى الظلمات يعود!
ولكن أنا، أنا في مجمع الآلهة
ما الذي جعلني معهم
أتخذ مثل هذا القرار النهائي؟
إن إنليل تمكن بكلماته التي تماثل براعتها
كلمات (الشيطانة) تيرورو[2] الشهيرة
من جعل كلماتي عديمة الفائدة!

(١) المقصود هو نهار اتخاذ القرار بإحداث الطوفان.
(٢) (Tiruru).

مع أنني، أنا شخصياً،
التي تلقّيت نداء واستغاثة البشر:
ودون أن أتمكّن من عمل أي شيء: فإن ذريتي
أصبحت مقضيّاً عليها كالذباب!
كيف يمكنني البقاء هنا
وصيحاتي تختنق في هذا المسكن الحزين؟
أريد الصعود إلى السماء
كي لا أبقى مقيمة
في هذا المقر المشؤوم (؟)
سأرقى إلى السماء حيث صَعَدَ آنو رئيسنا (؟)،
والآلهة أبناؤه الذين سمعوا نداءه،
بعد أن أقروا دون تروٍ، الطوفان
وسلّموا البشر إلى هذه [الكارثة] !»

السطر ٥٥ مفقود وكذلك الأسطر الثلاثة الأولى من العمود الرابع.

العمود الرابع

وهكذا (أيضاً) انتحبت نيذ [نتو]:
«ماذا! أحدثوا إذن [هذا الطوفان (؟)] ؟
و (ها هم) البشر ملأوا البحر
وكاليعاسيب (ملأوا) وَجْهَ النهر.
ومثل جذوع حطبٍ، ها هم
مكدّسون على الشاطىء
ومثل جذوع (مجروفة)، ها هم
مكوّمون على الضفّة!
بكتهم دموعي عندما شاهدتهم،

حتّى استنفدت رثائي من أجلهم!»
بكاء نينتو هدّأ قلبها!
هكذا انتحبت نينتو
مصعّدة تأثرها
والآلهة معها، رثوا لحالة الأرض.
أسكرها اليأس
حتى شعرت بظمئها إلى الجعة:
وحيث كانت تجلس باكية
كانوا، هم أيضاً يجلسون، متراصّين
مثل غنمٍ حول حوض الإِرواء،
يبست شفاههم من القلق
23 + 22 وهم يترنّحُون من شدّة الجوع.

استمرار الطوفان

طِوالَ سبعة أيام وسبع ليالٍ
استمرت عصفات الريح ووابل المطر
و [الطوفان]،
هنا حيث [. . .]
تمّ القضاء عليه [. . . .]

الأسطر (٢٩ ـ ٥٣) حتى نهاية العمود الرابع مفقودة فيما عدا بعض الرموز غير المقروءة.

العمود الخامس

الأسطر (١ ـ ٢٩) مفقودة هي أيضاً. ومن الممكن أنها كانت تشتمل على توقف

الطوفان واستقرار الفلك على إحدى القمم وليس من المستبعد أن يكون الفائق ـ الحكمة، كما سنشهد ذلك في نصوص أخرى، قد أطلق طيوراً للتعرف على إمكانية مغادرة الفلك.

(٥٦ ــ ز) ــ بعد الطوفان

الفائق ـ الحكمة يغادر الفلك

ويقدم قرابينه للآلهة:

[وزّع] باتجاه الرياح الأربع
[كل ما كان يحمله الفلك]،
ثم ضحّى من أجل الآلهة
مقدّماً لهم غذاءهم
[كما أعد لهم قرباناً بخورياً ذكي الرائحة (؟)]
[وحين شمّ] الآلهة رائحة القرابين الذكية
تجمّعوا [كالذبا] ب حول الوليمة!

انتقاد نينتو لإنليل

[ولكن بعد أن] أنهوا وليمتهم
نهضت [نينتو] ـو
وأمام الجميع، احتجت (قائلة):
«ما لآنو رئيسنا وصل إلينا؟
وإنليل؟ أرى أنه حضر الوليمة
وهو الذي دون تروٍ، قرر الطوفان
وسلّم البشر إلى هذه المهلكة
بينما أنتم جميعكم، اتخذتم معه
مثل هذا القرار الشامل؟

والآن، ها هي وجوه البشر
قد اختفت في الظلمات!»
ثم قرّبت (يدها) من عقد «الذباب»[1] الكبير
الذي كان آنو [.....] وقالت:
«إن حزني هذا على مصيرهم،
كان إذنْ قدري!
فليخلصني آنو من غمّي
وليُنرْ لي وجهي!
أريد، حتى الصباح [...]

العمود السادس

في [.....] !
أن يصير [هذا] الذباب[1]
عقداً من اللازورد على جيدي
لكي أتذكر إلى الأبد، تلك الأيام [المشؤومة] !»

النقاش الأخير بصدد الطوفان

غضب إنليل بسبب مخالفة أوامره واتهام أنكي

ولكن عندما شاهد إنليل ـ الباسل، الفلك
تملّكه الغضب على الإيجيجو (وأعلن):
«نحن جميعاً الأنوناكو ـ العظام
قررنا معاً بالإجماع وأدّينا قسماً[2]

---

(١) قد يكون المقصود بعقد الذباب الكبير، مجموعة ضحايا البشر الطافين على وجه الماء كالذباب وقد أرادت نينتو أن يتحولوا إلى عقد من اللازورد على جيدها لتتذكّر. ونحن نعلم أن نينتو أو عشتار كانت تحمل عقداً من اللازورد أحجاره على شكل ذباب.

(٢) المقصود القسم أو التعهد بحفظ سر الطوفان وعدم معارضة القرار بصدده.

كيف أمكن إذن لبشري
النجاة من الهلاك؟
وكيف سَلِمَ رجل من الدّمار؟»
ففتح آنو عند ذلك فمه
وتوجه إلى إنليل ـ الباسل (قائلاً):
«من غير أنكي
يستطيع أن يفعل ذلك؟
[أما أنا (؟)] فلم أفشِ سرنا (؟) !»
ولكن أنكي فتح فمه
[وتوجه] إلى الآلهة ـ العظام (بقوله):
«[نعم!] فعلتُ ذلك ضد إرادتكم جميعاً!
[أنا أ] نقذت بشرياً [...]
(23 ـ 20) [......]
فليهدأ [إنليل ...]
العقاب الذي تختار، [فعلى المذ] نب (الحقيقي)
كان عليك فرضه
وعلى كل من يخالف أوامرك!»

الأسطر (٢٧ ـ ٣٨) مفقودة وقد تكون تحتوي دفاع أنكي وتسويغه لصواب رأيه في إنقاذ البشر وبالتالي الآلهة. وبدون شك (وبعد تدخل الإلّهة الآم نينتو (؟))، فإن الآلهة يقررون منح الحياة الأبدية إلى الفائق ـ الحكمة بعد نجاته من الطوفان. كما يقومون باتخاذ إجراءات جديدة لحفظ البشرية مع تحاشي التكاثر التضخمي في المستقبل. وفي هذه الإجراءات، يفسر النص لدى استئنافه أصول[1] ما فَرض الآلهة على البشر من أجل تحقيق ذلك، وهي بالدرجة الأولى:

(١) نحن هنا أمام خاتمة تفسيريّة «لميتوس أصول» للإجراءات المعدّدة وعلى الأخص الموت الذي هو نتيجة طبيعة لتكوين الإنسان منذ خلقه من جسدٍ صلصالي وروح إله.

ـ الموت[١] ومن ثمّ:

ـ الامرأة العاقر إلى جانب المرأة الولود

ـ ووفيات الأطفال

ـ ونظام النساء المكرسات اللواتي تُحرّم عليهن الأمومة.

الإجراءات الجديدة

مهما كان قرارهم [. . .]
[أما أنا فقد أر] حت نفسي!»[٢]
ثم فتح [إنليل] فمه [متوجهاً]
إلى أنكي ـ الأمير (؟) (قائلا):
«حسنا! استدعِ نينتو ـ الرحم،
وفكّرا معاً خلال اجتماع المجلس!»
فتح أنكي [فمه] عندئذٍ
[وتو] جّه إلى نينتو ـ الرحم (معلناً):
«أيتها الأم ـ الإلّهية [أنت] التي تقررين المصائر
إفرضي إذن الموت على البشر[٣]
[. . . . . .] (45 ـ 49)

العمود السابع

وبالإضافة إلى ذلك، الشرعة الثلاثية (الهدف)
لكي تطبّق على البشر:

(١) راجع الهامش (١) على الصفحة السابقة.
(٢) المتكلم هنا هو أنكي على الأرجح.
(٣) نينتو ـ الرحم، مانحة الحياة هي التي يطلب منها هنا فرض الموت على البشر. ويجعلنا هذا القرار نتساءل عمّا إذا كان البشر لدى خلقهم لا يعرفون الموت إلا بواسطة الكوارث الجماعية: الوباء والجفاف والمجاعة. . .، ويفرض عليهم هنا الموت الطبيعي الذي نعرفه.

كما توجد لديهم نساء ولودات
فلتكن أيضاً علاوة على ذلك نساء عواقر،
ولتكن فاعلة بينهم الشيطانة ـ المطفأة،
خاطفة الأطفال
من على ركبتي أمهاتهم؛
قرري لهم أيضاً (نظام) النساء المكرّسات:
(أوغبابتو)[١] و (إينتو)[١] و (إيجيصيتو)[١]
مع حرمهم الخاص
الذي يحظّر عليهن الأمومة!

الأسطر (٩ ـ ٤١) مفقودة بكاملها ولا يمكن تصور محتواها.

العمود الثامن/ خاتمة النص

الأسطر (١ ـ ٨) مفقودة بكاملها.

التوجّه الأخير وتمجيد إنليل[٢]

9 وهكذا على الرغم من [الطوفان]
المقرر من قبلـ [ـنا]،
10 نجا البشر [من الكارثة]!
يا سيد الآلهـ [ـة ـ العظام]

---

(١) (Ugbabtu) و (Entu) و (Igişîtu) هنّ المكرّسات لخدمة المعبد واللواتي تحظّر عليهن الأمومة.

(٢) يجب ألا نستغرب أن يكون التمجيد النهائي موجهاً لإنليل وليس لأنكي الذي أنقذ البشر أكثر من مرة، وهذا يعني أن إنليل، الملقّب دوماً بالباسل مكّن، بتعنّته وعدم ترويه وعنف طباعه...، مكّن من أن تصل البشرية التي بوشر بخلقها إلى استكمال عناصر وجودها وإلى استقرارها في وضع إنسان ما بعد الطوفان لبدء التاريخ الذي هو نحنُ، ولهذا السبب أشيد بعظمة إنليل.

إنني وفق تعليما [تك] أنت
قدمت هذه المعـ [ـركة]
تمجيداً لاسمك!
15 هذا النشيـ [ـد]
بعد أن سمعه الإيجيـ [ـجو]
أشادوا بعظمتك!
19 استمع إليّ إذن
18 أنشد الطوفان العالمي!

□ نسخة مكتبة أشور بانيبال
ونسخ أخرى متفرّقة

تنبيه:

أوردنا في النص السابق العائد لنسخة نور ـ آيا عن الفائق ـ الحكمة، وهي النسخة الأقدم، مقطعين مكمّلين استعَرْناهما من نسخة مكتبة أشور بانيبال في نينوى (٦٦٨ ـ ٦٢٧ ق. م)، وتمّت الإشارة إليهما بالحرف (a). ونذكّر هنا فيما يلي، بتتمة هذه النسخة، مشيرين إليها بالحرف نفسه، تليها مقاطع من نسخٍ أخرى أحدث منها محفوظة جميعها في المتحف البريطاني في لندن ما عدا واحدة منها، هي موجودة في متحف فيلادلفيا في الولايات المتحدة الأميركية. أما المقاطع المشار إليها فهي التالية وفق تصنيفها في المتحف العائدة إليه:

(a) K 3339 + نسخة مكتبة أشور بانيبال.

(h) BM 39099 مقطع يعود إلى ما بعد عام ٥٠٠ ق. م.

(i) BM 98977 و B 99331 + وهو جزء من لوحة كتب على وجهيها وتعود لفترة المقطع السابق نفسها.

(j) CBS 13532 كسرة صغيرة، ظهرها وحده قابل للاستثمار. وهي من النصف الثاني للألف الثاني ق. م وتعود لمتحف فيلادلفيا.

(k) DT 42 وهي كسرة لوحة، وجه واحد فقط منها مقروء. وتعود إلى النصف الأول من الألف الأول لما قبل الميلاد.

وجميع أجزاء أو كسر اللوحات هذه، تضيفُ الى نسخة نور ـ آيا المعتمدة، بعض التفاصيل المفيدة عن الفائق ـ الحكمة والطوفان. ومجمل الأجزاء المتبقيّة تحتوي على حوالي ٢٤٠ سطراً، تتوزع حسب رموزها كما يلي:

$\frac{(a)}{١١٦}$ ، $\frac{(h)}{٦٣}$ ، $\frac{(i)}{٣٨}$ ، $\frac{(j)}{١٠}$ ، $\frac{(k)}{١٦}$

ونثبت هذه النصوص المتفرّقة في الملحق رقم (١) في نهاية هذا الكتاب. ونتابع هنا سَرْد قصص الطوفان من ضمن النصوص (٥٩ ـ ٦١).

(٥٧) ــ الطوفان السومري

وصلنا النص السومري عن الطوفان على لوحة عثر عليها في حفريات مدينة نفّر[١] القديمة منذ عام ١٨٩٥ وأول نشرة عن هذا النص تمت في عام ١٩١٤. إلا أنه عثر أيضاً على بقايا نسختين أخريين الأولى في حفريات مدينة أور[٢] والثانية مجهولة المصدر ومحفوظة في المتحف البريطاني.

ونسخة نفّر تبقى حتى اليوم وعلى الرغم من حالة حفظها، النسخة الأساسية المعتمدة للطوفان السومري.

نرى في هذا النصّ أن بطل الطوفان أطلقت عليه تسمية (زي. أو. سود. را[٣]) السومرية ومعناها «ذو ـ الحياة ـ المديدة» لأنه مُنح الحياة الأبدية من قبل الآلهة بعد إنقاذه البشرية من الهلاك، وزيوسودرا معروف سومرياً في أماكن أخرى بأنه كان ملكاً على مدينة شوروباك[٤] وهو ابن وخلف الملك أوبار ـ توتو[٥]. وزيوسودرا بالإضافة إلى ولائه لإلّهه أنكي توجه إليه لإنقاذ شعبه.

العمود الأول

الأسطر (١ ـ ٣٦) مفقودة وليس من المستبعد كما يُعتقد أنها روت بشكل مقتضب

(١) (Nippur) الواقعة على حوالي ٨٠ كم إلى الجنوب الشرقي من بابل.
(٢) (Ur) الواقعة على حوالي ١٦٠ كم إلى الجنوب الشرقي من نفّر.
(٣) (Zi. U. Sud. ra) زيوسودرا.
(٤) (Shuruppak) مدينة الطوفان السومري وتبعد حوالي ٥٠ كم إلى الجنوب الشرقي من نفّر.
(٥) (Ubar-Tutu) من ملوك ما قبل الطوفان.

أو ذكّرت بخلق البشر من قبل نينتو الإلّهة ـ الأم وأنكي. ثم بعد ذلك لأسباب نجهلها، كان هناك تهديد أول بصدد وجودهم أو أن تجربة أولى هددت مصيرهم. وحين يَتّضِح النص نسمع أنكي يتكلم.

أنكي يدافع عن مخلوقاته أو يساعدها للتكاثر من جديد واستعادة كل شيء

[. . .] أعاد إصلاح [. . .]
أنا أعارض (قرار) هلاك البشر
ومن أجل نينتو سوف أصلح حياة مخلوقاتي
سوف أجعلهم يقيمون بالقرب منها (من جديد)
لكي (يعيدوا) بناء مدنهم،
حيث سأسهر على حمايتهم (؟)؛
(فليعيدوا) بناء آجر المدن
كل (مدينة) في موضعها المقدّس؛
وليشيدوا (من جديد؟) الأماكن المقدّسة
كل واحد في موضعه المقدّس (؟)
سوف أقدّم لهم الماء الطاهر
بغية إطفاء النار (؟)[١]
سوف أعمل على أن تعود بينهم
(ممارسة) الطقوس المقدسة والسلطات السامية!
وسوف يعاد (من جديد) إرواء الأرض
و (من جديد) سوف يعم الرخاء!»

(١) قد تكون هنا إشارة إلى قدسية النار وإلّهها جيبيل (Gibil) والتي يجب أن تطفأ بماء طاهر.

بموافقة الآلهة ـ العظام
تعمر البلاد من جديد ويتكاثر البشر

نظراً إلى أن آن وإنليل وأنكي ونينخورساج(١)
جعلوا (من جديد) ذوي الرؤوس ـ السوداء ينتشرون
فقد تكاثرت الكائنات الحية في كل مكان
ومن أجل إغناء الأرياف،
عادت للظهور ذوات الأربع من كل نوع

العمود الثاني

الأسطر (٥١ ـ ٨٤) مفقودة وعلى ما يظهر فإن البشر هدّد مصيرهم خطر جديد حال دون اكتمال تطور أوضاعهم وعندما يتضح النص فإن إلّهاً وهو أنكي بدون شك، يبدي استعداده لمساعدتهم وتذهب مساعدته في هذه المرة إلى ما هو أبعد، في بناء الحضارة ضمن مدن نظيفة تكون مقراً لحكومة مركزية وللملكية ظهرت آنذاك.

نهاية خطاب أنكي

«أنا [...]
سوف أشرف على أعمالهم،
ومهندسو البناء في البلاد
سوف يشيّدونها على أسسٍ متينة!»
وهكذا، عندما أُنزلَ من السماء [الصولجان الملكي]،
والتاج الجليل والعرش الرفيع
أحدث أنكي (؟) من أجل ذلك
[التقاليد المقدسة والسلطات السامية (؟)]
وجعلهم يشيدون آجرّ بناء المدن

---

(١) (An) إلّه السماء و (Enlil) سيد مجمع الآلهة و (Enki) إلّه خلق البشر ومهارة الصنع و (Ninhurag) بمعنى سيدة الجبل وهو لقب (Nintu) الرحم وسيدة الولادة.

كل مدينة في موضعها المقدس.
بعد أن عيّن لكل واحدة منها اسماً
قرر لها أن تكون العواصم المتتالية[١].
الأولى هي: إريدو[٢]
وقد عهد بها لنفسه، لنوديمّود[٣] الرئيس (؟).
(والمدينة) الثانية هي باد ـ تيبيرا[٤] وعهد
بها إلى إنانا ـ الغانية[٥]
والثالثة هي لارَك[٦] و (سيّدها) پابيلساچ[٧]
والرابعة سيپار[٨] إلى أوتو ـ الباسل[٩]
والخامسة هي شوروپاك[١٠] وعهد بها إلى سود[١١].
وهكذا، بعد أن عين لكل من هذه المدن اسماً
وقرر لها أن تكون العواصم المتتالية،
جعل الماء [. . .] في الأنهار
وأسس نظام تنظيف الأقنية و (صيانة)
سدود الري (؟)

---

(١) يعدّد لنا هذا النص المدن ـ الممالك التي عرفتها سومر قبل الطوفان.
(٢) إريدو (Eridu) تقع على بعد حوالي ١٠ كم إلى الجنوب الغربي من أور مدينة إبراهيم.
(٣) (Nu. dım. mud) لقب أنكي ومعناه: المعني بالخلق ومهارة الصنع.
(٤) (Bad. Tibira) على بعد حوالي ٦٠ كم إلى الشمال من إريدو.
(٥) (Innana) إلّهة الحب والخصب وهي فيما بعد عشتار البابلية.
(٦) (Larak) إلى الشمال من إريدو على بعد حوالي ١٣٠ كم.
(٧) (Pabil sag).
(٨) (Sippar) تبعد حوالى ٥٠ كم إلى الشمال الغربي من بابل.
(٩) (Utu) إلّه الشمس السومري وشقيق إنانا التي يرمز إليها كوكب الزهرة.
(١٠) (Shuruppak) مدينة الطوفان في النص السومري، عثر فيها على طبقة طمي مهمة.
(١١) (Sud) ورد اسمها في النص رقم (٣) من الكتاب الأول كقرينة لإنليل.

العمود الثالث

الأسطر (١٠١ ـ ١٠٤) مفقودة. ومن ضمن هذه الأسطر، ولأسباب نجهلها من المفروض أن يكون قد سلّط خطر الطوفان على البشر وحين يتضح النص نرى أنكي ونينتو يعارضان القرار المتخذ من قِبل بقية الآلهة بإهلاك البشر بواسطة الطوفان.

نينتو وأنكي يحاولان إبطال قرار الطوفان

عند ذلك [سكبت] نينتو [دموعاً] بحيث إن [. . .]
و [انتحـ] ـبت الإلّهة المقدسة على مخلوقاتها
بينما كان أنكي يفكّر،
ومع أنّ آن وإنليل (!) (كانا)
جعلا آلهة الكون يقسمون باسميهما[١]
(لحفظ السر)،

أنكي يبلغ زيوسودرا بطريقة غير مباشرة

إلا أنه في ذلك الوقت، زيوسودرا
الملك المتعبّد [. . .]
والذي كان قد أشاد [. . .]
كان بكل تواضع وبكلمات مختارة
[يبتهل إلى أنكي (؟)]
واقفاً [أمامه (؟)] اليوم بكامله
متذكراً وراوياً أحلامه [. . .]
ومناشداً جميع الآلهة

العمود الرابع

في المعبد (؟) [. . .] الإلّه من وراء سياج

---

(١) أي باسم السماء والأرض (انظر فيما بعد السطر ٢٥١).

وسمع زيوسودرا بالقرب منه
بينما كان يقف وراء الحاجز[١]
وإلى يساره [. . .]:
«أيها الحاجز أنا أكلمك! استمع إلى كلماتي!
[انتبه مُصْغِياً] إلى تعليماتي!
سوف [يبيد] الطوفان تجمعات السكان
ويغمر عاصمتهم
بغية إهلاك الجنس البشري
[هذا ما كان قد تقرّر]
القرار الذي وافق عليه مجمع (الآلهة) [ـ لا مردّ له] !
الأمر الذي أصدره آنو وإنليل [لا يتبدّل]:
[سوف تهدم. . .] مملكة البشر.

الأسطر (١٦١ ـ ٢٠٠) هي مفقودة أيضاً ولا بد أنها كانت تشتمل على تعليمات أنكي إلى زيوسودرا من أجل بناء الفلك وكذلك تعليمات تحميله ومن ثم حدوث الطوفان وقد حفظ لنا العمود الخامس وصفاً مقتضباً للطوفان ونهايته.

العمود الخامس

انتهاء الطوفان

إندفعت الريح العاصفة والزوابع،
بينما ابتلع الطوفان العاصمة.
وعندما، بعد سبعة أيامٍ وسبع ليالٍ
غمر الطوفان البلاد
وتقاذفت الرياح الفلك

(١) سياج القصب في النصوص الأخرى.

على وجه المياه،
عاد أوتو[١] للظهور، منيراً السماء والأرض!
عند ذلك فتح زيوسودرا كوةً في الفلك
فدخل من خلالها أوتو ـ الباسل
فأنار داخل الفلك بكامله،
وزيوسودرا الملك
210 سجد أمام أوتو
وقدم بدون حساب قرابين الثيران والخراف...

الأسطر (٢١٢ ـ ٢١٦) وهي الأسطر الأخيرة من العمود الخامس هي غير ممكنة القراءة بسبب التشويه.

العمود السادس

الأسطر (٢١٧ ـ ٢٥٠) مفقودة وهي على الأرجح تتضمن لوم الإلّهة ـ الأم لمحدِث الطوفان. وكذلك احتوت بشكلٍ مؤكّد على توبيخ إنليل لأنكي لأنه خالف الأوامر، لأن النصّ، لدى اتضاحه ينقل إلينا نهاية هذا الحدث.

لوم إنليل لأنكي

251 «على الرغم من أنني جعلتك تقسم باسم
السماء والأرض [...]
مثل ما أقسم آن وإنليل شخصياً
مع [... ـ] ـهم!»
وماذا (؟) فإن أنكي من جديد
أخرج من الأرض الكائنات ـ الحيّة (؟).
ومع ذلك، فزيوسودرا الملك،

---

(١) (Utu) الإلّه الشمس.

سجد أمام آن وإنليل
اللّذيْن عَطَفا على موقفه.

آن وإنليل يمنحان زيوسودرا الحياة الأبدية

لذلك فإنهما، منحاه حياةً
مماثلة لحياة الآلهة:
نَفَس حياة أبدي مثل ما للآلهة
ولهذا السبب، فزيوسودرا، الملك
الذي أنقذ الحيوانات مع الجنس البشري
جُعِلت إقامته في منطقة ما وراء البحر:
في دلمون[1] حيث تشرق الشمس
[.......]

الأسطر الأخيرة (٢٦٢ ـ ٢٦٥) مفقودة.

(١) حول بلاد دلمون (منطقة البحرين) انظر قصيدة إحياء بلاد دلمون وهي النصّ الأول من الكتاب الأول. وقد نكون هنا أمام بلد ميثي آخر لا يناله إلا من استحقوا الحياة الأبدية. ووحده چلچامش لأنه إنسان غير عادي (ثلثاه إلّه) أمكنه الوصول إلى المكان المماثل الذي أطلق عليه اسم البلاد البعيدة عند «فم الأنهار» وذلك للتعرف على سرّ الحياة الأبدية (انظر فيما بعد النص رقم (٥٩)).

(٥٨) ـــ الطوفان من رأس ـــ شمرا

الطوفان من رأس ـ شمرا (أوغاريت)[١] هو أحد النصوص المدونة باللغة الأكادية لا بأبجدية أوغاريت. ولم يصلنا منه مع الأسف سوى زاوية صغيرة من لوحة كانت تحمل أربعة أعمدة فُقدَ قسمها الأكبر.

وهذه الكسرة التي كشفت عنها حفريات تل رأس ـ شمرا تعود كتابتها إلى حوالي منتصف القرن الثالث عشر لما قبل الميلاد وقد نسخت بخطٍ معتنى به وحملت اسم ناسخها وهو نَعَمْ ـ رشف[٢] وهو اسم كنعاني محلي لناسخ ملم بطريقتي الكتابة الأوغاريتية والأكادية ومن المفيد التذكير بأن اللغة الأكادية في تلك الفترة كانت اللغة الرسمية الدبلوماسية، ولوحات تل العمارنة في مصر ايمنوفيس الرابع، كُتبت بواسطتها وكذلك المراسلات مع الملوك الحثيين.

وكسرة اللوحة التي نحن بصددها كتبت على وجهيها، وهي بالإضافة إلى ذلك، أصابها تشويه يجعل من الصعب تقديم محتواها بشكل مترابط. لكن أمكن مما بقي من الأسطر التي تحملها تقديم هذا الملخص عن المحتوى العام لهذه الكسرة، حيث عرف فيها منقذ البشر من الطوفان تحت الاسم البابلي نفسه لنسخة (نور ـ آيا)[٣] إذْ يحمل هنا أيضاً اسم «أترم ـ حسيسوم» ومعناه الفائق ـ الحكمة.

---

(١) (Ugarit) على الساحل السوري إلى الشمال من اللاذقية تعود أهم مكتشفاتها إلى القرن الرابع عشر ق. م. وسوف يشتمل الكتاب الخامس على نصوصها الدينية.

(٢) (Na'am-Rashaf) رشف: إله أوغاريتي يقابل نرجال البابلي وقد وصلت شهرته إلى مصر.

(٣) انظر نصها الكامل تحت الرقم (٥٦) من هذا الكتاب.

ملخص المحتوى العام

الأسطر

(1 ـ 3) هذه الأسطر تحمل اشارة إلى: «قرار الآلهة بإحداث الطوفان الشامل».

(6) في هذا السطر يرد اسم «أترام ـ حسيسوم»

(4 ـ 5) و (7) يشار هنا إلى أن الفائق ـ الحكمة هو من المقربين إلى الإلّه إيا.

(9 ـ 11) الفائق ـ الحكمة يصرّح بأنه على علم بسِرٍّ ما سيحدث، مما قرره الآلهة.

(12 ـ 14) ذلك أن «أحداً» كرّر محتوى قرارهم متوجّهاً إلى سياج القصب.

ومن ظهر كسرة اللوحة

لم يَبْقَ سوى الإشارة الأخيرة إلى منح الحياة
الأبدية إلى الفائق الحكمة:

(4) «نعم! سوف تكون لك حياة مماثلة
لحياة الآلهة!»

(٥٩) ـــ الطوفان في ملحمة جلجامش

١ ـ قصة الطوفان العائدة للفترة الأشورية (خلال الألف الأول لما قبل الميلاد) وصلتنا في أكثر من اثنتي عشرة نسخة وأكملها هو النص الذي يشكل أكثر من نصف اللوحة الحادية عشرة من ملحمة چلچامش العائدة لمكتبة أشور بانيبال في نينوى (٦٦٨ ـ ٦٢٧ ق. م).

٢ ـ نحن نعلم أن البطل چلچامش بعد موت رفيق مغامراته وصديقه أنكيدو، وعلى الرغم من كون ثلثيه من مادة الآلهة الخالدة وثلثه الباقي من مادة البشر الفانية، فإن چلچامش ينتابه القلق أمام الموت ويبدأ سعيه للكشف عن سر الحياة الأبدية.

ويصل به هذا السعي المضني إلى الجدّ البشري الذي سبق أن نجا من الطوفان وأنقذ حياة البشر فمُنح الحياة الأبدية مكافأة له. وهو هنا يحمل اسماً أكدياً موازياً للتسمية السومرية[١]، وهذا الاسم الأكادي هو أوتا ـ نافيشتي[٢] ومعناه «وجدت ـ حياتي» أو وجدت نفسي.

ولدى وصول چلچامش إلى المنطقة حيث استقر بطل الطوفان والتي يتعذر على بشري عادي بلوغها، فإن أوتا ـ نافيشتي وبحكمة ـ فائقة يروي لچلچامش قصة الطوفان كما شهد شخصياً حوادثها والتي استحق بسببها الحياة الأبدية مشيراً إلى

---

(١) (زيوسودرا) بمعنى ذو الحياة المديدة.

(٢) (Uta-Naphishi). وترد تسمية أتر ـ حسيس مرة واحدة على الأقل في ملحمة چلچامش (انظر السطر ١٨٧ من اللوحة (١١)، المشار إليها أعلاه).

چلچامش بأن هذه المناسبة لن تتكرر مرة ثانية[١].

٣ ـ يبدأ في اللوحة الحادية عشرة من ملحمة چلچامش بدءاً من السطر الثامن سرد قصة الطوفان حين يعمد (أوتا ـ نافيشتي) محدّثاً چلچامش إلى إفشاء سر الطوفان. والمدينة التي انطلق منها، هي شروباك كما ورد ذلك في النص السومري. ولدى مثول چلچامش أمام هذا الجد البعيد، الذي كان يعيش خالداً بعيداً عن البشر، يرى أن هيئته لا تختلف عن هيئته، ويطرح عليه عندئذ سؤاله الجوهري لمعرفة كيفية حصوله على الحياة الأبدية. وفيما يلي إجابة (أوتا ـ نافيشتي):

قرار الآلهة بإحداث الطوفان

أجاب «أوتا ـ نافيشتي» چلچامش قائلاً له:
«يا چلچامش سأكشف لك عن سرٍ خفيّ
سأفضي إليك بسرٍ من أسرار الآلهة!
أنت تعرف مدينة شروباك[٢]
الواقعة [على ضفاف] الفرات،
المدينة القديمة التي كان يرتادها الآلهة.
في (هذه المدينة)، فالآلهة ـ العظام، دفعتهم قلوبهم
إلى إحداث الطوفان:
[المحر] ضون[٣]، كانوا آنو[٤] أبوهم؛
وإنليل ـ الباسل[٥]، سيدهم؛
ونينورتا[٦] محافظهم،

---

(١) النص الكامل لملحمة چلچامش سوف يتم نشره في الكتاب الرابع.
(٢) (Shuruppak) وهي خامس مدينة حلّت فيها ملكية الآلهة قبل الطوفان (انظر النص السومري رقم ٥٧: ٩٧).
(٣) يكرر هنا النص التنظيم التسلسلي للآلهة كما ورد في نسخة نور ـ آيا (١: ٧ ـ ١٠).
(٤) آنو (Anu) إله السماء.
(٥) (Enlil) إله الهواء وسيد مجمع الآلهة.
(٦) (Ninurta) سيد الأرض وهو ابن إنليل وسوف تتحدث نصوص أخرى عن بطولاته فيما بعد: النص رقم (٦٢).

ورئيس أعمالهم إينّوجي[١]

تعليمات إيا إلى أوتا ـ نافيشتي

وبما أن أنكي ـ الأمير (؟) كان
أقسم على حفظ السر
فإنه كرّر ما قرروه إلى سياج أوتا ـ نافيشتي:
«سياج! أيها السياج! حاجز! أيها الحاجز!
اسمع يا سياج! وتذكر يا حاجز!
يا ملك شروباك ابن أوبار ـ توتو[٢]
إهدم بيتك لكي تبني فلكاً،
تخلّ عن ثروتك لكي تنقذ حياتك
أدر ظهرك لممتلكاتك
لكي تبقى سالماً!
ولكن أرْكِبْ معَك (في الفلك)
نماذج من جميع الكائنات ـ الحيّة[٣]
الفلك الذي عليك إنشاؤه
يجب أن يكون في بنيته متساوي الأضلاع:
عرضه وارتفاعه متماثلان،
وسوف تجعل له سقفاً مثل الأبسو!»[٤]

---

(١) (Ennugi) وهو الإلّه الذي كان يشرف على أعمال سخرة الآلهة في نسخة نور ـ آيا (النص رقم ٥٦).

(٢) (Ubar-Tutu) أحد ملوك شروباك لما قبل الطوفان وقد ورد اسمه في اللوائح الملكية.

(٣) قارن مع سفر التكوين (تك ٦: ١٩...).

(٤) (Apsu) هو مقر إيا حيث المياه الجوفية. ومعبد أنكي/ إيا في الأسو تمّ بناؤه في مدينة إريدو وهي أولى المدن التي حلّت فيها الملكية قبل الطوفان، انظر النص رقم (٥٧. ٩٣) وقد يكون المقصود هنا هو سقف هذا القصر الذي سوف يرد وصفه في الكتاب الثالث تحت عنوان: «أنكي وبناء البيت».

تحفظ أوتا ـ نافيشتي وجواب إيا

وأنا، عندما فهمت ذلك، قلت لإلّهي إيا:
«يا إلّهي [الأمر] الذي أصدرته إلي
سو [ف أسـ] ـهر على تنفيذه!
و [لكن ما عساي] أقول لأهل مدينتي
الناس والشيوخ؟»
عند ذلك فتح إيا فمه
وتوجّه إليّ أنا، خادمه:
«[يا ر] جل قل لهم هذا:
«[علمـ] ـت أن إنليل وجه نحوي بغضه
أنا لن أبقى بعد الآن في مدينتكم
ولن أضع رجلي على أرض إنليل
[ولكن سوف أنـ] ـزل إلى الأبسو
لأسكن بجوار إلّهي إيا.
عند ذلك، سوف يمطر [عليكم] إنليل الوفر
الأطيار [بلا حساب] وسلال من الأسماك
سوف يمنحكم حصاداً وفيراً.
[وعند الفجر سوف يُهبِط عليكم]، حمّصاً(١)
وسوف يمطر عليكم حبوب الحنطة [عند الغسق!]»(٣)
وعند أول بشائر النهار
كل أهل البلد، تجمّعوا [حولي]
[النجّارون] ومعهم مقاشد [ـطهم]
وشاغلو القصب المز [ودون بمطا] رقهم الحجرية]،

---

(١) يُعتقد أن التعابير الأكادية المستعملة هنا تحتمل معاني مزدوجة يفهمها العامة وكأنها تبشر بالخير ويقصد بها أوتا ـ تافيشتي بداية الطوفان الرهيب، والكلمتان هما «كوكيّ» بمعنى حمّص أو بَرَد (؟) و «كيباتي» بمعنى حنطة أو ظلم.

[. . .] الرجال [. . .]

[. . .] السر.

الصغار، أتوا بالقار

و (جلب) الكبار الأكثر قوة الحاجات الأخرى

وبنهاية خمسة أيام، بنيت هيكل الفلك:

مساحة أرضيته إيكو[١] واحد،

وارتفاع جوانبه مائة وعشرون ذراعاً[٢]

ومحيطه الخارجي، مائة وعشرون

ذراعاً لكل ضلع[٣].

ثم عمدت بعد ذلك إلى تنظيم داخله

فجعلت فيه ستة سقوف

بغية تقسيمه إلى سبعة طوابق

(كما) قسمت حجم كل منها إلى تسع حجرات.

وغرزت في جوانبه

أسافين مانعة للماء[٤]

أعددت بعد ذلك المحاجن ووضعت المؤن في أماكنها

وسكبت في ثلاثة سارات من الأسفلت[٥]

مما يوفّر حجماً مماثلاً من القار.

جلب حملة الأخواض (الخشبية) ثلاثة سارات من الزيت

وباستثناء سار واحد استهلكه التقليف[٧]

---

(١) (Eku) الإيكو: وهي وحدة مساحة تعادل ٣٦٠٠م٢.

(٢) الذراع البابلي يعادل حوالى نصف متر ـ ارتفاع الفلك هو إذن ٦٠ م. ط.

(٣) أي ٦٠ م. ط. لكل ضلع. وهذا يؤدي إلى فلك مكعب الشكل أبعاده (٦٠ × ٦٠ × ٦٠).

(٤) الأسافين الخشبية التي تغرز بين فواصل الخشب لمنع نفاذ الماء وقد ترافق هذه العملية التقليف بواسطة القار (انظر نسخة نور ـ آيا، لوحة ٣، سطر ٣٣).

(٥) بالأكادية «كوفري»: الأسفلت هو مادة الزفت المتوافرة طبيعياً على حامل رملي مثل جبل البشري في منطقة الرقة السورية أو حامل كلسي، مثال جبل كفرية شمال اللاذقية. ومن المفيد مقاربة كوفري الأكادية مع كفرية، اسم الموقع الحالي حيث يستخرج أسفلت كفرية.

فقد خزّن الملاح[1] السارين الآخرين.
نحرت من أجل الحرفيين عدداً من الثيران
وفي كل يوم ضحيت بالأغنام:
قدمت لهؤلاء الصنّاع عصير الكرم
والجعة الممتازة والخمر والزيت، فاستهلكوها
بكثرة كماء النهر
وأقمنا أخيراً عيداً كما في يوم عيد رأس السنة[2]
أما أنا، [فعند الغروب] مسحت يدي بالزيت
وفي مساء اليوم السابع، تمّ إنهاء الفلك.
ولكن وبما أن إنزاله (إلى الماء) كان صعباً
فقد جُلبت الأثقال من أعلى إلى أسفل
إلى أن غطس في الماء ثلثاه.

تحميل الفلك وانتظار البداية الرهيبة

وفي صباح اليوم التالي حملت إليه
كل ما أملك
كل ما أملك من الفضة
وكل ما أملك من الذهب،
وحمّلته بكل ما كان عندي من الكائنات الحيّة.
ثم جعلت أهلي وجميع أقربائي
يصعدون إلى الفلك
وكذلك حيوانات البريّة الصغيرة منها
والكبيرة وجميع الصنّاع[3]

---

(١) حافظت اللغة العربية على التسمية الأكادية وهي مالاح. وسوف يرد اسم هذا الملاّح فيما بعد في السطر ٩٤.
(٢) عيد الأكيتو (Akitou) الموافق في العراق القديم مطلع الربيع.
(٣) تتضح هنا قيمة الصنّاع والحرفيين الحضارية وإنقاذهم، وجدير بالذكر أن الطوفان التوراتي أهمل هذا التفصيل الهام.

كان الإلّه شمش[١] قد حدّد لي الموعد (بقوله):
«عندما أُمطر عند الفجر حمّـ [ـصاً][٢]
وعند الغسق حنطة[٢]
إصعد إلى الفلك وأغلق المدخل!»

الطوفان

وبمجرد حلول الموعد المحدد:
عند الفجر، أمطرت السماء حمّصاً
وحبوب ـ حنطة عند الغسق
تفحّصت (عند ذلك) مظهر النهار:
الذي كان مخيفاً لناظره
صعدت إذن إلى الفلك
وأغلقت مدخله؛
وبعد غلقه عهدت بقيادة الفلك
إلى الملاح بوزور ـ أموري
سلمته «الهيكل العظيم»[٣] ومحتوياته
وعند مطلع فجر اليوم التالي
أحاطت بأفق السماء غيمة سوداء
كان يهدر في داخلها الإلّه أدَدْ،
مسبوقاً بكل من «شلّلات» و «خانيش»[٤]
الرسولين الإلّهيين، منذري الجبال والسهول

---

(١) من المفروض تحديد هذا الموعد من قبل الإلّه إيا، ويصعب تفسير ذكر شمش هنا.
(٢) المقصود هنا هو التورية المستعملة في السطرين (٤٦ و٤٧) أعلاه بالنسبة للتعبيرين «كوكيّ» و «كيباتي» (انظر الملاحظة حول هذين السطرين).
(٣) المقصود هو الفلك.
(٤) (Shullat) و (Ḫanish) الإلّهان الثانويان اللذان يسبقان أدد للإنذار باقتراب حدوث التغيرات الجوّية.

ثم نزع الإلّه نرچال[١] دعائم أعمدة السماء
وتبعه نينورتا[٢] جاعلاً
السدود العلوية تطفح بمياهها
بينما كان الأنوناكي[٣] يرفعون المشاعل
التي ألهب وهجها البلاد بكاملها.
نشر أدد[٤] على السماء صمت ـ الموت
محيلاً إلى الظلمات كل نور!
[حط [ـمت] . . .] الأرضَ وكأنها جرّة
وفي أول يومٍ [هبت] فيه ريح العاصفة
هبّت بقوة حتى [. . .]
ومرّ [الجِزم] على [البشر] فاتكاً مثل الحرب
ولم يعد الأخ يرى أخاه
ولم يكن ممكناً تمييز أحدٍ بين الجموع
(لشدّة تساقط) مياه السماء.

خوف الآلهة أنفسهم

حتى الآلهة اعتراهم الرعب أمام هذا الطوفان:
وفي هربهم
صعدوا حتى سماء آنو[٥]
حيث، مثل كلابٍ ربضوا
(مذعورين) حذاء جدار.
كانت الإلّهة[٦] تصرخ مثل امرأة أتاها المخاض،

---

(١) (Nergal) إلّه العالم السفلي.
(٢) (Ninurta) ابن إنليل وسيد الأرض.
(٣) (Annunaku) هنا مجموع الآلهة.
(٤) (Adad) إلّه الزوابع والأمطار.
(٥) (Anu) إلّه السماء.
(٦) الإلّهة هنا هي الإلّهة عشتار.

سيدة ـ الآلهة[١] ذات الصوت الشجي
كانت تنتحب (مردّدة):
«آه! ليت هذا النهار ما كان ليأتي قط،
حيث إنيّ في مجمع الآلهة، اتخذت
قراري باتجاه ما هو سيء!
ما الذي جعلني أنطق السوء
في مجمع الآلهة؟
كيف أمكنني الموافقة على هذه المهلكة
التي تحيل البشر إلى العدم؟
أنا إذن، لم أقمْ بوضع أبنائي[٢]
إلا ليملأوا البحر كبيض السمك!»
وانتحب معها الأنوناكي الإلّهيون.
وبقي جميع الآلهة خائري القوى
يسكبون دموع اليأس،
وقد يبست شفاههم من القلق (؟).
ستة أيام وسبع ليالٍ، استمرت
عصفات الريح ووابل ـ المطر
والأعاصير والطوفان
لم تتوقف عن تدمير الأرض

نهاية الطوفان

وعند حلول اليوم السابع
توقفت جائحة العواصف والطوفان،
بعد أن تعاركت في كل اتجاه

(١) لقب عشتار أو «بعلة ـ إيلي».
(٢) البشر، أبناء عشتار الإلّهة ـ الأم وجثثهم تملأ البحر.

مثل امرأة في حالة المخاض.
وسكن البحر وهدأت حركته،
بتوقف العواصف والطوفان!
نظرت حولي: فإذا بالسكون يخيم:
فقد أُعيد جميع البشر إلى الطين[1]
وبدت الأرض في كتف النهر مستوية مثل سقف،
فتحت عند ذلك كوة الفلك
فسقط نور شديد على وجهي
فخررت (لتوّي) ساجداً وجلست أبكي،
وانهمرت الدموع على خدّي

الاستعداد لمغادرة الفلك

ثم وجّهت نظري نحو الأفق مفتشاً عن الشاطىء،
في الاتجاهات الاثني عشر
فعلى مسافةٍ، برزت قطعة أرض
كان ذلك جبل «نصير»[2] حيث استقر الفلك.
أوقف جبل نصير الفلك ولم يَسْمح له بالحركة
خلال يوم أول ويوم ثانٍ أوقف جبل
نصير الفلك ولم يسمح له بالحركة
وخلال يوم ثالث ورابع «كيمين»[3]
وخلال يوم خامس وسادس «كيمين»
وبحلول اليوم السابع،

(١) العودة إلى الطين أو الصلصال يعني الموت ويذكّر بمادة خلق البشر بإضافة دم إلّه.
(٢) حدد موقعه بعض الباحثين في منطقة السليمانية وارتفاعه حوالي ٩ آلاف قدم، ويقع على بعد ٤٥٠ كم تقريباً من شروباك. أما الطوفان التوراتي فقد اختار جبال أراراط في أرمينيا.
(٣) (Kımin) «كي مين» هو التعبير السومري المستعمل من قبل الناسخ لتحاشي تكرار جملة مماثلة لـ «ما سبق»، كما نكتب ذلك اليوم.

أمسكتُ حمامةً وأطلقتها
طارت الحمامة ثم عادت إليّ
لم تجد مكاناً لها لتحطّ فعادت إليّ.
ثم أمسكت بعد ذلك بسنونو وأطلقتها
طارت السنونو، ثم عادت إليّ
لم تجد مكاناً لتحط فيه فعادت إليّ
ثم أمسكت غراباً وأطلقته
طار الغراب
وبما أنه شاهد انحسار المياه
(فقد) أكل وحَامَ، ثم حطّ ولم يعد.
عند ذلك وزعت باتجاه الرياح الأربع
(كل ما كان يحمله الفلك)
ثمّ ضحيت من أجل الآلهة،
ووضعت التقدمة الغذائية على رأس الجبل!
تحيط بها بسبعة وسبعة[١] من أوعية
تقدمات السكائب
وإلى جانبها، في محرقة ـ العطور،
كدّستُ (بخائر) القصب وخشب الأرز والآس
فشمّ الآلهة الرائحة،
وحين شمّوا الرائحة الذكية
تجمّعوا مثل الذباب
حول مُقدِّم القربان.

نقاش الآلهة حول مسؤولية إحداث الطوفان

إلا أن الأميرة ـ الإلّهية (عشتار)، وبمجرّد وصولها،

(١) أي سبعة من كل جهة.

شهرت عقد «الذبابات»[١] العظيم
الذي صنعه لها آنو[٢] أيام المداعبات
(وأعلنت):
«أيها الآلهة الحاضرون هنا: كما أنني لا أنسى قط
أحجار اللازورد هذه التي في جيدي،
سأظلّ أتحسّس[٣] إلى الأبد هذه الأيام المشؤومة:
ولن أنساها!
فليأتِ إذن الآلهة، وليتقدموا إلى القرابين
أما إنليل فعليه ألاّ يقترب
لأنه دونما تروٍ قرر الطوفان.
وأرسل خلقي إلى الهلاك!»
ومع ذلك، فإن إنليل عند وصوله
شاهد الفلك فتملّكه الغضب
وامتلأ حنقاً على الإيجيجي[٤] (معلناً):
«أحدهم إذن، نجا (من الطوفان)
وكان يجب ألاّ ينجو أحد من الهلاك؟»
عند ذلك فتح نينورتا[٥] فمه وباشر
كلمته متوجهاً إلى إنليل ـ الباسل:
«من غير إيا[٦] يستطيع

(١) عقد اللازورد الذي كانت أحجاره على شكل ذباب. وردت الإشارة إلى هذا العقد بشكل مختلف نوعاً ما في نسخة «نور ـ آيا» (انظر بداية العمود السادس).
(٢) آنو إلّه السماء وتعتبر عشتار قرينته وتلقب عادة بغانية آنو.
(٣) تمت المحافظة هنا على التعبير الأكادي «حاساسو» بمعنى: يتفكّر، يعتبر، يتعظ ومنه اسم أتر ـ حسيس: الفائق ـ الحكمة.
(٤) (Iggigi) مجموع الآلهة.
(٥) (Ninurta) الإلّه المحارب وسيد الأرض وهو ابن إنليل.
(٦) (Ea) إلّه الحكمة والمعرفة ومهارة الصنع (= أنكي السومري).

تنفيذ مثل هذا الأمر،
إيا الذي يعرف تدبير كل شيء؟»
فتح إذن إيا فمه وباشر كلمته
متوجهاً إلى إنليل ـ الباسل:
«أنت أيها البطل، أنت الأحكم بين الآلهة
كيف دونما تروٍ تمكنت
من إحداث الطوفان؟
كان عليك تحميل المعتدي وحده إثم اعتدائه
وتحميل المخطىء وحده، وزر خطيئته!
وعند ذلك إرحم حتى لا يهلك
وتشدّد حتى لا يمعن في الشر.
وعوضاً عن إحداثك الطوفان
لو أنك أرسلت الأسود لتقلل من عدد البشر،
وبدلاً من إحداثك الطوفان[١]
لو أنك سلطت الذئاب لتقلل من عدد البشر!
وبدلاً من الطوفان
لو أنك أرسلت القحط فأوهن البلاد!
وبدلاً من الطوفان
كان أحرى بك تسليط وباء
يصيب البشر [هنا] وهناك!
كلا! أنا لم أفشِ السر
الذي أقسم عليه الآلهة:
ولكنني جعلت أتر ـ حسيس[٢] يرى حلماً

(١) يعدد النص اعتباراً من هذا السطر ما كان إنليل أرسله من المصائب قبل إحداث الطوفان كما ورد ذلك في نسخة نور ـ آيا تحت رقم (٥٦).

(٢) يسمى هنا أوتا ـ نافيشتي: أتر ـ حسيس وهو اسم الفائق ـ الحكمة في قصة الطوفان (النص رقم ٥٦) المشار إليها في الحاشية رقم (١).

فأدرك عند ذلك سر الآلهة.
والآن تدبر أمره وقرر له مصيره!»

منح أوتا ـ نافيشتي الحياة الأبدية

عند ذلك صعد إنليل إلى الفلك
وأمسك بيدي وأركبني معه (في السفينة)
وأركب معي قرينتي وجعلها تسجد بقربي
ثم لمس جبهتينا
وهو واقف بيننا، باركنا قائلاً:
«لم يكن «أوتا ـ نافيشتي» حتى اليوم سوى بشري:
من الآن فصاعداً سيكون هو وقرينته
مثلنا نحن الآلهة.
ولكنّهما، سوف يسكنان بعيداً:
عند فم ـ الأنهار!»[١]
وهكذا حُمِلنا بعيداً
وسكنّا عند فم ـ الأنهار!»

---

(١) البلد عند «فم ـ الأنهار» أي أكادياً «في = فم، وناراتي = نهر = نهراتي = أنهار»، هو المكان الميثي الذي خصص لسكن أوتا ـ نافيشتي وزوجته بعد منحهما الحياة الأبدية. والنهر الذي كان يسقي جنة عدن في التوراة، يخرج منها ليتوزع إلى أربعة فروع وتعدد منها التوراة: دجلة والفرات ونهرين آخرين هما «فيشون» و «جيحون» لا يعرف موقعهما. و ﴿جنات عدْنٍ تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها﴾ (قرآن كريم).

(٦٠) ـــ الطوفان التوراتي

يرى باحثو النصوص التوراتية، أن طوفان التوراة في شكله الذي وصل إلينا هو على ما يظهر، جمع بين نصّين يعودان إلى القرن التاسع وإلى القرن السادس لما قبل الميلاد، دون إغفال مقاربته ومقارنته مع ما عُرف في بلاد ما بين النهرين وبخاصة النص الوارد في اللوحة الحادية عشرة من ملحمة چلچامش والذي أوردناه في النص السابق.

ومن المفيد التوضيح بأن ما أسمته التوراة «السبي إلى أشور» وإلى بابل في مناسبات عدّة، كان يعني إبعاد ونفي أصحاب النفوذ والسلطة والمتعلمين من بني إسرائيل وكذلك أصحاب الحرف. وهؤلاء الذين لم يكونوا بالأميّين، هم الذين تعرّفوا على نصوص ما بين النهرين بالإضافة إلى ما كان متداولاً منها في بلاد كنعان. وقصة الطوفان البابلي وغيرها من النصوص التي ازدهر جمعها وتداولها وحفظها في فترة تأسيس المكتبات وأشهرها مكتبة أشور بانيبال في نينوى (٦٦٨ ـ ٦٢٧ ق. م)، جميع هذه النصوص، تنطبق إعادة نشرها على مراحل «السبي» الذي عرفه بنو إسرائيل في تلك الفترات وأهـمّها:

- السبي الأول حوالى عام ٧٣٤ ق. م على يد تغلات فلصّر الثالث ملك أشور بعد إخضاع الجليل في الشمال.
- السبي الثاني على يد سرجون الثاني (حوالى ٧٢١ ق. م) بعد إخضاع السامرة.
- السبي الثالث وهو الأكبر تمّ في عام ٥٩٧ ق. م ورحّل عدداً كبيراً قُدِّر بعشرة آلاف رجل مع عائلاتهم إلى بابل، وكان ذلك بعد دخول القدس من قبل

نبوخذ نصّر ملك بابل. وكان من بين المنفيين الملك يواكين والنبي حزقيال.

- ولم ينتهِ السبي إلا بعد سقوط بابل بيد الفرس في عام ٥٣٩ ق. م وسماح كورش للمنفيين بالعودة في عام ٥٣٨ ق. م.

نقدّم في (الملحق رقم ٢) المثبت في نهاية هذا الكتاب نص الطوفان التوراتي، عن الكتاب المقدس الصادر عن جمعيات الكتاب المقدس المتحدة لعام ١٩٥٠ في بيروت، تاركين للقارىء مهمّة المقارنة مع نصوص ما بين النهرين إذا ما أراد ذلك.

(٦١) ـــ طوفان بيرُوز

١ ـ حين غزا الإسكندر الكبير بلاد ما بين النهرين في عام ٣٣١ ق. م، كانت بابل آنذاك، وبالنسبة للإسكندر نفسه، عاصمة العالم القديم وهي المدينة التي اختارها الإسكندر لتكون عاصمة أمبراطوريته الآسيوية والتي عاد إليها بعد غزو الهند للاستقرار فيها، حيث عقد مراسمه الشهيرة للزواج الجماعي بين الإغريقيين والبابليين بقصد مزج الحضارتين وتحقيق حلم الحضارة العالمية الواحدة. ونحن نعلم أيضاً أن مصر التي غزاها قبل بابل، استقبلته كمحررٍ ومنقذ، لأنه خلّصها من الحكم الفارسي وإليه يعود تأسيس مدينة الإسكندرية.

وهكذا وبعقلية فاتح حضاري، كالإسكندر الكبير، انتشرت في المنطقة اللغة اليونانية وأصبحت إلى جانب السريانية، ووحدها فيما بعد، لغةَ الثقافة في الفترة الهلنستية التي تلت مباشرة وفاة الإسكندر في مدينة بابل عام ٣٢٣ ق. م، عن عمرٍ لا يتجاوز ٣٣ سنة وبعد ثماني سنوات فقط من دخولها، وتوزّعت بعد ذلك أمبراطورية الإسكندر بين قادة جيوشه، فكانت الفترة السلوقية في منطقة الهلال الخصيب وفترة حكم البطالسة في مصر. واضمحلّت أهمية بابل كعاصمة، بعد أن غادرها السلوقيون للاستقرار في أنطاكية وكذلك أصبحت الإسكندرية منارة لحضارة ذلك العصر.

٢ ـ لقد سقنا هذه اللمحة التاريخية المختصرة بقصد التدليل على انتشار اللغة اليونانية في منطقتنا، كلغة للثقافة والمعرفة بنتيجة فتوحات الإسكندر ولا ننسَ أنه تتلمذ هو بدوره على يد أرسطو. وهكذا تعلّم مثقفونا لغة اليونان وكتبوا بها ونقلوا إليها كنوز معرفتهم.

وأحد هؤلاء المثقفين القدماء هو بيروز[1] الذي عاش في بابل في حوالى عام ٣٠٠ ق. م أي بعد أقل من ثلاثين سنة على تعرّف بابل على الإسكندر الكبير، هذا المثقف الذي كان كاهناً لمعبد بيل[2] أي مردوك في بابل، أراد، وخاصة في مؤلفه بابيلونياكا[3] تعريف العالم الهلّنستي على نظرة بلاده حول أصول الكون والتاريخ القديم للبشرية. وهكذا أورد في مؤلفه المشار إليه أعلاه قصة الطوفان الذي عنونّاه بطوفان بيروز وكذلك أورد قصة بناء الحضارة في بلاده من قبل الحكماء السبعة وهذا ما سنعود إليه في الكتاب الثالث من هذه المجموعة.

٣ ـ ومن المؤسف فقدان مؤلفات بيروز، التي لم يصلنا منها إلا ما نقله عنه كتّابٌ يونانيون بعد قرنين من الزمن.

وبصدد قصة الطوفان، فقد وصلنا عن محتوى ما كتبه بيروز نَصّان مختصران:

أ ـ النص الأول أورده الكاتب پولييستور[4] وهو نحوي عاش في حوالي القرن الأول لما قبل الميلاد.

ب ـ والنص الثاني وهو أقل أهمية، أورده الكاتب آبيدين[5] وهو مؤلّف تاريخٍ عن الأشوريين والبابليين، كتبه بعد حوالي قرنين تليا حياة بيروز.

أ ـ طوفان بيروز عن بولييستور

يروي (بيروز) أن كرونوس[6] ظهر في حلم أمام كسيسوتروس[7]، وكشف له، أنه في الخامس عشر من شهر دايسيوس[8] سوف تتم إبادة البشر بواسطة طوفان. وأمره

(١) (Bérose) أو بيروسّوس (Berossos).
(٢) (Bêl) أو بيلو بمعنى السيد وهو لقب الإلّه مردوك والذي أصبح فيما بعد يطلق عليه كاسم له.
(٣) (Babyloniaka) أي ما يماثل «بابليات» وهو عنوان أحد مؤلفات بيروز.
(٤) (Alexandre Polyhistor).
(٥) (Abydène).
(٦) (Kronos) ابن أورانوس (السماء) وچايا (الأرض) وهو أحد الآلهة القدماء «التيتان» (Titans) وسيّدهم وهو الذي خلعه ابنه زيوس (Zeus) وتولى زعامة (جبل) الأولمپ من بعده.
(٧) (Xisousthros) هو تحريف يوناني لاسم «زيوسودرا» بطل الطوفان السومري.
(٨) (Daisios) يقابله شهر أيار البابلي أي نيسان ـ أيار.

عند ذلك، بعد أن يقوم بحفر مخبأ، يطمر فيه كافة النصوص المكتوبة في سيّپار[1] مدينة الإلّه ـ الشمس، أن يعمد إلى بناء فلك وأن يدخل إليه مع عائلته وذويه. وعليه أن يزوّده بالمؤن والمشروبات، وأن يحمل فيه الطيور ورباعيّات القوائم. وأن يبحر حين يتم إعداد كل شيء. وإذا ما سئل إلى أين؟، فليجب: «للقاء الآلهة بغية ترجّيهم لكي يتم كل شيء بشكل ملائم بالنسبة للبشر!».

وإذْ لم يشأ مخالفة الأوامر، فقد قام ببناء فلك طوله ١٥ ستاداً[2] وعرضه ستادان[3]. وجمع فيه كل ما أُمر بجمعه وأدخل إليه زوجته وأبناءه وذويه، وحدث الطوفان؛ وبمجرد هدوئه، أطلق كسيسوتروس طيوراً. وحين لم تجد هذه الأخيرة محطاً لها وطعاماً تأكله، فإنها عادت إلى الفلك. وبعد أيام عدّة، عاد فأطلقها من جديد، فعادت إلى الفلك وقوائمها يغطيها الوحل. وأطلقها بعد ذلك مرّة ثالثة، فلم تعد. وهكذا فقد استنتج كسيسوتروس أن اليابسة ظهرت من جديد فنزع عند ذلك جزءاً من بنْيَةِ الفلك. وعندما لاحظ أن هذا الأخير استقر على جبلٍ، نزل إلى الأرض مع زوجته وابنته وملاح سفينته. وبعد أن أقام مذبحاً، وقدّم قرباناً للآلهة، ثم اختفى واختفى معه، الذين غادروا الفلك برفقته.

وعندما لم يعد أي منهم إلى الفلك، فالذين بقوا فيه فتشوا عنهم منادين بأسمائهم. ولم يظهر كسيسوتروس من جديد، ولكن صوتاً، سُمع من الأعلى، يحثّهم على التقوى، لأنه بفضل تعبّده أُخذَ للإقامة عند الآلهة وأن زوجته وابنته وملاّحه كوفئوا بشكل مماثل.

وطلب منهم الهاتف فيما بعد العودة إلى بابل، لأن ذلك كان نصيبهم، آخذين من سيپار النصوص المكتوبة لكي يتناقلها البشر.

وأضاف الهاتف أن البلد الذي هم فيه هو أرمينيا. ولدى سماعهم هذه الكلمات ضحّوا للآلهة وتوجهوا إلى بابل مشياً على الأقدام.

وحطام الفلك الذي بقي في أرمينيا، لا يزال هناك، على جبال كوردِيين[4]:

---

(١) (Sippar) إحدى ممالك ما قبل الطوفان، تقع إلى الشمال من بابل. وإنقاذ النصوص المكتوبة بطمرها هو هنا مبادرة حضارية جديدة تفوق إنقاذ الحرفيين والصنّاع في طوفان ملحمة چلچامش (السطر ٨٥).

(٢) (Stade)، الستاد = ٢٠٠ م. ط. تقريباً.

(٣) أي ٤٠٠ م.

(٤) (Kordyéens) جبال أراراط في التوراة.

يستخرج منه حتت قار تكشط لاستعمالها كتعويذات.

وعند عودتهم إلى بلاد بابل عمد رفقاء كسيسوتروس إلى استخراج النصوص المكتوبة المدفونة في سيپار. وأسسوا مدناً عديدة وأقاموا المعابد وأعادوا بناء مدينة بابل.

ب ــ طوفان (بيروز) عن (آبيدين)

... وحكم بعد ذلك سيسيتروس[١] الذي كشف له كرونوس[٢] مقدّماً ما سيحدث في الخامس عشر من شهر دايسيوس[٣]، من أمطار جارفة. وأمره أن يضع في مكان أمين جميع النصوص المكتوبة في مدينة سيپار[٤].

وهذا ما فعله سيسيتروس الذي أبحر لتوّه إلى بلاد أرمينيا. وبدون إمهال حدث ما أعلنه الآلهة. وفي اليوم الثالث، بعد توقف الأمطار، أطلق طيوراً ليتعرف إذا ما كانت سوف تجد أرضاً بارزة. ولكن إذْ لم تجد أمامها سوى بحر لا حدود له، وحين لم تجد موضعاً تحط فيه، عادت إلى سيسيتروس. وكذلك فعلت أطيار أخرى فيما بعد.

وحين نجح بنتيجة الإطلاق الثالث عادت إليه الطيور وأرياشها موحلة؛ وإن الآلهة رفعته من بين البشر.

أما الفلك في بلاد أرمينيا، فإنه يَسْمَحُ لسكان تلك البلاد بصنع متدليات من خشبه يستعملونها للتعويذ.

(١) (Sisithros) تحريف يوناني لاسم بطل الطوفان السومري «زيوسودرا».
(٢) (Kronos) ورد شرحه في النص السابق.
(٣) (Daisios) ورد شرحه في النص السابق.
(٤) (Sippar) ورد شرحه في النص السابق.

(٢ ــ ٢) ــ الثواب والعقاب وسهر الآلهة

١ ـ منذ أن أيقن الإنسان، أنه خليقة الإلّه أو الآلهة، فهم أن عليه تأدية خدمات تجاه الإلّه، لتمكينه من التفرغ للسهر على نظام الكون وحسن إدارته. وبدأت هذه الخدمات، ببناء المعبد وبالاهتمام بتموينه وتقديم القرابين، أي حرمان نفسه من باكورة إنتاجه الزراعي والحيواني تكريماً للإلّه والاستمرار في ذلك لكي يتمكن الكهنة وخادمو المعبد من القيام بأدوارهم للمحافظة على توازن علاقة الإلّه أو الآلهة بالنسبة للبشر وبالنسبة للبلاد.

٢ ـ فالآلهة هم الذين يقررون المصائر وبيدهم أقدار البشر ملوكاً وشعوباً، وبيدهم أيضاً رخاء وازدهار البلاد أو عدمهما.

وقد اعتقد قدماء بلاد سومر، أن سلطة الإلّه، كانت ترمز إليها لوحة سميت «لوحة الأقدار» تمكّن الإلّه من تسيير أمور الكون بامتلاكها وكانت الكارثة في فقدانها أو الاستيلاء عليها من قبل عدوّ أو أي طامع آخر. وكما أشرنا إلى ذلك في مقدمة هذا الفصل (المقطع ٢)، فإن أسطورة الإلّه نينورتا في صراعه مع الطائر أنزو، هي التي سوف نقدمها في بداية هذه الفقرة (النص رقم ٦٢) للدلالة على مكافأة نينورتا لشجاعته وإقدامه على إنقاذ مصير الآلهة وعقاب الطائر أنزو مختطف «لوحة الأقدار».

٣ ـ وإذا ما كان فقدان «لوحة الأقدار» أو الاستيلاء عليها قد أخلّ بسير الكون وأدخل الرعب إلى قلوب الآلهة، فقد استمر الإنسان على الاعتقاد بأن حسن سير

الكون وتناغمه يكمن في إرضاء الآلهة، وأن غضب الآلهة يعني عقاب البشر والانتقام منهم بسبب تقصيرهم في أداء واجباتهم نحو الآلهة، في علاقةٍ بدأت كما قلنا بتقدمات القرابين إرضاءً لهم. وتطورت هذه العلاقة فيما بعد، فعمد الإنسان إلى المحافظة على نقاء قلبه، إرضاءً للإلّه وإزالة «الظلّ من صدره»[1] لأن الإلّه يريد ذلك. يكافىء من يتبع فرائضه ويعاقب من يخالفها. وأصبح الإلّه في وجدان البشر قاضياً وراعياً لهم، يسهر على إقامة العدالة فيما بينهم ويقودهم إلى إنصاف الأرملة وحفظ حقوق اليتيم وإلى تطبيق العدالة التي شرّعوا لها بمعونة الإلّه وباسمه، فيستحقّون بذلك ثوابه. وفي صميم وجدانهم أيضاً استقرت رهبتهم من عقابه وانتقامه.

٤ ـ وقد اعتقد البشر أن خصب البلاد، وخصب الأرحام كانا مكافأة تمنحها الآلهة. وكان القحط والجفاف عقاباً لهم، وكذلك كان المرض.

وإذْ كان الإنسانُ يشعر بضعفه وبهشاشة جسده «الصلصالي» أمام المرض والألم، كما كان يشعر بعجزه أمام خصب الطبيعة أو قحطها وأمام الفيض والجفاف، لذلك عدّ نفسَه جاهلاً لنوايا الآلهة بالنسبة إليه شخصياً وبالنسبة للبلاد، فقد كان دائم القلق يحاول عدم مخالفة أوامر الإلّه أو الآلهة ويسهر على تنفيذها وصون حرماتها. وعلى هذا الأساس تمكن سكان ما بين النهرين القدماء في سومر وأكاد وأشور فيما بعد، من إقامة نظامٍ أخلاقي[2] واضح أساسه:

- العدالة والحرية،
- الشفقة والرحمة،
- الاستقامة والصراحة،
- الطيبة والحقيقة،
- واحترام القانون والنظام.

وكرهوا:

---

(١) تعبير مستعار عن نصّ فرعوني.

(٢) وقد نسميه أيضاً نظاماً حضارياً، كما سوف يتضح ذلك في أسطورة سفينة السماء السومرية التي سترد في الكتاب الثالث.

ـ الظلم والاستبداد،

ـ القساوة وفقدان الحس،

ـ الشر والكذب،

ـ الأعمال الشائنة وانحراف الغرائز،

ـ والفوضى واختلال النظام.

٥ ـ وعلى هذا الأساس، فقد كان الملوك يفاخرون بأنهم «عمّموا النظام في مدنهم وحموا الضعفاء من ظلم الأقوياء إذا ظلموا، ودافعوا عن الفقراء أمام سطوة الأغنياء، واجتزّوا الشرّ من جذوره في البلاد وأقاموا السلام».

وقد ترك لنا ملوك ما بين النهرين عدداً كبيراً من النصوص تشيد بعدالتهم وبإصلاحاتهم الاجتماعية وسوف نثبت بعض ما ورد من مآثر الملوك هذه من ضمن الكتاب السادس.

٦ ـ لقد كان الإلّه مشرّعاً وقاضياً وساهراً على صون العدالة وتطبيقها. وهكذا كان الملك ممثّلاً له، يشرّع باسمه وينفذ أوامره.

ففي الفترة السومرية القديمة وصلنا نص يعلمنا بأن الملك (أورو ـ كاجينا)[١] يعيد تطبيق قوانين الإلّه (نينجيرسو)[٢] التي تمّ خرقها قبل تولّيه الحكم. وكذلك فعل الملك السومري الشهير چوديا[٣] خلال الفترة السومرية الحديثة بالنسبة لقوانين نينجيرسو، وشقيقته نانشي[٤] التي «لم تكن تسمح بأن تهان الحقيقة والعدالة، وأن تنعدم الرحمة» وهي بدورها تحمي وتحاكم وتعرف كيف تتفحّص «دخائل البشر» (النص رقم ٦٣).

---

(١) (Uru-Kagina) ملك مدينة لغش (Lagash) حكم حوالي سنة ٢٣٥٥ ق. م.

(٢) (Ningirsu) الإلّه الحامي لمدينة لغش وهو نينورتا.

(٣) (Gudéa) أحد أشهر ملوك الفترة السومرية الحديثة حكم في لغش خلال فترة (٢١٤٤ ـ ٢١٢٤ ق. م).

(٤) (Nanshé) إلّهة مدينة لغش وحاميتها.

٧ ـ وبعد نانشي، فها هو الإلّه مردوك، ينصّب الملوك مكافأةً منه لمن يخشاه ويتجه نحوه ويعاقب من ينساه، وهذا ما يرويه لنا النص (رقم ٦٤).

٨ ـ وآخر ما نورده في هذه الفقرة من الفصل الثاني، نص يرتبط بشكل غير مباشر بمحاولة التعرف فيما إذا كان الإنسان السومري القديم، اعتقد بوجود عصر ذهبي عاشته البشرية، ثم فقدته!

٩ ـ وعلى أساس الأفكار المعروضة أعلاه، فإن النصوص التي سنعرضها من ضمن الفقرة (٢ ـ ٢) للثواب والعقاب وسهر الآلهة هي التالية:

رقم النص	العنوان
(٦٢)	خيانة الطائر أنزو وعقابه
(٦٣)	الإلّهة نانشي تحمي وتحاكم
(٦٤)	الإلّه مردوك ينصّب الملوك ويعاقبهم.
(٦٥)	زوال عصر البشرية الذهبي ودور الإلّه أنكي

(٦٢) ـــ خيانة الطائر أنزو
وعقابه

١ ـ بَعْدَ انتصار الإلّه نينورتا[١] على الجبل، المنطقة المتمردة، يعود هذا النشيد البطولي لإخضاع شعب الحجارة، كما سيرد ذلك في الكتاب الثالث، يعدّد الأعداء الذين أطاح بهم نينورتا وتغلب عليهم، ومن بين هؤلاء نجد «الأنزو»[٢]. وكذلك نجد «الأنزو» من بين الأعداء المغلوبين على أمرهم في نشيد عودة نينورتا إلى نفّر[٣]، بعد انتصاره على الجبل[٤]، وكان الأنزو من بين غنائم الحرب التي عاد بها نينورتا إلى مدينة نفّر.

٢ ـ وفي هذا النشيد الأسطوري الذي نحن بصدده، نتعرّف على أصل الأنزو «المخلوق الإلّهي» وعلى علاقته بالآلهة وبإنليل[٥] على الأخص، وعلى دوره الخياني حين كان بخدمة إنليل، وطموحه للاستيلاء على سلطة الآلهة، حين استولى في غفلة من إنليل على «اللوحة ـ الأقدار»، لوحة السلطات كلها التي يمتلكها إنليل كأداة لتسيير الكون، استولى على هذه اللوحة والتجأ إلى الجبل. جمد الكون حينذاك، وتعطّل سيره، وانتاب الرعْب الآلهة، إذْ فقدوا سلطاتهم، وكان لا بد إذن من إنقاذ الموقف واستعادة لوحة الأقدار.

---

(١) (Ninurta) بمعنى سيّد الأرض وهو هنا في دوره البطولي وهو ابن الإلّه إنليل.
(٢) (Anzou) «مخلوق إلّهي» على شكل طائر غريب الشكل يتضح وصفه من ضمن النصّ.
(٣) (Nippur) مدينة إنليل والتي كان لها مركز الصدارة الدينية والسلطوية في فترة تأليف النص.
(٤) سوف يرد النص في الكتاب الثالث، تحت رقم (٧٩).
(٥) (Enlil) سيد مجمع الآلهة السومرية وحامي مدينة نفّر.

٣ ـ وبعد فشل مجلس الآلهة في تكليف كل من الإلّه أدد[١]، سيد ينابيع السماء الذي يتحكم بالمياه العلوية، والإلّه جيرّو[٢]، المتحكم بنار الصواعق، والإلّه شارا[٣] المتحكم بالرياح، بعد رفض هؤلاء الآلهة: الماء والنار والهواء لقاء أنزو، لم يبق أمام المجلس إلا أن يتوسط أم جميع الآلهة، لتكلف ابنها نينورتا المحارب المقدام بهذه المهمة. وهكذا كان، إذ يذهب نينورتا متسلحاً بالرياح السبع وبدوّامات الغبار وبسهامه المسمومة. ولكن محاولته الأولى تبوء بالفشل، بسبب قدرة أنزو «المجنح» على ردّ السهام بإعادتها إلى أصلها، وذلك لحيازته القدرة الكلية بتملكه اللوحة الشهيرة.

٤ ـ ولكن الإلّه أنكي/ إيا[٤] يعلّم نينورتا كيفية الانتصار على الطائر أنزو. ويتمكن البطل من ذلك في لقاءٍ أخير، ليتوصل بنتيجته إلى بتْر جناحي أنزو واستعادة «لوحة الأقدار».

٥ ـ هذه المقدمة العامة، لم تدخل عمداً في التفاصيل المهمّة التي تشتمل عليها النصوص، كما تعمدت تقديم إلّه الحكمة، الذي يرجعُ إليه مجلس الآلهة في كل مناسبة صعبة، أن تقدمه بتسميته السومرية والأكادية أنكي وإيا، لأن نص الصراع مع أنزو وصلنا في نسختين: الأولى سومرية وهي تسبق منتصف الألف الثاني لما قبل الميلاد حوالى (١٦٠٠ ق. م) ونسخة أكادية وصلتنا بشكل أكمل وهي على كل حال أكثر تفصيلاً، وقد تكون ترجمة لنصٍ سومري أقدم منها. وتعود النسخة الأكادية إلى نهاية الألف الثاني لما قبل الميلاد.

ونقدّم تباعاً فيما يلي هذين النصّين، بدءاً من النص الأكادي، ولو كان هو الأحدث لأنه يضعنا في جوٍ بَدْئي يشتمل على تفاصيل مهمّة حول تلك الأزمنة الميثيّة الموغلة في القدم التي عرفت ولادة الطائر أنزو، «أنزو المجنّح»، كما عرفنا في نص آخر ولادة

---

(١) (Adad) إلّه الأمطار المتحكم بالمياه العلوية.
(٢) (Girru) إلّه النار والمتحكم بالصواعق، نار السماء.
(٣) (Shara) الملقّب بابن عشتار بمعنى مفضّلها وهو هنا إلّه العواصف.
(٤) (Enki/Ea) الاسم المركّب السومري والأكادي لإلّه الحكمة والمعرفة ومهارة الصنع.

«الأساكو»[١] الذي أطاح به نينورتا في معركة الجبل والمنطقة المتمرّدة، عندما انتصر على «شعب الحجارة».

النص الأكادي لصراع نينورتا مع الطائر أنزو عقاباً له على خيانته

وصلنا هذا النص على لوحات ثلاث يحتوي كل منها على أربعة أعمدة، يحمل كل عمود خمسين سطراً تقريباً أي بمجموع ٦٠٠ سطرٍ. وقد وصلنا منها أكثر من النصف. واللوحة الثالثة هي الأكثر تضرراً.

يبدأ النص كما هو مألوف، بتمجيدٍ لنينورتا بطل الحوادث المراد نقلها، وينتقل بعد ذلك إلى أزمنةٍ بدئية حيث كان الجفاف يعمّ البلاد وحتى دجلة والفرات، لم تكن المياه تغذّي مجراهما والغيوم التي كانت تصل إلى أقصى الأفق، لم تكن تتشقّق لكي تسكب مياهها.

وفي مثل هذا الجو الخاصّ، نرى الآلهة الإيجيجي[٢] ينقلون للأب إنليل وكأنها بشارة خير ولادة أنزو على الجبل، أنزو الطائر ومنقاره على شكل منشار.

وقد يكون لهذا الطائر دور مهمّ بالنسبة للرياح والمياه من الصعب تحديده بالضبط بسبب فقدان حوالى ثلاثين سطراً في هذا الموضع من اللوحة الأولى ونرى بعد ذلك، الإلّه إنليل يتفحّص هذا المخلوق الغريب، ويتساءل عمّن دفعه إلى الوجود على قمّة الجبل، (جبل خيخي)[٣]، ويفسّر له الإلّه إيا هذا الوجود مشيراً إلى آلهة الأبسو[٤]، ومياه الفيض وماء الأبسو ـ العذب، والأرض الفسيحة التي ولدته ووضعته على قمّة الجبل.

ونرى هنا إيا، ينصح إنليل بوضع أنزو في خدمته.

---

(١) (Asakku) وحش المنطقة الجبلية المرعب الذي «لم يتولَّ تربيته أي أب» وسوف يرد النص الكامل عنه في الكتاب الثالث.

(٢) (Igigi) مجموع آلهة السماء، وفقاً لهذا النص.

(٣) (Khikhi) يعتقد أن جبل خيخي هو جبل البشري الواقع في المنطقة الشمالية الشرقية من الأراضي السورية وهو مؤلف من رمال ممزوجة بمادة الزفت الطبيعي.

(٤) (Apsu) الأبسو هو محيط المياه العذبة الباطنية ومقر الإلّه إيا.

وهكذا يسفيد أنزو من مناسبة اغتسال إنليل بالماء ـ الصافي، وتخليه لذلك عن علائم سلطاته، التاج والرداء، وخاصة «لوحة ـ الأقدار» التي يستولي عليها الطائر أنزو ويفرّ إلى منطقته الجبلية، مسيطراً بذلك على الصلاحيات الإلّهية.

وينتج عن ذلك، أن عمّ الشلل والجمود كل شيء، وفقد قدس الأقداس بهاءه وجلاله، فاجتمع مجلس الآلهة، برئاسة الإلّه آنو[1] لإيجاد حلّ لمشكلةٍ خطيرة كهذه، فتقرّر أولاً إيفاد الإلّه أدد للسيطرة على أنزو بسلاحه، ولكن أدد يبدي تخوفه لأن أنزو حطّ على جبل صعب المنال وهو يمتلك الآن لوحة الأقدار، مما يجعل كلمته تضاهي بقوتها ما كانت عليه كلمة إنليل.

يحاول الآلهة بعد ذلك تكليف الإلّه جيرّو، ابن أنونيت[2] الذي يرفض للأسباب نفسها، ونشهد كذلك رفض الإلّه شارا، ابن عشتار[3].

وتتملك الحيرة عند ذلك مجلس الآلهة، ويعمّ الاضطراب لعدم التوصل إلى الحلّ المنشود. حين يتدخل الإلّه إيا، «الأمير» الذي يسكن الأبسو، وهو الممتلىء حكمة والمتفوق ذكاءً، فيعلن أمام جميع الإيجيجي[4] الآلهة المجتمعين، أنه سوف يعيّن لهم الإلّه الذي سوف ينتصر على أنزو. ويطالب قبل ذلك باستدعاء الإلّهة ـ الأم، سيّدة الآلهة، قديمتهم، وهي الإلّهة مامّي[5] أم جميع الآلهة الإيجيجي والأنوناكي[6].

ولدى قدومها، يطلب منها إيا أن تقبل بتكليف مفضّلها الإلّه نينورتا، الذي هو الوحيد، الذي يستطيع ببطولته وإقدامه، استرجاع لوحة ـ الأقدار بعد الانتصار على الطائر أنزو.

تقبل مامّي المهمة، فتستدعي نينورتا، وتطلب منه بكل جلال الدفاع عن السيادة وصون الملكية التي عينتها هي بذاتها لآن[7] في السماء ولإنليل على الأرض، والتي تمكّن أنزو من الاستئثار بها.

---

(١) (Anu) إلّه السماء.

(٢) (Annunit) إلّهة سماوية يرتبط اسمها باسم آن إلّه السماء وهي هنا أم جيرّو «نار السماء».

(٣) (Ishtar) هنا بصفتها إلّهة محاربة وشارا إلّه العواصف هو وليدها أي سلاحها.

(٤) (Igigi) هنا مجموع آلهة السماء.

(٥) (Mammi) الإلّهة ـ الأم البدئية.

(٦) (Anunnaki) مجموع آلهة الأرض والعالم السفلي.

(٧) (An) إلّه السماء. ويتضح من هذا النص، أن الإلّهة ـ الأم مامّي هي التي عينت لآن السلطة على السماء، ولإنليل سلطته على الأرض.

كما طلبت منه، الدفاع عن شرف أبيه إنليل الذي سُلبت منه لوحة ـ الأقدار.

يستعد نينورتا للمعركة، فيلجمُ الرياح السبع «الرياح ـ الشرّيرة» والمُقْتَحِمات السبع والدوّامات السبع، حاملات الغبار. كما يُعدّ سهامه المسمومة.

إلا أنه لدى لقاء نينورتا والطائر أنزو، فإن محاولة نينورتا تُفشِلُها مَقْدَرةُ أنزو السحرية بسبب امتلاكه للقدرات الإلّهية، إذ يتمكن من رد سهام نينورتا إلى أصولها أي أن يعود السهم المصنوع من القصب إلى مقصبته وبالإضافة إلى ذلك أن يعودَ خشبُ القوس إلى دغلته وكذلك وترها إلى صلب الضأن الذي استُخرج منه. وهكذا تتعطّل المعركة ويتعذّر الانتصار على أنزو. لذلك يسارع نينورتا إلى إيفاد أدد إلى إيا لكي يروي على مسامعه ما حدث، ويطلب نصحه. ويعود أدد حاملاً معه خطّة القتال: وهي التوصل إلى جعل أنزو يخفض جناحيه تحت وطأة الرياح ومن ثم بترها بواسطة سلاح قاطع. وبفقدان جناحيه يفقد أنزو قدرته على الكلام، ويفقد بالتالي قدرته على ردّ السهام. وهكذا أكملَ عليه نينورتا وحملت الرياح جناحيّ أنزو إلى قلب الإيكور[١] وعادت الملكية إليه وكذلك عادت السلطات إلى إنليل وعمّت البهجة جميع الآلهة.

اللوحة الأولى/ العمود الأول

هأنذا! أغنّي ملكَ الشعوب
المفضّل لدى ماميّ، ابن إنليل الكلي القدرة
أنا أحتفل بنينورتا
المفضل لدى ماميّ، ابن إنليل الكلي القدرة
المولود في الإيكور، الأول بين الأنوناكي،
سند «الإي ـ نينّو»[٢].
أنت رويتَ الزرائب والأجَمات والمنخفضات (؟)
والأرض المحلية والمدن
أنت المدّ العالي في المعارك،

---

(١) (E. Kur) بمعنى بيت الجبل وهو مقر إنليل في نفّر، مركز الصدارة الدينية والسلطة في ذلك الوقت.

(٢) (E. Ninnu) مقر حكم الأنوناكي.

المهيّج المحرّك للممزقات الحربية (؟) !
رجل ـ السلاح (؟) الغاضب الذي لا يناله التعب
والذي حملُ انقضاضُه الرعب!
إستمعوا إليّ، أغنّي بأس
هذا الكلّي القدرة
فهو الذي قهر وانتصر بعنفٍ
على جبلِ الحجارة
وهو الذي أطاح بسلاحه بأنزو المجنّح
وأعدم في وسط البحر الثور الوحشي
البطل الشديد ـ البأس ذو الأسلحة القاتلة
الكلي القدرة والسريع الحركة،
المقاتِل والمعارِك باستمرار!
في ذلك الزمان، لم تكن بعد الهياكل
أقيمت للإيجيجي
ولم يكونوا سوى تابعين عاديين لمليكهم
وإذا ما كان مَجْرَيا دجلة والفرات،
قد تم حفرهما
فإنّ منبعيهما ما كانا بعد يزودان
البلاد بالماء
حتى البحار كانت جافة (؟)
والغيوم، وإن كانت تبلغ أطراف الأفق
فإنها لم تكن تتشقّق (؟)

مولد أنزو كما نقل إلى مسامع إنليل

ومرةً، قام أكثر الآلهة بسالة
أمام الأب إنليل

(قام) الإيجيجي أبناؤه المجتمعون من كل صوب،
بنقل هذا الخبر:
عليك ألاّ تجهل هذه البُشرى:
على جبل خيخي [. . .]
وفي رحم الجبل [. . .] الأنوناكي
وهكذا أتى إلى الوجود أنزو [. . .]
منقاره على شكل منشار [. . .]
وعند ذلك [. . .]

نقص حوالي ثلاثين سطراً، تتابع على ما يظهر وصف الطائر أنزو وتعدّد منجزاته، دون إغفال ما كان يمكن أن يكون دوره في تدارك النقص في الماء أو ما تمّ عمله من أجل ذلك. وعندما يُستأنف النص، يُعتقد أنه كانت هناك معركة لعب فيها أنزو دوراً مهمّاً، وهناك تدخل للرياح وللمياه كما هو الحال عادة في التفجّرات الكونية.

العمود الثاني

من جبل خيخي (؟) [. . .]
أحد عشر [. . .]
التلال [. . .]
[. . .]
ولدى إطلاقه صرخةً [. . .]
[. . .] ريح الجنوب
الريح العاتية [. . .]
و [. . .] كتلة المياه
والدوّامات [. . .]
تزامنت [. . .]
والرياح الأربع [. . .]

دهشة إنليل أمام أنزو

وعندما شاهد ذلك إنليل ـ دورانكي[١]
أب الآلهة
تذكر ما قيل له بصدده:
تفحّص أنزو [. . .]
وتساءل حولَ مشكلة:
«من هو إذن ذلك الذي أتى إلى الوجود
بهذا الكائن الخاص؟
وما السبب في أن يكون لهذا الحيوان
شكلٌ بهذه الغرابة؟

جواب الإله إيا لإنليل

عن (هذه) الأسئلة، أجاب [إيا] [. . .]
ووجّه الأمير (؟) هذه الكلمات إلى إنليل:
«إنها بدون شك مياه الفيض (؟) [. . .]
وآلهة الأبسو [. . .] الماء ـ الصافي
والأرض الواسعة الأرجاء هي التي ولدته
ووضعته على قمةٍ من الجبل!
وبعد أن تفحّص أنزو [. . .]:
(قال) يجب أن يكون في خدمتك بشكل دائم
وفي حَرَمك لكي
يغلق باب قدس ـ الأقداس!

(نقص جديد مماثل بأهميته للنقص السابق. يتابع إيا من خلاله حديثه لإقناع إنليل

---

(١) (Duranki) بمعنى رباط الكون أو حرفياً (دور ـ آن ـ كي) الذي يربط بين السماء والأرض وهو لقب الإله إنليل. وتطلق هذه التسمية أحياناً على مدينة نفّر.

بإدخال أنزو في خدمته ولا بد أن تكون هناك أحداث أخرى، نجهل تماماً محتواها).

العمود الثالث

قَبل الإلّه عندئذٍ، ما اقترحه عليه إيا:
وعيّن حدود حَرَمه [. . .]
ووزّع على جميع الآلهة مهامّهم!
واحتفظ، بناء على قراره، بأنزو قريباً منه (؟)
وكلّفه بحراسة المدخل،
(مدخل) قدس ـ الأقدس الذي أنهاه مجدّداً.
كان دوماً يغتسل أمامه بالماء ـ الصافي:
وهكذا كان أنزو يراقب حركات الإلّه
وتصرّفاته كلّها!
وكان دوماً يرى أمام عينيه تاجه ـ الملكي
ورداءه الإلّهي
وكذلك لوحة ـ الأقدار
التي كان إنليل يحملها دوماً.

أنزو يضمر الاستيلاء على السيادة وينفذ مأربه

ولكثرة ما رأى أبا الآلهة دورانكي
على هذا الشكل،
قرر أنزو أن يستلب منه السيادة ـ
لكثرة ما رأى (أنزو) أبا الآلهة دورانكي
على هذا الشكل،
قرر أن يستلب منه السيادة:
«سوف أستولي، أنا، على لوحة ـ الأقدار
الإلّهية

سوف أحصر بشخصي (التحكم) بمهام جميع الآلهة
وسوف يكون العرش لي وحدي
وسوف أسيطر على جميع السلطات الإلَهية!
وهكذا سوف أصدر الأوامر إلى كافة الإيّجيجي!».
بعد أن أضمر في قلبه مثل هذه الضربة المدَبّرة،
على باب قدس ـ الأقداس الذي يحرسه
انتظر فجر الصباح:
وبينما كان إنليل يغتسل في الماء ـ الصافي
مجرداً من ملابسه
والتاج موضوع على العرش،
اختلس أنزو لوحة ـ الأقدار
واستأثر لنفسه بالسيادة
تاركاً بذلك السلطات ـ الإلَهية شاغرةً
وهكذا وبضربة جناح، التجأ إلى جبله.

شلل الكون بسبب هذا العمل الشائن واجتماع الآلهة

عند ذلك انتشر الجمود مباشرة في كل مكان
وعمّ الصمت!
وإنليل أبو الآلهة
بقي مشلولاً
وتَـجَرَّد قدس ـ الأقداس من جَلالِه!
ومن كل صوب قدم الآلهة
لاتخاذ قرار
ترأس آنو (المجلس)، فتح فمه
وقال كلمته
متوجهاً إلى الآلهة أبنائه:

«من منكم سوف يذهب للإطاحة بأنزو
واكتساب شهرة كونية نتيجةً لذلك؟

أدد، المكلف الأول

ـ صَرخوا جميعاً: «إنه آمر ينابيع السماء، إبن آنو!»
فتوجّه إليه رئيس المجلس عندئذٍ،
«إنّه أَدَدْ، آمر ينابيع السماء، ابن آنو ـ
صرخوا جميعاً!»
توجه إليه رئيس المجلس (قائلاً):
«أددْ، يا ذا القوة الفائقة! أي أَدَدْ الرهيب!
لا ترفضْ هذه المعركة!
إذهب واصعق أنزو بسلاحك
وسوف تصبح شهيراً في مجمع الآلهة ـ العظام:
لن يكون لك مثيل بين الآلهة إخوتِك
وسوف تخصص لك، مبنيةً وفق ما يجب
الهياكل لتكريمك
وفي العالم أجمع سوف تقيم لنفسك المحاريب:
وسوف يكون لك محراب حتى في الإيكور[١]!
وهكذا سوف تتمتّع أمام الآلهة
بالمجد وبالقدرة الكلية!»

تهرّب أدد

ولكن أدد قدّم هذا الجواب،
موجهاً لأبيه آنو هذه الكلمات:
«يا أبي، إلى ذلك الجبل المتعذر البلوغ

---

(١) (Ekur) بمعنى بيت الجبل وهو معبد إنليل في نفّر.

من ذا الذي سوف يسرع خطاه؟
مَنْ بَيْنَ الآلهة أبنائك، سوف يتمكن
من الإطاحة بأنزو
وهو يمتلك لوحة ـ الأقدار؟
لقد استأثر لنفسه بالسيادة
تاركاً السلطات الإلّهية شاغرةً.
ثم طار لبلوغ جبله!
وصارت كلمته منذ ذلك الحين
تضاهي كلمة الإلّه إنليل ـ دورانكي!
وبكلمة واحدة منه
يتحوّل إلى العدم من يحمّله لعنته!»
فرّت قلوب الآلهة لدى سماعهم هذا الخطاب،
حين عَزَف (أدد) عن تنفيذ المهمة، مديراً
لها ظهره!

تكليف جيرّو

صرخ (الآلهة) عند ذلك: «(لنكلّف)
جيرّو ابن آنونيت!»
فتوجّه إليه إذن رئيس المجلس (قائلاً):
«جيرّو، يا ذا القوة الفائقة! أي جيرّو الرهيب!
لا ترفض هذه المعركة!
إذهب واصعقْ أنزو بسلاحك
وسوف تصبح شهيراً في مجمع الآلهة ـ العظام:
لن يكون لك مثيل بين الآلهة إخوتك!
وسوف تخصص لك مبنيةً وفق ما يجب
الهياكل لِتكريمك،

وفي العالم أجمع سوف تقيم لنفسك المحاريب:
وسوف يكون لك محراب حتى في الإيكور
وهكذا سوف تتمتع أمام الآلهة
بالمجد وبالقدرة الكلية!»

تهرّب جيرّو

لكن جيرّو تقدّم بجوابه
موجهاً لأبيه آنو هذه الكلمات:
«يا أبي، إلى ذلك الجبل المتعذر البلوغ
من ذا الذي سوف يسرع خطاه؟
مَنْ، بَيْنَ أبنائك الآلهة، سوف
يتمكن من الإطاحة بأنزو
وهو يمتلك لوحة الأقدار؟
لقد استأثر لنفسه بالسيادة
تاركاً السلطات الإلّهية شاغرةً
ثم طار لبلوغ جبله
وصارت كلمته منذ ذلك الحين
تضاهي كلمة الإلّه إنليل دورانكي!
وبكلمة واحدةٍ منه
يتحوّل إلى العدم من يحمّله لعنته!»
فرّت قلوب الآلهة، لدى سماعهم هذا الخطاب،
حين عزف (جيرّو) عن تنفيذ المهمة
مديراً لها ظهره.

تكليف شارا وعزوفه

صرخ الآلهة عند ذلك: «(لنكلّف)

شارا ابن[١] عشتار!»
فتوجّه إليه رئيس المجلس (قائلاً):
«شارا، يا ذا القوة الفائقة! أي شارا الرهيب!
لا ترفض هذه المعركة
إذهب واصعق أنزو بسلاحك
وسوف تصبح شهيراً في مجمع الآلهة ـ العظام:
لن يكون لك مثيل بين الآلهة إخوتك!
وسوف تخصص لك، مبنية وفق ما يجب
الهياكل لتكريمك،
وفي العالم أجمع، سوف تقيم لنفسك المحاريب:
وسوف يكون لك محراب حتى في الإيكور!
وهكذا سوف تتمتع أمام الآلهة
بالمجد وبالقدرة الكليّة!»
لكن شارا قدّم هذا الجواب
موجهاً لأبيه آنو هذه الكلمات:
«يا أبي، إلى ذلك الجبل المتعذر البلوغ
من ذا الذي سوف يسرع خطاه؟
مَنْ، بَيْن أبنائك الآلهة سوف
يتمكن من الإطاحة بأنزو
وهو يمتلك لوحة الأقدار؟
لقد استأثر لنفسه بالسيادة
تاركاً السلطات الإلّهية شاغرة
ثم طار لبلوغ جبله
وصارت كلمته منذ ذلك الحين

(١) بمعنى المفضّل لدى عشتار.

تضاهي كلمة الإلّه إنليل ـ دورانكي
ويكلمة واحدةٍ منه
يتحوّل إلى العدم من يحمّله لعنته!»
فرّت قلوب الآلهة لدى سماعهم هذا الخطاب،
حين عَزَفَ شارا عن تنفيذ المهمة
مديراً لها ظهره.

الحيرة تسيطر على الآلهة، وإيا يتدخل

خيّم الصمت على الآلهة عند ذلك
وتخلّوا عن مشروعهم
وبقي الإيجيجي في أماكنهم
مُكَدَّرين ومضطّربين
ولكن الفطن والماهر، ساكن الأبسو
معتمداً على تفوق حكمته، تصور شيئاً،
إيا، الذكيّ (!) بعد أن أعمل فِكره
قال لآنو، كل ما أعدّ له في قلبه:
«سأتكلم وسأزيل عن الآلهة همومهم:
وأمام كامل المجلس، سأعيّن
من سوف ينتصر على أنزو! ـ
سأتكلم وسأزيل أنا بنفسي
عن الآلهة همومهم:
وسأعيّن أمام كامل المجلس
من سوف ينتصر على أنزو!»
لدى سماع هذا الإعلان، أسرع الإيجيجي
للارتماء على رجليه لتقبيلها
وعندئذٍ، فتح الأمير (؟) فمه وبدأ بالحديث

موجهاً إلى آنو وداچان[1] هذه الكلمات:
«يجب استدعاء سيدة الآلهة وكبيرتهم،
الخبيرة ومستشارة إخوتها الآلهة،
لإعلان سموها على الجميع في المجلس،
وعلى جميع الآلهة المجتمعين هنا، تحيّتها بإجلال!
وعند ذلك سوف أبلغها ما أضمرته!»

دعوة الإلّهة ـ الأم

دُعيت إذن، سيدة الآلهة، كبيرتهم
الخبيرة ومستشارة إخوتها، الآلهة
وأُعْلِنَ في المجلس سموها على الجميع
والآلهة المجتمعون، جميعهم، حيّوها بإجلال

إيا يوجه طلبه إلى الإلّهة ـ الأم

عند ذلك، وبالحكمة التي هي في قلبه
أعلن لها إيا:
«في السابق كنت تُعرفين باسم مامّي:
ومن الآن وصاعداً، «سيّدة الآلهة جميعاً»،
سوف يكون اسمك!
ولكن، امنحينا موافقتك بالنسبة لمفضّلك
البهيّ والمقتدر
البطل القوي، القادر وحده على الانتصار
في المعارك والحروب!
امنحينا نينورتا مفضلك البهي والمقتدر

(١) (Dagan) منذ الفترة البابلية القديمة وبتأثير عمّوري على ما يظهر، ثم التقابل بين إنليل والإلّه داچان العموري.

البطل القوي القادر على ربح
المعارك والحروب!
الإله [. . .] في مجمع الآلهة(؟) !
وليمجّد بين [. . .]
بين جميعهم [. . .]
[. . .] مكان تعبّد [. . .]
الإله [. . .]
[. . .]
في [. . .] !»

قبول مامّي واستدعاء ابنها

ولدى سماعها هذا الخطاب الحاذق،
أعطت، الفائقة ـ السمو سيدة ـ الآلهة موافقها.
وعند سماع ذلك، أسرع الإيجيجي فرحين
للارتماء على رجليها لتقبيلها!
واستدعت إذن ابنها إلى مجلس الآلهة

العمود الرابع

ولدى حضوره، توجّهت
إلى مفضّلها بهذه الكلمات:
«أمام الإلهين آنو وداچان [. . .]
أثار الآلهة مجتمعين
موضوع سلطاتهم الإلهية!
إعلم أنني أنا هي التي ولدت جميع الإيجيجي
أنا التي خلقتهم بكاملهم
هم، وكذلك مجموعة الأنوناكي ـ العظام!

[أنا التي منحت] السيادة
[لإنليل أخي (؟)]
وعيّنت لِأَن سلطته العليا في السماء:
ولكن هذه الملكية التي أسستُها
تمكّنَ أنزو من تعطيلها!
لوحة ـ الأقدار،
التي في مجمع [الآلهة. . .]،
إنه استلبها من إنليل، ملحقاً العار بأبيك!
واستأثر لنفسه بالسلطات الإلّهية كلّها!

اللوحة الثانية/ العمود الأول

اقطع عليه الطريق! ضع حداً لتجاوزاته
وأَعِدْ البهجة إلى قلوب الآلهة الذين خَلَقْتُهم!

مامّي تكلّف نينورتا بالتخلص من أنزو

ادخل معه في معركة نهائية:
ولترافقك على القمة، الرياح ـ السبع
بغية أسر الأنزو المجنح،
ففي ذلك إراحة الأرض التي كوّنْتُها
دَمِّر الجبلَ، مكان إقامته:
وليسقط عليه الذعر ثقيلاً
عندما تهتاج يدك العارفة بالقتال!
أطلق (ا) عليه جميع الأعاصير الدوّامية
اصلِ قوسَك وسمّم سهامك،
بدّل بوجه شيطانٍ، وجهك!
انشر الضباب بحيث لا يتعرف عليك:

وليلفّه غمر إشعاعك.
ارتدِ (كل) بريقك
وشُنَّ عليه هجوماً لا مثيل له
وفي الأعالي (؟) ليتوقّف شمش عن التألق
فيجعل بذلك نهارَه ليلاً داكناً!
ثمّ سَيْطر على حياته: إقهرْ أنزو
ولتحمل الرّياح إلى السرّ (؟) جناحيه
حتّى الإيكور، مقام أبيك إنليل!
اكتسح وخرب الجبل وحقوله
اقطع رقبة هذا اللعين أنزو!
عندئذ سوف تعود الملكية إلى الإيكور
وتعود السلطات الإلّهية إلى أبيك ووالدك!

وعود مامّي بمكافآت ما بعد النصر

(وهكذا) سوف تُخَصَّصُ لك، مبنية وفق ما يجب الهياكل لتكريمك
وفي العالم أجمع سوف تقيم المحاريب لنفسك:
وسوف يكون لك محراب حتى في الإيكور!
هكذا سوف تتمتع تجاه الآلهة بالمجد وبالقدرة الكلية!»

نينورتا يقتنع ويعدّ للمعركة

لدى سماع البطل لحديث أمه
ملأت الشجاعة قلبه، وكمحاربٍ باسل تقدم نحو الجبل:
فلَجَم المُتَجِمَات ـ السبع

لجم الرّياح ـ السبع ـ الشرّيرة
ولجمَ الدوّامات السبع، حاملات الغبار
معدّاً بذلك فرقة قتال رهيبة
رمى بها في المعركة.
وبانتظار المواجهة (؟)
بقيت إلى جانبه ريح الشمال يقِظَة.

المواجهة:

هوَ ذا، في قلب الجبل، حيث وَجَد الإلّه،
وأنزو نفسيهما وجهاً لوجه!
وعندما شاهده أنزو، تقدم نحوه
كازّاً أسنانه مثل وحش مفترس
فملأ الجَبلَ ببريقه الخارق للطبيعة!
ثُمّ هائجاً، زأر مثل أسد
وبقلبٍ ملؤه الغيظ صرخ (قائلاً) للبطل:
«لقد استأثرتُ بالسلطات الإلّهية كلّها،
وتحت تصرّفي مهامّ الآلهة!
من أنت إذنْ لتأتي بقصد محاربتي؟
تقدّم بإجابتك!»
هكذا تحداه (أنزو)
إذ وجّه إليه مثل تلك الكلمات!
[ولدى سماعها] أجاب نينورتا أنزو:
«إنني بناء على أوامر آنو ودورانكي
مؤسس الأرض الفسيحة
ولأوامر إيا سيد الأقدار
أتيت لمجابهتك،

أتيت لمحاربتك وسحقك!»
عندما سمع أنزو هذه الكلمات
أطلق من على جبله صيحةً وحشية!
فعمّت الظلمات: استتر وجه الجبل
وأظلم النورُ الإلَهي شمش.

العمود الثاني

وفي نفس الوقت مع (صياح) أنزو هدر
[الرعد (؟)] بقوة!
ومنذ بداية المناوشات، وعلى موقع الحلبة
انحدر الطوفان
ومن درع أنزو، كان الصدر مخضّباً بالدماء (؟) !
أمطرت الغيوم موتاً وبسرعة البرق
تساقطت منها السهام،
[. . . (؟)]: بلغت المعركة أوجها بينهما.
حبيب مامّي، ابن الآلهة الرائع والمقتدر
معاون آن وداچان، المفضل لدى الأمير (؟)
وتّر عندئذٍ قوسه وصلاها

قدرة أنزو السحرية، تعيد السهام إلى أصولها وكذلك القوس

ثم أطلق من بطن قوسه سهماً،
لكن السهم عاد دون إصابة أنزو
لأن (أنزو) أمر السهم صارخاً:
«أنت الذي تتوجه نحوي، عُدْ إلى مقصبتك:
عُدْ إلى أجمتك يا خشب القوس!
وإلى صلب الضأن أيها الوتر!

وعدْ إلى عصافير أصلك يا ريش جنيحات السهم!»
وهكذا فإن لوحة ـ الأقدار التي كانت بحوزته
سبّبت بذلك، إزالة وتر القوس
وإبعاد السهم عن جسده
تعطّل عندئذٍ القتال وتوقّفت المعركة
وسكت صليل الأسلحة على الجبل
دون أن يتمكّن نينورتا من قهر أنزو

نينورتا يلجأ إلى نصح إيا

قام (نينورتا) عند ذلك باستدعاء أَدَدْ (؟)
وأصدر إليه هذا الأمر:
«إذهب وردّد ما رأيت على مسامع إيا
وقل له (أيضاً):
«هذا ما فعله نينورتا، أيها الإلّه
عندما تَواجَهَ مع أنزو،
نينورتا، وقد غطّاه غبار أرض المعركة
وتّر قوسه وصلاها
ومن بطن قوسه، أطلق على أنزو سهماً
ولكن السهم عاد دون إصابته
لأن أنزو أمره صارخاً:
«أيها السهم الموجّه نَحْوي عُدْ إلى مقصبتك!
عُدْ إلى أجمتك يا خشب القوس!
وإلى صلب الضأن (عُدْ) أيها الوتر!
وعُدّ إلى عصافير أصلك يا ريش جنيحات السهم!
وهكذا فإن لوحة ـ الأقدار التي بحوزتهِ

العمود الثالث

سبّبت إزالة وتر القوس
وأبعدت السهمَ عن جسده
تعطل عندئذٍ القتال وتوقفت المعركة
وسكت على الجبل صليل الأسلحة
دون أن يتمكن نينورتا من قهر أنزو!»

إيا يعدّ لنينورتا خطة قتال

بعد أن سمع الأمير (؟) قضية «ابنه»
توجه إلى أدد (؟) وأصدر إليه الأمر التالي:
«امضِ وكرّر لسيدك كلماتي!
كل ما أقوله لك، أعده على مسامعه:
«لن يتوقف القتال إلا بانتصارك!
عليك إنهاك أنزو إلى أقصى حدّ
(وذلك) بتعريضه إلى عَصَفات ريح، تضّطره
إلى خفض جناحيه
عند ذلك وعوضاً عن سهامك
تناول سلاحاً قاطعاً
وابتُرْ جناحيه مشوهاً إياه يميناً وشمالاً
بحيث تُعَطِّلُ رؤيته لجناحيه على هذه الحال
الكلمةَ في فمه
وسوف يكتفي بالمطالبة بجناحٍ ثم بالآخر!
ثم لن تخشاه بعد ذلك
بل عليك فقط توتير قوسك ومن بطنه
لتنطلق السهام سريعة كالبرق
بينما جناحاه وقادمتاه، سوف

تختلج وهي مدمّاة (؟) !
سيطرْ عندئذٍ على حياته: إقهرْ أنزو
ولتحمل الرياح إلى السر (؟) جناحيه،
حتى الإيكور[١]، مقام أبيك إنليل.
إكتسحْ وخرّب الجبل وحقوله
إقطعْ رقبة هذا اللعين أنزو!
عندئذ سوف تعود الملكية إلى الإيكور
وترجع السلطات الإلّهية إلى أبيك ووالدك.
(وهكذا) سوف تخصصُ لك مبنيةً وفق ما يجب
الهياكل لتكريمك
وفي العالم أجمع سوف تقيمُ المحاريبَ لنفسك:
وسوف يكون لك محراب حتى في الإيكور!
بذلك سوف تتمتع تجاه الآلهة
بالمجد وبالقدرة الكلية!»
قَبِلَ أدد (؟) وهو ساجد المهمة
بنقل قضية المعركة إلى سيّده.
وكرر عند ذلك على مسامعه، كل ما
قاله له إيا:
«لن يتوقف القتال إلا بانتصارك
عليك إنهاك أنزو إلى الحدّ الأقصى
بتعريضه إلى عَصَفات ريحٍ
تضطره إلى خفض جناحيه
عند ذلك، وعوضاً عن سهامك
تناول سلاحاً قاطعاً

(١) (Ekur) بمعنى بيت الجبل وهو مقر الإلّه إنليل.

وابترْ جناحيه مشوِّهاً إياه
يميناً وشمالاً
بحيث تعطّلُ رؤيته لجناحيه على هذه الحال
الكلمةَ في فمه:
وسوف يكتفي بالمطالبة بجناحٍ ثم بالآخر!
ثم لن تخشاه بعد ذلك
بل عليك فقط، توتير قوسك، ومن بطنه،
لتنطلق السهام سريعةً كالبرق،
بينما جناحاه وقادمتاه
سوف تختلج وهي مدمّاة (؟) !
سيطرْ عندئذٍ على حياته: إقهر أنزو،
ولتحمل الرياح إلى السرّ (؟) جناحيه
حتى الإيكور، مقام أبيك إنليل!

العمود الرابع

عندئذٍ سوف تعود الملكية إلى الإيكور
وترجع السلطات إلى أبيك ووالدك!
(هكذا) سوف تُخصَّصُ لك مبنيةً وفق ما يجب
الهياكل لتكريمك
وفي العالم أجمع، سوف تقيم المحاريب لنفسك:
وسوف يكون لك محراب حتى في الإيكور!
بذلك، سوف تتمتع تجاه الآلهة
بالمجد وبالقدرة الكلية!»

يتشجع نينورتا بعد تلقيه رسالة إيا

لدى سماع البطل نينورتا هذه الرسالة

من طرف «أبيه» إيا، الأمير (؟)
ملأت الشجاعة قلبه، وكمحاربٍ باسل
تقدم من جديد نحو الجبل
فلجم المُقْتَحِمات ـ السبع،
لجم الرياح ـ السبع ـ الشرّيرة،
ولجم الدوّامات ـ السبع ـ حاملات الغبار.

تنتهي هنا اللوحة الثانية. أما اللوحة الثالثة، فلم يبقَ منها مع الأسف سوى ثلاث نتفٍ عُرّفت بالأحرف (أ) و(أَ) و (ب). والجزآن الأول والثاني هما على ما يظهر تكرار أحدهما للآخر ويرويان المعركة بشكل مقتضب. أما الجزء الثالث (ب) فيحتوي على رواية للمعركة أكثر تفصيلاً. ومن الصعب التأكيد فيما إذا كانت هذه الأجزاء تعود لنسختين مختلفتين أم لا. وهي غالباً في حالة سيئة ونقدّم فيما يلي ما يمكّن من متابعة حوادث المعركة بشكل إجمالي.

اللوحة الثالثة

[معدّاً بذلك فرقة قتال رهيبة
رمى بها في المعركة[١]

الجزء (أ)/ الوجه الأول

[. . .]
(3) إنتفض [نينورتا] وأعطى إشارته للمعركة:
[. . .] دخل المعركة
(5) أرسل جيوشه [. . .]
بإمرة ريح ـ الشمال [. . .]
بإمرة ريح ـ الجنوب [. . .]

(١) هذه البداية مأخوذة عن اللوحة الثانية، العمود الأول، (السطر ٣٣).

بإمرة ريح ـ الشرق [. . .]
بإمرة ريح ـ الغرب [. . .]
(10) كان يقذف شعلة بعد شعلة
وبهذه اللُّهُب، كان يفني الأعداء محرقاً،
وكانت البروق تقصف كل ما كان يفتح فمه!
[. . .] وبسرعة أصبح نينورتا
على مقربةٍ من أنزو
[. . .] الصراع [. . .]
(15) [. . .] أنزو (؟) رفع رأسه [. . .]
إلى
(18) نينورتا [؟] ارتفع إلى أعلى السماء
ثم أطلق للهجوم (؟) جيشه [. . .]
(20) وبسرعة [. . .] البطل [. . .]
وحين نشر (؟) بريقاً خارقاً للطبيعة رهيباً
كان الرعب أمام بسالته يقلب [. . .]
وكان جلاله المهيب، يغطّي المنطقة كلّها
وروعة بريقه الخارق ـ للطبيعة
هدّت الجبل بكامله.
(25) وبلمحة نظر، هزّت (؟) زوبعةٌ
أنزو (؟) [. . .]
وبعد أن هزته (؟) [. . .]

هنا يمكن اللجوء إلى الجزء (ب) للمتابعة
الجزء (ب)/ العمود الأول

1 [. . .]
[. . .] رعشةُ رَهْبةٍ

[أمسك (؟)] أحدهما بالآخر
ولكن نينورتا، بواسطة عصفات ريح
أنهك أنزو إلى حدّ
أجبره على خفض جناحيه!
وعوضاً عن سهامه، تناول عندئذٍ
سلاحاً قاطعاً
وبترَهُما، مشوهاً إياه يميناً وشمالاً
بحيث عطّلت رؤيته لجناحيه على هذه الحال
الكلمة في فمه!
[... الدهشة/ الألم (؟)] أرزحاه
[...] يأسه
[...] سهماً
[...] السهم!
عند ذلك اكتسح بوحشية [...]
بوحشيةٍ، اكتسح [...]

نهاية العمود الأول والعمود الثاني غير مقروءةٌ وللمتابعة يجب العودة إلى الجزء (أ) مكرر.

الجزء (أَ)/ الوجه الأمامي
نينورتا ـ يرسل إشارة الانتصار وفرح الآلهة بذلك

(28) وبصرخةٍ أشعل البطل عندئذٍ
إشارةَ نار[١]
(جعلت) آلهة العالم السفلي يدخُلون [...]

(١) إشارة مضيئة، ذكرت أيضاً في نصوص مملكة ماري.

العالم السفلي [. . .]
ساكنو الأبسو، مقر إيا [. . .]
ساكنو البحر [. . .] لمأثرته الملكية

الوجه الخلفي

[. . .] البطل جاءوا [. . .]
[. . . ـ] ـهم فارت مثل الماء
وكسُحُبٍ [. . .]
أدخل [الفرح (؟) . . .] إلى من هم في الأعلى
جعل من هم في الأسفل يرفعون رؤوسهم
في الشمال [. . .]
[. . .] السكان (؟) مفتشين برغبة حارّة
[. . .] جثة أنزو الكاملة
[. . .]
وملأ الفرح قلبي إنليل وننليل!

لم يبق من الوجه الخلفي أعلاه إلا بعض أجزاء أسطر، تصل حتى السطر (٦٧) يليه الجزء المكسور من اللوحة. ومن غير الممكن متابعة تسلسل الأحداث من خلالها، إلا أنه أمكن هنا وهناك قراءة بعض الأسماء أو التعابير القصيرة مثل: آن وداچان واسم نينورتا، ثم «أنزو الذي تجرّد منه الحياة» (سطر ٥٥) ثم «ابتهاج الإيكور» (سطر ٥٦) و «إقامة الهياكل» تكريماً لنينورتا مما يدل على أن مكافأته تمت فعلاً.

أما العمود الثاني من الجزء (ب) والذي لم يبق منه سوى بدايات أسطر عشرين، فيشير على ما يظهر إلى تكليف أدد (؟) بمهمةٍ جديدة لدى نينورتا، لإبلاغه رضى الآلهة عنه وفرحَهم بانتصاره.

نينورتا يتلقى تقدير إنليل

(7) «سيدي [أرسلني] إليك

إنليل، أبوك كلّفني أن أقول لك:
الآلهة عرفوا [(؟) . . .]
(و) (؟) في قلب الجبل، أنك
أطحت بأنزو
وبذلك دخلوا في حالة من
الفرح والابتهاج [. . .]
وبحضورك [. . .]
إذهب لمقابلته و [. . .]

وفي التتمة غير المقروءة يظهر اسم نينورتا مرة واحدة وكذلك «لوحة ـ الأقدار».

ملاحظة أخيرة

هناك نص أخير جزئي، اكتشف بالقرب من مدينة الموصل في عام ١٩٦٩ ولم يترجم إلا مؤخراً (١٩٨٨)، لم يعتمد عليه هنا وهو يعود إلى ما قبيل منتصف الألف الأول (ق. م) ويوازي في محتواه النص المقدّم أعلاه إلا في ما يتعلق بالمشاهد الأخيرة التي سبقت الانتصار على أنزو:

- فالرسول في نص الموصل ليس أدد بل شارور[١] وهو سلاح نينورتا السحري.
- وحين يفقد أنزو جناحيه، فإنه يكرر إحدى جمله السحرية، الموجّهة إلى سهام نينورتا، بشكل خاطىء، مما يجعل الأمور تنقلب عليه ويشارك هو بنفسه في انتصار خصمه.
- إنليل، لا يوفد أدد إلى نينورتا لنقل تقدير الآلهة، بل يوفد إلّهاً ثانوياً، تحت اسم بيردو[٢].
- تقام لنينورتا الهياكل التي تصل حتى بلاد عيلام وسوز. . . وفي كل منها يطلق عليه لقب خاص، مما يذكر بألقاب مردوك في قصيدة التكوين والخليقة التي أتت

(١) (Sharur) يستطيع الانتقال بنفسه للاستطلاع والإبلاغ عن وضع العَدو.
(٢) (Birdu).

فيما بعد والمثبتة في هذا الكتاب.

- ينتهي هنا عرض النص الأكادي لصراع نينورتا مع الطائر أنزو. ونتابع في ما يلي، كما عرضنا آنفاً، النص السومري لهذا الصراع.

النص السومري لصراع نينورتا مع الطائر أنزو عقاباً له على خيانته

عثر على هذا النص في مدينة سوز الإيرانية. ويتألف من لوحتين تعودان إلى ما قبل منتصف الألف الثاني قبل الميلاد، ويرجّح أن كتابتهما تّمت في بلاد ما بين النهرين. يتتابع مُحتوى اللوحتين وهما مخرّبتان في بعض المواضع إلا أن التكرار والتوازي في بعض المقاطع جعل متابعة النص ممكنة.

ويتألف نص اللوحتين من حوالى ١٦٠ سطراً، ويسرد الجزء الأوسط من قصة الصراع مع أنزو: ويمكن القول كانت هناك لوحة أولى مفقودة لتقديم موضوع الصراع ولوحة رابعة مفقودة أيضاً لاختتامه.

وبصورة عامة يتبع السرد هنا ما عرفناه في النص الأكادي السابق مع الفرق بأن نينورتا يحمل هنا لقب نينجيرسو[١] أي سيّد - جيرسو.

يبدأ النص بما تلا حادث اختطاف لوحة - الأقدار من قبل أنزو ويقف قبل محاولة نينجيرسو للإقدام على هجومه الثاني الذي حقق انتصاره.

حالة الكون بعد اختطاف لوحة - الأقدار

اللوحة الثانية

1 وبما أنه صَادَرَ السيادة

فإنّ السلطات - الإلّهية شَغَرت

---

(١) (Ningirsu) لقب نينورتا خلال الفترة السومرية الجديدة ومدينة جيرسو هي تلّلو الحالية الواقعة إلى الجنوب الشرقي من لغش.

وأصاب الشلل إنليل أبا الآلهة،
كما اختفت الجلالة وعمّ الصمت
وكان الإيجيجي بكاملهم في حالة ارتباك كبير!
وجُرِّد قدس ـ الأقداس من جلاله
ومن جميع الأطراف توافد آلهة الأرض
لاتخاذ القرار.

آنو يقترح أدد للإنقاذ

وحين فتح فمه آنو رئيس المجلس
توجّه إلى الآلهة أبنائه:
«يا معشر الآلهة، من منكم سوف يقضي على أنزو؟
ويحصل بالتالي على المجد الأعظم!»
صرخوا جميعهم: «إنه سيد ينابيع السماء
(أدد)، ابن آنو!»
توجّه إليه الرئيس عندئذٍ
[لا ترفضْ] هذه المعركة
إذهبْ واصعقْ أنزو بسلاحك،
وسوف تصبح شهيراً بين الآلهة ـ العظام
لن يماثلك أحد بين الآلهة إخوتك.
وسوف تتمتع أمام بقية الآلهة
بالمجد وبالقدرة الكلية!»
ولكن سيّد ينابيع السماء أجاب:
«أي أبي، نحو ذلك الجبل المتعذر البلوغ
من ذا الذي سوف يسرع خطاه؟
أي إلَهٍ بين أبنائك يضاهي أنزو
إنه امتلك لوحة ـ الأقدار

وصَادَرَ من الإِلَه السيادة
ثم طار لبلوغ جبله
وصارت كلمته منذ ذلك الحين
تضاهي كلمة الإِلَهي دورانكي،
وإلى العدم يتحول [من تصيبه لعنته (؟) !]
فرّت قلوب الآلهة لدى سماعهم هذا الخطاب
وأصدر آنو (؟) أمراً بعدم المتابعة (؟)

تكليف جيرّو وشارا ورفضهما

صرخ (الآلهة) عند ذلك (لنكلّف)
جيرّو ابن أنّونيت!»
فتوجّه إليه الرئيس عندئذٍ

وبما أن النصّ يتابع حرفياً ما سبق على لسان آنو وفي جواب أدَدْ فإن الناسخ لم يجد ضرورة للتكرار وانتقل مباشرة إلى المرحلة الثانية، أي تكليف شارا.

«صرخ الآلهة عندئذٍ (لنكلّف) شارا
«ولد» عشتار!»

ناسخ النص، هنا أيضاً لا يكرر محتوى تكليف شارا ورفضه المماثل لما سبق.

الآلهة يطالبون بتدخل إيا

ولما عاد الهدوء
فتّش الآلهة من جديد عن حلّ!
وفي اجتماع مجدّد للإيجيجو
بعد هذه الفترة المضطربة
وضع (الآلهة) في المقدمة، الحادّ الفِطنة

ساكنَ الأبسو،
ومن إيا (طلبوا) أن يقول ما أعدّ له
في قلبه (فقال):
«سوف أثير أنا بنفسي، انكسار أنزو:
وفي قلب المجلس، سوف أعين المنتصر!»
ولدى سماع آلهة الأرض هذا التصريح
تقدّموا بكل احترام وقبلوا رجليه

إيا يضع أمّ كِبار الآلهة في المقدّمة ويطلب منها استدعاء «ابنها» المفضل

أعلن إيا عندئذ في وسط المجلس
سُموّ ماخ[١] الفائق، سيدة الأقدار (قائلاً لها):
«استدعي مفضلك البهيّ والمقتدر
البطل الذي هو قادر وحده على
شنّ اقتحامات سبعة بنجاح ـ
نينجيرسو مفضلك البهي والمقتدر
البطل القادر وحده على
شنّ اقتحامات سبعة بنجاح!»

قبول الأم السامية

ولدى سماعها هذا الخطاب الحاذق،
ماخ، ذات السمو ـ الفائق قَبِلَتْ
ولسماع ذلك، أتى آلهة الأرض مغتبطين
لتقبيل رجليها بكل احترام.
وحين استدعت إلى مجلس الآلهة
ابنها، الحبيب إلى قلبها،

---

(١) (Maẖ) و (Nin-Maẖ) بمعنى السامية أو السيدة الفائقة السمو ـ هو لقب الإلّهة الأم مامّي.

وجّهت إليه التعليمات (التالية):
«أمام الإلّهين آنو وداچان
أثار آلهة الأرض مجتمعين قضية
سلطاتهم ـ الإلّهية.
إذن فلتعلمْ بأنني أنا مامّي.
ولدتُ جميع الإيجيجو:
[لذلك سوف أقاتل (؟)]
ضدّ عدوّ الآلهة!
أنا هي التي منحت السيادة
لإنليل أخي وكذلك لآنو!
[فمن الآن فصاعداً (؟)]، هذه السيادة
التي عينتها لهما شخصياً
سوف أنقلها (؟) إليك [. . .]
ولكن عليك أولاً، تحويل [هذه الكارثة]
إلى نصر.
أعدْ البهجة إلى قلوب الآلهة الذين خلقتُهم!
أدْخُلْ معه في معركة نهائية
ولترافقك الرياح ـ الشرّيرة ـ السبع
وليوجّه الآلهة انتباههم نحو الجبل (؟)
< وبغية إراحة الأرض التي كوّنتُها >
قمْ إذن بأسرْ الأنزو المجنّح!
دمّرْ مكان إقامته:
وليسقط عليه الذعر ثقيلاً
عندما تهتاج يدك العليمة بالقتال
أطلق (؟) عليه جميع الأعاصير الدوّامية

سطران مفقودان.

اصلِ قوسَك، وسمّم سهامك!
ولتجعلَ صرخاتك اللاعِنة [. . .]
وليفقد أنزو قِواه وهو يتخبط في الظلمات
دون رؤية أي بصيص!
ودون أن يتمكن من الإفلات منك
يخفض جناحيه خلال اللقاء!
بدّل (عندئذٍ) بوجه شيطانٍ وجهَك
انشر الضباب بحيث لا يتعرف عليك!
وفي الأعالي (؟) ليتوقف شمش عن التألق
جاعلاً نَهارَه ليلاً داكناً!
ثمّ سيطر على حياته: إقهر أنزو،
ولتحمل الرياح إلى السرّ (؟) جناحيه
حتى الإيكور مقر (!) أبيك!»

(كرر الناسخ هنا خطأً السطر ٧٠).

نينجيرسو يستعدّ للمعركة

لدى سماع البطل لحديث أمّه
ملأت الشجاعة قلبه وكمحاربٍ باسل
تقدّم نحو الجبل!
التي تلجم الرياح ـ الشرّيرة ـ السبع
والدوّامّات ـ السبع ـ حاملات الغبار ـ
[مامّي] التي تلجم الرياح ـ الشرّيرة ـ السبع
[كانت تدفع بنينجيرسو (؟)] نحو المعركة.
الرياح ـ الشرّيرة ـ السبع رافقته

ووجّه الآلهة أنظارهم نحو الجبل (؟)

المواجهة

[عندما] ظهر (؟) [البطل]
على جبل أنزو (هذا)

اللوحة الثالثة

شاهده (أنزو) وتقدّم نحوه،
وهذا الكائن الإلّهي، صَرّ أسنانه
مثل وحشٍ مفترس
فملأ الجبلَ ببريقه الخارق - للطبيعة!
زأر أنزو مثل أسد غاضب
وبقلبٍ ملؤه الغيظ، صرخ (قائلاً) للبطل:
«لقد استأثرتُ بجميع السلطات الإلّهية،
من أنتَ إذن لتأتي قاصداً محاربتي؟
تقدّم بإجابتك!»
ولدى سماع ذلك، أجاب البطل
نينجيرسو أنزو:
«إنني بناءً على أوامر إيا سَنَد دورانكي
والذي يقرر المصائر
أتيت لمحاربتك ولسحقك:
[. . .] درعك!»
عندما سمع الجبلي هذه الكلمات
أطلق صيحة وحشية:
ومن درعه، كان الصدر مخضّباً بالدماء
وبلغت المعركة بينهما أوجها!

[مفضّل (؟)] مامّي
معاون آن وداچان
المفضّل لدى الأمير (؟)
أطلق عليه سهماً
ولكن، دونما إصابة أنزو، عاد السهم
لأن أنزو أمر السهم صارخاً
«يا سهماً تتوجّه نحوي، عد إلى مقصبتك
وإلى أجمتك (عد) يا خشب القوس!»
ـ 100 ـ [. . .] الواحد (و) الآخر
[. . .] بسرعة

هناك نقص حوالى ٤٠ سطراً تحرمنا من تفاصيل فشل نينجيرسو في هذه المرحلة وتكليف رسولٍ بطلب النصح إلى إيا. ويُستأنف النص بدءاً من نهاية تعليمات إيا إلى نينجيرسو.

62 «اِبْتُرهما[١] له. مشوهاً (؟) إياه
يميناً وشمالاً
بحيث تُعطِّلُ رؤيته لجناحيه على هذه الحال
الكلمةَ في فمه!
ـ 145 ـ وسوف يصرخ: «جناحيّ! جناحيّ
(عند ذلك) لا تخشاه
ولكن، سيطر على حياته، وبعد تكبيل أنزو،
لتحمل الرياح إلى السر (؟) جناحيه!
ثم اكتسحْ وخرّب الجبلَ وحقوله!

(١) المقصود هنا هما الجناحان.

ولا تبقِ قط على حياة هذا اللعين أنزو!
عندئذٍ سوف تعود الملكية إلى الإيكور
وترجع السلطات الإلّهية
إلى أبيك ووالدك!
وسوف تخصّص لك مبنيةً وفق ما يجب
الهياكل لتكريمك
وفي العالم أجمع، سوف تقيم المحاريب لنفسك

هجوم نينجيرسو الجديد

لدى سماع نينجيرسو رسالة أبيه
ملأت الشجاعة قلبه، وكمحاربٍ باسل
تقدم من جديد نحو الجبل.
[. . .] من المعركة، الرياح الأربع [. . .]
[. . .] تَزلْزَلت الأرض [. . .]
[. . .] أظلم النهار واسودّت السماء
وأنزو اللعين، تحت وطأة الزوبعة
خفض جناحيه!

ـ (يشير هامش أخير إلى أن اللوحة تحتوي على «سبعة وسبعين سطراً»).

(٦٣) ـ الإلهة نانشي
تحمي وتحاكم

١ ـ منذ ملكية مدينة لغش الأولى أقدم الملك السومري أورو ـ كاجينا[١] الذي حكم حوالي ٢٣٥٥ ق. م، أقدم في حركة إصلاحية جريئة على إقامة العدالة، وأعاد للمواطنين المظلومين حريتهم وعزّل مراقبي الظلم وجباته، وأبعد المنتفعين والمرتزقة والمتعسفين، كما خلّص البلاد من المرابين واللصوص والمجرمين وتعاهد أورو ـ كاجينا مع الإلهين نينجيرسو[٢] ونانشي[٣] بأنه لن يسمح بأن يتحول الأرامل والأيتام إلى ضحايا من قبل «الرجال الأقوياء».

٢ ـ وبعده أعلن أور ـ نامّو[٤] مؤسس ملكية أور الثالثة (٢١١١ ـ ٢٠٨٤ ق. م) في مقدمة تشريعه بأنه: «سهر على ألاّ يصبح اليتيم ضحية للغني وأن لا تصبح الأرملة ضحية للرجل القوي وألا يصبح الرجل الذي يملك مثقالاً واحداً ضحية من يمتلك ستين مثقالاً».

٣ ـ تلك كانت بعض معالم المثالية الأخلاقية السومرية والأكادية التي تركتها من النصوص والتشريعات مروراً بتشريع ليبيت ـ عشتار[٥] ملك مدينة إيسين[٦] الذي

---

(١) (Uru-Kagina).
(٢) (Ningirsu).
(٣) Nanshé.
(٤) (Ur-Nammu).
(٥) (Lipit-Ishtar).
(٦) (Isin) تقع على حوالي ٢٢ كم إلى الجنوب من نفّر.

حكم حوالي (١٩٣٤ ـ ١٩٢٤ ق. م)، حتى تشريع حمورابي (١٧٩٢ ـ ١٧٥٠ ق. م) وشهرته المعروفة.

٤ ـ كان ذلك كما أشرنا في مقدمة هذه الفقرة (٢ ـ ٢) إرضاءً للآلهة وإطاعة لأوامرهم وطلباً لعونهم لإقامة ملكية دائمة ولتحقيق ازدهار البلاد وتأمين الرخاء للشعب.

الملك أورو ـ كاجينا أعاد تطبيق قوانين نينجيرسو، ويقول الملك چوديا[1] أيضاً بأنه نفّذ قوانين نينجيرسو ونانشي.

وكانت الإلّهة نانشي، إلى جانب نينجيرسو/ نينورتا ابن إنليل (سيد مجمع الآلهة)، تشرّع وتسهر، وكان لها دورٌ أساسيّ في تهذيب المثل الأخلاقية والسهر على تطبيق العدالة وإلى جانبها إلّهة الكتابة نيسابا[2] التي كانت هي بدورها تُملي القوانين و «تعرف أسرار الأرقام»، مثلما كانت نانشي «عليمة بتفسير الأحلام».

ونانشي إلّهة لغش عُرفت بأنها التي لا تسمح بأن تهان الحقيقة والعدالة وأن تنعدم الرحمة، ونحن نعلم اليوم بأنها لعبت دوراً مهمّاً في ترسيخ تلك المفاهيم الأخلاقية والإنسانية إذْ إن المكتشفات الأثرية في مدينة نفّر مكّنت اعتماداً على تسع عشرة لوحة أو كسرة من لوحة، تمّت مقاربتها في عام ١٩٥١، مكنت من استعادة محتوى مديح ضَافٍ يمجّد الإلّهة نانشي ويضم حوالى ٢٥٠ سطراً، تتّضح من خلاله معالم القواعدَ الأخلاقية السومرية وفي الوقت نفسه أهمية نانشي. ونقدم فيما يلي المقتطف المتوافر اليوم في المصادر التي هي بين يدينا:

الإلّهة نانشي:

«هي التي تعرف اليتيم وتعرف الأرملة،
هي التي تعرف ظلم الإنسان للإنسان
إنها أم لليتيم.
نانشي تعتني بالأرملة،
تحكم (؟) للفقير (؟) بعدالة

(١) (Gudea) حكم في لغش (Lagash) خلال ملكيتها الثانية (٢١٤٤ ـ ٢١٢٤ ق. م).
(٢) (Nisaba) أو نيدابا إلّهة الكتابة السومرية.

إنها الملكة التي تجتذب اللاجىء إلى حضنها
والتي تجد للضعيف ملاذاً».

وفي مقطع لا تزال تفاصيل محتواه غامضةً، إلا أنه يُظهر الإلّهة نانشي وهي تحاكم الجنس البشري في اليوم الأول من السنة تجلس إلى جانبها نيدابا[1] إلّهة الكتابة وقرينها هايا[2] ومجموعة من الشهود.

ويشير المديح بعد ذلك إلى أن الذين يستحقون غضبها هم:

الذين، إذْ يسلكون طريق الخطيئة، يتجاوزون اليد العليا
[.................................]
هم الذين يخرقون الأنظمة القائمة وينقضون عهودهم؛
الذين ينظرون بعين الرضا إلى أماكن السوء...؛
الذين يستبدلون وزناً ثقيلاً بوزنٍ خفيف؛
الذين يستبدلون قياساً كبيراً بقياس أصغر
[..........................]
هم الذين إذا ما أكلوا شيئاً لا يملكونه
لا يقولون: «أنا أكلته»
وإذا ما شربوه لا يقولون: «أنا شربته»، ...
هم الذين يُعلنون: «سوف آكل ما هو محرّم»
والذين يقولون: «سوف أشرب ما هو محرم».

وفي ما يلي أيضاً ما يشير إلى حسّ نانشي الاجتماعي:

من أجل تعزية اليتيم ولكي لم تعد هناك أرملة.
ومن أجل إعداد المكان حيث ينعدم الأقوياء (المستبدّون)
ومن أجل تسليم المستبدين (لعدالة) الضعفاء، ...
من أجل ذلك تتفحص نانشي دخائل البشر.

---

(١) (Nidaba).
(٢) (Haïa).

(٦٤) ــ الإلّه مردوك
ينصّب الملوك ثمّ يعاقبهم

يُعرف هذا النص الذي تمّ نشر محتواه منذ عام ١٩٣٩ تحت عنوان مذكرات الإيساچيل[١] التاريخية، ويعود تأليفه إلى الفترة البابلية القديمة وقد يكون ذلك خلال فترة حكم حمورابي.

وبواسطة هذا النص، عمد أحد مريدي الإلّه مردوك، وهو على الأرجح أحد كهّانه في معبد الإيساچيل في بابل، عمد إلى إعلامنا عن أهمية عدم إهمال طقوس مردوك وإطاعة أوامره، فتصور المؤلف وهو على علم واسع بتاريخ بلاده، تصور سرداً خيالياً لمرحلة تاريخية واقعية تغطّي حوالي أربعة قرون، شهدت تأسيس وزوال عدة ملكيات تأسّست قبل قيام امبراطورية سرجون الكبير الأكادية وبعد زوالها.

ونشاهد في هذا السرد الخيالي، الممالك تظهر وتزدهر ثم تضمحل بإرادة الإلّه مردوك وحده، يكافىء من يخشاه ويعاقب من ينساه، وهو غيور مثل الإلّه يهوه التوراتي يتمسك بمدينته بابل ولا يغفر لسرجون الكبير هجره لبابل واتخاذ مدينة أكادي عاصمة جديدة له.

ومع أنّه لم يصلنا من هذا النصّ سوى الجزء الأوسط وفقدان بدايته ونهايته، فقد

(١) (E-Sagil) هو معبد الإلّه مردوك في بابل ومعناه «البيت ذو الرأس الشامخ».

رأينا فائدة من إثباته هنا للدلالة على دور الإلّه مردوك، فيما يتعلق بالثواب والعقاب، موضوع هذا الفصل. وسوف نشير إلى الفترات التاريخية التي يغطّيها هذا النص من خلال عرضه، ولا يخلو النصّ من الرموز التي تشير إلى الصراع الداخلي بين القصر والمعبد، ودفاع مردوك عن ممتلكات المعبد ومقتنياته التي يحاول رجال الملك الاعتداء عليها:

(نقص في بداية اللوحة).

[..........................]

... خلال حكم پوزور ـ نيراه[١] ملك أكشاك[٢]، تمكن صيادو الإيساچيل [...] من اصطياد سمك مخصص لوجبة طعام سيد ـ الأسماك الإلّهي[٣]. إلا أن جنود الملك استولوا على هذا السمك و [طردوا (؟)] الصيادين.

وبعد انقضاء تسعة أيام، حين حصل الصيّادون على السمك (من جديد)، عرضوه [للمبادلة (؟)] في بيت كوبابا[٤] (صاحبة الحانة). فقدّمت كوبابا إلى الصيادين خبزاً وأعطتهم ماءً. ولكن السمك [الذي حصلت عليه بالمبادلة (؟)] جعلته دون تمهّل يصل إلى الإيساچيل. عند ذلك وجّه إليها الإلّه العظيم مردوك نظرة رضى[٥]. «هذا ما يجب عمله» قالت، ومنح مردوك لكوبابا الملكية على كامل البلاد[٦].

---

(١) (Pouzour-Nirah) أحد الملوك السومريين لفترة الملكية الثانية حوالى (٢٨٥٠ ـ ٢٥٠٠ ق. م)، والمعروفة بفترة الملكيات القديمة.

(٢) (Akshak) إحدى مدن الملكيات القديمة التي سبقت كيش وأوروك وأور وتقع على بعد حوالى ٥٠ كم إلى الشمال الشرقي من بابل.

(٣) المقصود هو الإلّه مردوك وليد الإلّه إيا (Ea) أمير الأبسو، محيط المياه العذبة حيث تعيش المخلوقات المائية.

(٤) (Kubaba) وهي فعلاً مؤسسة الملكية الثالثة في كيش ويعتبرها النص في الأصل صاحبة حانة (؟).

(٥) أو كما تقول التوراة العبرية: «وجدت نعمة في عيني الرب».

(٦) المقصود هنا هو ملكية كيش (Kish) الواقعة على بعد حوالى ١٠ كم إلى الشمال الشرقي من بابل.

أما أور ـ زابابا[١]، وبصدد كؤوس (؟) احتواء القرابين السائلة[٢] في الإيساچيل، فإنه أمر ساقيه سرجون[٣] (قائلاً): «إستبدلْ الكؤوس!» لكن سرجون لم يستبدلها. بل على العكس، فقد أسرع بتقوى وحملها إلى الإيساچيل. ولذلك فإن مردوك ابن بيت الأبسو[٤]، نظر إليه بعين الرضا ومنحه الملكية على مناطق العالم الأربعة[٥].

إلا أن سرجون فيما بعد، أهمل طقوس الإيساچيل [وفرض] ضريبتهُ على معابد بابل. ودون موافقة مسبقة من قبل الإلّه [العظيم] مردوك، استخرج التربة من حُفَر بابل، وإذْ بنى مدينة مقابل أكّادي أطلق عليها اسم بابل[٦].

وبسبب [الإقدام على انتهاك الحرمات] على هذا الشكل، عامله مردوك معاملة العدو، وألهب ضدّه الثورات من الشرق إلى الغرب وحرمه من الراحة (إلى الأبد).

كما أن نرم ـ سين[٧] الذي قضى على حياة سكان بابل، (فإن مردوك)، وعلى مرتين، دفع ضدّه القبائل الچوتية[٨].

ولكن الچوتيين وهم أناس ضيقو الخلق ولا يبدون أي احترام تجاه الآلهة، لم يعرفوا كيف ينفذون بشكل منتظم، تعليمات الطقوس.

و (في تلك الأثناء) قام الصياد أوتو ـ هيغال[٩] باصطياد سمكٍ من على شاطىء البحر. وهذا السمك، كان من الواجب ألا يُقدّم لأي إلّه آخر قبل تقديمه إلى الإلّه

---

(١) (Ur-Zababa) أحد ملوك حكم ملكية كيش الثالثة التي أسستها كوبابا.
(٢) أي قرابين الزيت والخمر.
(٣) هو سرجون الكبير نفسه وكونه هنا يعمل كساقٍ لدى الملك يذكّر بأسطورة ولادة سرجون السرية من أمّ كانت كبيرة كاهنات المعبد وتحرّم عليها الأمومة لذلك، وكما كان الأمر بالنسبة لقصة موسى التوراتية فقد وضعته في قفة وأودعته مياه النهر فالتقطه وربّاه أحد ساحبي الماء.
(٤) أي معبد الإلّه أنكي/إيا في إريدو (Eridu).
(٥) للدلالة على امبراطورية سرجون الكبير الواسعة الانتشار.
(٦) نقل سرجون فعلاً العاصمة من بابل وتبنى عاصمة جديدة هي أكادي عوضاً عنها مثيراً بذلك غضب مردوك.
(٧) (Naram-Sin) حفيد سرجون الكبير حكم خلال فترة حوالى (٢٢٥٩ ـ ٢٢٢٣ ق. م)، أخمد ثورة ضده في سومر، هدم معبد إنليل في نفر ثم غلب على أمره من قبل قبائل الچوتي، أو الغوتو بعدما عمّت الفوضى مملكته.
(٨) (Gouti) أو (Qoutou) قبائل نزلت من جبال زغروس لا يعرف إلا القليل عن أصلهم ولغتهم. وقد استولوا على أكاد وحكموا حوالى ١٠٠ عام.
(٩) (Outou-Hegal): مؤسس ملكية أوروك الخامسة.

العظيم مردوك. ولكن الجوتيين انتزعوا من يديه هذا السمك الذي كان تمّ شيّه ولم يكن قُدّم بعد. ولهذا السبب فإن (مردوك) وبأمر سامٍ من قبله نزع ملكية بلده من قبائل الجوتي ومنحها إلى أوتو ـ هيغال.

(ثم بعد ذلك) وإذْ إن أوتو ـ هيغال الصيّاد سلّط يد الشر على مدينته، فقد حمل النهر جثته[١].

وإلى شولجي[٢] ابن أور ـ نامّو[٣]، منح مردوك عند ذلك الملكية على جميع البلاد. ولكن هذا الأخير لم يؤدِ طقوسه بكاملها ودنّس مراسم التطهير، [فعاقبه] (مردوك) على خطيئته، [. . .، ونزع عنه الملكية].

[. . . . .]

(بقية النص مفقودة)[٤].

(١) لا ندري إذا كان يتعلق الأمر بغرق الملك في حادث عادي أم عاقبه النهر لدى احتكامه إليه.

(٢) (Shulgi) حكم حوالى (٢٠٩٣ ـ ٢٠٤٦ ق. م) خلال ملكيته الثانية أو الثالثة في الفترة السومرية ـ الجديدة واشتهر اسمه في طقوس الزواج الإلّهي كما ورد ذلك في الكتاب الأول.

(٣) (Ur-Nammu) حكم قبل شولجي حوالى (٢١١١ ـ ٢٠٨٤ ق. م).

(٤) لا يستبعد أن يتابع النص على هذا المنوال حتى الوصول إلى فترة حكم حمورابي وعودة بابل إلى مجدها المقترن بارتقاء الإلّه مردوك.

(٦٥) ــ زوال عصر البشرية الذهبي؟ ودور الإله أنكي

١ ـ هل اعتقد السومريون، أن البشرية عرفت عصراً ذهبياً و «طوباوياً»، ثم فقدته لسبب ما: كالسقوط في «الخطيئة» أو المخالفة أو التجاوز، كما ورد في التوراة العبرية؟

ليست لنا للإجابة عن هذا التساؤل، سوى بعض القرائن والاتجاهات، التي تميل إلى إجابات عدّة سلبية وإيجابية.

ويدلّ تعدّد الإجابات على وجود «مدارس سومرية» مختلفة، في ممالك ـ المدن المتعدّدة في سومر، وذلك قبل أن يعرف الفكر، في ما بين النهرين العقيدة اليقينية الموحّدة. وقد ألفنا مثل هذه التعددية في أساطير البدء والأصول التي أوردناها في الفصل الأول من هذا الكتاب والتي انتهت بتنصيب الإلّه مردوك وحده كبطل للتكوين والخلق، حين توسّعت الرؤية وأدّت إلى نظرة شاملة ولو أتى ذلك عن طريق مطامع توحيدية لمملكة توسّعت وانتصرت وشملت البلاد بكاملها...

٢ ـ وفي صورة بعيدة جداً عن طوباوية البدء و «العصر الذهبي» يقدم لنا النص رقم (٤١) المدرج في هذا الكتاب وصفاً لحياةِ «مخلوقات» تلك الأزمنة الموغلة في القدم وعلى الرغم من الالتباس الذي أشرنا إليه من خلال عرض النص المذكور، وبخاصة الملاحظة رقم (٤)، فإن:

«مخلوقات» تلك الأزمنة الموغلة في القدم

لم يكونوا يعرفون أكل الخبز
ولا يعرفون تغطية أجسادهم بالكساء:
كانوا يمضون ويعودون بكامل عريهم
يتغذون بالأعشاب كما تفعل الخراف،
ولا يرتادون سوى مياه المناقع

النص رقم (٤١) الأسطر (٢٠ ـ ٢٥)

كانَ ذلك على «الجبل المقدّس»، حيث كان يعيش الآلهة ولم تكن بعد قد أُنزلت على الأرض، من على الجبل المقدس النعجة ـ الأم والحبوب.

٣ ـ ويمكن الرجوع أيضاً إلى النص رقم (٥٣) من هذا الكتاب لنرى الإلّه إنليل، يخلق «الفأس» ويباركها ويضعها كأداة عمل بيد ذوي الرؤوس ـ السوداء وهم البشر المكلفون بأعمال السخرة لإراحة الآلهة من أعبائهم. وهذه السخرة هي التي سوّغت أيضاً خلق البشر كما ورد ذلك في النص رقم (٥٦) الذي يسرد قصة الفائق ـ الحكمة ويستعرض تاريخ البشرية من الخليقة إلى الطوفان.

ولا ينسى النص رقم (٥٤) أن يذكر في مطلعه، قبل إدخال الحبوب إلى سومر بأنه:

«في ذلك الزمان، كان البشر لا يأكلون
سوى العشب كما تفعل الخراف»

٤ ـ أشارت الأمثلة السابقة إلى بدايات للبشرية، لا يمكننا تسميتها «بالعصر الذهبي» أو بالعصر «الطوباوي» وكأنّ البشر كانوا يعيشون في جنة أرضية فقدوها فيما بعد.

إلا أنه وبسبب تعدد المدارس المذهبية كما أشرنا إلى ذلك آنفاً، فيمكننا عبر النصوص التي وصلتنا حتى اليوم، أن نفتش عن أمثلة ولو كانت غير مباشرة لمعتقداتٍ تصف لنا بالنسبة للبشر مرحلة سبقت، كانت أفضل مما هم عليه في مرحلة حالية.

٥ ـ ومن أهم القرائن التي يمكننا تقديمها، نقتبسها عن نص الفائق ـ الحكمة

والطوفان ـ النص رقم (٥٦)، ونشير إلى أنّه بعد انتهاء الطوفان وإنقاذ البشرية من قبل الفائق ـ الحكمة بتوجيهات من الإلّه أنكي فإن النقاش بين الآلهة بعد الطوفان يقرر تطوراً هاماً في حياة البشر لتحاشي تكاثرهم «التضخّمي» في المستقبل. وأهمّ ما يفرض على البشر تحقيقاً لتلك الغاية، كما يتضح ذلك من المقطع التالي، وهو فرض الموت عليهم:

41 «ثم فتح [إنليل] فمه [متوجهاً]
إلى أنكي الأمير (؟) قائلاً:
حسناً! استدعِ نينتو الرحم
وفكّرا معاً خلال اجتماع المجلس
45 فتح أنكي [فمه] عندئذٍ
[وتو] جّه إلى نينتو ـ الرحم (معلناً):
أيتها الأم الإلّهية [أنت] التي تقررين المصائر
إفرضي إذن الموت على البشر.

النص رقم (٥٦ ـ ز)،
عمود ٦، أسطر (٤١ ـ ٤٨)

فهل هذا يعني، أن البشر لدى خلقهم، لم يكونوا يعرفون الموت إلا بواسطة الكوارث الجماعية التي يرسلها الآلهة عقاباً، كالوباء والجفاف والمجاعة والطوفان. . . ويفرض عليهم هنا الموت الطبيعي وفقاً لقرار مرحلة ما بعد الطوفان؟

٦ ـ ولكننا نعلم في الوقت نفسه أن الآلهة المجتمعين بعد الطوفان، حين قرروا منح أوتا نافيشتي الحياة الأبدية مكافأةً له على إنقاذ البشرية، عمدوا إلى إسكانه، بعيداً عن البشر «عند فم الأنهار»(١) وهو المكان الميتي(٢) الذي خُصِّص لسكن منقذ البشرية مع

(١) انظر النظ رقم (٥٩) السطر ١٩٥ والملاحظة رقم (١).
(٢) أو الأسطوري.

قرينته، وهو بمثابة جنةٍ أرضية لا تختلف عن جنة آدم التوراتية وأنهارها الأربعة.

أما الطوفان السومري (النص رقم ٥٧)، فإنه يمنح مكافأة الحياة الأبدية لزيوسودرا موضحاً أنه حين سجد أمام آنو وإنليل:

«. . . فإنهما منحاه حياةً
مماثلة لحياة الآلهة
نَفَسَ حياةٍ أبدياً مثل ما للآلهة
. . . . .
وجُعلت إقامته في منطقة ما وراء البحر:
في دلمون حيث تشرق الشمس».

النص رقم ٥٧، العمود السادس،
الأسطر (٢٥٧ ـ ٢٦١)

٧ ـ نتوقف هنا عند ذكر «دلمون» الذي حدّده نصّ الطوفان السومري مكاناً لإقامة بطل الطوفان في ما وراء البحر، حيث تشرق الشمس.

وهذه «الجنة الأرضية» في دلمون، «البلد الطاهر»، أمكننا التعرف إليها في نص سومري آخر (النص رقم ١ من الكتاب الأول)، حيث استقر فيها الإلّه أنكي(١) مع قرينته، وأصبحت المنطقة بكاملها منوّرة وطاهرة. وهذه المنطقة أيضاً، التي لم تكن فيها أية مياهٍ صافية، إلى أن جعل إلّه الشمس أوتو(٢) المياه الحلوة فيها، تتفجّر من الأرض وذلك بناء على طلب نينسيكيلا(٣) السيدة الطاهرة، قرينة أنكي.

والماء، كما حاول الكتاب الأول تفصيل ذلك، كان شرطاً أساسياً لإخصاب بلاد دلمون وولادة كل من إلّهة الخضار والنباتات ذات الألياف، ثم إلّهة النسيج أوتّو(٤)، إلى أن يبلغنا النص بأن الإلّه أنكي أحيا بالماء أشجار بستانيّ دلمون وأغرى بثمارها،

---

(١) (Enki) إلّه المعرفة ومهارة الصنع ومقره الأبسو، محيط المياه العذبة الباطنية.
(٢) (Utu) إلّه الشمس السومري.
(٣) (Ninsikila) بمعنى السيدة الطاهرة وهو لقب قرينة أنكي.
(٤) (Uttu) إلّهة النسيج.

التفاح والمشمش والعنب، الإلّهة الجميلة أوتّو، وتمكّن من مضاجعتها ولكن نينخورساج[1] استخرجت المنيّ من بين فخذيها وخلقت به ثمانية نباتات مهمة بالنسبة لدورها الشفائي.

وبعد رمز إغراء أوتّو من قبل أنكي بواسطة ثمار البستان وتذوّقها لها ثمّ الاستسلام لأنكي، فإن أنكي بدوره، يتجاوز حدوده ويقرر مصير النباتات التي خلقتها الإلّهة ـ الأم ويتذوّقها الواحدة تلو الأخرى ويتعرف على طبيعتها مقرراً لكل منها مصيرها.

ولهذا السبب فإنّه يثير غضب نينخورساج التي تعلن مقسمةً:

«لن أمنحه بعد ذلك نظرتي للحياة
ومن أجل ذلك سيموت».

وهكذا فإن الآلهة تحوّل عن أنكي نظرها المحيي ويصبح مهدداً بالموت[2] وبمعرفة الألم. وتسوء حالة أنكي، حين تغادر نينخورساج المدينة وتتركه لمصيره.

٨ ـ ولكن نينخورساج تعود إلى المدينة بعد نجاح مساعي وسيط حاذق لإعادتها والذي لم يكن سوى الثعلب الذي يقول عنه النص، بأنه

«لـمّع وَبْرَهُ وزيّن بالكحل عينيه»

استعداداً لهذه المهمّة.

وبمجرد عودة الإلّهة نينخورساج، فإنها تقوم بدورها كإلّهة للشفاء وتخلق من أجل ذلك عدة إلّهات تختصّ كل منها بشفاء عضوٍ مريض[3] ويستوقفنا هنا بشكل خاص

---

(١) (Ninhursag) بمعنى سيدة الجبل وهو لقب قرينة أنكي.

(٢) المرض والموت هما هنا عقاب أنكي بسبب تجاوزه. أنظر في تكوين (٢: ١٧) التحذير: «يوم تأكل منها موتاً تموت».

(٣) تخلق نينخورساج ست إلّهات للشفاء تشتقّ أسماؤهن من تسمية العضو المصاب وهنّ على التوالي إلهات شفاء: الشعر (Sik) والأنف (Kiri) والحنجرة (Zi) والفم (Ka) والذراع (Azimu) والضلع (Ti) وإلّهة الشفاء الأخيرة هذه هي نينتي (Ninti) بمعنى سيدة الضلع.

اسم «نينتي» وهي سيدة الضلع.

٩ ـ ومما هو لافت للنظر هنا، هو أن التعبير السومري «كي» يعني في الوقت نفسه، الضلع (من عظام قفص الصدر) وكذلك «الحياة» و «إعطاء الحياة»، وبذلك يمكن إعطاء اسم نينتي معنى سيدة الضلع أو سيدة الحياة. ونتعرّف هنا دون أي التباس على أصل تسمية «حواء» التوراتية بأم جميع «الأحياء» وخلقها بواسطة ضلع من آدم، وتبقى بذلك «سيّدة الضلع».

١٠ ـ ثمّة نقطة أخيرة تستلفت النظر في هذا النصّ الأول من الكتاب الأول المشار إليه أعلاه، هو وصف الولادات وسهولتها بحيث كان يعدّ كل يوم شهراً:

«والتسعة أيام
عدّت تسعة أشهر، أشهر الحمل التسعة.
بعد ذلك كالزيت الناعم لزوجةً
كالزيت الناعم كالدهان الثمين
[نينتو][١] أم البلاد، كالزيت الناعم
كالزيت الناعم كالدهان الثمين
ولدت...

فهل يعني هذا المقطع الذي يتكرر لأكثر من مرة في النص رقم (١) أن الولادة في «جنّة» دلمون كانت تتم سهلةً وبدون ألم كانسياب الزيت الناعم؟ ولا بدّ هنا من التذكير، بأن حوّاء التوراة حين طُردت مع آدم، محمّلة بلعنة الرب:

«تكثيراً، أكثر أتعاب حبلك.
بالوجع تلدين أولاداً»[٢].

---

(١) (نينتو) (Nintu) بمعنى سيدة الولادة وهو لقب نينخورساج قرينة أنكي.
(٢) (تكوين: ٣: ١٦).

وقد يعني ذلك أنها لو لم ترتكب التجاوز المعروف كان من المفروض أن تتم ولاداتها بدون ألم!

١١ ـ وقبل عرض النص الجديد الذي أدرجنا عنوانه هنا تحت الرقم ٦٥ والذي يسوّغ لنا إمكانية اتهام الإلّه أنكي بتسبيب زوال عهدٍ لم يكن بعيداً عن الطوباوية، يمكننا ذكر قرينة نجِدها في معظم ميثولوجيات الشعوب وهي المغالاة في أعمار البشر في الفترة «الطوباوية» الميتية. ولوائح ملوك سومر لما قبل الطوفان ومدد حكمهم اعتُبر أنها تراوحت بين ١٠٨٠٠ و٧٢٠٠ سنة بينما لم يتجاوز عدد ملوك سلالات ما قبل الطوفان الثمانية أو العشرة ملوك.

وهذه الميّزة لما نسميه «كمال البدء»[١] تبنّتها التوراة اليهودية بالنسبة لأعمار الآباء الأولين (البطاركة).

١٢ ـ والنقطة الأخيرة التي تسمح لنا بالاعتقاد بوجود «عصر ذهبي» أو عهد طوباوي سومري، هو العالم الذي يمجّد بأجمعه إلّهاً واحداً وبلغة واحدة في فترةٍ عرفت «كمال البدء»، وفقدته بعد ذلك بسبب تنافس إلّهين على النفوذ وهما هنا أنكي وإنليل.

أما النص الذي ينقل إلينا أخبار تلك الفترة الطوباوية التي تميّزت بالوفاق بين البشر وبالأمن والكثرة، فقد ورد من ضمن نص طويل، بطله ملك أوروك إينمركار[٢] في علاقته مع مملكة أراتّا[٣] الواقعة على مرتفعات إيران.

وقد أوردنا مقطعاً من هذا النص في الكتاب الأول تحت (رقم ٢٦) بمناسبة عرض دور الإلّهة إنانّا في مراسم الزواج الإلّهي وتنافس كل من الملكين إينمركار ملك أوروك وملك أراتّا على كسب ودّها. وسوف يتعرض الكتاب الرابع فيما بعد إلى استكمال هذا

(١) راجع كتاب «مع الكلمة الصافية» لقاسم الشواف ـ دار الأجيال بدمشق لعام ١٩٦٩، ص (٣٤/ ٣٥).

(٢) (Enmerkar) حكم في أوروك خلال الفترة الثانية لنشوء الملكية أي بين (٢٨٥٠ ـ ٢٥٠٠ ق.م).

(٣) (Aratta) المملكة الواقعة على المرتفعات الإيرانية والمعاصرة لمملكة أوروك والتي كانت على ما يظهر تملك الذهب والفضة والأحجار الكريمة وتتقن شغلها.

النص في محتواه الأساسي وهو إخضاع مملكة أراتا من قبل إينمركار.

وما يهمنا هنا، هو تقديم المقطع المرتبط بالفترة الطوباوية للبشرية، في العالم كما رسم حدوده مفكرو سومر في ذلك الوقت، ويتألّف من بلاد: سومر[١] وشوبور[٢] وهماذي[٣] ومارتو[٤] وأوري[٥]، أي أنه يشمل المنطقة التي تحدّها مرتفعات أرمينيا في الشمال والخليج العربي في الجنوب ومرتفعات إيران في الشرق والبحر المتوسط في الغرب.

وفيما يلي محتوى المقطع المشار إليه:

قديماً كان زمن لم تكن فيه أفعى
ولا عقرب
لم يكن هناك ضبع ولا أسد؛
لم يكن فيه كلب وحشي ولا ذئب؛
لم يكن هناك خوف ولا رعب:
والرجل لم يكن له خصم
قديماً، كان زمن وفيه بلاد شوبور وهماذي،
وسومر حيث يتم التكلّم بكم عددٍ (؟) من اللغات
البلد العظيم ذو قوانين الرئاسة الإلّهية،
وأوري البلد المكتنز بكل ما يلزم
وبلاد مارتو التي كانت آمنةً تتنعّم،
العالم بأجمعه، والشعوب بتوافق تام (؟)
كانت تمجد إنليل بلغة واحدة[٦].

---

(١) (Sumer) المنطقة الجنوبية لما بين النهرين.

(٢) (Shubur) أو شوبارتو هي المنطقة المرتفعة إلى الشمال.

(٣) (Hamazi) المنطقة المرتفعة إلى الشرق من سومر في إيران.

(٤) (Martu) المنطقة الساحلية الغربية على المتوسط.

(٥) (Uri) المنطقة الشمالية لما بين النهرين التي عرفت فيما بعد ببلاد أكاد وأشور.

(٦) قد يكون المعنى هنا هو «بصوت واحد» أو «بقلب واحد» ولكن نصاً آخر نشير إليه في ختام هذه الفقرة يساعد على تبنّي مفهوم اللغة الواحدة كما استعارته فيما بعد التوراة في أسطورة برج بابل (تكوين ١١: ١ ـ ٩) وبلبلة الألسن.

إلا إنه عند ذلك، الأب ـ السيد، الأب ـ الأمير، الأب ـ الملك
أنكي، الأب ـ السيد، الأب ـ الأمير، الأب ـ الملك
الأب ـ السيّد غاضباً (؟) الأب ـ الأمير غاضباً (؟)
الأب ـ الملك غاضباً (؟)

وتتمة النص مشوهة وقد أمكن الافتراض، بإن الإلّه أنكي الذي كان غاضباً بسبب غيرته من سلطة إنليل المتعاظمة والتي شملت الكون بأجمعه (أي العالم المشار إليه آنفاً) قرر تخريب أمبراطورية إنليل الآمنة فأثار الأزمات والحروب بين الشعوب مما أدى إلى إنهاء «العصر الذهبي» عصر طوباوية البدء وكماله.

واعتماداً على السطرين ١٠ و١١ من النص السابق يمكن أن تنسب إلى أنكي تهمة «بلبلة الألسن» ويساعد النص التالي، على دعم هذا الرأي:

«أنكي. سيّد الكثرة، ذو الأوامر الثابتة
إلّه الحكمة الذي يتفحّص الأرض
سيد الآلهة،
إلّه إريدو، المتميّز بالحكمة،
بدّل الكلمات في أفواههم وأدخل الاختلاف
إلى لغة البشر، بعد أن كانت لغتهم واحدة»[1].

١٣ ـ ظهرت معارضة أنكي، لإرادة إنليل ولقراراته المتسرّعة، أكثر من مرة في نص الفائق ـ الحكمة وقصة البشرية من الخليقة إلى الطوفان[2]، فأنكي هو الذي كان دوماً يوجّه البشر إلى كيفية تحاشي الوباء والمجاعة ويجعل النّدى يتساقط ليلاً وبالسرّ، لمحاربة الجفاف... وهو الذي كان بفضل حكمته وذكائه يدافع عن البشر إلى جانب الإلّهة ـ الأم نينتو ويعارض إبادتهم.

وقد ذهب أنكي إلى أبعد من ذلك حين سخر من إنليل في قلب مجمع الآلهة، عندما

---

(١) يمثل هذا النص نهاية لوحة محفوظة في متحف أوكسفورد.
(٢) النص (رقم ٥٦).

تملّكه الضحك مظهراً استهزاءه بمقرّرات إنليل، حين كان هذا الأخير يلوم الآلهة وأنكي لتساهلهم مع البشر وتزويدهم من جديد بالغلال[1].

١٤ ـ وحول الإلّهين إنليل وأنكي، نرى أنه من المفيد، وعلى ضوء النصوص العديدة التي خصِّصَتْ لأدوارهما ولتدخل كل منهما، من المفيد تحقيق دراسة مقارنة بين شخصيتيهما والبحث عن مدى استحقاق كل منهما للمرتبة التي أُعْطِيَت له، ومع أننا نتوقع أن يكون أنكي هو الأكثر استحقاقاً بصورة عامّة، لا بدّ لنا من التوضيح بأن هذه الدراسة تخرج عن نطاق هذه المجموعة.

(١) انظر النص رقم (٥٦ ـ هـ) الأسطر (٣٦ ـ ٥٥).

(٢ ــ ٣) ــ أدب المراثي
والمسرح الديني السومري

١ ـ نتابع مسألة الثواب والعقاب، ونتوقّف عند ردّ فعل الشعراء والمنشدين في المرحلة التي تلي العقاب، مرحلة التحسّر والبكاء، مرحلة النواح والرثاء.

بكت الإلّهة إنانا موت دوموزي الراعي وعشتار بدورها بكت تموز، وانتحبت الإلّهة ـ الأم نينتو حين شاهدت أبناءها البشر يحولهم الطوفان إلى طين. وبكى جلجامش صديقه أنكيدو. . .

يشكّل كل هذا، جزءاً من أدب المراثي التي ابتدعها شعراء سومر وأكاد وأشور. . .

وما يهمنا هنا من ضمن هذه الفقرة، هو المراثي التي ابْتُدِعت للبكاء على خراب معبد وعلى خراب مدينة بكاملها عقاباً لها وبعد هجرها من قبل الإلّه الذي كان يحميها.

٢ ـ هذه المراثي إذن، هي الشكل الأدبي الذي ابتدعه السومريون والأكاديون وتمّ تطويره باستمرار، وذلك للتعبير عن حزنهم تجاه الاجتياحات العديدة والمتكررة لمدنهم ولمعابدهم.

ويمكن إرجاع المراثي الأولى في سومر إلى فترة حكم الملك أورو ـ كاجينا[١]، إذ ترك لنا أحد النسّاخ المعاصرين له، لائحة مفصّلة عن تدمير وتدنيس معابد لغش[٢]

---

(١) (Uru-Kagina) حكم في مدينة لغش حوالى سنة ٢٣٥٥ ق. م.
(٢) (Lagash) تللو الحالية وتقع على حوالى ٢٠٠ كم إلى الجنوب الشرقي من بابل.

التي أحرقها وسلب محتوياتها ملك مدينة أومّا[١] عدوة لغش. وهذا التعداد، مع ما رافقه من مرارة وألم وخضوع أمام الإرادة الإلّهية يمثل الشكل البدائي لما تمّ تطويره فيما بعد وخاصة بعد تأسيس سرجون الكبير[٢] لأمبراطوريته الأكادية وكذلك بعد اجتياح قبائل الجوتو[٣]، مما جعل الشعراء والمنشدين يؤلفون المراثي للتفجع والبكاء على مدنهم ولكنها كانت تنتهي ببارقة ثقة وبأملٍ في مستقبلٍ يحرّر ويعيد البناء.

٣ ـ ونقدّم من ضمن مجموعة المراثي السومرية محتوى مرثية لمدينة نفّر[٤] ومرثية أخرى عن خراب سومر والبكاء على أور تحتل أهمية قصوى بالنسبة لشكلها المسرحي[٥] بالإضافة لأهمية محتواها. وخلال القرون التالية، تحولت المراثي إلى نموذج يتكرّر حسب الأماكن والأزمنة، وأصبحت تشكّل جزءاً من الأناشيد الدينية التي تتلى عند إقامة الطقوس. والتي كانت تردد في كافة معابد مدينة بابل. وقد استمر ذلك حتى الفترة السلوقية التي تلت وفاة الإسكندر الكبير في بابل في عام ٣٢٣ ق. م.

٤ ـ ولم تنجُ مدينة بابل من الدّمار، وقد تضمنت قصيدة إيرّا[٦] وهي آخر عملٍ ملحميّ بالغ الأهمية كتب خلال الثلث الأول من الألف الأول لما قبل الميلاد ونعرف اسم مؤلفه؛ وقد تضمن هذا العمل مرثية لمدينة بابل نثبتها هنا تحت الرقم (٦٧). وسيتم من خلال الكتاب الرابع عن الحرب والدمار عرض النص الكامل لقصيدة إيرّا المشار إليها.

٥ ـ ونشير بهذه المناسبة إلى طقوس إعادة بناء معبد خَرِب، وإلى دور الكاهن ـ الندّاب وذلك بإثبات نص قصير تحت الرقم (٦٩).

---

(١) (Umma) تقع على حوالى ٤٠ كم إلى الشمال من لغش.
(٢) (Sargon) مؤسس الأمبراطورية الأكادية (٢٣٤٠ ـ ٢٢٣٤ ق. م).
(٣) (Gutu) أو (Qutu) ورد ذكرهم في النص (رقم ٦٤) وهم قبائل نزلت من جبال زغروس. وقد استولوا على أكاد وحكموا حوالى ١٠٠ عام.
(٤) (Nippur) انظر النص (رقم ٦٦).
(٥) النص (رقم ٦٨).
(٦) (Erra) بطل القصيدة الملحمية التي عرفت باسمه وهو إلّه العالم السفلي نرجال (Nergal).

٦ ـ لم يعثر حتى اليوم على نماذج لمراثٍ حثّية أو كنعانية أو فرعونية. ومن المعتقد اليوم أن أصول المراثي التوراتية هو سومر والبكاء على حائط معبد سليمان في أورشليم، ليس إلا استعادة لما دشّنته سومر منذ أكثر من ٤٠٠٠ سنة.

٧ ـ وفقاً لما تقدّم، فإن النصوص التي سنعرضها من ضمن هذه الفقرة (٢ ـ ٣) عن أدب المراثي والمسرح الديني السومري، هي التالية:

رقم النص		العنوان
(٦٦)	ـ	مرثية سومرية لمدينة نفّر
(٦٧)	ـ	مرثية أكادية لمدينة بابل
(٦٨)	ـ	البكاء على خراب سومر ومدينة أور والمسرح الديني السومري
(٦٩)	ـ	الكاهن ـ النذّاب وطقوس إعادة بناء معبد مخرّب

(٦٦) ــ مرثية لمدينة نفّر

تتألف هذه المرثية السومرية من اثني عشر مقطعاً شعرياً تبكي خراب مدينة نفّر[١] ولكنها تشيد في معظمها بتحرير نفّر من قبل الملك إيشمي ـ داغان[٢] الذي حكم في إيسين[٣] بعد حوالي نصف قرن من اجتياح مدينة أور من قبل عيلاميي الجبال الشرقية وأسْر إيبّي ـ سين[٤] آخر ملوكها.

ونقدّم فيما يلي عرضاً لمحتوى هذه المرثية كما قدّمه عالم السومريات «كرامر»، تتخلّل هذا العرض استشهادات بالنص الأصلي. كما نشير إلى أن أسلوب المرثية السومرية، سوف يتضح بشكل كامل، في ما بعد من ضمن النص رقم (٦٨).

المقطع الأول

يبدأ هذا المقطع بسردٍ يتخلله تكرار ملحّ للازمة حزينة، تطرح بصدد معبد نفّر سؤالها:

«متى سيعاد بناؤه؟»

يلي ذلك نواح على خراب وسلب مدينة نفّر حيث لم تعد تقام الاحتفالات الدينية ولا الأعياد التعبّدية في قلب المدينة حيث كان الآلهة يصدرون قراراتهم وتعليماتهم لرعاية البشر ويتمّ إعلانها على الشعب.

---

(١) (Nippur) مدينة الإلّه إنليل تقع على بعد حوالى ٨٥ كلم إلى الجنوب الشرقي من بابل.
(٢) (Ishmé-Dagan) (١٩٥٤ ـ ١٩٣٥ ق. م) حكم في إيسين.
(٣) (Isin) تقع على بعد حوالى ٢٠ كم إلى الجنوب من نفّر.
(٤) (Ibbi-Sin) حكم في مملكة أور الثالثة (٢٠٢٧ ـ ٢٠٠٣ ق. م).

المدينة حيث كان الآلهة قد اتخذوا فيها مقراً لهم وتقاسموا فيها غذاءهم المقدس.

المدينة التي كان يتنعم بظلها المنعش ذوو «الرؤوس ـ السوداء»[١].

مدينة نفّر هذه، كانت ضحية الخراب وتشتّت سكانها وكأنهم قطيع بقر تملّكه الخوف. لم تعد آلهتها تهتم بها وأماكنها المتسعة التي كانت سابقاً تزخر «بالحركة والنشاط» أصبحت اليوم مهجورة ومتروكة للخراب.

ويتساءل الشاعر بلوعة، لماذا دُمّرت معابد نفّر الكثيرة العدد؟ وكم من الوقت، سوف يبقى ذوو ـ الرؤوس ـ السوداء منهارين وخائري القوى يأكلون العشب مثل الخراف ويتألمون في أجسادهم وفي أرواحهم؟

ولماذا نرى الموسيقيين والشعراء المنشدين، يقضون أيامهم في الأنين والنواح وهم منفيّون يعتمل في قلوبهم الحزن على مدنهم المهدّمة وعلى عائلاتهم المهجورة، ممّا يجعل العقل يفقد توازنه والفهمَ مضطرباً.

المقطع الثاني

في هذا المقطع، نرى المدينة تطلق بنفسها نواحها وتتفجع على سوء طالعها:

إذْ دُنّست احتفالاتها الدينية وطقوسها وتمّ تقتيل شعبها والقضاء على شبابه ونسائه، كما تتفجّع بمرارة على خراب معبدها الذي يشبه بقرة فقدت عجلها.

وليس من المستغرب، يقول الشاعر، بأن نرى المنشدين الذين اعتادوا الموسيقى الناعمة يحوّلون أغانيهم إلى وقع يهدهد. لأن إنليل[٢] إلّه المدينة، حوّل عنها نظره وعن معبده الإيكور[٣] الذي كان قديماً الأول في البلاد لريادة ذوي الرؤوس السوداء، والذي هو اليوم ضحية الخراب والدمار.

المقطع الثالث

يبدأ المقطع الثالث بصرخة الألم التالية:

---

(١) لقب سكان ما بين النهرين في النصوص السومرية.

(٢) (Enlil) سيد مجمع الآلهة والإلّه الحامي لمدينة نفّر موضوع المرثية.

(٣) (Ekur) معبد إنليل في نفر ومعناه بيت ـ الجبل وكان إنليل نفسه يلقب بـ «الجبل الكبير».

«المدينة... إلى متى سوف يرفض
إلّهها - الحامي، العودة إليها وإصدار
قراره بأن تكفّ (آلامها) (؟)»

ويتابع الشاعر لوعتهُ متسائلاً بقلق:

لماذا نسي (الإلّه) جدرانه الآجرية، وترك حمامه الهادل يهجرُ أبراجه؟ لماذا أدار ظهره للبيوت ذات الموسيقى العذبة[1]؟ لماذا هجر ورمى بأنظمة وعناصر الـ «مو»[2] وكأنها لم تكن مقدسة؟ وطقوسه الطاهرة وكأنها لم تكن لتهدىء (؟) كل البلاد؟ لماذا بدا (الإلّه) غير مكترث بمصير المدينة، فتركها تنهار، كأن لم تكن لها أية أهمية؟ لماذا طرد البهجة عن جدرانها الآجرّية وملأ بالحزن قلبها ليل نهار؟ لأنه عامل المدينة بعداءٍ مستحكم، ولأن الإلّه أدار يده ضدّها وكأنها ريح سيئة. وهذه هي بيوتها تنهار وتتزعزع أسسها وتقتلع بالفؤوس أجزاؤها ويقضى على نسائها وأطفالها. وإذْ سلبت ثرواتها فقد فقدت اتزانها واضطرب تصرفها وإذْ سلبت أغذيتها ومشروباتها تحولت المدينة إلى أنقاض.

ويختتم الشاعر هذا المقطع مشيراً إلى أن المعبد الكبير الإيكور عومل معاملة مُرّة العداء، ولذلك فهي تضاعف من لوعتها وبكائها، بينما شعراؤها ذوو الأناشيد العذبة يرددون صدى آلامها. منع عنها إنليل عنصر الـ «مو» الخاص به ولم يعد «يُمسك بذراعها»[3] ولم تعد تتأثر مشاعِرُه لحالتها.

---

(١) يقصد الشاعر المعابد.

(٢) الـ «Me» وهو تعبير سومري لا يمكن تأدية معناه بكلمة واحدة وتفسيره هو اعتقاد المفكرين والفلاسفة السومريين بأن الآلهة يسيّرون الكون اعتماداً على نظم وعناصر إدارةٍ مقدسة وهي التي تُبنى الحضارة على أساسها، وتشتمل على الخير والشرّ والطيّب والسيّىء. وفي قصيدة سفينة السماء التي سترد في الكتاب الثالث تعداد لهذه العناصر.

(٣) أي «لم يعد يقدم لها العون».

المقطع الرابع

وفي هذا المقطع فقط، تظهر أول بارقة أمل لإنقاذ نفّر وترميمها، من خلال مناجاة فردية معلنة أن حملها، كان ثقيلاً لدرجة كبيرة، وأنّ إصرارَ شعرائها ومنشديها على متابعة مراثيهم ونواحهم على مصيرها المفجع وحالتها القلقة والألم الذي تملّك قلبها بسبب خراب معابدها ومنطقتها بكاملها، مما جَعل الإلّه إنليل، أبا جميع «ذوي الرؤوس السوداء» يعمد بنهاية الأمر إلى النظر إليها بعين الرحمة وإصدار أمره بإعادة بنائها.

المقطع الخامس

وبتفصيلٍ أهم يستأنف هذا المقطع موضوع الأمل بتحرير وإنقاذ نفّر. وبتوجّهه إلى المدينة يعلن لها الشاعر بابتهاج البشارة الجديدة وهي أن إنليل تلقّى دموعها ونحيبها، ثم يسائلها راجياً أن تواصل ابتهالاتها لكي يقدم لها إنليل المساعدة والحماية. وينتهي هذا المقطع «بالوعد» المفرح بأن إنليل سوف يوجّه نحو المدينة تسامحه ورحمته وأنه سوف يحوّل آلامها إلى أفراح وسوف يمنحها، وهي مرفوعة الجبهة حقّ الابتهاج وسوف لن يسمح بعد ذلك بأي عداءٍ ضدها.

المقطع السادس

يتابع الشاعر في هذا المقطع توجهه إلى المدينة ولا يصف خلاص المدينة كأمل بل كحقيقة موضحاً: أن إلّهها ـ الحالي أشفق عليها وباركها ووضع حداً لآلامها قائلاً: «كفى»، فأعاد لها راحة البال وجعل من الإلّه القادر نينورتا[1] ابن انليل، حارساً للمدينة، كما كلّف راعِيَهُ الحبيب إيشمي ـ داغان[2] بإعادة بناء الإيكور[3] المهيب وترميم جميع أبنيته التابعة.

وكذلك إقامة شعائره المقدسة من جديد التي ألغاها الأعداء وإعادة عناصر الـ «مو»[4] المشتتة الخاصة بها.

---

(١) (Ninurta) ابن الإلّه إنليل والمنتصر على الطائر أنزو كما ورد في النص (رقم ٦٢).
(٢) (Ishmé-Dagan) (١٩٥٤ ـ ١٩٣٥ ق. م) حكم في مدينة إيسين وهو محرر نفّر.
(٣) (Ekur) بمعنى بيت ـ الجبل وهو معبد إنليل في نفّر.
(٤) (Me) انظر الملاحظة رقم ٢ في المقطع الثالث من هذه المرثية.

المقطع السابع

وفي هذا المقطع أيضاً، يتابع الشاعر تطمين نفّر مؤكداً تبشيرها بأن إنليل منحها عفوه. هذا الإله العظيم، كما يعلن لها الشاعر، طرد الأسى من المدينة واستبدله بتنعم دائم وأمر بترميمها. وبالإضافة إلى ذلك، يتابع الشاعر، فإن الأم ـ العظيمة ننليل[1] وجهت التماساً إلى قرينها إنليل راجية منه إعادة بناء معبده.

وبعد أن تمّ التشاور بين القطبين الإلّهيين، حول إنليل معبده المهدّم إلى معبدٍ لا شبيه له، وكفّ الدموع وجعل الفرحة تسود؛ كما أمر بأن تتم قرابين إراقة الخمر والزيت في جو من الابتهاج معلناً:

«كفى! إلى متى (سوف يستمر كل هذا)؟
وليكف سكب الدموع!»

ثم بارك المعبد واعداً إياه بحكمٍ مديد. ويتابع الشاعر قوله بأن إنليل بارك أيضاً هيكل الـ «چا ـ شو ـ آ»[2].

ثم قام إنليل وننليل بعد ذلك بإعداد منصّتيهما في الإيكور واستجلبا إليه الأغذية والمشروبات القوية التخمير وتشاورا لإعادة إسكان ذوي ـ الرؤوس ـ السوداء في بيوتهم بشكلٍ ثابت. فجعل إنليل الشعب المشتّت يعود إلى نفّر:

«الأبناء الذين اضطرت أمهاتهم إلى
انتزاعهم من بيوتهن»،
والذين هاموا على وجوههم إلى أن
يجدوا مكاناً تستقر فيه رؤوسهم»

المقطع الثامن

تحرير نفّر، وكذلك تحرير كل سومر وأكاد، من قبل إيشمي ـ داغان، هو الموضوع

(١) (Ninlil) قرينة إنليل.
(٢) (Ga-Shu-A) هيكل في معبد الإيكور في نفّر.

الذي يتابعه المقطع الثامن والذي يعرض تفاصيل إعادة بناء المدن الكبيرة: مثل إريدو[١]، مركز الحكمة؛ وأور[١] المدينة المبنية على هوْر الشاطىء وأوروك ـ كلاّب[٢] التي هي من صنع الآلهة؛ ومدينة زابالام[٣] التي كانت قواها قد انطفأت كما انطفأت قوى غانية آن[٤] وأومّا[٥]، المدينة المحتلة من قبل التيدنو[٦] البرابرة؛ وكيش[٧] المدينة الأكثر شهرة في سومر وأكاد وماردو[٨] المدينة المباركة حيث تطفح المياه العذبة والحبوب النامية؛ وأخيراً إيسين[٩] عاصمة إيشمي ـ داغان، مدينة الآلهة التي من أجلها إنليل وأنكي ونينماخ[١٠] قرّروا حكماً مديداً، المدينة التي سُلّمت إلى نينورتا[١١]، البطل الفائق القدرة والتي أصدروا فيها قرارهم بأن (نين ـ إيسينا)[١٢] «ابنة آن النبيلة»، «مفسّرة أحلام ـ البلاد» سوف تزور معبدها الجليل لتتمتع بطراوته المنعشة وأن ابنها دامو[١٣] سوف يخضع المناطق الغريبة.

المقطع التاسع

يصف الشاعر في هذا المقطع أيام الرخاء والتنعّم التي خصّ بها إنليل نفّر ومجمل بلاد سومر وأكاد؛ إنه الزمن الذي:

«يمكّن نفّر من رفع جبهتها عالياً؛
ويزدهر فيه الإيكور[١٤] وتتوسع بلاد سومر وأكاد؛

---

(١) (Eridu) مقر الإلّه أنكي/ إيا وهي من المدن التي سبقت الطوفان وتقع على بعد حوالى ١٠ كم إلى الجنوب الغربي من أور (Ur) وهي مدينة الإلّه القمر سين (Sin).
(٢) (Uruk-Kullab) مركز عبادة الإلّه آن (An) وعشتار ومدينة جلجامش.
(٣) (Zabalam) مدينة عشتار تقع على بعد حوالى ٦٠ كم من نفّر.
(٤) (An) إلّه السماء وغانيته هو لقب عشتار.
(٥) (Umma) المملكة المعادية للغش (Lagash) خلال حكم أوروكاجينا حوالى ٢٣٥٥ ق. م.
(٦) (Tidnu) يعتقد أنهم قبائل آتية من منطقة الفرات الأعلى المجاورة للخابور (؟).
(٧) (Kish) على بعد حوالى ١٠ كم إلى الشمال الشرقي من بابل.
(٨) (Mardu).
(٩) (Isin).
(١٠) (Nin-mah) بمعنى السيدة أو الإلّهة الفائقة السمو.
(١١) (Ninurta) ابن الإلّه إنليل وهو الإلّه البطل والمحارب و «فلاح الآلهة».
(١٢) (Nin-Issina) الإلّهة الحامية لمدينة إيسين.
(١٣) (Damu) الإلّه الحامي لمدينة إيسين وهو ابن نين ـ إيسينا.
(١٤) (Ekur) بمعنى بيت الجبل وهو معبد إنليل في نفّر.

وتشيّد البيوت وتسيّج الحقول؛
وزمن تتدفّق فيه النطفات لتولد الكائنات الحيّة
وتبنى خلاله الحظائر والزرائب
وتتحوّل المحنة إلى ازدهار
وفي البلاد، تسود العدالة
وتلد النعجة حملها والعنزة جديها
ويتكاثر الحملان والجديان»

المقطع العاشر

تعاد الإشارة من جديد في هذا المقطع إلى خلاص المدينة الإلّهي وإعادة بنائها. ويحتفل الشاعر هنا بمدينة نفّر ومعبد الإيكور دونما التوجه نحو كامل البلاد، ويبتهج بشكل خاص لعودة تقدمات الغذاء إلى موائد الآلهة والتي لحظها الملك التقيّ إيشمي - داغان، بوفرة في الإيكور الذي أصبح من جديد طاهراً ومقدّساً.

المقطع الحادي عشر

يصف هذا المقطع الأيام المثالية التي أعدها إنليل لشعبه وللبشرية:

«اليوم الذي يبطل فيه إلى الأبد استغلال الإنسان
للإنسان ويهاب الابنُ أباه،
يوم يسودُ التواضعُ الأرضَ كلّها
ويكرّم الغني الفقير،
يوم يَخْضَعُ الأخ الأصغر إلى أخيه البكر،
يوم يبقى فيه الشاب جالساً
(للاستماع) إلى كلمات الرجل المتعلم،
يوم يبطل فيه إلى الأبد (الصراع) بين
الضعيف والقوي ويسود فيه لطف الوداعة،
اليوم الذي يمكن فيه السفر بأمان (على أية) طريق؟
بعد أن تكون قد اقتُلِعت منها نبتات السوء.
يوم يمكن فيه للرجل السفر أينما يرغب
و (حتّى) في الصحراء، حيث . . . ـه (؟) لا يتعرض لأي خطر،

يوم تختفي عن وجه الأرض جميع الآلام،
ووحده يعمّم النور
اليوم الذي بعد أن تكون قد طردت فيه الظلمات
من الأرض، تعمّ البهجة جميع المخلوقات الحيّة

المقطع الثاني عشر

يكاد هذا المقطع الأخير، أن يكون بكامله مخصصاً لوصف وقائع التعبد الذي قام به الملك إيشمي ـ داغان: بعد أن سكب الدموع أمام إنليل الرحيم، فإن العاهل التقيّ، أعاد إلى وضعها الملائم عناصر الـ «مو»[1] والتي تمّ تدنيسها، كما أعاد الاحتفالات الدينية التي كانت أُلْغِيَتْ وطهّر الجيجونا[2] وجعل الوفر والكثرة والبهجة تغمرها. ثم توجّه نحو إنليل بالصلوات والابتهالات والأدعية؛ وإنليل إذْ رضي عن تقاه وورعه وتواضعه، قرّر أن يمنحه مُلكاً سعيداً يعيش الشعب خلاله بأمان. وبذلك، يختتم الشاعر، فإن شعب سومر وأكاد بكامله مـجّد عظمة إنليل «الجبل الكبير» سيد السماء والأرض.

(١) (Me) انظر الملاحظة (٢) في المقطع الثالث أعلاه.
(٢) (Giguna): المكان المخصص لإقامة الطقوس في المعبد والمقصود هنا هي المعابد.

(٦٧) ــ مرثية أكادية لمدينة بابل

هذه المرثية تضمّنها عمل فنّي ملحمي، تركه لنا كاتب بابلي اسمه كبتي - إيلاني - مردوك[١]. وقد كتبه في الثلث الأول من الألف الأول قبل الميلاد (حوالى عام ٧٦٠ ق. م). وهي تروي قصة بطل هدّام هو إيرّا[٢] وهو أحد أسماء نرچال[٣] إلّه العالم السفلي. وإيرّا هنا هو المحارب «المحبّ للحرب» من أجل الحرب ومن أجل الخراب والدمار. إنه يحب الحرب ويحرّض عليها، يخلق الهياج ويشجع على الثورة العمياء، يتخذ مظاهر مختلفة لتحقيق رغباته الهدّامة، إنه إلّه الدمار. ولذا، لم تنج بابل من شرّه وكذلك المدن الأخرى. وسيرد النص الكامل لقصيدة إيرّا إلّه الدمار في الكتاب الرابع، ونكتفي هنا باقتطاف ما يرتبط منها بخراب مدينة بابل والتحسّر عليها.

والقصيدة بحد ذاتها، ابتدعت في شكلها نمطاً جديداً لم تعرفه القصائد الأسطورية السردية التي سبقتها، لأن معظم النص يتم على شكل حوارية بين إيرّا ومعاونه إيشوم[٤] الملقب بالذبّاح.

مقتطفات من اللوحة الرابعة لقصيدة إيرّا الملحمية.

التحريض (وهنا المعاون إيشوم يخاطب إيرّا)

. . . .

---

(١) (Kabti-Ilani-Marduk).

(٢) (Erra) هنا إلّه الدمار وهو نرچال ملك العالم السفلي.

(٣) (Nergal) إلّه العالم السفلي.

(٤) (Ishum) ومعنى اسمه الذبّاح الشهير.

3 فبعد أن عدّلتَ مظاهرك ـ الإلّهية واتخذت هيئة رجل،
دخلت المدينة مجهزاً بأسلحتك
5 ولدى وجودك في بابل، وكمن يريد إخضاع مدينةٍ
لسيطرتك، تكلمت كمحرّض
والبابليون دون رئاسة لهم (غير) أعواد المقاصب
اهتاجوا من حولك
. . . .
12 وضدّ حاكمهم ممّون معابدهم، بدأوا
بترديد وقاحات كبيرة
مترسوا بأيديهم بوابات بابل
ومجاري المياه الحاملة لثرائهم
وكسُلاّب أجانب عمدوا إلى إحراق أبنية بابل المقدسة!
15 بيد أنك كنت المحرّض، أنت كنت على رأس الهياج!
. . . .
20 ولأنك غادرت المدينة وذهبت خارجاً
فقد اتخذت مظهر أسد[1] ودخلت إلى القصر
وبمجرد رؤيتك حمل الجنود أسلحتهم،
واهتاج قلب الحاكم النقوم ضد بابل
فأرسل جنوده وكأنّ الأمر يتعلق بسَحْق عدو
25 دافعاً إلى الأسوأ، قائدَ الجيش، (قائلاً له):
26 «هذه المدينة، التي أوجهك إليها، أيّها الرجل
لا تحترم فيها أيَّ إلّه ولا تَخْشَ أيَّ بشرٍ.
اعمد إلى قتل صغارها وكبارها،

---

(١) كان يعتبر ظهور الأسد في الأماكن المتمدّنة الآهلة كنذيرٍ بشرٍ عظيم وهذا ما يفسر رد فعل حاكم المدينة.

ولا تبقِ على حياة طفل (واحد) ولو كانَ رضيعاً!
(وبعد ذلك)، إنهبْ جميع كنوز بابل المكدّسة!»
(وهكذا) فجيش الملك المحتشد، دخل إذن المدينة،
بالسهام الملتهبة والسيوف المجردة من أغمادِها
(وحتى) بالنسبة للأشخاص المعفيين، (تحت) حماية
آنو[١] وداچان[٢] المقدسة، جعلتهم يشهرون السلاح
وسلّمت دماءهم، مثل الماء إلى مجاري المدينة،
شدخت لهم شرايينهم، لكي يحمل النهر محتواها!
وأمام هذا المنظر، قال مردوك، الإلّه العظيم: «يا للمصيبة»!
وانقبض صدره؛
وحزمٌ لا مردّ له، تلفّظ به فمه:
أقْسَمَ أن لا يشرب قط بعد الآن ماء النهر،
ولاشمئزازه بسبب الدم المرهق (أقسم)
أن لا يعود قط إلى الإيساچيل![٣]
«يا للمصيبة! (كان يقول)، بابل التي أعليت شأن
فروعها كسعف نخلة، جففها الهواء!
يا للمصيبة! بابل التي حشوتُها حَبّاً مثل كوز الصنوبر
دون أن أستفيد من ثمارها!
يا للمصيبة! بابل التي زرعتها كحديقة وفرة
دون التمتع بنتاجها!
يا للمصيبة! بابل التي وضعتها على رقبة آنو
مثل ختمٍ من العنبر الأصْفر!

---

(١) (Anu) إلّه السماء.
(٢) (Dagan) إلّه عمّوري أدخل إلى مجمع الآلهة منذ الفترة البابلية القديمة وهو يقابل في دوره إنليل.
(٣) معبد مردوخ في بابل (E. sagil) ومعناه البيت ذو الرأس الشامخ.

يا للمصيبة! بابل، التي توليتها، دونما تركها لأي آخر
مثل لوحةٍ ـ الأقدار!»

ويتابع النص سرد أخبار تدمير سور مدينة سيپار[١] وقاعدته. وكذلك تدمير أوروك[٢] مدينة آنو وعشتار ومدينة دير[٣]... ويتابع إيرّا القضاء على كل شيء حيّ في أكاد.

أمل أكاد بالعودة إلى استرجاع مركزها وعودة المشتّتين

وهذا ما تشير إليه اللوحة الخامسة بعد أن ينجح إيشوم معاون إيرّا في تهدئته وفي توجيه قدراته إلى إعادة البناء أو السماح به على الأقل. وبعد مديحه من قبل إيشوم، فقد استنار وجهه و «انفرجت أساريره فرحاً مثل النهار الذي يسطع» فعاد إلى معبده في مدينته واقترح عليه معاونه إصدار قراره بعودة المشتتين وإعادة إعمار أكاد وفقاً لما يلي:

(عند ذلك) وبصوت مرتفع، وبلا مواربة كلّمه إيشوم
مقترحاً عليه بصدد مشتّتي آكاد، القرار (التالي):
سكان هذا البلد الذين قُضي على معظمهم، ليستعِيدوا كثرتهم
وليتخذ كل (واحد منهم) صغيرهم وكبيرهم طريقه بحرية!
ولتطيح أكاد رغم إضعافها بالسوتيين[٤] الأقوياء.
وليتمكّن كل واحد سوق سبعةٍ (منهم) مثل ماشية صغيرة!
سوف تجعل من تجمعات سكنهم خراباً وتحوّل
ريفهم إلى صحراء!

---

(١) (Sippar) من بين المدن القديمة السومرية التي سبق تأسيسها الطوفان.
(٢) (Uruk) ارتبط اسمها باسم بطلها چلچامش.
(٣) (Der) مدينة مجاورة لنفّر (Nippur) تقع على حوالى ٢٥ كم إلى الشمال الشرقي منها.
(٤) السوتيون وهم قبائل السوتو (Sutu) الذين كانت منطقة تجمعهم بجوار جبل البشري في الشمال الشرقي من تدمر في منطقة الرقة.

والغنائم الثقيلة التي تكسبها منهم، سوف تنقلها إلى شوانا![1]
وسوف تعيد آلهة البلد سالمةً إلى مقرها!
وفي هذا (البلد نفسه) سوف تعيد إنزال شاكان[2] ونيسابا[3].
ومن أجل (هذا البلد) سوف تستخرج من الجبال
وفرتها ومن البحار نتاجها،
وإلى حقوله الخربة سوف تعيد إليها (من جديد) ثمارها!
وليجرّ كافة الحكام في جميع المدن
جزياتهم الثقيلة إلى قلب الشوانا!
ولترتفع (من جديد) مثل شمسٍ لهّابة
ذُرى معابده المهدومة!
ودجلة والفرات، ليعيدا إليه مياههما المخصبة!

(١) (Shu-Anna) بمعنى السلطة السماوية وهو حي من أحياء بابل كان يحتوي على عدد من المعابد وأصبح فيما بعد يطلق على بابل بكاملها.
(٢) (Shakan): هو إلّه المواشي.
(٣) (Nisaba): إلّهة زراعة الحبوب.

(٦٨) ــ البكاء على خراب سومر ومدينة أور والمسرح الديني السومري

١ ـ قلنا في مقدّمة الفقرة (٢ ـ ٣) من هذا الفصل أن مرثية مدينة أور وبلاد سومر تختلف عن المرثيات الأخرى في شكلها الخاص ومحتواها. وقد عرف مؤلف هذه المرثية، انتقاء الكلمات المعبّرة عن الحزن العميق ووضَعَ المستمعَ في جو من الكآبة وضيق الصدر تنقله رتابة النواح وتكراره. ونقول المستمع لأن هذه المرثية كانت تُنشَدُ في مناسبات اللّوعة والبكاء على ماضٍ ليس ببعيد، كانت تنعم فيه بلاد سومر ومدينة أور بازدهارها وبمجدها.

لقد استعادت البلاد اعتزازها بعد طرد قبائل الجوتو[١]، حوالى (٢١١٠ ق. م)، وفي فترة حكم الملك شولجي[٢]، كان الفخر والادّعاء بالتفوق هو الأدب المسيطر، فتمت الإشادة بالبطولات وتمجيد الآلهة وتأليف الملاحم البطولية... وكان الملك شولجي، يفاخر بأنه أسس (أكاديميات)[٣] أور ونفّر... ولم يمضِ أكثر من نصف قرن على طرد الجوتو حتى عرفت البلاد كارثة جديدة، حين قام الجبليون، السوتيون[٤] والعيلاميون باجتياحهم. وبعد هدمهم لأور ونفّر ومدن أخرى ساقوا الملك إيبي ـ سين[٥] حفيد شولجي أسيراً، وهذا ما ترك في نفوس الشعراء أسىً عميقاً ولوعة، مما

---

(١) (Gutu) راجع الملاحظة (٥) في بداية مقدمة الفقرة (٢ ـ ٣).

(٢) (Shulgi) حكم حوالى (٢٠٩٣ ـ ٢٠٤٦ ق. م).

(٣) أي مدارس الكتابة والتأليف.

(٤) هم قبائل السوتو (Sutu) وكانت منطقة تجمعهم بجوار جبل البشري الواقع في الشمال الشرقي من تدمر في منطقة الرقة.

(٥) (Ibbi-Sin) حكم في مملكة أور الثالثة حوالى (٢٠٧٧ ـ ٢٠٠٣ ق. م)، وهو حفيد الملك شولجي.

جعلهم يؤلّفون المراثي الطويلة التي كانت تبكي ولكنها في الوقت نفسه تزرع الأمل باستعادة ما كانت عليه سومر.

٢ ـ ذلك كان الجوّ الكئيب الذي صدرت عنه مرثية مدينة أور وبلاد سومر. وهي تستعرض ما حلّ بمدينة أور ومعابدها وما حلّ كذلك بجميع المدن السومرية الأخرى وهجر آلهتها وإلاهاتها لمعابدهم فيها. والمدن الأخرى التي تبكيها المسرحية راثيةً، والتي تمّ التعريف عن مواقعها في الحواشي العديدة من هذا الكتاب، هي بالإضافة إلى مدينة أور: (نفّر) و (كيش) و (إيسين) و (أوروك) و (إريدو) و (أومّا) و (لغش)[١] ويوحي هذا العدد المهم من المدن بمدى الخراب والدمار اللذَيْن عرفتهما بلاد سومر بكاملها.

٣ ـ اعتمد المؤلف لهذه المرثية، البنية المسرحية، فهي موزّعة على أحد عشر نشيداً يشترك في أدائها أشخاص المسرحية بالتناوب بين المجموعة (الكورس) ورئيس المجموعة وإلّهة مدينة أور، وأحد الكهان من مقيمي الطقوس. وفي هذا الأداء الذي كان يتمّ بجوار خرائب المعبد (؟) كانت المجموعة، تنوب عن شعب مدينة أور.

٤ ـ ولدى التعمق في الشكل المسرحي لهذه المرثية وفي لغتها، على الرغم من أن علماء السومريات والدارسين لبنية هذا العمل الأدبي، لم يقترحوا المقاربة بين هذا المثال عن «المسرح الديني» السومري و «المسرح المأساوي» الإغريقي[٢]، فإن هؤلاء الدارسين رأوا أن الكورس السومري يحتل الدور نفسه الذي شغله فيما بعد الكورس الإغريقي.

٥ ـ وبالإضافة إلى ذلك، فإن هذا العمل المسرحي السومري يستعمل في بعض المواقف لهجة سومرية خاصة هي الـ «إيمي ـ سال»[٣] وهذه اللهجة تعتبر أكثر ملاءمة

(١) (Nippur)، (Kish)، (Isin)، (Uruk)، (Eridu)، (Umma)، (Lagash).
(٢) التراجيديا الإغريقية القديمة الكلاسيكية.
(٣) (Emé-Sal).

لمواقف الحزن والتراتيل الانتحابية، خلافاً لما هي عليه لهجة الـ «إيمي - كو»[١] وهي اللغة الأساسية المستعملة في الأناشيد الثلاثة الأخيرة من المسرحية. لجأ المؤلف إلى «الإيميسال» إذن تسهيلاً للترتيل والغناء. ولم يكن الإيميسال لغة للتداول، بل كان وسيلة غنائية تلجأ إلى تعديلات اصطناعية واصطلاحية في لفظ بعض الحروف، بقصد التعبير بشكلٍ أقوى عن الحزن.

٦ ـ ومما يلفت النظر بهذا الصدد، هو أن النصوص المأساوية للمسرح الإغريقي عرفت هي أيضاً تحويراً لغوياً مشابهاً بغية التشديد على الناحية المأساوية الحزينة في المسرحية ولجأت إلى اللهجة «الدوريانية»[٢] لهذه الغاية. وهذه اللهجة كان لها في المسرحية الإغريقية دورٌ مماثل للإيميسال السومري. وهنا أيضاً ولدى استعمال اللهجة الدوريانية من قبل المجموعة (الكورس) في المسرح الإغريقي، فإن هذه اللهجة ليست الدوريانية المتداولة في لغة الكلام بل الدوريانية الكلاسيكية الأدبية، أو كما نقول الفصحى بالنسبة للغة العربية، وبالإضافة إلى ذلك وما هو في غاية الأهمية هو تبديل بعض الحروف[٣].

وما سمي بالدوريسمات[٤] في المسرح اليوناني أي استعمال اللهجة الدوريانية، التي يتمّ استعمالها بشكل خاص من قبل الكورس، وليس من قبله وحده، والتي تظهر بعد استعمال وزن خاص[٥] من قبل أحد المؤدين يتألف من مقطعين قصيرين يليهما مقطع مديد. وهنا فإن هذا الوزن الخاص المشار إليه في الحاشية الرابعة يُعِدُّ لتدخل الكورس باللهجة الدوريانية.

ولدينا مثال على ذلك في مسرحية «ميدي»[٦] لأرويبيد[٧]: فإن ميدي ومربيتها،

---

(١) (Emé-Ku) أو (Eme-gir).

(٢) (Dorien) إحدى اللهجات الأربعة القديمة التي عرفتها بلاد الإغريق وهنا نسبة إلى الدورانيين الذين اجتاحوا البلاد بين القرنين (١٢ ـ ٩ ق. م).

(٣) مثال استعمال الحرف (α) ألفا الممدود حيث تستعمل اللهجة الآتيكية (Attique) حرف (η) إيتا.

(٤) (Dorismes).

(٥) (Anapests) آنابيست.

(٦) (Medée) أو ميديا.

(٧) (Euripide) ألف هذه المأساة حوالى عام ٤٣١ ق. م.

تتحاوران باستعمال الوزن الخاص «الأناپست» بدءاً من البيت الشعري ٩٦ وحتى البيت ١٣٠ إعداداً لتدخل الكورس دوريانياً بدءاً من البيت ١٣١.

وبصورة عامة، فإن الدوريسمات في المسرح الإغريقي تستعمل من قبل الشخص الأكثر تأثراً بينما يستعمل المُحَاوِر الآخر الوزن الخاص بدون الدوريسمات.

٧ ـ ومن خلال عرض مرثية البكاء على سومر ومدينة أور، سوف نشير إلى تدخل الإيميسال كلما اقتضى ذلك.

مسرحية البكاء على خراب مدينة أور وبلاد سومر/ المحتوى:

النشيد الأول

(المؤدّون: رئيس المجموعة والمجموعة من أجل اللازمة)

رئيس المجموعة:

1 من حظيرته ولّى وغاب؛ في حرمه
تنفخ الريح.

2 الثور، من حظيرته ولّى وغاب؛
في حرمه تنفخ الريح.

3 سيد كل البلاد، ولّى وغاب؛
في حرمه تعصف الريح

4 الإلَه مو ـ أولْ ـ ليل[(١)] من معبده في نفّر[(٢)]
ولّى وغاب؛ في حرمه تنفخ الريح

---

(١) (Mu-ul-lil) شكل آخر للتعبير عن اسم الإلَه إنليل سيد الهواء ورئيس مجمع الآلهة.
(٢) (Nippur) مدينة إنليل.

5 الإلّهة چاشان ـ ليل[١] قرينته ولّت وغابت؛
في حرمها تنفخ الريح
6 الإلّهة چاشان ـ ليل، من معبدها الكي ـ أور[٢]
ولّت وغابت؛ في حرمها تنفخ الريح.
7 سيّدة كيش، ولّت وغابت؛ في حرمها
تنفخ الريح.
8 الإلّهة چاشان ـ ماج[٣]، من معبدها في كيش[٤]،
ولّت وغابت؛ في حرمها تنفخ الريح
9 مولاة[٥] إيسين[٦] ولّت وغابت؛
في حرمها تنفخ الريح
10 الإلّهة سيدة أرض إيسين، من معبدها
إي ـ چال ـ ماج[٧] ولّت وغابت؛
في حرمها تنفخ الريح.
11 سيّدة أرض أوروك[٨]، ولّت وغابت؛
في حرمها تنفخ الريح
12 الإلّهة چاشان ـ آنا[٩] من معبدها في أوروك
ولّت وغابت؛ في حرمها تنفخ الريح.

---

(١) (Gashan-Lil) شكل آخر للتعبير عن اسم الإلّهة نينليل قرينة إنليل مع فائدة الإشارة إلى التوازي بين (چاشان) و (نين) في معنى السيدة.

(٢) (Ki-ur) وهو جزء من الإيكور (E. Kur) أي بيت الجبل وهو معبد الإلّه إنليل في نفّر.

(٣) (Gashan-mag) بمعنى السيدة السامية.

(٤) (Kish).

(٥) التعبير السومري المستعمل هو مو ـ لو (mu-lu) بمعنى سيّدة سامية، وقد يكون في أصل مولى ومولاة (؟).

(٦) (Isin) ملكية إيسين ظهرت حوالى ٢٠١٧ ق. م وأشهر ملوكها إيشمي ـ داچان محرر نفّر.

(٧) (E. gal-mag) بمعنى البيت العظيم السمو.

(٨) (Uruk) مدينة إنّانا.

(٩) (Gashan-anna) لقب الإلّهة إنانّا سيدة السماء.

13 الإلّه نانّا[١]، من أرض أور[٢] ولّى وغاب؛
في حرمه تنفخ الريح.
14 الإلّه زوئين[٣] من معبد إي ـ كيشنومال[٤]
ولّى وغاب؛ في حرمه تنفخ الريح
15 قرينته الإلّهة چاشان ـ چال[٥]، ولّت وغابت؛
في حرمها تنفخ الريح
16 الإلّهة چاشان ـ چال، من معبدها إي ـ نونكوچ[٦]،
ولّت وغابت؛ في حرمها تنفخ الريح
17 الثور، إلّه أورو ـ زيب[٧] ولّى وغاب؛
في حرمه تنفخ الريح.
18 الثور، إلّه السماء والأرض[٨] من معبده
في أورو ـ زيب ولّى وغاب؛ في حرمه
تنفخ الريح.
19 الإلّهة (؟) [......] من معبدها في لاراآج[٩]؛
في حرمها تنفخ الريح.
20 الإلّه شارا[١٠] من الإي ـ ماج[١١] ولّى وغاب؛

(١) (Nanna) الإلّه القمر.
(٢) (Ur) مدينة الإلّه القمر.
(٣) (Zuen) أو سوئين هو اسم آخر للإلّه القمر نانا والذي تبنته اللغة الأكادية في تسمية (سين).
(٤) (E. Keshnumal) معبد الإلّه القمر في أور ومعناه بيت النور.
(٥) (Gashan-Gal) لقب قرينة الإلّه القمر نانا أو زوئين.
(٦) (E. Nunkug) معبد قرينة الإلّه القمر.
(٧) هنا الإشارة (أو) في أورو تأخذ في لهجة الإيميسال لفظ (إي) و (رو) تأخذ لفظ (ري)، وإشارة (زيب) تماثل إشارة (دو)، ويصبح المعنى: الثور إلّه إريدو أي الإلّه أنكي.
(٨) وهنا أيضاً فإن الأصل السومري لإلّه السماء والأرض هو (آم. آن. كي) ويلفظ بلهجة الإيميسال (أومون ـ آن. كي).
(٩) (La. ra. ag).
(١٠) (Shara) إلّه مدينة أومّا (Umma).
(١١) (E. mag) بمعنى البيت العظيم.

في حرمه تنفخ الريح.

21 الإلّهة أو ـ شاغارا[١] من معبدها في أومّا[٢]؛
ولّت وغابت؛ في حرمها تنفخ الريح

22 الإلّهة باؤ[٣]، من الأوروكوج[٤]، ولّت
وغابت؛ في حرمها تنفخ الريح

23 في الباجار[٥]، المعبد الطاهر، من غرفتها ولّت
وغابت؛ في حرمها تنفخ الريح

24 الإلّهة آباؤ[٦] ابنتها، ولّت وغابت
في حرمها تنفخ الريح

25 الإلّهة آباؤ، من الماجو ـ إينا[٧] ولّت
وغابت؛ في حرمها تنفخ الريح

26 الإلّهة لامار[٨]، من المعبد الطاهر، ولّت
وغابت في حرمها تنفخ الريح

27 الإلّهة لامار، من الإيتار ـ سيرسير[٩] ولّت
وغابت؛ في حرمها تنفخ الريح.

28 أمّ لغش[١٠] ولّت وغابت؛
في حرمها تنفخ الريح.

---

(١) (U-Shagarra) الإلّهة المقصودة هنا هي إشارا إلّهة أومّا.

(٢) (Umma) المدينة المنافسة لمدينة لغش (Lagash) وتقع على حوالى ٤٠ كم إلى الشمال منها.

(٣) (Ba.u) يرتبط اسمها بأصل النباتات وبعض العلماء يعتمدون قراءة با ـ با (Ba-ba) وهو اسم الإلّهة ابنة إلّه السماء آن وقرينة الإلّه نينجرسو (Ningirsu) إلّه لغش.

(٤) (Uru-Kug) وهنا أيضاً كما أشير إلى ذلك في السطرين ١٧ و١٨ تستعمل لهجة الإيميسال.

(٥) (Ba-gar) المعبد حيث كانت تقدم القرابين للإلّه نينجرسو وحيث كانت توجد غرفة (باؤ).

(٦) (Aba-u) أو (Aba-ba) حسب القراءتين كما في الحاشية (٣).

(٧) (Magu-enna) مقام الإلّهة آباؤ.

(٨) (Lamar) إلّهة حامية.

(٩) (E. tar. sir. sir) مقام الإلّهة لامار.

(١٠) (Lagash) هي تلّلو الحالية وحاميتها الإلّهة نانشي (Nanshé).

29 الإلّهة مازيزيب[١] من مقامها في لغش
ولّت وغابت؛ في حرمها تنفخ الريح
30 مولاة نينا[٢] ولّت وغابت؛
في حرمها تنفخ الريح
31 السيدة الفائقة السمو[٣] من معبدها في سيرارا[٤]
ولّت وغابت؛ في حرمها تنفخ الريح.
32 مولاة كينير شاب[٥] ولّت وغابت؛
في حرمها تنفخ الريح.
33 الإلّهة دومو ـ زيد ـ ابزو[٦] من معبدها في
كينير شاب، ولّت وغابت؛ في حرمها
تنفخ الريح.
34 سيدة چو ـ آبّا[٧] ولّت وغابت؛ في حرمها
تنفخ الريح
35 الإلّهة چاشان ـ مار[٨]، من معبدها چو ـ آبّا
ولّت وغابت؛ في حرمها تنفخ الريح.
36 التحية الأولى (نهاية النشيد الأول)
39[٩] النشيد الجوابي

(١) (Ma-zózèb) إلّهة من إلّهات لغش.
(٢) (Nina) كما أن قراءة (Nanshé) ممكنة.
(٣) الإلّهة المقصودة هي نانشي.
(٤) (Sirara) من المعتقد أنه حيّ نينا/ نانشي المقدس.
(٥) (Kinirshab) تستعمل هنا لهجة الإيميسال وشاب (Shab) بمعنى القلب يعبّر عنه بالإيميسال بـ (شا/ شا/ شا ـ با).
(٦) (Dumu-Zid-Abau) إلّهة معروفة بسيدة (Kinir) (كينير)، أو (كينير شاب).
(٧) (Gu-Ab. ba) مقام يعتبر موقعه على الشاطىء البحري.
(٨) (Gashan-mar) بمعنى سيدة مار.
(٩) وضع هذا السطر هنا تسهيلاً للوضوح، الترجمة الحرفية هي: «نشيدها الجوابي» أي المجموعة.

المجموعة:

37 في حرمها تنفخ الريح؛ نواحها يتحسّر،
38 البقرة ذات الفم العارف، لم تعد في حظيرتها؛
الحظيرة الأميرية، لم تعد قائمة.

النشيد الثاني

رئيس المجموعة:

40 أيّتها المدينة، تفجّعاً مريراً لرثاءِ نفسك
أنشدي!
41 تفجاً مريراً حقّاً، لرثاءِ نفسِك
يا مدينة ردّدي!

المجموعة:

42 مرير حقاً، تفجّع مدينتها المهدّمة
43 مرير حقاً، تفجّع مدينتها أور المهدّمة

رئيس المجموعة:

44 تفجّعاً مريراً حقّاً، لرثاء نفسك
يا مدينة أنشدي

المجموعة:

45 مرير حقّاً، تفجع مدينتها أور المهدّمة

رئيس المجموعة:

46 تفجّعكِ المرير حقّاً، إلى متى أمام سيدكِ،
الناس بعيون دامعةٍ ينوحون رثاءً لكِ؟

47 تفجّعكِ المرير حقاً، إلى متى أمام نانّا[١]،
الناس بعيون دامعةٍ ينوحون رثاءً لكِ؟

رئيس المجموعة والمجموعة من أجل اللازمة:

48 يا جدار أور، تفجعاً مريراً لرثائك أنشدْ!
49 يا معبد إي. كيشنومال[٢] تفجعاً مريراً لرثائك أنشدْ!
50 يا مقام إي. نونكوج[٣] تفجعاً مريراً لرثائك أنشدْ!
51 يا كيؤر[٤]، يا مكاناً سامياً، تفجّعاً مريراً لرثائك أنشدْ!
52 يا مدينة نفّر[٥] المقدسة، تفجّعاً مريراً لرثائك أنشدي!
53 يا جدار الإيكور[٦]، تفجّعاً مريراً لرثائك أنشدْ!
54 يا مقام ماموشّوا[٧]، تفجعاً مريراً لرثائك أنشدْ!
55 يا مقام أوبْشُوكينا[٨]، تفجّعاً مريراً لرثائك أنشدْ!
56 يا جدار أوروكوج[٩]، تفجّعاً مريراً لرثائك أنشدْ!
57 يا مقام إيتار سيرسير[١٠]، تفجّعاً مريراً لرثائك أنشدْ!
58 يا مقام ماجو إينّا[١١]، تفجّعاً مريراً لرثائك أنشدْ!
59 يا جدار إيسين[١٢]، تفجّعاً مريراً لرثائك أنشدْ!
60 يا مقام إيجال ـ ماج[١٣]، تفجعاً مريراً لرثائك أنشدْ!

---

(١) (Nanna) الإلّه القمر ومدينته أور، ونلاحظ في السطرين ٤٨ و٥٣ التوجّه إلى الجدار.
(٢) (E. Keshnumal) معبد الإلّه القمر في أور ومعناه بيت النور.
(٣) (E. nunkug) من معابد أور وهو معبد قرينة الإلّه القمر نانا.
(٤) (Kiur) جزء من معبد الإلّه إنليل في مدينة نفّر.
(٥) (Nippur) مدينة الإلّه إنليل.
(٦) (E. Kur) بمعنى بيت الجبل وهو معبد إنليل في نفّر والكيؤر في (٤) جزء منه.
(٧) (Mamushua) من الأماكن المقدسة في نفّر.
(٨) (Ubshukina) من الأماكن المقدسة في نفّر.
(٩) (Urukug) هنا بلهجة الإيميسال وهو معبد الإلّهة باؤ (Ba-u) (انظر السطر ٢٢).
(١٠) (E. Tarsirsir) معبد الإلّهة لامار (Lamar) (انظر السطر ٢٧).
(١١) (Maguenna) مقام الإلّهة آباؤ (Aba.u) (انظر السطر ٢٥).
(١٢) (Isin) تقع من على بعد حوالى ٢٣ كم إلى الجنوب من نفّر (راجع ملاحظة السطر ٩).
(١٣) (E. Gal-Mag) أو (E. Mag) معبد إيسين.

61 يا جدار (مدينة) أوروك[1]، تفجعاً مريراً لرثائك أنشدْ!
62 يا جدار إريدو[2]، تفجعاً مريراً لرثائك أنشدْ!

رئيس المجموعة:

63 تفجعكِ المرير حقاً، إلى متى أمام سيدك،
الناس بعيون دامعة ينوحون رثاءً لكِ؟
64 تفجعك المرير حقاً، إلى متى أمام نانّا
الناس بعيون دامعة ينوحون رثاءً لكِ؟

المجموعة[3]:

65 أيتها المدينة، كان لك اسم، ولكنّه تهدّم مع خرابك
66 أيتها المدينة، كانت جدرانك قائمة
لكنك أُبِدتِ مع بلادك
67 يا مدينتي، مثل نعجة أمينة،
تمّ تمزيقك مع حملانك
68 يا أور، مثل عنزةٍ أمينة،
تمت إبادتك مع جديانك
69 أيتها المدينة، أصبحت طقوسك
قوّة العدو وزهوه
70 وإلى قوانين العدو، حُوّلت قوانينك.

رئيس المجموعة:

71 تفجُعكِ المرير حقاً، إلى متى أمام سيدك،

---

(١) (Uruk) مدينة إنّانا وإلّه السماء آن.
(٢) (Eridu) مدينة الإلّه أنكي.
(٣) يعتقد أن الأسطر (٦٥ ـ ٧٠) تمثل رثاءً تنشده المدينة بواسطة المجموعة التي تمثلها، وذلك بتوجيه من رئيس المجموعة.

الناس بعيون دامعة ينوحون رثاءً لكِ؟

72 تفجعك المرير حقّاً، إلى متى أمام نانّا،

الناس بعيون دامعة ينوحون رثاءً لك؟

73 التحية الثانية (نهاية النشيد الثاني)

76[١] «النشيد الجوابي»

المجموعة:

74 مرير حقاً، تفجّع مدينتها المقدّسة المهدّمة

75 مرير حقاً، تفجع مدينتها أور المهدّمة.

النشيد الثالث

المجموعة[٢] ثم الإلّهة چاشان ـ چال[٣]:

77 معبد الإلّه مُدَمَّر ومدينته

أَغْرقَتْها الدموع

78 عند ذلك، أيها الإلّه نانا، الناس

في بلدك تمّت إبادتهم

79 وأور ضاعفت تفجّعاتها

80 الإلّهة، السيدة المقدسة، لكي

تنوح على مدينتها أور

81 الإلّهة چاشان ـ چال السامية (؟)

ولخدمة بلدها

82 نحوه، من أجل مدينتها المهدّمة، توجّهت،

ودموع ألمها كسيولٍ تنحدر

---

(١) انظر ملاحظة السطر (٣٩).

(٢) المجموعة هنا تمثل المدينة المخربة.

(٣) (Gashan-Gal) إلّهة أور بمعنى السيّدة العظيمة.

83 نحو الإلّه، من أجل معبدها المهدّم توجّهت،
ودموع ألمها كسيولٍ تنحدر
84 نحوه، من أجل مدينتها المخرّبة توجّهت،
ودموع ألمها كسيولٍ تنحدر.
85 من أجل معبدها المهدّم، اقتربت منه
وتفجّعات مريرة، ها هي تنشد،
86 السيدة، وبعد أن جُعلت أرضاً من أجل حزنها
قيثار النواح،
87 ملأ (خرابَ) المعبد رثاؤها، ومثل طفلٍ
في حالة الرعب تفجّعت.

الإلّهة چاشان ـ چال:

88 مِن تلك العاصفة الهوجاء،
يجتاحني الأنين،
89 كم كنت، أمام عويل العاصفة، مرعوبةً.
90 أنا، السيّدة، من تلك العاصفة
الهوجاء، يجتاحني الأنين
91 من تلك العاصفة الهوجاء
يجتاحني الأنين
92 في ذلك اليوم، امتدت العاصفة
الأليمة حتى وصلت إليّ
93 أنا شخصياً، أمام ذلك اليوم،
بدأت أرتجف
94 أمام عنف ذلك اليوم،
حرّمت الخروجَ على نفسي
95 أمام تلك العاصفة الساحقة،

الأيام السعيدة لحكمي، الأيام
السعيدة لحكمي، لم أعد أرى (مجراها)
96 في تلك الليلة، عنف تلك الليلة
تفجّر ضدي.
97 أنا شخصياً، أمام تلك الليلة بتّ أرتجف.
98 أمام عنف تلك الليلة
حرّمت على نفسي الخروج.
99 تستولي عليّ قوّة ذلك اليوم
المدمِّر مثل إعصار
100 أمام تلك العاصفة الساحقة، على فراش
نومي، على فراش نومي، لم يُتح
لي خداع نفسي.
101 أمام تلك العاصفة الساحقة، طمأنينة فراش
نومي، طمأنينة فراش نومي
لم تتيسّر لي.
102 في بلدي، تفجّعٌ مريرٌ كان يرتفع
103 عندئذٍ ومثل بقرة تجاه عجلها
أدّيت واجب أمومتي.
104 عن بلدي، لم يتمكّن الخوف
ولا العنف من تحويلي.
105 في مدينتي، تفجع مرير كان يرتفع
106 عندئذٍ ومثل طير في السماء
أطلقت نحوها جناحيّ.
107 نحو مدينتي، أنا التي طرت دفعة واحدة.
108 مدينتي، حتى بلوغ أسسها، كانت
حقّاً مهدّمة!

109 أور، حتى إلى مرتكزاتها، كانت مهدّمة!
110 وعندما كانت قوة العاصفة في الأعالي
تزداد عنفاً
111 رفعت حقاً ضدها صوتي: «إلى السهوبِ،
عودي أيتها العاصفة!»، قلت لها.
112 ولكن صدر[1] العاصفة لم يرضخ!
113 أنا صاحبة السمو، ولكن في (معبدي) الإينونكوج[2]،
في مقرّ سيادتي،
114 ديمومة الحكم، لم تتوفّر لي!
115 يمرّ[3] أمامي وحالة التفجّع والدموع!
116 وبسبب المعبد، مكان الغبطة، حيث
كان ذوو «الرؤوس ـ السوداء» يجتمعون،
117 بعيداً عن تلك الأعياد، تضاعف فيهم
الغضب والشقاء.
118 أمام تلك العاصفة الساحقة
على معبدي، موضع السعادة.
119 على معبدي المقدس الخَرِب
لم تعد تتوقّف العيون!
120 وبقلبٍ ممزّقٍ، المراثي المؤلمة،
121 مراثي الألم تُوجّه إليه!
122 معبدي، الذي أسّسه رجال ذوو استقامة
123 مثل كوخ قصبٍ في بستان
إنهار على جنبه

(١) حافظنا على التعبير الحرفي السومري عوضاً عن «جبهة» العاصفة.
(٢) (E. Nunkug) معبد قرينة الإلّه القمر في أور أي چاشان ـ چال.
(٣) المقصود هو المعبد، أي أن نظر الإلّهة يتجوّل في أنحاء المعبد المهدّم.

124 معبد إيكيشنومال، معبد مليكتي

125 معبدي المقدس، الذي تحوّل إلى بيتٍ للدموع،

126 بناؤه كان خدّاعاً وخرابه أكيداً.

127 في الحقيقة، (المصير) الذي كان من نصيبه
(هو المصير) الذي تقرّر لي.

128 مثل خيمة، ومثل عنبرٍ، أفرغت
منه حبوب الموسم

129 مثل عنبرٍ أفرغت منه حبوب الموسم
وترك بعد ذلك للأمطار.

130 أور، حيث غرفتي، وكل شيءٍ
فيها متوافر بكثرة،

131 معبدي ومدينتي المملوءان بالثروات
تم سحقهما!

132 تمّ سحقهما، بكل تأكيدٍ
وكأنهما حظيرة راعٍ!

133 ممتلكاتي التي كانت في المدينة
مكدسةً، التهمها ارتفاع المدّ!

134 التحية الثالثة (نهاية النشيد الثالث)

146 النشيد الجوابي (المجموعة)

المجموعة:

135 بدموعها، بدموعها، غرقت أور.

النشيد الرابع

الإلّهة چاشان ـ چال:

137 في ذلك اليوم، عندما أصابت

العاصفة قلب الإلّه[١]

138 المدينة، أمام سيّدها، تمّ تخريبها

139 في ذلك اليوم، عندما أحْزنت
العاصفة قلب الإلّه،

140 وعندما أُصدر الأمر بدمار مدينتي بكاملها

141 عندما أُصدر الأمر، بدمار أور بكاملها

142 وعندما أُعطي الأمر بإبادة شعبها،

143 في ذلك اليوم، أنا، من أجل
إنقاذ مدينتي، لم أتراجع.

144 عن بَلدي، أنا، لم أحوّلْ (نظري)[٢]

145 أمام آن[٣]، سكبت دموعي

146 أمام الإلّه مو أولّيل[٤] أطلقت
شخصياً تفجّعي:

147 «يجب ألاّ تهدم مدينتي» قلت لهم

148 «يجب ألاّ تهدم أور» قلت لهم

149 «يجب ألاّ يباد شعبها»

150 ولكنّ آنْ، لم يستجب لهذه الكلمات،

151 والإلّه مو أولّيل، عندما قال «حسناً
حسناً»، لم يشفِ غليل قلبي

152 وللمرة الثانية، عندما عقد اجتماع
المجلس الموسّع[٥]

---

(١) المقصود هو الإلّه القمر نانّا.
(٢) حرفياً «قدرتي».
(٣) (An) إلّه السماء.
(٤) (Mu-Ul-Lil) سيد الهواء وهو الإلّه إنليل (Enlil).
(٥) حرفياً بكامل جهته.

153 وعندما اتخذ الأنونّا[١] الإلّهيون أماكنهم
وهم الذين تصبح بواسطتهم،
كلمات (الآلهة) ارتباطاً
154 وهنت عند ذلك ساقاي
ومددت ذراعي (راجيةً)
155 وأمام (آن)، سكبت دموعي
156 وأمام الإلّه مو أولّيل، أطلقت
شخصياً تفجّعي:
157 «يجب ألاّ تهدم مدينتي» قلت لهم
158 «يجب ألاّ تهدم أور» قلت لهم
159 «يجب ألاّ يباد شعبها»
160 ولكن (آن) لم يستجب لهذه الكلمات
161 والإلّه مو أولّيل عندما قال «حسناً،
حسناً»، لم يشفِ غليل قلبي.
162 أصدروا قرارهم بتدمير المدينة،
163 بتدمير أور، أصدروا قرارهم
164 ولشعب أور قرروا الإبادة
165 وبما أنني أبلغتهم، كل ما أمكن لفمي قوله،
166 أنا، أبعدوني عن مدينتي
167 وأبعدوا مدينتي عنّي.
168 كلمة آن، لا مردّ لها
169 ولا يبدّل الإلّه مو أولّيل، الكلمة
التي خرجت من فمه
170 التحية الرابعة

(١) (Anunna) مجموع آلهة العالم السفلي وهم هنا برئاسة آن وإنليل.

172 النشيد الجوابي

المجموعة:

171 مدينتها دُمّرت، شرائعها تبلبلت.

النشيد الخامس

رئيس المجموعة والمجموعة من أجل اللازمة[١]:

173 الإلّه مو أولّيل، دعا هبوب العاصفة،
والشعب صعّد الأنين؛
174 الأمطار التي تحقق الوفرة، أبعدها عن البلاد،
والشعب صعّد الأنين؛
175 الأمطار الخيّرة، أبعدها عن سومر
والشعب صعّد الأنين؛
176 أمر بأن تتحكم العاصفة الشريرة،
والشعب صعّد الأنين؛
177 وإلى (كينغال أودا)[٢] المختص بالأعاصير
عهد بها إليه شخصياً[٣]
178 دعا هبوب العاصفة (المكلّفة) بتدمير البلاد،
والشعب صعّد الأنين.
179 دعا إليه جميع الرياح الشريرة؛
والشعب صعّد الأنين.
180 ولمساعدته، استقدم الإلّه مو أولّيل[٤] الإلّه جيبيل[٥]

---

(١) اللازمة التي ترددها المجموعة هي بصورة عامة عجز الأبيات.
(٢) (Kin-gal-ud-da).
(٣) حرفياً: «سلّمها إليه بيده».
(٤) (Mu-Ul-Lil) هو إلّه الهواء إنليل (Enlil) وسيد مجمع الآلهة في سومر.
(٥) (Gibil) إلّه النار والتطهير بالنار.

181 دعا إليه العاصفة السماوية الكبرى؛
والشعب صعّد الأنين
182 العاصفة الكبرى تهدر في الأعالي؛
والشعب صعّد الأنين
183 وعلى الأرض تزأر العاصفة المعدّة للدمار؛
والشعب صعّد الأنين
184 الرياح الشريرة التي تتدفّق مثل مياه شرّيرة
لا يمكن احتواء قدرتها،
185 شنّت هجومها على البلاد التي حملت
في وجهها السلاح[١] والتهمت كل شيء
186 وما كان هادئاً في قاعدة السماء، بدأ بالتدوّم؛
والشعب صعّد الأنين.
187 النيران اشتعلت في جبهة العاصفة؛
والشعب صعّد الأنين.
188 وإلى العاصفة الغاضبة، انضمّت آتية من
السهوب النيران السوداء[٢]
189 ووسط لهب الحرارة المنبثة بالأمطار
لمعت البروق
190 والنور الطاهر الذي ينشره وضح النهار
ولأنه نور خيّر، تم سحبه
191 وعلى البلاد، لم يعد ينزل النور الطاهر،
واتخذ لنفسه وهجّ نجمة المساء.

(١) ليس غريباً أن تحمل المدينة السلاح في وجه العاصفة، فقد ورد في نص لاتيني لـ (Aulus-Gellius) وهو «الليالي الآتيكية» أن شعب الـ (Psyllos) حملوا السلاح ضد الريح (Auster) التي غلبتهم وراكمت عليهم تلالاً من الرمال.

(٢) أي المحملة بالدخان.

192 والليل، بعيداً عن كونه مانحاً لهناء
قدرته المنعشة، أصبح ضحية ريح الجنوب.
193 وعلى الكُسَر المحروقة تراكم الرمل
والشعب صعّد الأنين.
194 وعلى «ذوي الرؤوس السوداء»[١] انقضّت الرياح؛
والشعب صعّد الأنين
195 بلاد سومر، وكأنها وقعت في مصيدة؛
والشعب صعّد الأنين
196 إنها الرياح، حاصرت البلاد والتهمت كل شيء.
197 لم تنفع الدموع لإبعاد العاصفة الشريرة
198 مسحت البلاد العاصفة، البلاد ترتجف.
199 مثل طوفان، هدّمت العاصفة المدينة
200 والعاصفة التي أبادت البلاد
فرضت على المدينة شريعتها.
201 نشرت العاصفة الخراب، قدمت حاملةً شرّها
202 العاصفة مثل نار محرقة، أصابت الشعب في جنبه
203 وبأمر من الإلّه مو أولّيل، سحقت العاصفة
المقوتة كل شيء في البلاد.
204 ومثل رداء، غطّت مدينة أور
وسجنتها وكأنها في (قماش) كتان
205 التحية الخامسة (نهاية النشيد الخامس)
207 النشيد الجوابي

المجموعة:

206 بذلت العاصفة الغاضبة عنيف قوتها
والشعب صعّد الأنين.

---

(١) لقب سكان ما بين النهرين.

النشيد السادس

رئيس المجموعة ومن أجل اللازمة، المجموعة:

208 في ذلك اليوم، المدينة اجتاحتها العاصفة
فدُمّرت هذه المدينة
209 مدينة الأب الإلّه نانا[١]، تمّ تدميرها؛
والشعب صعّد الأنين
210 في ذلك اليوم، اجتاحت العاصفة البلاد؛
والشعب صعّد الأنين.
211 شعبها تبددت ممتلكاته وأطيح به فسقط على جنبه
212 أشلاؤه على الأسوار تناثرت؛
والشعب صعّد الأنين.
213 أمام بوابته العالية، وفي شوارعه العريضة،
انتشرت الجثث
214 وعلى طول ساحاته، كما كانت تقام من أجل الأعياد
تم انتشارها بشكل مفاجىء
215 في شوارعه وفي باحاته، انتشرت الجثث،
216 وفي أماكن البلاد المخصصة للألعاب
تكدّست الجثث حيث تمّ انجرافها
217 ومثل نحاسٍ ورصاص في حالة الذوبان
كان يتفجّر دم البلاد
218 ومثل شحم معرض لحرارة الشمس
كانت الأجساد الميّتة تذوب وتختفي.
219 أولئك الرجال، الذين حطمتهم البلطة چازين[٢]

---

(١) (Nanna) الإلّه القمر، الإلّه الحامي لمدينة أور المرثية.
(٢) (Gazin).

لم يكن يغطي رؤوسهم أي ضماد.
220 ومثل شفاه غزلانٍ أَطبقت عليها الأفخاخ
كانت شفاههم يمرّغها التراب
221 هؤلاء الرجال الذين أصابتهم السهام
لم يعملْ أي ضماد لإسعافهم.
222 ومثل نساءٍ في مكان ولادتهن
كانوا في دمائهم يصرخون.
223 هؤلاء الرجال، الذين قضت عليهم الخناجر[1]
ما عادوا يمدّون أيديهم.
224 إنهم مؤكداً لم يكونوا ثملين (ولكن) أعناقهم
كانت تتدلّى جانباً.
225 الذين لم يتخلوا عن أسلحتهم، أبيدوا بالسلاح؛
والشعب صعّد الأنين.
226 طرحت العاصفة الهاربين أرضاً؛
والشعب صعّد الأنين
227 في أور، قضت المجاعة على الضعفاء
كما قضت على الأقوياء
228 الآباء والأمهات الذين قبعوا في بيوتهم
قضوا بالنار
229 الأطفال الصغار، المستقرون بأمان على ركب
أمهاتهم، مثل سمكٍ جرفتهم المياه
230 حاضنات الأطفال ذوات السواعد القوية
تلاشت سواعدهن.
231 إنهار بناء البلاد؛

(١) (Harpé) خنجر ذو شفرة معقوفة.

والشعب صعّد الأنين

232 مجلس البلاد، ابتلعته هاوية الأعماق؛
والشعب صعّد الأنين

233 الأمهات أَبْعَدْن الأبناء عن أنظارهن؛
والشعب صعّد الأنين

234 تحول الآباء عن أبنائهم؛
والشعب صعّد الأنين

235 في المدينة، تفرّق الأزواج عن بعضهم البعض،
تفرّق الأبناء وتشتّت الممتلكات

236 دفعت الرياح «ذوي الرؤوس السوداء» دفعتهم
وكأنهم في مكان اجتماعٍ عائلي.

237 سيدتهم، مثل عصفور أطلق للريح جناحيه،
من مدينتها طُردت.

238 الإلّهة چاشان ـ چال[١] مثل عصفور أطلق
للريح جناحيه، طردت من مدينتها.

239 ممتلكاتهم، المكدّسة في البلاد
وُضِعت عليها يد آثمة.

240 المخازن التي تزخر بها البلاد
باتت ضحية للنيران

241 جيبيل[٢]، الإلّه الذي يطهر كل شيء
بكامل طاقته أتمّ مهمته

242 على الجبل الشامخ، على الإيكيشنومال[٣]
الذي لا يقهر

(١) (Gashan-Gal) بمعنى السيدة العظيمة وهو هنا لقب إلّهة أور قرينة الإلّه القمر.
(٢) (Gibil) إلّه النار، ورد سابقاً.
(٣) (E. Keshnumal) بمعنى بيت النور وهو معبد الإلّه القمر في أور.

243 وفي المعابد المقدسة، البلطات الكبيرة
چازين[1] مزّقت كل شيء.
244 رجال بلاد سو[2] والعيلاميون[3]
في عنف تخريبهم، لم يبقوا على شيء.
245 بالفأس هدّموا المعابد المقدسة؛
والشعب صعّد الأنين.
246 وإلى خرابٍ حوّلوا المدينة؛
والشعب صعّد الأنين
247 صرخت سيدتها: «آه! مدينتي!»
صرخت: «آه! معبدي!»
248 الإلّهة چاشان چال صرخت: «آه! مدينتي!»
صرخت: «آه! معبدي!»
249 وعلى الرغم من كوني سيدة البلاد،
فمدينتي وكذلك معبدي تم هدمهما.
250 أيها الإلّه نانا، أور دمّرت
وتشتّت شعبها
251 التحية السادسة (نهاية النشيد السادس)
253 النشيد الجوابي

المجموعة:

252 في حظيرتها، في حرمها، تلفظت
السيّدة بكلمات مريرة
(a) 252 المدينة دمّرتها العاصفة.

---

(١) (Gazin).
(٢) (Su) قبائل السو أو السوتو كانت منطقة تجمعهم بجوار جبل البشري.
(٣) (Elamites).

النشيد السابع

المجموعة، الإلّهة چاشان ـ چال:

المجموعة:

254 الأم، چاشان ـ چال، عن مدينتها،
مثل عدوّة أُبعدت
255 هي السيدة، أطلقت بملء صوتها
رثاءها المتفجّع على معبدها المدَمّر.
256 الأميرة، على مقامها المخرب في أور
أطلقت تفجّعها المرير

الإلّهة:

257 الإلّه آن[1] بالتأكيد لعن مدينتي
آن دمّر مدينتي
258 الإلّه مو أولّيل[2] أطاح بمعبدي
الفأس هدّمته
259 من المؤكد أن الإلّه الآتي من الأسفل ألهب (معبدي)
آه! يا مدينتي، إنّه دمّرها أيضاً
260 الإلّه مو أولّيل، آتياً من الأعلى
وجّه إليها آفاتها ومصائبها
261 بجوار المدينة، هدّم الضواحي
«آه! يا مدينتي»، أريد أن أصرخ!
262 في صدر المدينة، دُمِّر قلبها

---

(١) (An) إلّه السماء.
(٢) (Mu. ul. lil) الإلّه إنليل.

«آه! يا مدينتي»، أريد أن أصرخ!

263 معابدي في الضواحي، تم تدميرها
«آه! يا مدينتي»، أريد أن أصرخ!

264 معابدي، في قلب المدينة، دُمّرت
«آه! يا مدينتي» أريد أن أصرخ!

265 مدينتي، مثل نعجةٍ أمينة، لم تُحتضن،
راعيها الفتى غادرها

266 أور مثل نعجة أمينة لم تُحْتَضَنْ،
راعيها الفتى مضى بعيداً عنها.

267 ثيراني، لم توجّه إلى حظائرها
فحارسها، غاب عنها

268 خرفاني إلى زريبتها، لم تُقَدْ،
فراعيها غاب عنها.

269 أقنية مدينتي، ردمتها الأتربة
فحفرت فيها الثعالب أوكارها

270 لم تعد الماء الصافية، تسيل في مجاريها
فقد هجرها مراقبوها

271 في حقول مدينتي، لم تعد هناك حبوب
فالفلاّح قام بهجرها.

272 حقولي مثل أرضٍ أكتفي بعزقها
جعلت الأعشاب مول چانبيل[١] تنمو فيها.

273 في جنان بساتيني، حيث كان يطفح عسل الفواكه وخمر التمور
ترى اليوم فيها أشواك الجبل تنمو

274 سهولي المبهجة، التي كانت تنتج فيضاً من الجعة

---

(١) (Mul. Gan. bil).

تحولت إلى عَفَرٍ وكأن فرناً أحرقها.

275 ممتلكاتي وكأن رفّاً من الغربان سلبها
جاعلاً منها غنيمته، «آه! يا ممتلكاتي»
أريد أن أصرخ!

276 ممتلكاتي، الذي أتى من الأسفل، نحو الأسفل حملها حتماً
«آه! يا ممتلكاتي» أريد أن أصرخ!

277 ممتلكاتي، الذي أتى من الأعلى، نحو الأعلى حملها حتماً
«آه! يا ممتلكاتي» أريد أن أصرخ!

278 فضّتي وأحجاري الكريمة ولازوردي تمت بعثرتها
«آه! يا ممتلكاتي» أريد أن أصرخ!

279 كنزي، ابتعلته الهاوية حتماً
«آه! يا ممتلكاتي» أريد أن أصرخ!

280 فضّتي، رجال لا يعرفون قيمتها
ملأوا بها أيديهم

281 أحجاري الكريمة، رجال لا يعرفون قيمتها
أثقلوا بها أعناقهم.

282 عصافيري الصغار وجميع طيوري فرّت (خائفة)
«آه! يا مدينتي»، أريد أن أصرخ!

283 بناتي وأبنائي، مرّغهم التراب
«آه! يا أبنائي» أريد أن أصرخ!

284 يا للبؤس، بناتي في مدينة غريبة
عليهن حمل شعارات أجنبية.

285 الأبطال، لم يعد ميدانهم يتعرف عليهم
يرتدون ألبسة حُوّلت إلى أسمال.

286 يا للبؤس! مدينتي فقدت وجودها
وأنا لم أعد إلّهتها.

287 أيها الإلّه نانا، أور فقدت وجودها
وأنا لم أعد سيدتها.
288 هُدّم معبدي، خُرِّبت مدينتي،
289 على الرغم من كوني السيدة المقدّسة
مدينتي أضحت مدينة غريبة.
290 دُمّرت مدينتي، خُرّب معبدي
291 على الرغم من كوني الإلّهة چاشان ـ چال،
فقد تحوّل معبدي إلى معبد غريب
292 يا للبؤس، دُمِّرت المدينة وخُرِّب المعبد
293 أيها الإلّه نانّا، أور، الملاذ، تم تدميرها
وأبيد سكانها.
294 يا للبؤس! في أي موضعٍ سوف أستريح
في أي موضع يمكنني أن أقف
295 يا للبؤس! مدينتي أصبحت مدينة غريبة
296 على الرغم من كوني الإلّهة چاشان ـ چال
تحوّل معبدي إلى معبدٍ غريب
297 لأنني أبعدت عن مقرّي، أبعدت عن سهلي (المزروع)
«آه! يا مدينتي!» أريد أن أصْرخ
298 لأنني أبعدت عن مدينتي، لأنني أبعدت عن أور
«آه! يا مدينتي!» أريد أن أصرخ.

المجموعة:

299 إنها تنتزع شعرها، كما باليد
تقتلع العشبة نومونبور[1]

---

(١) (Numunbur).

300 صدرها، [بيدها الطاهرة]، تضرب على صدرها
«آه! يا مدينتي!» هي تصرخ
301 ملأت عينيها الدموع
وبدموع مريرة هي تبكي.

الإلّهة:

302 يا للبؤس! مدينتي تحوّلت إلى مدينة غريبة.
303 على الرغم من كوني الإلّهة چاشان ـ چال
تحول معبدي إلى معبد غريب
304 يا للبؤس، فصلت عن حظيرتي
أنا بقرة كليمة!
305 أنا الإلّهة چاشان ـ چال أصبحت مثل راعٍ لا حول
ولا قوة له، عندما انهار السلاح على نعجاتي.
306 يا للبؤس! أجبرت على الخروج من المدينة
ولم أعد أعرف الراحة.
307 أنا الإلّهة چاشان ـ چال، أُجْبرت على الخروج
من معبدي ولم أعد أعرف مقراً لي.
308 أنا حتماً تائهة، ولكنني أبقى مرفوعة الرأس
في مدينة غريبة
309 في معبد التنبّؤات، يسيطر الألم
والذين هم على رأسه أتوا لمقابلتي.
310 في معبد التنبّؤات، الرجال ساكنو هذا المقر
لم أستطعْ إرشادهم.

المجموعة:

311 في ذلك المكان، وبسبب مدينتها المخربة،

اقتربت منه ودموعها مثل سيلٍ تنهمر.
312 نحو الإلّه، بسبب معبدها المهدّم، توجّهت
ودموع ألمها مثل سيلٍ تنهمر
313 بسبب معبدها المهدّم، اقتربت منه
ودموع ألمها مثيل سيلٍ تنهمر
314 بسبب مدينتها المخرّبة، اقتربت منه
ودموع ألِمها، مثل سيلٍ تنحدر

الإلّهة:

315 «يا للبؤس! يا لمصير مدينتي!» أريد أن أصرخ
مرّ هو مصير مدينتي!
316 أنا السيدة، «آه! يا معبدي المهدّم» أريد
أن أصرخ، مرّ هو مصير معبدي!
317 آه! يا جدار أور! يا جداري الذي هُدّم،
جداري الذي أُطيح به!
318 يا معبدي المقدس، يا مدينتي التي تحوّلت إلى خراب!
319 في أنقاضِ معبدك المقدس والمهدّم
تمددتُ بالقرب منكِ (يا مدينتي)
320 مثل ثورٍ مذبوح
عن جدرانك لا أستطيع الانسلاخ!
321 يا للكارثة! بناؤك كان خدّاعاً
ومرير هو خرابك
322 وبينما أنا، السيّدة، حُرِمت من التقدمات
في معبدي في أور
323 وثروات الإينونكوج[١] خاصتي، ثروات

---

(١) (E. nunkug) معبد الإلّهة چاشان ـ چال في أور، أي قرينة الإلّه القمر.

معبدي الجديد هذا، لم تعد تصل إليّ
324 مدينتي التي كان (أُحسن) بناؤها
تم خرابها، ولماذا خُرِّبت
325 إنها اجتيحت وتم خرابها، ولماذا خُرِّبت:
326 القُدرة المغرقة لمياه عاصفةٍ شرّيرة، عاصفة
مريرة ومتواصلة، لم ترحمك
327 يا معبد زوئين[١] في أور، مرير هو خرابك
328 التحية السابعة (نهاية النشيد السابع)
330 النشيد الجوابي.

المجموعة:

329 آه يا معبدي! آه يا معبدي!

النشيد الثامن

المجموعة:

331 أيتها السيدة، هذا ما شعر به قلبك[٢]
هذا ما آلت إليه حياتك[٣]
332 أيتها الإلّهة چاشان ـ چال، هذا ما شعر به قلبك!
هذا ما آلت إليه حياتك.
333 أيتها السيدة المقدّسة، أنت التي هدّمت
مدينتها، مثل ما نحن ننشد، هكذا أنتِ أنشدتِ.
334 أيتها الإلّهة چاشان ـ چال، أنت التي دُمِّرت بلادها
هذا ما شعر به قلبك!

---

(١) (Zuen) لقب نانّا الإلّه القمر، إلّه مدينة أور.
(٢) حرفياً: هكذا هو قلبكِ.
(٣) حرفياً: هكذا أنت تحيين.

335 بعد تهديم مدينتك، مثل ما نحن ننشد
هكذا أنتِ أنشدتِ
336 بعد تخريب معبدك، هذا ما شعر به قلبك!
337 مدينتك أصبحت مدينة غريبة، ومثل ما نحن
ننشد، هكذا أنتِ أنشدتِ
338 معبدك أصبح بيتاً للدموع
هذا ما شعر به قلبك!
339 ما عدت سيدة مدينتك
التي حُوِّلت إلى أنقاض.
340 ما عدت تستقرين كساكنةٍ في معبدك المقدس
الذي هدّمته الفأس
341 ما عدت تقودين كعاهلةٍ
شعبك الذي اقتيد إلى المذبحة.
342 ما عدت تملكين دموعك(١)
وبلدك جفّف دموعه
343 بلا دموعٍ وبلا مراثٍ
أصبح في بلد غريب ساكنوه
344 شعبك وكأن الكلمات أتعبته
أبقى فمه مغلقاً
345 مدينتك التي حُوِّلت إلى خراب، مثل ما نحن
ننشد، هكذا أنتِ أنشدتِ
346 إلى مركزٍ منهار حُوِّل معبدك،
هذا ما شعر به قلبك!
347 أور المعبد الذي تُرك لعصف الرياح، مثل ما نحن

(١) حرفياً: دموعك أصبحت غريبة عنك أي عن إرادتك.

ننشد، هكذا أنتِ أنشدتِ

348 كاهنه چودوچ[١] لم يعد يلبس شعره
النذري المستعار، هذا ما شعر به قلبْك!

349 كاهنه الأكبر إين[٢]، لم يعد يسكن
حرم الـ چي - پار[٣]

350 الكاهن [. . .]، المكلف بالتطهير
لم يعد ينفِّذ عمله من أجلك.

351 أيها الأب، أيها الإلّه نانّا[٤]، طقسك المكرّسُ
(لقربان) الطحين الطاهر، لم يعد يقام من أجلك

352 كاهنك الجليل، في الحرم المقدس (للمعبد ذي الطبقات)
لم يعد يرتدي لباس الكتان (من أجلك)

353 كاهنك المقدس «إين»[٥] الذي اختاره قلبك
الهانىء في الإيكيشنومال[٦]،

354 لم يعد قط يترك معبده، ليدخل ببهجة
إلى حرم الچيپار[٧]

355 في الـ آچو[٨]، معبدك المخصص للأعياد
لم يعد أحد يتذوّق نعيم الاحتفالات

356 لم يعد أحد، يقرع من أجلك الطبل والطبلة،
اللّذين يفرحان القلب ولا القيثار تيچي[٩]

---

(١) (Gu. dug).

(٢) (En) مرتبة كهنوتية سومرية.

(٣) (Gi. par) جناح سكن الإلّه أو الكاهن في المعبد.

(٤) (Nanna) الإلّه القمر سيد مدينة أور.

(٥) (En) ورد آنفاً راجع ملاحظة السطر ٣٤٩.

(٦) (E. Keshnumal) بمعنى بيت النور وهو معبد الإلّه نانّا في أور.

(٧) (Gipar) ورد آنفاً راجع السطر ٣٤٩.

(٨) (A. gu).

(٩) (tigi) آلة موسيقية، يعتقد البعض أنها نوع من آلات الإيقاع كالطبلة ويعتقد آخرون بأنها آلة وترية كالقيثارة ويساعد هنا النص على هذا الاعتقاد.

357 شعب «ذوي الرؤوس السوداء»[١]، ما عادوا
يغتسلون[٢] من أجل أعيادك.
358 (شعبك) عندما انتُزع منه أفضل ما له، قُطِعَ
مثل خيطٍ مصيره، وتبدّل مظهره.
359 أناشيدك تحوّلت إلى أنين،
إلى متى سيتابع القلق تعاظمه؟
360 استبدلت أنغام التيجي بالمراثي،
إلى متى سيستمرّ تعاظم القلق؟
361 لم تُعَدْ ثيرانك إلى حظائرها
ولم يُعدّ من أجلك شحمها.
362 خرفانك، لم يتم إدخالها إلى زريبتها،
ولبن نعجاتك لم يُحلبْ من أجلك
363 لم تجلب لك مخصصات الدهن من الزرائب،
إلى متى سيتابع القلق تعاظمه؟
364 مخصصاتك من الحليب، لم تجلب لك من الزرائب،
إلى متى سيتابع القلق تعاظمه؟
365 السمك الذي كان الصيادون يحملونه لك، بشراسةٍ
صُودر منهم، إلى متى سيتابع القلق تعاظمه؟
366 صيادو الطيور، العصافير التي كانوا يحملونها لك
بعنفٍ تم القبض عليهم.
367 في وسط أقنيتك، حيث كانت القفات[٣] تجري،
شوهدت النباتات أوسار[٤] تتكاثر.

---

(١) لقب سكان ما بين النهرين.
(٢) الاغتسال هنا هو وضوء لتحقيق طهارة المحتفلين بالأعياد.
(٣) القفّة العراقية عوامة دائرية مصنوعة من الأسَل أو القصب المنسوج تطلى بالقار لتأمين عدم نفاذ الماء إليها وتستعمل في النقل المائي في الأقنية.
(٤) (U. Sar) نوع من النباتات المائية تنمو في الأقنية المهجورة الصيانة.

368 على الطرق، حيث كانت مسالك العربات سهلة
تكاثرت أشواك الجبل.
369 يا سيدتي، مدينتك، وكأنها (أمام) أمّها،
تسكب أمامك متفجّعةً سيولاً من الدموع.
370 مدينة أور مثل طفل في شارع مهدّم،
يفتش لنفسه عن مكانٍ أمامك.
371 معبدك مثل رجلٍ فقد كل شيء
يلوي أمامك بيديه
372 آجرّات معبدك، وكأنها بشر تصرخ:
«أين أنت موجودة؟»
373 يا سيدتي، في الحقيقة، أنت خرجت من
معبدك وأُخرجتِ من مدينتك
374 إلى متى عن مدينتك، مثل عدوة
ستبقين منفصلة.
375 أيتها الأم، أيتها الإلّهة چاشان ـ چال
مدينتك، مثل مدينة عدوّة تتحدى (عودتك)
376 ومع أنك سيدة تحبّ مدينتها،
هجرتِ مع ذلك مدينتكِ
377 ومع أنك الأم، الإلّهة چاشان ـ چال التي تحبّ شعبها
هجرت مع ذلك شعبك
378 أيتها الأم، أيتها الإلّهة چاشان ـ چال، مثل ثور
اذهبي إلى حظيرتك، مثل خروف اذهبي إلى زريبتك
379 مثل ثورٍ، (توجّهي) نحو حظيرة الأيام الماضية.
مثل خروف (توجهي) نحو زريبتك
380 مثل طفل صغير، (توجهي) نحو غرفتك،
أيتها المرأة الفتية (توجهي) نحو معبدك.

مرحلة الأمل بإعادة البناء والعودة:

381 ألا فليقل لك آن[1]، ملك الآلهة:
«كفى إذن فيما يختص بكِ».

382 والإله مو أولّيل[1] ملك كل البلاد
فليقرر، هكذا مصيرك.

383 ولتعدْ مدينتك من أجلك إلى مكانتها
ولتستعدْ سيادتها.

384 ولتعدْ أور من أجلكِ إلى مكانتها
ولتستعد سيادتها.

385 التحية الثامنة (نهاية النشيد الثامن)

387 النشيد الجوابي

المجموعة:

386 شرائعي تبلبلت

النشيد التاسع

المجموعة أو نصف المجموعة:

388 يا للبؤس! العواصف مجتمعةً أطلقت على البلاد ثورتها

389 عاصفة السماء الكبرى، العاصفة بزئيرها،

390 العاصفة المريرة التي فرضت على البلاد نظامها

391 العاصفة المهدمة للمدينة، العاصفة مخربة البيوت

392 العاصفة المجتاحة للحظائر، العاصفة المطيحة بالزرائب،

393 العاصفة التي على الطقوس المقدسة، مدّت يدها

---

(١) (An) إله السماء.
(٢) (Mu. u. lil) الإله إنليل.

394 والتي دنّست بيدها مداولات الاجتماعات المهمّة،
395 التي حرّمت على البلاد ما هو ملائم لها
396 (العاصفة) التي قيّدت «ذوي الرؤوس السوداء»!
397 التحية التاسعة (نهاية النشيد التاسع)
399 النشيد الجوابي

المجموعة:

398 العاصفة في اجتياحها كانت عاصفة مشؤومة.

النشيد العاشر

المجموعة أو نصف المجموعة:

400 العاصفة التي لا تعرف أمّاً، العاصفة التي لا تعرف أباً،
401 العاصفة التي لا تعرف زوجاً، العاصفة التي تعرف أطفالاً،
402 العاصفة التي لا تعرف أختاً، العاصفة التي لا تعرف أخاً
403 العاصفة التي لا تعرف فقيراً، العاصفة التي لا تعرف قوياً،
404 العاصفة التي ترمي بالزوجة أرضاً والتي ترمي بالطفل أرضاً
405 العاصفة التي حرمت البلاد من النور
406 العاصفة التي جعلت البؤس المرير شاملاً
تنفيذاً، للأوامر(١)
407 أيها الأب، أيها الإلّه نانّا، إجعل ألاّ تحطّ
العاصفة بعد الآن على المدينة.
408 عن شعبك، عن «ذوي الرؤوس السوداء»
لا تحوّل نظرك.
409 العاصفة كالمطر المتساقط من السماء

(١) أي أوامر الإلّه إنليل بالعقاب.

إجعلْ ألاّ تعود بعد الآن إلى هذا المكان.

410 كائنات السماء والأرض[١]، الذين

استولوا على «ذوي الرؤوس السوداء»

411 إجعل، أن ينهاروا جميعهم، في هذا اليوم

412 ولتقمْ بسجنهم ردفة باب تماثل

بوّابة الليل الكبرى

413 إجعل ألاّ تدخل هذا العاصفة بعد الآن

في سجلات حسابك

414 وهذا الحساب، فليعلق إلى مسمار[٢]

في معبد الإلّه إنليل.

415 التحية العاشرة (نهاية النشيد العاشر)

417 النشيد الجوابي

المجموعة:

416 في المستقبل، هذه العاصفة العدوّة، وما تلاها

إجعل (أيها الإلّه نانا) أن يهدأ كل ذلك.

النشيد الحادي عشر

المجموعة وأحد مقيمي الطقوس

المجموعة:

418 منذ أن ثارت العاصفة المنقضّة على البلاد

419 أيها الإلّه نانّا، البشر جميعهم

---

(١) وهم الآتون من الأعلى والآتون من الأسفل الذين مرّ ذكرهم في السطرين ٢٥٩ و٢٦٠.

(٢) تعبير يعني الموت، ويستعمل لتعليق جثث الموتى في العالم السفلي.

أخذوا نحوك طريقهم

420 جماهير معبدٍ، ملأته المراثي، مرّوا أمامك
وهم ينشدون لوجهك

421 «ذوو الرأوس السوداء» الذين طُردوا
يسجدون أمامك

422 دموع المدينة المخربة، سالت دون شكٍ أمامك

423 مدينتك التي أعيد اليوم بناؤها، أيها الإلّه
نانّا، فلتصبح متألقةً من أجلك،

424 ومثل نجمة طاهرة لتكن ديمومتها
ولتسلك أمام وجهك طريقها.

425 أيها الإلّه، رجال المدينة
بتقدماتهم، سوف يأتون إليك،

426 والذي يحمل القرابين، يرفع إليك هذه الصلاة:

(الرجل المكلف بالصلاة، يدخل)

مقيم الطقوس:

427 أيها الإلّه نانّا، أنت الذي تشفق على بلدك

428 أيها الإلّه السيد آشيم بابّار[١]،
عندما تنفذ كلماتي إلى قلبك

429 أيها الإلّه نانّا، رجال المدينة جميعهم،
حلّهم من خطاياهم.

المجموعة (متوجهة إلى مقيم الطقوس):

---

(١) (Ashim. babbar) صفة للإلّه نانّا بمعنى الإلّه ذو الشروق المنير.

430 أنت الذي تتلو الصلاة
لعلك تنجح في تهدئة قلبه[١]

مقيم الطقوس (متوجهاً إلى الإلّه):

431 انظر بعين الرضا، إلى الذي يقدم لك قرابين
وهدايا رجال المدينة
432 أنت الذي، نظرته المُبَارِكَة
تبهج جميع القلوب
433 قلوب هذا الشعْب الشرّيرة، اجعل
أن تكون جميعها طاهرة
434 قلوب (رجال) بلدك، اجعل
أن تكون خيّرة.

المجموعة:

435 أيها الإلّه نانّا، مدينتك المعاد بناؤها
مدائحها تعترف بمجدك!

---

(١) عرفت بلاد ما بين النهرين صلوات خاصة لتهدئة قلب إلّه غاضب وسوف ترد أمثلة عنها في الكتاب الرابع.

(٦٩) ــ الكاهن ــ النّدّاب وطقوس
إعادة بناء معبد مخرّب

١ ـ الكاهن ـ النّدّاب، هو الكاهن المعروف أكادياً تحت اسم الكاهن ـ كالو[١]، وقد أشرنا آنفاً بمناسبة عرضنا للنص رقم (٤٤) إلى مفهوم الكالو ودوره في استخراج آجرة أساس المعبد المنهار ووضع آجرّة أساس جديدة في مكانها بعد تكريسها. وقد أثبتنا بمناسبة عرضنا للنص السابق المحتوى التكويني للصلاة التي يتلوها الكالو بمناسبة إعادة البناء.

٢ ـ ونثبت هنا، ما وصلنا من الطقس المرافق لهذه العملية والتعليمات التي على الكالو اتباعها بهذا الصدد. موضحين هنا بأن كهّان الكالو، كانوا يشكلون دَرجةً خاصة من الكهّان الذين كانت مهمتهم تهدئة غضب الآلهة بواسطة الأناشيد ترافقها آلات القرْع أو النقْر وأهمها الليليسّو[٢]. ويعتقد أن الكهّان كالو، كانت لهم ثقافة دينية خاصة وكانوا يستعملون في أناشيدهم لهجة خاصة، هي الإيميسال[٣] أشرنا إليها بمناسبة عرض النص رقم (٦٨).

التعليمات:

[......]

---

(١) (Kalu) انظر الحاشية المرافقة للنص رقم (٤٤).
(٢) (Lilissou) نوع من الطبل على شكل قِدْر له جلد يقرع عليه.
(٣) (Eme-Sal) انظر الفقرة (٥) من تقديم النص رقم (٦٨).

على [المكلّف بإشادة] هذا «البيت»
ارتداء كساءٍ طاهر،
وعليه أن يلبس في يده سِواراً من القصدير
وأن يستعمل فأساً من الرصاص؛
ثم ينتزع [آجرّة الأساس السابقة]،
ويتلو تفجعاً على المعبد،
(و) يطلق «تحسّرات!»
بينما توضع هذه الآجرة [في مكانٍ]
محرّمٍ على من هو غير مؤهل بذلك.
ومن محرقة البخور، على الكاهن ـ كالو،
نشر وتصعيد روائح (التبخير، بينما) يتمّ على [الآجرة]
نثرُ عسلٍ وسمنٍ ـ دسمٍ وحليبٍ وجعةٍ من
النوع الممتاز، وخمرٍ، وزيت حلوٍ.
بعد ذلك يتلو الكاهن على الآجرة:
عندما آنو[١]، خلق السماء
وخلق نوديمّود[٢] الأبسو[٣] مقرّه
استخرج إيا من الأبسو حفنةً من الصلصال
وخلق الإلّه كولا[٤] للإشراف
على تجديد [المعابد]
(ثمّ) خلق المقاصب وغياض الشجر
(لتلبية احتياج) مهمة بنائها.
(يمكن متابعة النص تحت الرقم ٤٤ من هذا الكتاب في الأسطر ٢٩ ـ ٣٩).

---

(١) (Anu) إلّه السماء.
(٢) (Nudimmud) لقب إيا (Ea) ومعناه المكلف بالخلق والصنع.
(٣) (Apsu) مقر إيا أي المياه العذبة الباطنية التي تحمل قرص الأرض.
(٤) (Kulla) إلّه الآجر المشرف على تجديد المعابد.

(٢ ـــ ٤) ـــ الثواب والعقاب
والعدالة الإلّهيـة

١ ـ قلنا في مناسبات عدّة من هذا الكتاب، إن الإلّه كان مشرعاً وقاضياً وممثلاً للعدالة، يمسك بيده مصير البشر أفراداً وجماعات، ملوكاً وشعوباً، وليس بإمكان أحدٍ سبر نواياه، يقرر ما يشاء ولا مَردّ لمشيئته، يعاقب ويكافىء. يعاقب من أغضبه ويكافىء من سار على دربه. وكبشرٍ، تساءل الإنسان إذا كان عليه أن يستمر في سيره على دربٍ يكتنفه ظلام جهله لنوايا الإلّه وأن يعيش بشكل دائم في قلقٍ، خشيةً منه لكي لا يغضب الإلّه ولو كان ذلك عن غير قصد، وهذا ما تردده صلوات عديدة[١] تسعى لتهدئة قلب إلّه غاضب.

٢ ـ كل ذلك جعل الإنسان يسلّم أمره للإلّه وينتظر منه كل إشارة تنم على رضاه، لدى تنفيذه لكل ما يقرِّبه منه.

وأمثلة الثواب والعقاب التي استعرضناها آنفاً كانت تمثل بكل بساطة، منطقاً لا لبس فيه، يتحكم في العلاقة بين الإلّه والبشر.

وإذا ما كانت الصحة والأبناء والثروة، مكافأةً للرجل التقي، والمرض والعقم والفاقة عقاباً له، فإن بساطة هذا المنطق، دفعت مفكري ما بين النهرين إلى إلقاء تساؤلات عديدة على أنفسهم حول العدالة الإلّهية، في محاولة الإجابة عن سؤال، لماذا يعاقب الإلّه الرجل العادل والتقي بإرسال المرض والألم إلى جسده؟ وأية خطيئة ارتكب

(١) الصلوات والابتهالات سوف تردُ في الكتاب الرابع لدى بحث التقرّب من الآلهة.

ليستحق ذلك؟ تلك هي قصة أيوب الإيدومي/ العربي التي تبنتها التوراة العبرية[1] بعد أن أدخلت عليها التعديلات الملائمة، والتي وصلنا أساسها الأكادي العائد إلى نهاية الألف الثاني لما قبل الميلاد والتي نثبتها فيما يلي تحت الرقم (٧٠).

٣ ـ وخلال الفترة التاريخية نفسها، أي نهاية الألف الثاني لما قبل الميلاد، حاول مفكرو ما بين النهرين، من ضمن حوار فلسفي، «لاهوتي» يتخلّله الشك واليقين، حاولوا، تفهم دخائل العدالة الإلّهية وتوصلوا منذ ذلك الوقت، إلى مفهوم التسليم الذي تبنته الديانات في الإسلام للّه. ونورد نص الحوارية البابلية حول العدالة الإلّهية من خلال هذه الفقرة تحت الرقم (٧١).

---

(١) قصة أيوب التوراتية تعود إلى حوالى ٤٥٠ ق. م. وبلاد إيدوم، تشغل الجزء الجنوبي من فلسطين وتمتدّ من الخليل حتى خليج العقبة أو إيلات في تسميته العربية المشتقّة من «اللات» الإلّهة العربية. والإيدوميون هم الأعداء التقليديون للعبريين الذين لم يشغلوا قط هذه المنطقة، التي دخلت خلال القرن الخامس لما قبل الميلاد، بالاشتراك مع النبطيين في تحالف قوي بزعامة قبائل قيدار العربية المتمركزة في القسم الجنوبي من شرقي الأردن، وكانت لهم علاقات تجارية مع مدينة صور.

(٧٠) ــــ العادل المعَذّب، أو
لأمجدنّ سيّد الحكمة

١ ـ عرف هذا النص جزئياً، منذ عام ١٨٧٥، إلا أنه في عام ١٩٥٤ فقط، أعلن رسمياً على أن محتوى كُسر لوحات فخارية عثر عليها في نفّر[١] يتوازى مع قصة أيوب التوراتية ويسبقها بأكثر من ألف عام.

٢ ـ أمكن تجميع النص الذي نحن بصدده عن ست لوحات أو أجزاء لوحات، اثنتان منها هما محفوظتان في متحف إستنبول والأجزاء الأخرى في متحف فيلادلفيا. وشاءت الصدف أن تتكامل لوحتا متحف إستنبول مع لوحتين من لوحات متحف فيلادلفيا، مما سهل على الباحثين التعرف على تفاصيل هذا النص المهم على الرغم من بعض النقص والتشويه.

٣ ـ أطلقت على هذا النص منذ البداية تسمية مطلعه ومعناه «لأمجدنّ سيد الحكمة»، كما عرف أيضاً تحت عنوان «العادل الذي يتألم» أو «العادل المعذّب»، وهو كما ورد ذلك في قصة أيوب يثير مشكلة الألم والمرض والتساؤل عمّا إذا كان يحق للرجل العادل التقي الذي يتألم وتُلمّ به المصائب أن يلوم الإلّه على مثل هذه المعاملة غير المستحقة؟ كما يتساءل، إذا ما كان يحق للبشري الحكم على العدالة الإلّهية والشك فيها ويجيب النص بنفسه عن هذا التساؤل في تمجيده الأخير للإلّه مردوك والإلّهة قرينته.

(١) (Nippur) مدينة إنليل والعاصمة الدينية لسومر.

٤ ـ والرجل العادل والتقي، الذي يجتاز بنجاح تجربة الألم وتحمّل المصائب وفقدان كل شيء، ورد اسمه في النص وهو على ما يظهر كان رجلاً مهماً في بلاط أحد ملوك بابل في نهاية الألف الثاني لما قبل الميلاد. ويتضح ذلك أيضاً من اسمي محاورَيْه في هذه السردية وأحدهما من نفّر والثاني من بابل. وهذان الاسمان هما معروفان بواسطة لائحة وصلتنا، عرفت بلائحة «كبار مثقفي الأزمنة القديمة» تشتمل على أسماء رجال المعرفة والعلم في ذلك الوقت.

٥ ـ يشكو الرجل العادل في اللوحة الأولى من أنه فقد ثروته وممتلكاته ومركزه الاجتماعي وثقة الملك وثقة ذويه ومواطنيه وتحوّل إلى فقرٍ وازدراء لم يكن يستحقهما. ويصف في اللوحة الثانية الأمراض والآلام التي أصابته لدرجة جعلت عائلته تبكيه وتعدّ لدفنه.

وفي اللوحة الثالثة، تظهرُ بارقة أمل بشفائه مكافأة له على صبره وتقاه، فتظهر له في ثلاثة أحلام متتالية شخصيات تعمل على تطهيره وتتوسّط من أجله. كما يحمل إليه شخص رابع مرسل من قبل الإلّه مردوك الغفران والوعد باستعادة الصحة والسعادة ويتمّ ذلك فعلاً، ونشهد في النص عجائب شفاء التدخل الإلّهي وقدرة مردوك على إحياء الأموات ولم يبق على الرجل العادل إلا الشكر وتمجيد الإلّه مردوك والإشادة بعظمته وصنيعه أمام البابليين والحج إلى معبد الإيساچيل بيت مردوك في بابل والطواف عبر أبوابه ونيل البركات ومراسم التطهير في مختلف المراحل وتقديم قرابينه البخورية وتضحياته الحيوانية دون التوقف أمام كل من مردوك وقرينته عن الصلاة والابتهال والرجاء والدعاء.

٦ ـ على الرغم من كون قصة أيوب التوراتية تحتوي على تفاصيل، تعيد مسرح أحداثها إلى منطقة حدود الجزيرة العربية وبلاد إيدوم الفلسطينية التي كانت مشهورة بحكمائها ومن بينهم أيوب ومحاوريه الثلاثة، وهم أليغاز التيماني، ويَلْدَدْ الشوحيّ، وصوفَر النّعمانيّ والمتدخل الأخير وهو إيليهو بن بَرَخْئيل البوزي من عشيرة رام، وهذه الأسماء هي كنعانية الأصول مثال دانل وكيريت الأوغاريتيين، فإن تبنّيها من قبل التوراة اليهودية تم بعد انتهاء السبي، أي خلال القرن الخامس لما قبل الميلاد ويدل على

ذلك أيضاً التأثر الآرامي في لغتها، كما يعتقد بوجود أكثر من مؤلف واحد وراء نص هذا السفر التوراتي الذي أدْخَلَتْ عليه المدرسة اليهودية تعديلاتها الخاصّة. ونترك للقارىء مهمة التعرّف بنفسه على النص التوراتي أو إجراء بحثٍ لا يدخل في مجال هذا الكتاب.

اللوحة الأولى

لأمجدنّ سيد الحكمة، الإلّه [العليم]،
أنت الذي تقهر الليل وتنشر أنوار [النهار]
مردوك، سيد الحكمة، الإلّه [العليم]
الذي يقهر الليل وينشر أنوار النهار
وهو الذي مثل دوّار عاصفة يلفّ بِغضبِه كل شيء،
ولكن مثل نسيم الصباح نعمةُ نفسِه!
لا يقاوم احتدامه ومثل طوفان غضبه
ولكنّ قلبه يتحول دائماً وتعود إليه طيبته
وهو الذي لا قدرة للسماوات على تحمل لطمة يديه
ولكنّ راحته مهدّئة وهي تحيي الأموات[١]
[. . . . .][٢]
إلّهي أهملني وغاب إلى الأبد،
إلّهي تحوّلت وابتعدت [عني] !
و (عني) افترقَ الملهمُ الخيّر الذي كان يرافقني
وهرب ملاكي الحارس مفتشاً عن غيري!
سلبت مني حيويتي واعتم مظهر رجولتي
ذهبت صحتي الجيدة، ودفعة واحدة،
رُفعت عني كل حماية!

---

(١) بمعنى تشفي المريض المشرف على الموت.

(٢) مطلع اللوحة مشوّه، وقد أمكن إنقاذ محتوى هذا القسم الأول منه ولا يزال هناك نقص حوالى ٣٠ سطراً.

وعندما تعرّفت على إشارات مخيفة تمثّلت أمامي
غادرت بيتي وفي الخارج، مشيت هائماً على وجهي.
المنذرات لدى استشارتها، كانت مليئة
بالاضطراب وأيامي كلها ملتهبة.
تركت العرّاف ومفسّر الأحلام ولم أكن عند ذلك
أكثر معرفة للطريق الذي عليّ أن أسلك
والكلمات التي سمعتها في الشارع، كانت نذير
شؤم من أجلي[١]
مخيف هو حلمي، عندما أنام ليلاً.
والملك (نفسه)، الكائن الإلّهي[٢] وشمس شعبه
لسوء طالعي، لم أستطع تهدئة غضب قلبه.
رجال البلاط، لا يكفون عن مراكمة العداء ضدي
يجتمعون ليتبادلوا فيما بينهم أشياء لا يحسن قولها،
كأن يقول الأول: «سوف أقضي على حياته!»[٣]
ويصرّخ الثاني: «سوف أفقده مركزه»!
وأما الثالث (فيقول): «سوف أستولي على
ما أُسند إليه!»
«سوف أنفذ إلى بيته!» يعلن الرابع
أما الخامس: «سوف أخرّب [...] !
والسادس والسابع ضايقا ملاكي الحامي (؟)[٤]
عصابة السبعة[٥] جنّدت قواها

---

(١) الكلمات المسموعة صدفة في الشارع تستعمل للعرافة.
(٢) حرفياً: جسد إله.
(٣) حرفياً: سوف أسكب حياته أو بتعبير أصحّ أُرهق حياته.
(٤) هو الإله الشخصي الذي كان يعتقد أنه يرافق كل بشري ويتوسط من أجله.
(٥) هم فرقة إيرّا التخريبية، تمّ التعريف بإيرّا في النص رقم (٦٧).

ومنعدمو الشفقة مثل الشيطان ـ آلو،
إنهم يشبهون [. . .]
إنهم جسم واحد وليس لهم سوى فم واحد
موجه ضدّي، الحقد في قلوبهم ويلتهبون
مثل نار الغضب؛
والمنحة (الوحيدة) التي ينعمون بها عليّ، هي
الاستغابة والنميمة.
ولساني الذي كانت الثقة تميّزه تمكنوا من لجمه
أنا الذي كانت شفتاي سهلة الحديث، أصبحت
مثل أصم ـ أبكم.
ونداءاتي التي كانت مرفوعة الصوت أُجبرت على الصمت!
رأسي الذي كنت أحمله عالياً، انحنى حتى الأرض
وقلبي الممتلىء قوة، أضعفه الرعب.
صدري العريض، يستطيع (اليوم) طِفْلٌ[1] دَفْعَه
ذراعاي المملوءتان نشاطاً، شُلّتا الواحدة تلو الأخرى
وأنا الذي كنت أتنقّل متبختراً كسيّد، تعلّمت
أنا أسير متستراً بالجدران.
مِنَ السيد الرائع الذي كنتُهُ تحوّلت إلى عبدٍ،
أصبحت أعيش في عزلةٍ عوضاً عن عائلتي الكبيرة!
الأصابع تُوجه نحوي، عندما أسير في الشارع
وحين أدخل إلى القصر تتغامز الأعين بصددي!
المدينة بقساوة، تنظر إليّ كعدو،
وكأنّه خصْم لي، لم يعد بلدي سوى سورة غضب
وأخي مثل غريبٍ تحوّل عنّي،

(١) حرفياً: ممتهن مبتدىء.

و (تحوّل) رفيقي إلى شرير وإلى شيطان!
وغضب صاحبي لا يتوقف عن اتهامي،
وزميلي، يشهر دوماً سلاحه (في وجهي)
وأعزّ أصدقائي يريد اختصار حياتي!
وعلانيةً، وفي قلب المحكمة، لعنني عبدي،
وأمام جمهور، روت خادمتي (عني) أشياء مشينة!
وعندما يراني أحد معارفي، فإنه يبتعد عنّي!
وتعاملني عائلتي، كأني لم أكن من لحمها!
الذي يتحدث عني بلطف، تعدّ له حفرة (قبره)
ويُرفع إلى القمة من يعلن المخازي بصددي!
يُعين الإلّه من يتحدث عني بأقوال لا يستحسن قولها،
ولكن الذي يتشفع لي، يستعجل الموت طريقه إليه!
وأمّا الذي يردّد المخازي بشأني، فملاكه الحارس
يحتفظ له بصحة جيدة.
ولم أجد أحداً يرافقني، ولم أرَ أحداً يشفق
على حالي.
ووُزّع كل ما كنت أملك على العوام والرعاع.
[..........]
طردوا من حقولي الألالا[1]، نشيد (الحصّادين) المبهج
ومثل نطاق عدوٍ، أحالوا إلى الصمت مُلكي!
جعلوا شخصاً آخر يأخذ مكاني في الطقوس المقدسة.
وسمحوا لغريب إقامة طقوسي!
لم يعد النهار غير تحسّر، والليل شاغله النحيب
الشهر كله أنين والسنة بكاملها يملؤها الأسى!

(١) (Alala) هو وقع نشيد الحصّادين المبهج.

طول أيام (حياتي) أنوح مثل حمامة
[وعوضاً] عن الإنشاد أصرخ عالياً شكواي
عيناي هما دوماً [في حال] البكاء دون توقف
وقد أحرقتْ دموعي [المتواصلة] وجنتي!
و [يظهر] على وجهي ما ينذر به قلبي
ولم تعد [تقاطيع وجهي] تعبّر إلا عن الخوف و [الرهبة] !
[................]

اللوحة الثانية

الزمن المحدد[١] مرّ من هذه السنة إلى السنة التالية
وأنّى حوّلت (وجهي) فهناك مصيبة تليها مصيبة!
الشر يتفاقم حولي ولا أجد أي بارقٍ لعدالة!
صرخت متوجهاً نحو إلّهي، ولكنه صدّ عني وجهه
رجوت إلّهتي ولكنها لم ترفع رأسها!
العرّاف، لم يتمكن في تكهّنه من تقرير مستقبلي؛
وعلى الرغم من إراقته قربانه السائل[٢]، فإنّ
مفسر أحلامي لم يتمكن من كشف سبب لحالتي:
توسلت إلى روح[٣] الأموات، فلم يعلمني[٤] شيئاً
كما أن المعزِّم في تدخّله لم يحل عقدة
الغضب الإلّهي ضدي.
كم هي غريبة حالته، يقال من حولي في كل مكان!
وإذا ما نظرتُ خلفي، فلا أرى غير الاضطهاد
والاضطراب.

---

(١) أو الزمن المرتقب، المأمول أن تزول معه المصائب وسوء الطالع.
(٢) أي الزيت أو الخمر.
(٣) شرحنا مفصلاً مدلول كلمة روح بمناسبة عرض النص رقم (٥٦) من هذا الكتاب ويمكن الرجوع إلى القسم (٥٦ ـ ب) منه وإلى ملاحظة السطر ٢١٥.
(٤) حرفياً: لم يفتح لي أذني.

مثل شخصٍ لم يقدم قرابينه السائلة[١] إلى إلّهه
أو مثل شخص لم ينادِ إلّهته لتناول وقعة طعامها
ولم يحنِ وجهه أو لم يسجد علانية.
مثل شخصٍ توقفت في فمه الأدعية والصلوات،
أو أغفل يوم الإلّه وأهمل الأعياد الشهرية،
وبسبب إهماله نسي إقامة طقوس الآلهة،
ولم يعلّم أهله خشية الآلهة واحترامها،
أو باشر تناول طعامه قبل ذكر إلّهه،
أو ترك إلّهته دون أن يقدم لها قربان الطحين،
ومثل شخص، وبشكل جنوني، نسي إلّهه
أو أقسم بخفة وبلا تواضع باسم إلّهه
قائلاً هوذا أنا صاحب الأهمية!
مع أني بشكل عفوي، بالأدعية والصلوات:
كان الدعاء بالنسبة لي حكمة، وكانت
التقدمات شرعتي.
يوم تبجيل الإلّه كان يوم بهجتي
ويوم تطواف الإلّهة كان كسباً وفائدة لي
وكنت أجد كل فرحي في الصلاة من أجل الملك
وكانت سعادتي في الاستماع إلى الموسيقى
الموجهة إليه.
عوّدت بلدي على احترام طقوس الإلّه
وعلّمت أهلي على محبة اسم الإلّهة
وجعلت مديح الملك يماثل تسابيح الإلّه.
وعلّمت الشعب خشية القصر.
وكنت أعتقد حقاً أن كل ذلك كان

(١) راجع الهامش (٢) على الصفحة السابقة.

مُرضياً للإلّه!
ولكن ما هو حسن لنا، هل يكون إذن
مسيئاً للإلّه!
وهل ما تكرهه أنفسنا يمكن أن يكون
مرضياً للإلّه!
من الذي يمكنه التعرف على إرادة الآلهة
في السماء؟
ومن يستطيع تفهم المقاصد الإلّهية
في الأعماق السحيقة؟
أين يمكن للبشر، معرفة طرق الإلّه؟
مثال من كان البارحة يتمتع بوافر الصحة
وهو اليوم في نزعه الأخير.
ومثال من كان منكمداً فجأة ثم يسترجع
ابتهاجه دفعةً واحدة.
ولزمن عطْسةٍ، ينشد لحناً مفرحاً،
وفي الخطوة التالية يتفجّع مثل نائح.
الناس في لمحة بصر، يُبدِّلون رأيهم.
إنهم كالجثث حين يجوعون،
ولئن أُتخموا يريدون مضاهاة الآلهة.
يتحدّثون عن بلوغ السماء في سعادتهم
ويشكون عند الألم بأنهم ينزلون
إلى العالم السفلي!
أسائل نفسي أمام هذه (التناقضات)
دون التعرّف على مغزاها العميق
وأنا، المرهق تعباً، فإنّ عاصفة
تلاحقني!

استولى عليّ مرض موهن
وهبّت نحوي ريح شريرة من أعماق الأفق.
ومن سطح العالم السفلي انتشرت نحوي
الحمّى دي ـ أو[١]
ومن (مكمنه) في الأبسو[٢] خرج الزكام السيّىء
ومن الإيكور[٣] ظهر فجأة أوتوكّو[٤]
الشيطان الذي لا يقاوم
ونزلت الشيطانية لاماشتو[٥] من قلب الجبل[٦]
وكأنه مع فيض [النهر] جاءت القشعريرة المُثلِجَة،
ومع الخضرة نبت السقم على الأرض:
كل هذه الأوجاع [مجتمعةً] اقتربت مني،
أصابت رأسي وشدّت على جمجمتي،
كمدَ [وجهي] وسالت عيناي؛
امتدت الأوجاع إلى عنقي وشلّت رقبتي
ثم أصابت صدري وضربت ثديي،
عذّبت جسدي وأوقعتني في التشنّجات،
وفي الجهة العلوية من بطني، أشعلت ناراً،
قَلَبَتْ أحشائي وجعلت أعضائي [تضطرب]
مما أسال رِيالي، ونقل الحمى إلى رئتيّ.
كما أصابت الحمى أعضائي، وجعلت شحمي يرتجف،
هدمت الأوجاع قامتي العالية (فانهارت) مثل جدار

(١) (di-ou) يُعتقد أنها حمّى الجدري.
(٢) (Apsu) محيط المياه العذبة الباطنية ومقرّ الإلّه إيا.
(٣) (E. Kur) بمعنى بيت الجبل ويشير هنا إلى العالم السفلي.
(٤) (Outoukkou).
(٥) (Lamashtou).
(٦) المقصود بالجبل العالم السفلي.

ومثل عود قصب محني، أناخت على منكبيّ العريضين.
أنا متهالك مثل عشب مطويّ وتمددت منبطحاً ووجهي إلى الأرض!
دخل الشيطان آلو[١] جسدي وارتداه مثل كساء،
كما غمرني الخَدَر وكأنه الشبكة،
تنفتح عيناي ولكنهما لا تريان،
أذناي مفتوحتان ولكنهما لا تسمعان[٢]
تملّك الشلل كل جسدي
وسقطت الصدمة على بشرتي
واستولى التصلّب على ذراعي،
وجاء انتشار التفسّخ متلفاً ركبتي
ونسي قدماي أنهما كانا يمشيان
هجمت عليّ نوبة، وفجأة أنا أختنق،
الموت [هنا حاضر] وقد غطّى وجهي
لم أعد أجيب مفسّرَ الأحلام عندما
يهتم بحالتي.
[عائلتي] تبكيني. فقدتُ وعيي
وُضِعت كِمامة على فمي
ومزلاج يغلقُ على شفتي:
«بابي» مترس و «نبعي» موصد عليه.
طال عدم تقبّلي للطعام وانسدّ حلقي.
لئن أُعطيتُ حَبّاً، فكأنني أبتلع نتانةً
والجعة، المحببة للبشر صارت ممجوجة بالنسبة إليّ،
وبالإضافة إلى ذلك فإن مرضي طال زمنه؛

(١) (Alou).
(٢) انظر إرميا (٥ : ٢١) في: «الذين لهم أعين ولا يبصرون، لهم آذان ولا يسمعون».

وبسبب نقص الغذاء، تبدّلت تقاطيع وجهي،
استرخى بدني وانسكب دمي؛
وارتسمت عظامي تحت جلدي الذي وحده كان يغطّيها
والتهبت عضلاتي لأنها أصيبت بمرض الأوريقتو[1].
طُرحت في فراشي وكأنه السجن، لم يعد (الخروج)
يمثّل سوى أنيني،
وإلى معتقلٍ تحوّل بالنسبة لي بيتي
صار جسدي غلاف شوائب، (حيث)
توقفت حركة ذراعيّ،
أصبحت أنا نفسي سلاسل كبّلت رجليّ.
مؤلمة الصدمة التي أصابتني والجرح
الذي سبَّبَتْهُ خطر
لسعني سوط مملوء شوكاً
والمنخس الذي طعنني كان ذا رؤوسٍ حادّة
طول اليوم مضطهدٌ يعذّبني
وفي الليل لا يترك لي لحظة لأتنفّس!
الاضطراب الذي أنا فيه، عطّل حركة عضلاتي،
أطرافي الـمُقطّعة الأوصال ممدودة في جهة وأخرى،
في مزبلتي، مثل ثورٍ أمضيت لياليّ،
ومثل خروف تمرّغت في برازي،
أخافَتْ أعراضُ مرضي معزّمي
وجعلت منذرات فألي السيئة عرّافي يضطرب؛
لم يستطع المعزّم كشف طبيعة مرضي
ولا العراف تمكن من وضع حدّ لآلامي.

---

(١) (Ouriqtou).

لم يأت الإلّه لعوني ولم يأخذ بيدي
ولم تشفق عليّ إلّهتي ولم تقترب منيّ!
كان قبري مفتوحاً وزينتي (الأخيرة)
كانت منذ ذلك الوقت جاهزة.
وحتى قبل موتي، كان قد تم إعداد مرثاتي!
جميع أهل بلدي قالوا عنّي: «إنه
عومل بشكل غير عادل!»
ولدى سماع الخبر، فالذي كان يريد بي
شرّاً، يستنير وجهه
وعندما كان ينقل الخبر لمن كانت تريد بي
شراً كان قلبها يبتهج.
ولكنني أعرف اليوم، حيث جميع عائلتي
وحيث بين معارفي، فإن شمسهم[(١)]
سوف تشفق عليّ

اللوحة الثالثة

ثقيلة عليّ كانت يده، ولم يكن باستطاعتي تحملها
رهيبة كانت خشيتي منه [...]،
[وجهه؟] كان غاضباً، والطوفان بالذات
هو [صوته]
تصرّفه كان عنيفاً، [.....]
وبسبب ذلك المرض المضني، لم أعد
[أعرف] نفسي،
فقدت وعيي وكان مرضي يجعلني أهذي.

---

(١) شمس العائلة والمعارف الذين هم بجانبه هو الإلّه مردوك وهو الأمل بمنح الشفاء، ونجد مثل هذا الأمل في سفر أيوب (١٩: ٢٥).

وليل نهار وبشكل متماثل كان مستمراً أنيني،
وفي يقظتي كما في حلمي [كنت] شديد المرض.

الحلم الأول:

(عند ذلك)، دخل عليّ[1] رجل شاب ذو قامة خارقة،
جسمه رائع التناسب، وكان ناصعاً في ألبسته
[.....................][2]
كان مكسواً بتألّقٍ خارقٍ للطبيعة، والرعب رداؤه،
(دخل عليّ) وأخذ مكانه وقوفاً فوقي،
وعندما [رأيته]، شلّ جسدي (رهبةً).
قال لي «السيدة، أرسلتني لأقول لك
[.....................]

الأسطر الخمسة التالية مشوهة مما لا يمكّن من متابعة محتوى الحلم الأول بشكل ملائم إلا أنه أمكن قراءة ما يلي:

«أنا أُعلنه . . .» و «طلبت من الملك بالذات. . .»
و «بصمت إنهم . . .» و «بهدوءٍ أنصتوا
إليّ . . .»

ولا يتضح النص إلا عند سرد الحلم الثاني.

الحلم الثاني:

[.....................]

---

(١) حوفظ هنا على التعبير الحرفي بالأكادية عوضاً عن استعمال تعبير ظهر لي.
(٢) السطر ١١ متعذر القراءة كما يعتقد بأنه أدخل خطأً.

وللمرة الثانية [أتاني حلم]،
وفي الحلم الذي رأيته [تلك الليلة]،
[ظهر أمامي] كاهن مكلّف بالتطْهير[١]
وكان يمسُك بيده غصن الطَّرْفاء[٢] المُطَهِّر:
«لال ـ أور ـ آليمّا»[٣]، المكلف بالتطهير في نفّر[٤]،
أرسلنيّ إليك لتطهيرك».
[سكب] عليّ الماء الذي كان يحمله
ثم تلا تعويذة الحياة[٥] ودلّك لي جسمي.

الحلم الثالث:

وللمرة الثالثة رأيت حلماً
وفي الحلم رأيت في تلك الليلة
فتاة جميلة المظهر،
ملكة الشعوب، الشبيهة بإلّهة
دخلت عليّ وجلست [قرب فراشي] (قلت لها):
«اطلبي الرحمة من أجلي، [أنا الذي لا تُحتمل آلامي]
ـ «لا تخشَ شيئاً[٦]، قالت لي، [سأتشفع لك] ...»
ثم قالت: «الرحمة لمن ألمه كألمك
أيّاً كان، والذي خلال الليل أتته هذه الرؤيا!»
وفي الحلم (ظهر أيضاً) أور ـ نيندين ـ لوجّا[٧]

---

(١) الكاهن المكلف بتطهير المكان أو الأشخاص.
(٢) غصن الطرفاء يستعمل في التطهير إذ يُرشّ بواسطته الماء المقدس.
(٣) (Lal-Our-Alimma) يحافظ النص هنا على الشكل السومري للاسم كما هي العادة في فترة الاحتلال الكوشي حوالى (١٥٥٠ ـ ١٣٠٠ ق. م)، التي عرفت نشاطاً ثقافياً كبيراً.
(٤) (Nippur) مدينة إنليل التي كانت لها الزعامة الدينية في الفترة السومرية.
(٥) أي التعويذة التي كان المريض أو الميت يدعى بواسطتها إلى الحياة.
(٦) هو التعبير الذي يستعمل عادة في بداية كل تدخل إلّهي.
(٧) (Our-Nindin-Lougga) حوفظ على الشكل السومري كما ورد في الملاحظة (١).

البابلـ [ـلي (؟)]،
شابٌ ملتحٍ وعلى رأسه (عمامة)،
إنه معزّم في المملكة ويحمل بيده لوحة؛
«مردوك بالذات، قال لي، أرسلني لأقول لك:
«إلى شوبشي ـ ميشري ـ شاكّان[١] احمل اليسر!»
هكذا عهد بي (مردوك) للمكلف بشفائي.
[وفي] حالة اليقظة، وجّه إليّ رسالةً منه،
إذْ أعطى أهلي إشارة واضحةً منه لمنح نعمته،
[فانتشلني عاجلاً] من السوء الذي طال أمده،
وانتهى فجأة مرضي، وكُسرت [قيودي]
وبعد أن [ارتاح] قلب إلّهي
وبعد أن هدأت روح مردوك الرحيم
واستمع إلى توسلاتي [وتقبل صلواتي]
[وعبّر بصددي] عن تبد [يل] موقفه إلى الرفق بي،
فمنحني نعمته، أنا الذي طالما برّح بي الألم...

السطران (٥٥ و٥٦) مشوهان وقد أهملا كلية، أما الأسطر (٥٧ ـ ٥٩) فقد أعطي بصددها وبشكل تقريبي المعنى العام.

[فحل عقدة الخطايا التي كنت ارتكبتها ...]
و [أبعد] العقاب الإلّهي، الذي [تحمّلته ...]
و [غفر] لي التجاوزات التي [كنت ارتكبتها ...]
وجعل الريح تحمل جميع هفواتي!

(١) (Shubshi-Meshrê-Shakkan) هو اسم الرجل العادل المريض.

وتساعد كسرة اللوحة المسجلة تحت رمز (Sl 55) للتعرف على تدخل الإلّه مردوك لشفاء الرجل العادل من أمراضه الواحد تلو الآخر.

[.....................]
وضع [بالقرب] منّي التعويذة التي تقيّد [المرض]
وطرد (بعد ذلك) الريح الشريرة حتى أعماق الأفق[١]
ومن على سطح العالم السفلي جعل [الحمّى دي ـ أو] تختفي،
وإلى مكمنه في الأبسو[٢]، جعل الزكام السيء ينزل؛
وأرسل إلى الإيكور[٣]، الشيطان
أوتوكّو[٤] الذي لا يقاوم.
كما طرد حتى بلوغ الجبل الشيطانة لاماشتو[٥]؛
وإلى النهر في فيضانه وإلى البحر أودى
بالقشعريرة المثلجة؛
ثم اقتلع مثل عشبةٍ جذور التفسّخ
وأجبر الخَدَر الشرير الذي كان يستولي على نومي
على التبدد مثل دخان يملأ السماء
«مصائبي!» و «تأوهاتي!» [......]
جعلها مثل ضباب تنهض ثم [تختفي في] الأرض؛
وألم الرأس المتواصل الذي كان
يثقـ[ـلني مثل سحاب (؟)]
فقد أسقطه كما ينزل ندى الليل وطرده من فوقي؛

---

(١) هذا السطر وما يليه، هو نص جوابي أي مكمّل لما ورد في اللوحة الثانية الأسطر (٥١ ـ ٥٥).
(٢) (Apsou) محيط المياه العذبة الباطنية.
(٣) (E. Kur) بمعنى بيت الجبل وهنا بمعنى العالم السفلي.
(٤) (Outoukkou).
(٥) (Lamashtou).

وعيناي المعميتان اللّتان انسدلت عليهما رواسب الموت
عاد إليهما وضوح الرؤية عندما أبعد الرواسب
إلى بعد ٣٦٠٠ (مسافة)[١]؛
وأذناي اللتان كانتا مسدودتين ومسطومتين
(مثل أذني) أصمّ ـ أبكم.
نزع منهما أُقهما وفتح لي سمعي،
وأنفي الذي كان بسبب استمرار الحمى
مُختنِق التنفس،
أسْكنَ إصابته لكي أتنفس [بارتياح]
ومن على شفتيّ اللّتين كانتا لاهبتين[٢] وأصيبتا بـ [. . .]
مسَحَ الرعبَ وحلّ عقدة التقلّص؛
وفمي الذي كان مغلقاً وغير
قادر على الحديث؛
نظّفه كما يُنظّف النحاس وأعاد اللمعان إلى كَمَده؛
وأسناني التي كانت محشورة ومتقلّصة مثل كتلة،
فتحها بمباعدتها و [حرّر] جذورها؛
ولساني الذي كان مشنّجاً وغير قادر على الحركة
فقد نظّفه من دَنَسِه (؟) واستعاد لساني طلاقته؛
وحلقي[٣] الذي كان منسدّاً وكان
يختنق لانسطامه
فقد أعاده إلى حالة (جيدة) وأصبح صدره[٤]

(١) لم يشر النص المعتمد إلى التسمية الأكادية للمسافة، وقد استعملنا لها تعبير فرسخ في مناسبة أخرى، النص رقم (٧٤).
(٢) حرفياً بمعنى مسعورتين (؟).
(٣) أو قصبة تنفسي.
(٤) صدر المريض أو صدر القصبة.

يغنّي مثل ناي:
وقاعدة لساني التي كانت منتفخة وما عادت تتلقى [الهواء]
اختفى عنها مَذَرها[١] وانفرج انحصارها.
[.....................]

يتوقف هذا المقطع بعد بعض الأسطر المشوهة أمام فقدان تتمة هذا الجزء من اللوحة. وهناك بقايا لتدخل الإلّه مردوك يمكن تقديمها فيما يلي بشكل منعزل ودون ترقيم، مأخوذة عن كسرة لوحة ترتبط بمحتوى النص. وهنا، الرجل العادل هو المتكلم:

[................]
وعلى ضفاف النهر (القاضي)، حيث يتقرر الحكم على الناس[٢]
تمّ تدليك جبهتي وحررت من عبوديتي[٣]
واجتزت بعد تحرري الطريق كونوش ـ قادرو[٤]. . .
وعلى الذي ارتكب خطيئة ضد الإيساجيل
أن يتعلم من مثالي[٥]
مردوك هو الذي كمّ فم الأسد الذي كان يفترسني
مردوك الذي انتزع مقلاع من كان يطاردني
وأعاد إليه حجره.
[................]

اللوحة الرابعة

القسم الأول من هذه اللوحة إما مشوّه أو مفقود.

---

(١) طبقة تعلو اللسان في بعض الأمراض.
(٢) يذكر هذا السطر بالاحتكام إلى النهر للمقاضاة.
(٣) حرفياً: من خصلة الشعر الآبّوتّو (abboutou) التي كانت ترمز إلى حالة العبودية.
(٤) (Kounoush-Kadrou) وهو اسم طريق الطواف في بابل ومعناه الأكادي «إحنِ رأسك أيها القادر». وحافظت العربية على فعل كنش في: كنش المسواك أي ليّن رأسه.
(٥) حرفياً ليشاهدها في يدي.

[.....................]

شاهد البابليون كيف [مردوك] يعيد الحياة

وفي جميع المناطق، مجّد البشر عظمته:

من هو الذي قال بأنه سيرى شمسه؟

ومن الذي بمقدوره التفكير بأنه سيذهب

إلى نهاية طريقه؟

من غير مردوك، يمكنه إحياء (أحدٍ)

من حالة موته؟

وأية إلّهة غير زربانيتو[١] يمكنها منح الحياة؟

مردوك يمكنه من القبر إعادة الحياة،

وتعرف زربانيتو كيف تنقذ من الكارثة!

أنّى تنبسط الأرض وتمتد السماوات

وأنى تتألق الشمس وتشتعل النار،

وأنّى يجري الماء وتنفخ الريح،

فالذين دَبَّجتهم آرورو[٢] من الصلصال البدئي[٣]

المخلوقات الذين مُنحوا الحياة ويسعون[٤]

أيها البشر، في كل الأحوال، أنشدوا

مجد مردوك!

[.....................]

بعد نقص حوالى ثلاثين سطراً يتابع خلالها الرجل العادل، كما هو مرجّح إنشاد

---

(١) (Zarpanitou) قرينة الإلّه مردوك.

(٢) (Aruru) إلّهة ـ أم خلقت البشر من الصلصال.

(٣) حرفياً: قرصت قطعة صلصال.

(٤) حرفياً: تتحرك أرجلهم.

المدائح لمردوك ولقرينته زربانيت. وعندما يستأنف النص، يذكر الرجل العادل طوافه للشكر في معبد الإيساچيل[١] في بابل واستكمال استعادته للصحة والسعادة.

[.....................]
[في متابعة] السجود والرجاء، [ذهبت
إلى الإيساچيل][٢]،
[أنا الذي كنت نزلت إلى القبر، عدت إلى
بوابة ـ شمـ [ـس ـ الشروق][٣]
وعلى بوابة ـ الرخاء، [أعيدت إليّ] الوفرة
وعلى بوابة ـ الملاك ـ الحارس[٤] عاد [القربي]
ملاكي الحارس
وعلى بوابة ـ الخلاص، وجدت خلاصي،
وعلى بوابة ـ الحياة مُنحت هبة الحياة.
وعلى بوابة ـ شمس ـ الشروق عُددت
[من جديد] من بين الأحياء.
وعلى بوابة ـ وضوح ـ النذير، توضحت
المنذرات بصددي
وعلى بوابة ـ حل ـ الخطايا، غُفِرت
لي خطاياي
وعلى بّوابة ـ المدائح، تمكن فمي من السؤال
وعلى بوابة ـ وقف ـ التحسّر، توقف تأوهي.
وعلى بوابة ـ الماء ـ الطاهر، رششت

(١) (Esagil) معبد الإلّه مردوك في بابل ومعناه: البيت ذو الرأس الشامخ.
(٢) اسم إحدى بوابات معبد الإيساچيل في بابل.
(٣) اسم إحدى بوابات معبد الإيساچيل في بابل.
(٤) هو الإلّه الشخصي الذي يرافق كل فرد ويتوسط من أجله ويتشفّع له أمام الآلهة العظام.

نفسي بالماء المقدس
وعلى بوابة ـ الخلاص، التقيت بمردوك
وعلى بوابة ـ منتهى ـ الكمال،
قبلت رجل زربانيتو
ولم أتوقف أمامهما عن الصلاة
والرجاء والدعاء
وضعت أمامي البخور ذا الرائحة الذكية
كدست الهدايا والقرابين والهبات،
ضحيت بثيران سمينة وذبحت خرفاناً وازنة (؟)
قدمت قرابين سائلة على قرابين سائلة
من الجعة الممزوجة بالعسل والخمر الصافي
وإلى ملهم الخير، وإلى الملاك الحارس
وإلى المساعدين الإلّهيين ضمن جدران الإيساچيل
بواسطة تقدمات [غزيرة] نوّرت مزاجهم
وبواسطة موائد طعام وفيرة
أبهجت قلوبهم!
[.....................][١]

(١) الأسطر الثلاثة الأخيرة مشوهة.

(٧١) ـــ الحوارية البابلية
حول العدالة الإلهية

١ ـ في نقاش آخر، حول العدالة الإلَهية وفي شكلٍ يختلف عن قصة العادل الذي يتألم، موضوع النص السابق، وصلنا نص بابلي مهمّ على شكل حوارية، يطرح مشكلة العدالة الإلَهية.

ومؤلف هذا الحوار الفلسفي الوجودي وشبه الديني هو ساچيل ـ كينامويّيب[١] الذي عاش في فترة حكم نبوخذ نصّر الأول (١١٢٤ ـ ١١٠٣ ق. م)، وهو من الحكماء الذين وردت أسماؤهم في لائحة «كبار مثقفي الأزمنة القديمة» التي أشرنا إليها بصدد النص السابق.

٢ ـ يتألف هذا العمل من حوالى ٣٠٠ سطر موزعة على ٢٧ مقطع شعري يحتوي كل مقطع على أحد عشر سطراً وهو من القصائد المطرزة أي أن أسطر كل مقطع شعري تبدأ بنفس المقطع اللفظي ومجموع المقاطع اللفظية السبعة والعشرين تمكن من قراءة اسم المؤلف في جملة:

«أنا ساچّيل ـ كينامويّيب[١] الكاهن المعزّم
المخلص للآلهة وللملك»

---

(١) (Saggil-Kênamoubbib).

وهذا النص الذي تعود كتابته إلى نهاية الألف الثاني لما قبل الميلاد وصلتنا عنه نسخة مكتبة أشور بانيبال (٦٦٨ ـ ٦٢٧ ق. م)، ونسخ أخرى أحدث منها.

٣ ـ في هذه القصيدة يتم تبادل الحوار والنقاش على التوالي عبر المقاطع السبعة والعشرين ما بين مثقفَيْن:

الأول: شكّاك ويائس وسيّء الحظ.

والثاني: مؤمن بالعدالة الإلّهية ومتفائل.

وفي أثناء عرض النص سوف نشير على رأس كل مقطع إلى رمز المحاور بواسطة الحرفين (ش) للشكاك و (م) للمؤمن.

٤ ـ ينتهي الحوار بالاعتراف بأن البشر، لا يمكنهم معرفة «قلب» الإلّه ومقاصده وبعيد ذلك عنهم كما هي بعيدة «أعماق السماوات». وفي الختام يعود الشكاك اليائس لطلب عون الآلهة والاستعانة برعاية الإلّهة وشفقتها.

٥ ـ ولا بد من الملاحظة بصدد هذا النص الحواري بأن التطريز والتحشية على ما نعتقد، كانا من الأسباب التي أضرت بعمق الحوار وقلّصت مداه.

المقطع الأول (ش)

1 «أيها الحكيم ـ [يا صديقي][1] دعني أقل لك [ما يحزنني].
استمع إليّ! أريد إعلامك [عن متاعبي]؛
[بما أنك] رفيقي أنا [أتوجه] إليك!
[أشفق عليّ] أنا الذي أتألم! وسوف
أنشد مدحك إلى الأبد!

(١) مطلع المقطع الأول قُدمت عنه استعادة تقريبية.

أين لي (أن أجدَ) رجلاً يحسن النصح مثلك؟
أين لي (أن أجد) حكيماً يضاهيك؟
أين لي (أن أجد غيرك) ناصحاً أسرُّ إليه بقلقي؟
لم أكن قد بلغت أشدي بعد، عندما انقضّ علي العذاب.
أنا آخر إخوتي، وقد حرمني القدر من الذي ولدني
وأمي التي ولدتني، ذهبت إلى بلاد اللاعودة
أمي وأبي تركاني دون أحد لرعايتي!

المقطع الثاني (م)

ـ يا صديقي المحترم، ما تقوله هو حقاً محزن
ولكن، أيها العزيز جدّاً، إذا ما تركت روحك
تتغذّى بالأفكار السيئة،
تجعل عقلك رغم رجاحته، يماثل عقل القاصر،
وأراك بدّلت تقاطيعك المنيرة بمظهر معتم!
آباؤنا، مآلهم السير على طريق الموت؛
ومنذ الأزل اجتياز نهر العالم السفلي،
ولكن، إذا ما نظرت إلى البشر في مجموعهم،
فليست [المصادفة][١] هي التي أثْرتْ
بِكْراً لا حيلة له:
والسمين ممتلك الثروات، من الذي يسّر حاله؟
وحده يبلغ النجاح، من تطلّع نحو وجه الإلّه
ووحده، عبد الإلّهة المتواضع يراكم الكثرة.

المقطع الثالث (ش)

ـ قلبك، يا صديقي، هو مياه تتفجّر، لا يشحّ نبعها،

---

(١) ليس مؤكداً معنى هذا السطر.

إنه كمجموع مياه البحر التي لا تنقص أبداً!
عليك إذن، سأطرح سؤالي! أصغ جيداً إلى حديثي،
أعرني للحظةٍ انتباهك، استمع إلى كلماتي:
جسمي منهار، واستمرار الهزال حرمني من ألوان سيمائي؛
أُبعد عنّي نجاحي وزالت الكثرة من يديّ
ضعفت قدرتي وانعدم وفري،
الانهيار (العصبي) والهموم اعتما تقاطيع وجهي.
وقمح حقولي، أضحى بعيداً عن إشباعي
والجعة القوية التي أملك، (الجعة) حياة البشر
هي قليلة جداً لكي تروي عطشي.
هل ستتأمن لي مستقبلاً حياة رغيدة؟
أودّ معرفة كيفية التوصّل إليها!

المقطع الرابع (م)

ـ إنني أزن جيداً ما أقوله[1]، [ولكن . . .]
بدّلت بحديث مبهم ما كان في آرائك
(سابقاً) يمتاز بالدقّة،
لقد فرضت على [عقلك] التيه وعدم الصواب
وجعلت من [حكمك] الممتاز، حكماً أعمى
إلى الأبد وباستمرار، سوف يعاد إليك
ما ترغب به،
ولكن حمايتك [السابقة] سوف [تستردها]
بواسطة الصلوات

---

(١) حرفياً: أنا أراقب فمي.

وبتقديم تضحيات القرابين، فإن إلَهتك، عندما
يسكن قلبها ستعود إليك.
[والآلهة] الذين لم يمنحوك الرخاء، سوف
تتملكهم الشفقة أمام تضرعاتك.
أدر وجهك دوماً نحو [تطبيق] العدالة
و [سيدك] الكلي ـ القدرة سيظهر نحوك طيبته
ويبعد عنك [غضبه] ويمنحك عطفه.

المقطع الخامس (ش)

ـ أنا أنحني أمامك أيها الصديق، لأنني فهمت حكمتك
[تابعت جيداً] ما عبّرتَ عنه
ودعني، لو سمحت أن أقول لك [شيئاً آخر]:
الحمار الأخدري، هذا الحمار الوحشي الذي
يتخم نفسه من [نتاج حصادنا]
هل يعير أذناً صاغية للكاهن الذي
يؤكد تحقيق إرادة (الآلهة) ؟
والأسد المفترس الذي لا يأكل إلا أجود اللحم
هل يقوم بتقديم قربان طحين،
لتهدئة غضب الإلَهة؟
والحديثُ الثَراء الذي تضاعفت حقاً ممتلكاته،
هل يزن من أجل مامي[1] الذهب الثمين؟
أتقاعست أنا، عن تقديم القرابين؟
لقد صليت إلى الإلَه
وبكل تقوى قدمت إلى الإلَهة قرابيني بانتظام

(١) (Mami) الإلَهة ـ الأم.

وكلماتي كانت [صادقة!]

المقطع السادس (م)

ـ أيتها النخلة، يا شجرة الثراء، أي أخي الغالي،
أنت بكل حكمة تتحلى، يا جوهرة الذهب الخالص!
أجل يمكنك أن تشاهد في السهوب
الحمار الوحشي الرائع (الجمال)
ولأنّه يكحت الحقول التي يدوسها
يتوجه السهم نحوه!
هل تريد أن تتأمل، عدوّ الماشية، هذا الأسد
الذي ذهب تفكيرك إليه
من أجل الأضرار التي يرتكبها، فإن الحفرة
قد أعدت له
أما الحديث الثراء ـ الذي تتراكم أرزاقه
فإلى النار وقبل دنو ساعته، فإن
الملك (غالباً) ما يحيله إلى اللهب
هل ترغب باتباع الطريق الذي اتخذه هؤلاء؟
أحرى بك أن تسعى إلى محاسن نعمة
الإلّه الدائمة!

المقطع السابع (ش)

ـ عقلك، هو نسيم الشمال ونَفَسه محبب إلى البشر
رأيك ممتاز، يا أفضل الشركاء!
إلا أن كلمة واحدة فقط أريد إضافتها أمامك:
إنه لطريق سعادة هو الذي يتبعه
مَن لا يبحثون عن الإلّه،

بينما يتحول إلى الفقر الـمُتدينون المتحمّسون للإلَهة
ويفقدون ممتلكاتهم!
منذ أيام شبابي الأولى توجّهت بنفسي
نحو إرادة الإلَه
بالتعبّد والصلاة بحرارة وورع، وفتّشت عن الآلهة
ومثل نيرٍ حملت عبوديّتي دونما فائدة:
ولم يمنحْني الإلَهُ غير العوز عوضاً عن الغنى؛
فالأكسحُ يفوقني والمجنون يسير أمامي،
النذْل يبلغ القمة وأنا يُنتقص من قدري!

المقطع الثامن (م)

أيها الرجل الفاضل، (على الرغم) من ذكائك،
فكل ما تكرّره هنا باستمرار لا معنى له!
لقد تخليت عن الحق وهزأت بنوايا الإلَه!
ورغبت في داخلك أن تتوقف عن ممارسة الطقوس الإلَهية،
و [في داخلك] نسيت الأنظمة الحقيقية
لاحتفالات الإلَهة.
مقاصد الإلَه [هي بعيدة عنا] كما هي
بعيدة أعماق السموات،
لا يسعنا أن نسمع ما يخرج من فم الإلَهة.
ويبقى [البشر] عاجزين عن فهمها تماماً،
أفكار (الآلهة) تبقى متعذّرة على البشر]
[ومن المحال على البشر] التعريف بطرق الإلَهة
لأنّ الأرض قريبة من عقلهم [....]
[.....................]

هناك نقص في مصادر هذا النص يحرمنا من المقاطع (٩ و١٠ و١١) وما بقي من المقطع ١٢ ، لا يسمح بتقديم محتوى متسلسل بسبب التشويه. وفي المقطع ١٣ لدى استئناف النص فإن الشكاك (ش) هو الذي يتكلم.

المقطع الثالث عشر (ش)

«أريد هجر بيتي [.......]
أنا لا أريد احتياج أي شيء بعد
الآن [...]
أريد نسيان مراسم الآلهة، ودوس
طقوسها بقدميّ
أريد ذبح عجل و [تموين] الغذاء
أريد الذهاب بعيداً من هنا،
أريد ركوب البحر
وسوف أفتح ثقباً وأترك الماء
يتدفق منه
ومثل لص، سوف أحوِّم عن
بعدٍ حول الريف
وسوف ألج بيتاً بعد بيت
لأسدّ جوعي
وسوف أنبش جائعاً في جميع الاتجاهات
وأسلك جميع الطرق.
ومثل متسول سوف أعود إلى [مدينتي (؟)]
لقد ابتعدت السعادة عني
[..........] !

نقص جديد في النص حتى المقطع (٢٢) وفي الجزء المتبقي منه فإن المؤمن هو الذي يتولى الإجابة:

المقطع الثاني والعشرون (م)

[«. . . . .]
النصّاب الذي كنت تحسده على
وجهه المشرق،
فالموسيقى التي تتبع خطاه،
دفعة واحدة تتوقف
والنذْل الذي ضدّ رضى الآلهة
استحصل على ثروته
فإن سلاح مجرم سوف يلاحقه!
ما هي فائدتك إذا أنت لم تسعَ إلى إرادة الإلّه؟
الذي يجرّ نير الإلّه، معاشه اليومي مؤمّن،
مهما كان هزيلاً
إسعَ إلى نفحة الآلهة الراضية.
وعند ذلك فإن ما فقدته خلال عام
يردّ إليك على الفور.

المقطع الثالث والعشرون (ش)

ـ مهما نظرت إلى هذا العالم
فالإشارات تتناقض
كلا، فالإلّه لا يسد الدرب أمام الشيطان!
أنظر إلى الأب الذي يسحب السفينة في القناة
بينما كبير أبنائه يرتكب الفسق في فراشه!
الأخ البكر يشق طريقه (بحيوية) الأسد
ويبتهج الأخ الأصغر بسوق بغلٍ إلى التدرج.
أحد الوارثين يجوب الشوارع في كل
الاتجاهات عاملاً كحمّال،

بينما أخوه الأصغر يقدم الطعام للفقراء!
أما أنا، الذي تذلّلت أمام الإلّه
ما الذي ربحته بالمقابل؟
هأنذا راكع عند رجليّ من هو أدنى مني مرتبة
والرجل الفظُّ الميسور الثراء، يعاملني بازدراء!

المقطع الرابع والعشرون (م)

ـ أيها الخذِر والعالم، يا ملك الحكمة،
ها أنت: بسبب عذاب نفسك
تسيء معاملة الإلّه!
قلب الإلّه بعيد عن متناولنا
كما هي بعيدة عنا أعماق السموٰات.
شاقّة هي معرفته والبشر يجهلونها:
الذين خلقتهم آرورو[١] بيدها هم كائنات
حيّة بشكل متساوٍ
ولماذا إذن يولد البكر وهو دوماً
أضعف (من الذي يليه).
أول عجل تلده بقرة لا قيمة كبيرة له
بينما يساوي الصغير الذي يليه ضعف قيمته.
الطفل الواهن تتمّ ولادته أولاً
ولكن «البطل الصلب» هو الاسم الذي
(يطلق) على الثاني.
مهما حاول البشر التعرف على مقاصد
الإلّه، فإنهم يجهلونها!

---

(١) (Aruru) إلّهة ـ أم لها دورها في عملية خلق البشر.

المقطع الخامس والعشرون (ش)

ـ انتبه إلى ما أقوله يا صديقي
وحاول تفهّم أفكاري
تأمل فيما أسعى لقوله باذلاً
أقصى ما بوسعي
يُشاد بكلمات الوجيه
الذي (انغمس) في تجربة الجريمة
وتُحطّ قيمة البائس الذي لا يضرّ أحداً.
يُستمر في (تكريم) الشرير
الذي يمقت العدالة
ولكن يطرد العادل، المتنبه إلى إرادة الإلّه!
يُمْلأُ بالذهب كنز القرصان
ولكن عنبر المسكين يفرّغ من مؤونته!
تزاد سلطة الرجل المتعجرف الذي
كل شيء لديه خطيئة،
ولكن الضعيف نقضي عليه ويطرد الهزيل.
أما أنا، العديم الأهمية فإن
حديث الثراء يضطهدني!

المقطع السادس والعشرون (م)

ـ ملك الآلهة نارّو[١] خالق البشر
وزولومّار[٢] المجيد، الذي شكّل الصلصال،
والملكة التي صنعتهم مامّي[٣] السنيّة،
وهبوا البشرية محاكمة عقلية مبهمة
وما زودوهم به إلى الأبد، ليست الحقيقة
بل الخطأ.
ولذلك فبالكلمات الرنّانة يتم التحدث
لصالح الغنيّ:
«إنه ملك، يقال عنه، الثروة ترافقه!»
ولكن الفقير البائس، فتُساءُ معاملته
وكأنه لص،
تغدق عليه النميمة ويتم الاستعداد لقتله
تلصق به كل الشرور بشكل كاذب
لأن لا حاميَ له
وبالإرهاق يتم القضاء عليه ويُطفأ مثل شعلة!

المقطع السابع والعشرون (ش)

ـ أنت شفوق، يا صديقي! فاعتبر
إذن قلقي!
تعالَ لمساعدتي! أنظر إلى ألمي! واعلم:
بأنني كنت ساهراً[٤] ومُحتَرِماً وراجياً؛

(١) (Narrou) أحد أسماء الإلّه إنليل سيد مجمع الآلهة.
(٢) (Zulummar) أحد ألقاب الإلّه إيا (Ea)، إلّه الحكمة والخلق ومهارة الصنع.
(٣) (Mami) أو مامّي الإلّهة ـ الأم.
(٤) أي ساهر على إقامة الطقوس ومحترم للآلهة ومتضرع إليها.

ولم أجد قط ولو للحظة واحدة العون أو المساعدة
مشيت دون ضجيج في ساحات مدينتي،
وصوتي كان دون دويّ وكلمتي منخفضة،
لم أكن رافعاً رأسي، وكنت أنظر إلى الأرض،
لم أكن متبجّحاً، وكنت مثل عبد بين
جميع زملائي
ألا فليمنحني الآلهة الذين أهملوني،
(من جديد) عونهم.
والإلّهة [التي هجرتني] لتعد (من جديد)
إلى معاملتي بشفقة».
الراعي، شمس الشعوب، يقوم
برعايته مثل إلّه[١]

(١) البيت الأخير لا علاقة له بالحوار وهو موجه نحو الملك وفي الجملة التطريزية، يشير الشاعر إلى أنه «الكاهن المعزِّم المُخلص للآلهة وللملك».

الفصل الثالث

(٣) ـــ الثواب والعقاب
ومضاهاة الآلهة

١ ـ في هذا الفصل الأخير، حول الثواب والعقاب، نودّ إضافة بُعدٍ جديدٍ، عرفته نصوص ما بين النهرين، كما عرفته فيما بعد الميثولوجيا اليونانية ويتضمن فكرة الصعود إلى سماء الآلهة، من قبل بشرٍ كانت لهم مميّزات خاصة، سواء أكان ذلك بسبب تقواهم أم بسبب معرفتهم المتفوقة والقدرة الخاصّة التي تخوّلها هذه المعرفة.

وبصورة عامة وبصرف النظر عن فكرة الصعود إلى سماء الآلهة، فإن منطقتنا عرفت عدداً كبيراً من رجال المعرفة والحكمة عاشوا في الحقبة التاريخية التي سبقت الطوفان في ما بين النهرين، ومنهم من عاشوا بعد هذا الطوفان، وهم جميع الحكماء وناقلي الحضارة الذين حفظت النصوص ذكرى مآثرهم حتى فترات متأخرة، تلت فتح الإسكندر الكبير لبابل ومن بينهم «الأبكالو»[١] ناقلو الحضارة الذين حدّثنا عنهم بيروز[٢] الكاهن والمؤرخ البابلي.

٢ ـ وهؤلاء الحكماء، كانوا دوماً، إلى جانب الملوك، يقومون بدور الناصح والمستشار، وهم «المثقفون» الذين شاركوا في تقدم المعارف الإنسانية في زمنهم، وفي ترسيخ أسس الحضارة، ووردت أسماؤهم في لائحة «كبار مثقّفي الأزمنة القديمة» ولم

(١) (Apkalu) سوف يرد ما يختص بهم في الكتاب الثالث.
(٢) (Bérose) عاش في بابل حوالى عام ٣٠٠ ق. م.

يصلنا مع الأسف، وحتى اليوم، سوى الجزء اليسير من أعمالهم. و «العادل المعذب»[1] موضوع النص رقم (٧٠) وكذلك محاوراه[2] من خلال حلمه الثالث، وردت أسماؤهم في هذه اللائحة. كما تضمنت أيضاً اسم مؤلف[3] الحوارية البابلية حول العدالة الإلّهية التي وردت في النص رقم (٧١) من هذا الكتاب.

٣ ـ ومن جهة أخرى، فقد تعرّفنا على اسم صاحب[4] نص «الفائق الحكمة»، أو «تاريخ البشرية من الخليقة إلى الطوفان» الذي أوردناه في هذا الكتاب تحت الرقم (٥٦). ونعرف أيضاً اسم مؤلف ملحمة إيرّا الذي عاش في الثلث الأول للألف الأول لما قبل الميلاد وهو كبتي ـ إيلاني ـ مردوك[5] وقد أوردنا مقتطفاً من هذه الملحمة تحت الرقم (٦٧) تتضمن مرثية لمدينة بابل. وهؤلاء، هم الذين تركوا لنا آثاراً مباشرة من أعمالهم. ولكن هناك أسماء أخرى لا نعرف عنها إلا القليل عندما تتجاوز معرفتنا الاسم وَحده.

٤ ـ ويرتبط عادة اسم الحكماء بالمدينة التي عاشوا فيها أو بالملك الذي كانوا يمارسون نصحهم ونشاطهم في بلاطه.

وخلال حكم الملك السومري إينمركار[6] كان الحكيم المرافق له يدعى نونچال ـ پيريچّال[7] وهو كما يقال عنه «الذي أنزل عشتار إلى الإيانا»[8] وهو الذي اخترع «القيثارة المعدنية ذات مفاتيح اللازورد».

٥ ـ ومن الطبيعي أن تحتفظ الذاكرة الشعبية بالنسبة لحكماء ما قبل الطوفان وما بعده

---

(١) العادل المعذب هو: شوبشي ـ ميشري ـ شاكان (Shubshi-Meshrê-Shakkan).

(٢) المحاور من نفّر هو: لال ـ أور ـ آليما (Lal-Our-Alimma). المحاور من بابل هو: أور ـ نيندين ـ لوچّا (Our-Nindin-Lougga).

(٣) مؤلف الحوارية البابلية: ساچّيل ـ كيناموبّيب (Saggil-Kenamoubbib).

(٤) مؤلف «الفائق الحكمة»: (كسف ـ آيا) أو (نور ـ آيا) (Kasaf-Aya), (Nour-Aya).

(٥) (Kabti-Ilani-Marduk).

(٦) (Enmerkar) حكم في أوروك خلال الملكية القديمة الثانية (٢٨٥٠ ـ ٢٥٠٠ ق. م).

(٧) (Noungal-Piriggal).

(٨) (Eanna) أي بيت السماء وهو معبد عشتار في أوروك مقر الإلّه آنو.

ولو مُغاليةً، بأخبار قدراتهم الخارقة التي تفوق قدرة البشري العادي[1] إلى أن وصل البعض منهم حتى التأليه، وكانت للآخرين قدرات على الشفاء، حتى إنه في مقدمة رقية كان يشار إلى الحكماء «الذين عاشوا في النهر[2] وهم الذين يحافظون على التوازن المتناغم بين السماء والأرض».

وتعدد الرقية أسماءهم كما يلي:

* أدابا[3] الكاهن المطهّر في إريدو[4] وهو «الذي صعد إلى السموات».
* نون. پيريجال. ديم[5] الذي عاش خلال حكم إينمركار.
* پيريچّال. نونچال[6] عاش في مدينة كيش[7] وهو الذي «أغضب الإلّه أدد[8] في السماء لدرجةٍ أنه أوقف الأمطار والنباتات على الأرض، خلال ثلاثة أشهر»[9].
* بيريچّا. أبزو[10] الذي عاش في مدينة إريدو وهو الذي علّق ختمه على سمكة وأغضب الإلّه إيا في الأبسو، لدرجةٍ أنه عاقبه على عمله.
* لُو. نانّا[11] ويقال عنه حكيم بثلثيه فقط، وهو الذي أخرج تنيناً من الإينبنكارنونّا[12] «العائد لعشتار» في المعبد الذي بناه لها الملك شولجي[13].
* والحكماء الآخرون هم من البشر[14] الذين «منحهم الإلّه إيا معرفة واسعة».

---

(١) وفقاً لمعادله المعرفة تعني القدرة.
(٢) المقصود هو الأبسو (Apsu) مقر أنكي/ إيا.
(٣) (Adapa): وعاما النص رقم (٧٥) الذي سيرد في هذا الفصل.
(٤) (Eridu) مدينة الإله أنكي/ إيا.
(٥) (Noun. Piriggal. dim).
(٦) (Piriggal. Noungal).
(٧) (Kish) إحدى عواصم ما قبل الطوفان.
(٨) (Adad) إله الرعد والأمطار.
(٩) وهو عقاب إجمالي بسبب تجاوزٍ نجهله ارتكبه هذا الحكيم بقدرته.
(١٠) (Piriggal-Abzou) وقد يعني تعليق ختمه الشخصي على سمكة من الأبسو تعدياً على ملكية الإله إيا أمير الأبسو الذي عاقبه لهذا السبب.
(١١) (Lou-Nanna).
(١٢) (E. Ninkar nunna).
(١٣) (Shulgi) من ملكية أور الثالثة، حكم خلال (٢٠٩٣ ـ ٢٠٤٦ ق. م).
(١٤) يعني ذلك أن التقاليد الشعبية اعتبرت الحكماء الأقدمين كأكثر من بشر، ثم حكماء لثلثين، مثال لو ـ نانا، ثم بشراً حازوا على المعرفة الواسعة، منحة إيا.

* وفي لائحة اكتشفت في الستينات، ذُكر فيها أنه «خلال حكم أسرحدون فالحكيم كان آبا ـ نينو ـ داري[1] الذي يسميه الآراميون أهيقار»[2].

وفي نص طبّي، يقال عنه بأنه «كُتب وفقاً للتعاليم الشفوية لحكماء ما قبل الطوفان، خلال السنة الثانية لحكم إنليل ـ باني[3] ملك إيسين[4]، كُتب هذا النص، من قبل الحكيم إنليل ـ مُبلّيط[5]. وأخيراً، ففي نشيدِ مديح موجّه إلى الملك شولجي، يأتي ذكر الحكيم أور ـ چاتوم ـ دوچا[6] الملقب «بالحكيم المطهّر العالمي».

٦ ـ ومن الأبطال، أو الحكماء الذين صعدوا إلى السماء وصلنا نص حول إيتانا[7] وهو رابع ملك حكم في مدينته كيش بعد الطوفان وهو الذي صعد إلى السماء على جناح نسر ونورد قصته تحت الرقم (٧٦) من هذا الكتاب.

وبمناسبة الصعود إلى السماء أيضاً أو الاختفاء عن وجه الأرض محمولاً من قبل الإلّهة إنانا، علينا ألاّ ننسى مصير شوكاليتودا[8] بستاني أنكي، الذي ابتدع بمعرفته، وقدرته على «استعمال القدرات» فكرة غرسِ أشجار الحماية لصدّ الرياح عن بستانه ونشر الظل الذي ينقل عذوبة الرطوبة. وهو الذي وردت قصته في النص رقم (١٠) من الكتاب الأول، ولأنه أغضب إنانا بسبب اغتصابه لها أثناء نومها، فقد عاقبته إنانا طالبة من أنكي تسليمه إليها، ويقول النص[9]:

«إصطحبت إنانا المقدسة معها شوكاليتودا
إنطلاقاً من أبسو إريدو
وأخذت مكانها في عرض السماء، كقوس قزح

---

(١) (Aba-Ninnou-Dari).
(٢) (Ahiqar)، وسوف ترد قصّته كاملة في الكتاب الثالث.
(٣) (Enlil-Bani).
(٤) (Isin) ملكية إيسين بدأت حوالى ٢٠١٧ ق. م.
(٥) (Enlil-Muballit).
(٦) (Our. Gatoum. Douga).
(٧) (Etana).
(٨) (Shukalituda): بستاني أنكي في النص رقم (١٠).
(٩) النص رقم ١٠ (الأسطر: ٢٤٤ ـ ٢٤٧).

[. . .] تقدّمت [. . .] تقدّمت أيضاً [. . .] (مبتعدةً)
وبدا شوكاليتودا أصغر فأصغر!»

ويضيف النص بأن ذكره بقي على الأرض في أناشيد الشعراء الشبان في قصور الملوك وفي دندنات الرعاة.

٧ ـ وبالإضافة إلى ما تركته لنا نصوص ما بين النهرين حول أسماء الحكماء والعارفين، في الوثائق التي أشرنا إليها أعلاه، لا بد من استكمال لائحة الحكماء في عالمنا القديم بالاعتماد على بعض ما ورد في التوراة اليهودية عن هؤلاء ولو لم تتغلّب سمعتهم إلاّ نادراً على التعصّب التوراتي. وبالإضافة إلى ذكر حكماء فرعون وسَحَرة فرعون الذين يأتي ذكرهم في مناسبات متعددة، يمكن التعرّف على الأسماء التالية لحكماء بابل وكنعان والجزيرة العربية:

* هيْمان وكلْكُول ودَرْع بني ماحول من حكماء بلاد كنعان.

(١ ملوك ٤ : ٣٠)

* يهوه يُبطل آيات السَحَرة البابليين ويُحيل إلى الجنون العرّافين ويدفع إلى الوراء الحكماء ويحيل إلى عدم الفهم معرفتهم.

(إشعيا ٤٤ : ٢٥)
(عن توراة القدس ـ النسخة الفرنسية)

* إشعيا متوجهاً إلى بابل: «حكمتكِ ومعرفتكِ هما أفتناك» (إشعيا ٤٧ : ١٠).

* . . . لأن أهيقار، خلال حكم سنحريب، ملك أشور، كان الساقي الأول، وحامل الأختام والإداري، وسيد الحسابات، واحتفظ به أسرحدّون في وظيفته، إنه كان قريبي، ابن أخي.

(طوبيّا ١ : ٢٢) عن توراة القدس

وفي الحقيقة فأهيقار طوبيّا هنا، هو استعارة لاسم ولشخصية أهيقار الآرامي وهو من أشهر حكماء عصره وقد عاش فعلاً في بلاط نينوى وكان وزير المال في زمن أسرحدّون الأشوري الذي حكم من ٦٨٠ ق. م.

وهو الحكيم والمثقف وصاحب «مجموعة الأمثال الآرامية» وبطل عمل أدبي نقل إلى عدّة لغات في منطقتنا وعُرف تحت عنوان «تاريخ وحكمة أهيقار الأشوري».

* محاورو أيوب الثلاثة كما أشرنا إلى ذلك في المقطع ٦ من تقديم النص رقم (٧٠) هم من الحكماء الكنعانيين.

* آجور وليموئيل اللذان تنسب إليهما التوراة الأمثال في (٣٠: ١) و (٣١: ١) تقول عنهما الشروح التوراتية بأنهما كانا «إسماعيليين» أي من الجزيرة العربية وتصنّف أيوب أيضاً على هذا الأساس.

* أمّا حِزقيال (٢٨ : ٣)، فإنه حين ينتقد ملك صور بسبب غروره وادعائه، يقول له: «ها أنت أحكم من دانل!» ودانل المشهور بحكمته هو دانل الأوغاريتي. ومن حسن الحظ أن حفريات رأس ـ شمرا (أوغاريت) قدّمت لنا نصاً عنه وسيرد في كتاب مستقل مع النصوص الأوغاريتية.

٨ ـ لقد أدرجنا هذه اللائحة السريعة عن أسماء «حكماء ومثقّفي الأزمنة القديمة» للدّلالة على أنهم يستحقون تحقيق الدراسات والبحوث حولهم لإنصافهم، ولإنصاف تاريخنا الحضاري، آملين أن يتم ذلك على يد باحثينا، ولا ننسَ أن نضيف إلى لائحتنا هذه، اسم ملكيصادق الكنعاني ملك مدينة سالم[1] وكاهن الله العلي الذي بارك أبرام (إبراهيم) وحصل منه على العشر من غنائمه (تكوين ١٤ : ١٨ ـ ٢٠).

٩ ـ والنصّان اللّذان سنعرضهما من خلال هذا الفصل، بعد هذه المقدّمة عن كل من «أدابا» وإيتانا، يتحدثان عن صعود كل منهما إلى السماء لأسباب مختلفة وهي ازدياد القدرة بالنسبة لأدابا و «السعي» نحو الحلّ الذي يُنتظر من السماء بالنسبة لإيتانا. وقبل ذلك سوف نقدم نصاً ثالثاً بطله الإلّه نينورتا وهو بطل الانتصار على الطائر أنزو كما ورد ذلك في النص رقم (٦٢) من هذا الكتاب، وذلك لإضافة بعدٍ جديد يرتكز عليه هذا الفصل الأخير من هذا الكتاب وهو «الغرور» و «الرغبة» بالاستئثار بالسلطة. وعلى هذا الأساس فإن الفصل الثالث سيقدم النصوص المشار إليها أعلاه كما يلي:

---

(١) مدينة سالم هي نفسها أورو ـ سالم في نصوص تل ـ العمارنة أي مدينة القدس في تسميتها الكنعانية قبل إبرام وموسى.

(٧٢) ـــ تجربة نينورتا وعقابه

١ ـ يشير هذا النص الخاص بالإلّه نينورتا[١] إلى موقف منه غير اعتيادي، بالنسبة لبطلٍ ينقذ الآلهة ويعيد إليهم السيادة، فيُحتفل به ويُكرّم. وهو هنا كما عرفناه بصدد بعض الشخصيات الميثولوجية اليونانية مثال بللّيروفون[٢] يصيبه الغرور بعد انتصاره على الطائر أنزو[٣] واسترجاعه «للوحة الأقدار»، فيقع في التجربة، التي تلوح له من خلالها مغريات السلطة.

والتساؤل الذي يطرحه نينورتا على نفسه مضمراً في قلبه نيّته الخفيّة، هو، لماذا لم يحتفظ لنفسه بلوحة الأقدار التي أعادها للأبسو[٤] مقر أنكي ولماذا لم يستأثر بالسيادة؟ وكأن النص يفترض نوعاً من الشكوى والأسف من قبل الطائر أنزو، بأنه لم يُقبل للإقامة في الأبسو بعد تخليه عن لوحة الأقدار، ويفترض النص كذلك، ندماً من قبل نينورتا، ونوعاً من التحريض له من قبل أنزو، لأن نينورتا هو أيضاً لم تصبه حصة كافية من السيادة التي عادت إلى الأبسو.

هكذا يبدأ ما وصلنا من هذا النص، وإن لم تكن هذه هي بدايته الأصلية المفقودة.

---

(١) (Ninurta) بمعنى سيد الأرض وهو ابن الإلّه إنليل المنتصر على الطائر أنزو كما ورد في النص (رقم ٦٢) من هذا الكتاب.

(٢) (Bellerophon) أصابه الغرور بعد انتصاره على الحيوان الخرافي: الخَيْمَر وفكر بالاستيلاء على الأولمب وإزاحة سيد الآلهة زيوس (Zeus).

(٣) (Anzou) الطائر الخرافي الغريب الشكل الذي ينتصر عليه نينورتا ويستعيد منه لوحة الأقدار «رمز السلطة» التي اختطفها (عودة إلى النص ٦٢).

(٤) (Apsu) محيط المياه العذبة الباطنية وهو مقر الإلّه أنكي (Enki).

ولكن الإله أنكي[1] العارف بالنبات وبما تخفيه الصدور. يستدعي نينورتا إلى مقره، ويرفض نينورتا المثول أمامه.

وهنا يعمد أنكي إلى خلق سلحفاةٍ ويجعلها تتمركز على مدخل مقرّه. وحين يقترب منها نينورتا، تقبض عليه من كاحل رجله وتجره القهقرى، ثم تحفر بأظافرها حفرة وتُسْقطُ فيها نينورتا وتبدأ بردم التراب عليه. وهنا يتدخل أنكي، ليلقّن البطل الذي أصابه الغرور، فأضمر الاستيلاء على سلطةٍ لم تكن له، ليلقنه درساً في التواضع.

٢ ـ يتألف هذا النص، الذي عثر عليه في حفريات أور[2] من لوحة واحدة، ليست هي الأولى ولا الأخيرة، تضمّ ستين سطراً وتعود إلى الفترة الانتقالية ما بين الألفين الثالث والثاني.

ومن الملاحظات الأخرى التي يمكن عرضها بصدد هذا النص، هو غياب الإله إنليل[3] ومقره مدينة نفّر[4]، إذ إن إنليل يذكر مرة واحدة فقط في دوره كأب لنينورتا. والسلطة هي هنا في الأبسو في إريدو[5] مقر أنكي، الذي هو العامل الرئيسي هنا.

كما أن الدرس الذي يلقّنه أنكي لنينورتا، يذكّرنا بمحاولة أخرى عمد إليها إيا[6]، لمجابهة غرور عشتار حين خلق نداً لها كمرآة لترى فيها نفسها وهي صَلْتو[7].

وأخيراً نلاحظ هنا، أن الطائر أنزو، لم يتم القضاء عليه، بل حافظ على دورٍ شيطاني تأثر به نينورتا نفسه، وكأن أنزو أصبح إلى الأبد، عبداً للمنتصر عليه، كما يشير النصّ إلى ذلك.

---

(١) (Enki) إله الحكمة والمعرفة ومهارة الصنع ومقره في الأبسو.

(٢) (Ur) مدينة الإله القمر ثم اشتهرت توراتياً على اعتبار أن هجرة أبرام (إبراهيم) بدأت منها.

(٣) (Enlil) سيد تجمع الآلهة في سومر ويلاحظ غيابه هنا على الرغم من أن لوحة الأقدار كما ورد ذلك في النص رقم (٦٢) اختطفت منه.

(٤) (Nippur) العاصمة الدينية السومرية القديمة ومقر الإله إنليل.

(٥) (Eridu) مدينة الإله أنكي.

(٦) (Ea) هي التسمية الأكادية للإله أنكي السومري.

(٧) (Saltou) هي المخلوقة الشرسة التي ابتدعها إيا لمجابهة عشتار وإخماد نزعتها إلى الحرب بعد أن عمّ السلم في البلاد، وسوف يرد هذا النص في الكتاب الثالث.

أنزو يذكِّرنينورتا كيف فقد لوحة ـ الأقدار

عندما بأمر من أنكي
ضَربْتَني يا نينورتا بسلاحك
وسقطت السلطات في الأبسو
حين أفلتَتْ من يديّ،
عندما أُجبرت على التخلّي عن لوحة ـ الأقدار،
وبمجرد عودتها إلى الأبْسو
وإذْ لم تكد [هذه اللوحة] تردّ إلى هناك
لم يبق لي أي (أثر) لسلطة!»

نينورتا يأسف بدوره لأن السلطات لم تُمنح له

هكذا كان يتكلم آمار ـ أنزو[١]: ولكن
نينورتا بقي صامتاً
ومع ذلك كان نينورتا ـ پاشيشانّا[٢] يأسف (بداخله)
لأن السلطات لم تُبق له في يديه (هو)
ولم يحصل منها على أيّة سيادة!
ومثل آمار ـ أنزو لم يُقبل
لكي يسكنَ في الأبسو

إيا يسعى للتخفيف من أزمة نينورتا الداخلية

من صميم مقرّه، استشعر أنكي الجليل
ما يدور من أفكار
وكان يعلم (أيضاً)، أنهما حين وصلا
أمام الأبسو مقرّه

---

(١) (Amar-Anzou) بمعنى أنزو الصغير.
(٢) (Ninurta-Pashéshanna) پاشيشانا أحد ألقاب نينورتا.

دفع آمار ـ أنزو، دون جدوى، نينورتا
إلى ولوج المقر
وكان الإله راضياً عن سلوك نينورتا،
(لذلك) مدحه السيد نوديمّود[١] بهذه التعابير:
«أيها البطل! بين آبائك الآلهة،
لا أحد أمكنه التصرف مثلك!
بما أنك تغلبت بسلاحك القوي
على الطائر الشنيع
ففي كل يوم وإلى الأبد، سوف تحتفظ به
ساجداً تحت قدميك
وسوف يثني الآلهة العظام باستمرار
على قوتك وإقدامك
كما أن أباك إنليل سوف يلبّي لك جميع ما تطلبه
وأمك نينمينّا[٢] لن تلد قط مثيلاً لك!
ولا إله يوحي برهبةٍ تماثل رهبتك
ولن يكون أيّ إله مضاهياً لك!
وفي مقر الأبسو سوف يستمر تمثالك (؟)
في كل شهر على تلقّي هدايا الترحيب
وعلى عرش الشرف سوف يُحتفل بك!»

نينورتا غير راضٍ بمثل هذا المديح يضمر انتقاماً

ولكن البطل، بداخله
لم يكتفِ قط بهذه الوعود،
وفجأة (؟) اصفرّ وجهه وامتقع من الاستياء

---

(١) (Nudimmud) لقب أنكي ومعناه الذي له علاقة بالخلق والصنع.
(٢) (Ninmenna) لقب نينليل أمّ نينورتا.

واستدار دون أن ينبس بكلمة
حول المطامع التي صُدمت والغيظ المكتوم
وأعمل فكره في نوايا شائنة (؟)
ومع ذلك وعلى الرغم من ثورته على العالم أجمع
لم يُحدِّث بذلك أحداً
مُحتفظاً بمرارته (؟) لنفسه

ردّ فعل أنكي

ولكن الإلّه الكبير بذكائه تفهّم
خطورة الموقف
وفي معبد الأبسو،
تشابكت الأفكار في رأسه
فحاول إيسمود[١] حاجب أنكي
أن يقود نينورتا للمثول أمامه
(لكن) البطل رفض الاستجابة
وحتى إنه رفع يده على (إيسمود)

أنكي يعدّ أداة عقابه

عند ذلك، أخذ أنكي حفنةً من صلصال الأبسو وصنع بها سلحفاة
وجعلها تتمركز على مدخل المعبد قرب البوّابة،
ثم نادى نينورتا لاجتذابه
حيث تتمركز السلحفاة
التي أمسَكَتْ به من الوراء من كاحل رجله (؟)
وجرّتْ القهقرى (؟) البطلَ نينورتا
بينما كان أنكي يقول ممالقاً:

---

(١) (Ismud) حاجب أنكي ومعاونه.

«ما الذي حدث إذن؟»
ثم حفرت السلحفاة بأظافرها حفرةً
وأسقطت فيها البطل.
وبينما كان نينورتا يصرخ:
«أريد الخروج!»
كانت (السلحفاة) بواسطة قوائمها
تردم [عليه التراب (؟)]

أنكي يلقّن نينورتا درساً في التواضع

عند ذلك، الإلّه العظيم أنكي، قال لنينورتا:
«بما أنك وَجَدتَ [...]
سلطاتي المنتزعة من [آمار ـ أنزو (؟)]
وبما أنك أضمرت أن تحلّ محلّي (؟)
فأنا عمدت إلى إذلال هذا المغرور
[... الذي هو أنت] !
51S أنت تمرّدت عليّ: ما جدوى ذلك؟
وماذا أفادتك قوتك؟ وما هو
إذن مصير شجاعتك؟
أنت اكتسحت الجبل الكبير
فما الذي بقي لك منه اليوم؟

ردّ فعل أم نينورتا

عندما أُعلمت نينمينّا[١] هذه الواقعة
مزّقت ثيابها غضباً
وتخبّطت مثل مختلّة (؟)

(١) (Ninmenna) ورد شرحه في السطر ٢١.

«من هو الذي يمكنني إيفاده إليك لتهدئةِ غضبك
يا أوروكو[١]، (كانت تصيح)
الناس سوف يرتجّ منهم الرأس
إذا ما تخلّيتُ عن نينورتا في وقت الشدّة
من هو الذي يمكنني إيفاده إليك؟

(تعليق الناسخ):

ـ هنا اسم الإله ليس أنكي
ولكن أوروكو لهذه المرة (؟) ـ
هل أنت تحكم بالموت دونما رجوع؟
إذن من هو الذي يمكنني إيفاده إليك شفيعاً؟

(١) (Uruku) لقب تطلقه أم نينورتا على أنكي ومعناه «آكل الحشيش» (؟) أو «الذي ينام» ويذكّر هذا اللقب الأخير بأنكي الذي كان لا يغادر فراشه قبل تدخله من أجل خلق البشر كما ورد ذلك في النص رقم (٤) من الكتاب الأول وتم التذكير به في هذا الكتاب (المقطع ١١ من ١ ـ ٣).

(٧٣) ـــ أدابا في سماء الآلهة

١ ـ أدابا هو أحد الحكماء القلائل، الذين وصلنا عنهم نص يشير إلى حكمتهم ومعرفتهم، وبالإضافة إلى ذلك فإن أدابا هو البشري الذي صعد إلى السماء وشاهد عن قرب بهاء وتألّق الإلّه آنو، هذا البهاء الذي «لا يمكن لبشري تحمله».

والاعتقاد بصعوده إلى السماء كان من المعتقدات الدينية الراسخة والرسمية في بابل، حتى أن كهنة الإيساچيل[١] لم يتقبّلوا انتقاد نبونيد[٢] ملك بابل حين أعلن مجدّفاً: «أن آنو لم يعرفْ اسم أدابا».

٢ ـ اسم أدابا الكامل هو أوانا ـ أدابا[٣] وهنا ترتبط تسمية أوانا باسم الإلّه إيا وكذلك ارتبطت به تسمية أوانس[٤] في شكلها اليوناني.

ونحن نعلم أن الإلّه إيا، إلّه الحكمة والمعرفة والخلق ومهارة الصنع كان إلّهاً قريباً من البشر يدافع عنهم ويسهر على مصيرهم، كما ورد ذلك في نصوص متعددة وأهمها قصة الطوفان (النص رقم ٥٦) حيث نرى إيا، يحاول في كل مرة إفشال قرارات إنليل إنقاذاً للبشر.

---

(١) (Esagil) ومعناه البيت ذو الرأس الشامخ وهو معبد مردوك في بابل.
(٢) (Nabonide) (٥٥٥ ـ ٥٣٩ ق. م).
(٣) (Ouana-Adapa).
(٤) (Ouanes) هو الشكل اليوناني لاسم الإلّه إيا.

٣ ـ وبموجب هذا النص، فإن الإلّه إيا، هو الذي منح أدابا الحكمة والمعرفة ليكون مثالاً لحكمة البشر بحيث تُسمع كلمته دوماً. وكان أدابا عالِماً وقدّيساً وذا يدٍ طاهرة، يسهر بنفسه على إقامة الطقوس وتقديم القرابين المختلفة. وقد وصلتنا قصة أدابا من خلال ثلاث لوحات أو أجزاء لوحات يختلف اتساع محتواها، وأكبر محتوىً، هو الجزء الأوسط من النص، الذي عثر عليه في وثائق تل العمارنة في مصر[١] وتحتوي اللوحتان الباقيتان، وبشكل غير كامل، على بداية النصّ ونهايته. ولدينا أيضاً عن نهاية النص، جزء من لوحة، لنسخة أخرى تقدم عن هذه النهاية تفاصيل أكثر اتساعاً. ولئن كان النص بسيطاً وقراءته واضحة، إلا أنه أثار مع ذلك نقاشات عديدة، ولا يزال، حول مغزاه العميق وحول تَفسير تصرف كل من الإلّهين إيا وآنو تجاه أدابا.

٤ ـ ويمكن تلخيص قصة أدابا كما يلي:

بينما كان أدابا، في يوم من الأيام يصطاد في المياه العذبة في إريدو، هبّت عليه ريح الجنوب وأغرقت سَفينته. فلعن ريح الجنوب وتمكّن بمعرفته وقدرة كلمته من كسر جناح الريح التي توقفت عن الهبوب. وبعد مضي أسبوع على تعطيلها استغرب آنو ذلك وسأل فأجيب: بأن أدابا «ابن إيا»[٢] هو الذي كسر جناح ريح الجنوب. فغضب آنو وطلب أن يؤتى به ليمثل أمامه.

إلاّ أن إيا، وهو العارف بما يجري في السماء، أعدّ أدابا لهذه الزيارة وعلّمه الحيلة التي يمكنه بواسطتها كسب كل من الإلّهين دوموزي وجيزّيدا[٣] إلى جانبه. ولكنه، في الوقت نفسه، أمره، أن يمتنع عن أكل وشرب ما يقدمه له آنو وأن يقبل الزيت والكساء اللذين يقدمان له.

يستغرب الإلّه آنو هذا التصرف ويعرف منه بكل بساطة بأن إيا هو الذي أمره بذلك. وفي خاتمتين مختلفتين، وغير كاملتين لهذا النص، يُعاد أدابا إلى الأرض وتتوقف هذه الخاتمة بسبب النقص. وفي الخاتمة الثانية، يوجّه إليه آنو نظرة رضىً ويمنحه قبل نزوله إلى الأرض، وبمساعدة إلّهة الشفاء، القدرة على معالجة وشفاء

---

(١) عاصمة أخناتون في القرن الرابع عشر (١٣٧٢ ـ ١٣٥٤ق. م).

(٢) أي الابن الروحي لإيا.

(٣) (Gizzida و Dumuzi) لا لزوم للتعريف بدوموزي الراعي عشيق إنانا وجيزّيدا أو نين جيزّيدا: هو زوج شقيقة دوموزي وعلى ما يظهر يختفي مثله دورياً عن وجه الأرض.

الأمراض التي تسببها ريح الجنوب ويتوقف النص هنا أيضاً بسبب النقص.

(أدابا: النص)

نقص في بداية اللوحة ويُعتقد أنه كان يعدّد الصفات التي منحها الإلّه إيا لأدابا ليميزه عن بقية البشر.

جزء اللوحة (A):

[...............]
[أراد أن] تصبح كلمته مماثلةً لكلمة [آنو (؟)]
فقد اعتنى بمنحه إدراكاً واسعاً يمكّنه
من كشف المصائر في البلاد.
وهَبَ هذا الرجلَ الحكمةَ ولكنّه لم يمنحه
الحياة الأبدية[1]
في ذلك الزمان، في تلك السنين، كان
الحكيم من مواليد إريدو[2]؛
وقد خلقه إيا، ليكون مثالاً بين البشر:
حكيم ـ لا يمكن لأحدٍ رفض كلمته ـ
عالم ـ إنه الأكثر ذكاءً بين الأنوناكي[3] ـ
إنه قديس وذو يدين طاهرتين،
كاهن مسيح (بالزيت المقدس) ومقيم للطقوس كاملةً.
مع الطبّاخين، كان يعدّ الطعام
مع طبّاخي إريدو كان يعدّ غذاء (الآلهة)
في كل يوم، من أجل إريدو، كان يتزوّد

---

(١) قد يكمن في هذا التوضيح ما يبرر تصرف إيا فيما بعد بالنسبة للتعليمات التي يعطيها لأدابا.
(٢) (Eridu) مدينة الإلّه إيا على شاطىء الأبسو مقره.
(٣) (Anunnaki) هنا اسم جميع الآلهة الذين ليسوا في مراكز السلطة.

بالطعام والشراب
كان يعدّ بيده الطاهرة (مائدة التقدمات)،
ولم تكن ترفع التقدمات عن المائدة، بدونه.
كان يوجّه بنفسه سفينته، ومن أجل
إريدو، كان يصطاد في المياه العذبة.
في ذلك الزمان، أداپا، المولود في إريدو
عندما كان المل [لك] إيا يتمدد على فراشه[١]
كان (أداپا) في كل يوم يحرس بيت إريدو المقدس.

(في أحد الأيام)، على الرصيف المقدس،
رصيف ـ القمر ـ الجديد،
ركب سفينته الشراعية.
وبريح (مؤاتية)، كانت السفينة تتابع تقدمها
و [بواسطة] عصا الغرز (وحدها) كان يوجّه سفينته
[وعندما وصل إلى عرض] البحر الفسيح
[بدأ يصطاد. وكان البحر مثل مرآة][٢]...
[...............]

جزء اللوحة (B):

ولكن ريح الجنوب [بدأت تهبّ بشدّة فأغرقت]
سفينتهُ ورمتها في عالم [الأسماك].
«يا ريح الجنوب، (صرخ لها) لتقع اللعنة
على جميع مخازيك!

(١) معنى هذا السطر غير أكيد بسبب التشويه على اللوحة.
(٢) الأسطر الأخيرة من هذا الجزء تم استعادة محتواها بالاعتماد على الجزء التالي (B) بالاعتماد على الأسطر (٥٠ ـ ٥٤).

لأكسرنّ جناحكِ!» ما أن تلفّظ بهذه الكلمات
حتى انكسر جناح ريح الجنوب

ونادى آنو حاجبه إلأبرات[١] (وقال له):
«لماذا منذ سبعة أيام، لم تهبّ على
البلاد ريح الجنوب؟»
فأجابه حاجبه إلأبرات (قائلاً): «سيدي، أدابا،
ابن إيا، هو الذي كسر جناح ريح الجنوب!»
لدى سماع آنو هذه الكلمات،
صرخ قائلاً: «كفى!»، نزل عن عرشه
(وأصدر أمره): «فليؤت به ليمثل أمامي!»
ولكن إيا كان يعلم (أمر) السماوات؛
فعدّل مظهر [أدابا] وجعل أن يكون شعره متسخاً
[كما جعله يلبس] رداءَ حزنٍ،
ثم أعطاه هذه التعليمات:
«سوف تذهبُ شخصياً، [يا أدابا]، للمثول
[أمام آنو] الملك؛
سوف تأخذ طريقك إلى السموات،
وعندما إلى السموات
[ستصعد] وتقتر[ب من بوابة آنو]
أمام بوابة آنو (ستجد) [دوموزي وچيزّيدا[٢]]
واقِفَيْن، وسوف يشاهدانك،
ويستعجلانك بالأسئلة (قائِلَيْن):

(١) (Illabrat) حاجب الإله آنو ورسوله.
(٢) (Dumuzi) و (Gizzida) راجع الملاحظة في نهاية تقديم النص.

«يا رجل، من أجل من جَعَلْتَ نفسَك على هذا الشكل؟
«من أجل من لبستَ رداء حزنٍ يا أداپا؟»
(عند ذلك سوف تجيب): «إنّ إلَهيْن
ماتا في بلدنا،
«لذلك، أنا على هذا الشكل،
ـ من هما هذان الإلَهان،
«اللّذان ماتا في البلد؟
ـ إنهما دوموزي وچيزّيدا.» (تجيب)
(عند ذلك) سوف ينظر أحدهما إلى الآخر
وتغمر الابتسامة وجهيهما؛ ولمصلحتك
سوف تكون الكلمات
التي سوف يقولانها لآنو، ووجهاً بشوشاً لآنو
سوف يجعلانك ترى. ولكن عندما ستكون
بحضرة آنو، إذا ما قُدّم لك خبز الموت،
لا تأكل منه، وإذا ما قدّم لك ماء الموت،
لا تشربه، وإذا ما قُدّم لك كساء
فالبسه، وإذا ما قُدّم لك زيت، فامتسح به.
لا تهمل التوصيات التي أعطيك،
إحفظ جيداً الكلمات التي أقولها لك.
وصل رسول آنو (الذي قيل له):
«أداپا كسر جناح ريح الجنوب،
أحضره ليمثلَ أمامي!»
جعله (الرسول) يأخذ طريق السمٰوات، وأُصعد إليها،
وعندما تم إيصاله إلى السمٰوات
وصار قريباً من بوابة آنو،
على بوابة آنو كان دوموزي وچيزّيدا يقفان.

ولما رأياه صرخا: «يا هذا!
يا رجل من أجل من جعلت نفسك على هذا الشكل؟
يا أداپا، من أجل من لبست رداء حزنٍ؟
ـ لأن إلَهين ماتا في البلد،
أنا لبست رداء الحزن.
من هما هذان الإلَهان، اللذان ماتا في البلد؟
ـ دوموزي وچيزّيدا (أجابهما)،
فنظر أحدهما إلى الآخر
وغمرت الابتسامة وجهيهما. وعندما أداپا
أمام آنو الملك
تمّ اقترابه، قال له (آنو) عندما رآه:
«تعال هنا يا أداپا! لماذا كسرت جناح
ريح الجنوب؟» فأجاب أداپا آنو: «إلَهي،
من أجل معبد سيدي، في وسط البحر[١]،
كنت أصطاد سمكاً. وبينما كان البحر مثل مرآة،
بدأت ريح الجنوب تهبّ بشدّة، فأغرقت سفينتي
ورمتها في عالم الأسماك. وفي غضب قلبي،
لعنتُ [ريح الجنوب]». تبنّى الدفاع عنه (عند ذلك)
[كل من دوموزي و] جيزّيدا: وكلمات لمصلحته
قالا أمام آنو، فهدأ قلبُه. أثّرتْ فيه كلماتهما،
(إذْ قالا): «لماذا لِبشري ليس جديراً بها،
كشف إيا (أمور) السماء والأرض؟[٢]

(١) أي معبد إيا في إريدو الذي أقيم في وسط الأبسو.
(٢) أمور أو أشياء السماء والأرض التي كشفها إيا لأداپا، هي التي أكسبته قدرة المعرفة، وبمعرفة أسرار الآلهة، أكسبته قدرة إلَهية.

لقد حباه بقلب صلد[١]، وجعل له اسماً.
ونحن ما عسانا نفعل من أجله؟... خبز الحياة
فليقدّم له وليأكل منه!»
قُدِّم له خبز الحياة، ولكنه لم يأكل،
قُدِّم له ماء الحياة، ولكنه لم يشرب.
قُدِّم له كساء، فلبسه.
قُدِّم له زيت، فامتسح به
آنو أمام تصرّفه، هزأ منه
(وقال ضاحكاً): «تعال هنا يا أدابا،
لماذا لم تأكلْ ولم تشربْ؟
لن تكون لك حياة (أبدية)!...»[٢]
- إنه إيا إلّهي
الذي قال لي: «لا تأكل، لا تشرب!»
- فليؤخذْ إذن (قال آنو) وليُعَدْ
إلى أرضه!»
[.....................]

وجزء من لوحة أخرى يقدّم بالنسبة لمغامرة أدابا في سماء آنو نهاية مختلفة هي كما يلي:

جزء اللوحة (D):

[.....................]

---

(١) على اعتبار أنه تحمل عملية الصعود وتحمل النظر إلى تألّق آنو الإلّهي.
(٢) هنا أحد الاحتمالات لقراءة هذا السطر المشوه في ثلاث كلمات. والاحتمال الثاني هو لن تكون إذن مكافأة أو هدية من أجل البشر (؟).

أمر بأن يُقدّمَ له [زيت] فامتسح به
أمر بأن يُقدّمَ له [كسـ] ـاء فلبسه.
(عند ذلك) (وبما فعله إيا
أطلق آنو ضحكةً عالية (معلناً):
«من بين آلهة السماء والأرض، مهما كان عددهم،
من بإمكانه قول مثل هذا؟ من بإمكانه جعل نظامه عظيماً
لدرجةٍ، بحيث يضاهي نظام آنو؟»
ولكن أدابا، تأمّل السمٰوات
من قاعدتها، حتى سَمْتِها
وأمكنه التمتع برؤية تألّق آنو الإلّهي
الذي لا تحتمل رؤيته:
عند ذلك، على أدابا، وضع آنو يداً راضية (؟)
و [إريدو] (مدينة) إيا، جعل منها
حرماً مقدّساً
وكمصير لها، قرر أن يتألّق فيها كهنوته إلى الأبد.
«وبما أن أدابا (قال)،
هو من الجنس البشري،
[وبطرقه الخاصّة] تمكّن بنجاح
من كسر جناح ريح الجنوب،
وبما أنه، دونما عقابٍ صعد إلى السمٰوات،
فليكن (قرارنا) كذلك:
[كل] ما ستسبّبه [ريح الجنوب] من شرٍ للبشر
[وأيّ مر] ضٍ ستضعه في جسم البشر
[مع أ] دابا، سوف تتمكن نينكارّاك[٣]

(١) (Nikarrak) إلّهة الصحة والشفاء.

من تهدئتهما،
وعند [ذلك] فليتبدّد الشر وليبتعد المرض!
و [لكن] بدونه، لتأت الحمّى المقرّسة
[بحيث] لا يتمكن [المريض]
من أخذ راحته في نومٍ هانىء!
[................]

(٧٤) ــ إيتانا على جناح النسر

١ ـ صعود إيتانا إلى السماء، تمّ على جناح نسر، ولم يكن ذلك بسبب قدرةٍ خاصة من قبله، كما هو الحال بالنسبة لقدرة أدابا[١] على كسر جناح ريح الجنوب، بل كانت نتيجة لتقواه ورضى الإلّه شمش[٢] عنه، وإخلاصه في سعيه والغاية التي كان يتوخاها.

وأما صعود إيتانا إلى السماء، فكان سببه الأمنية التي عرفها الكثيرون عبر أساطير وطننا قبل إيتانا وبعده وهي السعي لأن يرزق ابناً يرثه ويحمل اسمه. والملك الأوغاريتي كيريت[٣]، الذي قضى لياليه في معبد الإلّه وقدّم القرابين النذرية للغاية نفسها، يفهم تماماً سعيَ إيتانا.

وإيتانا هنا، لم يُبَشّر بذرية «كنجوم السماء كثرةً» أو «بكثرة الرمال على شاطىء البحر»، ولكنه سعى بنفسه للحصول على «نبات الولادة» أي «العشبة المساعدة على الـحمل» ليقدّمها إلى قرينته. ومن غَيْر عِشتار التي تسهر على خصب الحقول والأرحام، يمكنها مساعدته؟

ولذلك، فعلى جناح نسر ارتبط معه بصداقة بعد أن صنع معه إيتانا معروفاً بتوجيه من الإلّه شمش، يصعد إيتانا إلى السماء بقصد الوصول إلى سماء عشتار وإبلاغها أمنيته.

---

(١) (Adapa) راجع النص رقم (٧٣).
(٢) (Shamash) إله العدالة.
(٣) (Keret) سوف يرد قصة من خلال عرض النصوص الأوغاريتية في كتاب لاحق.

٢ ـ جُمعت أسطورة إيتانا عن ست عشرة لوحة وجزء من لوحة، تعود لنسخٍ متعددة عثر عليها في بلاد بابل وفي سوز[١] وفي أشور وهي تعود إلى كل من الفترة البابلية القديمة حوالى (١٨٠٠ ـ ١٦٠٠ ق. م)، والفترة الأشورية المتوسطة حوالى ١٣٠٠ ق.م، والفترة الآشورية الحديثة (٧٥٠ ـ ٦١٠ ق. م)[٢]، مما يدل على شهرة هذه الأسطورة واستمرار تداولها خلال قرون عديدة.

ومع أنه تمّ تجميع وترجمة جميع هذه الوثائق، فإنه لم يتوفر لدينا حتى اليوم نصّ كامل لمحتوى هذه الأسطورة، التي لا تزال، كما نعرفها اليوم ذات تسلسل مشتت يحمل فراغات كبيرة. وهي تتألف من ثلاثة أجزاء تبقى ناقصة في كل منها.

٣ ـ تفتتح النصَّ مقدّمة، تشير إلى بداية الحياة العمرانية في البلاد وبناء المدن، في فترة لم تكن فيها الملكية قد أقيمت على الأرض وقبل أن تُنزل أسسها وشعاراتها من السماء.

ثم فجأة، تتوقف هذه المقدّمة بسبب نقص كبير في اللوحة وينقلنا النص بعد ذلك إلى جزء آخر وإلى عالم آخر، وهو عالم الحكاية، فنشهد عقد معاهدةِ صداقة بين نسر وحيّة يقسمان معاً أمام شمش على احترام هذا العهد. وبعد ذلك، يلد كل منهما فراخه، النسر على قمة شجرة صفصاف والحية في ظلّ الشجرة نفسها. وفي كل مرةٍ، كان النسر يأتي بالغذاء لإطعام فراخه كانت تخصص حصة للحية وفراخها وكذلك كانت تفعل الحيّة بالنسبة لصغار النسر.

وبعد أن كبر فراخ النسر وأمكنهم الطيران، بدأت تراود النسرَ أفكار شريرة يضمرها في قلبه، إذ قرر افتراس صغار الحيّة ونفّذ ذلك فعلاً حين كانت الحية بعيدةً عن جحرها مخالفاً بذلك عهده مع حليفته وحانثاً بقسمه أمام شمش.

ولكن شمش يعاقبه بتمكين الحيّة من الانتقام منه بانتزاع ريش جناحيه ورميه في حفرةٍ ليموت عطشاً وجوعاً. ولدى ندم النسر ورجائه، يشفق عليه شمش ويرفض مساعدته شخصياً بل يوجّه إليه رجلاً للقيام بذلك، وهذا الرجل هو إيتانا، الذي يصفه

---

(١) (Suse) وهي المدينة العيلامية التي نصب فيها تشريع حمورابي بعد اختطافه من بابل.
(٢) صنف العلماء هذه النسخ، تسهيلاً للإشارة إليها وفق الأحرف (B, A، . . . حتى P, O).

النص في حالة همّ واهتمام شديدين مبتهلاً لشمش وراجياً منه تزويده بنبات مساعدة الحمل والكشف عن كيفية الحصول عليه.

٤ ـ وهنا أيضاً، يستجيب شمش لطلب إيتانا ويوجّهه نحو الحفرة حيث رُمي النسر، فيقوم إيتانا بتغذيته والاعتناء به لمدة سبعة أشهر إلى أن يستعيد النسر كامل قدرته. وللوفاء بوعده لشمش بأن يساعد من ينقذه في كل ما يطلب، واعترافاً منه بصنيع إيتانا، يعرض عليه حمله إلى السمٰوات، وكأنّ النبات الذي يفتش عنه إيتانا لا بد أن يكون متوافراً في سماء عشتار. وتبدأ عملية الصعود والنسر يحمل إيتانا على صدره، وتبدأ البلاد تبدو أصغر فأصغر. ولدى وصولهما إلى بوابة آنو وإيا وإنليل، يسجدان خشوعاً، ولكن إيتانا يطلب العودة إلى الأرض، إلا أن النسر يقنعه بالمتابعة نحو سماء عشتار.

٥ ـ وتبدأ المرحلة الثانية من الصعود إلى أن تختفي الأرض نهائياً وهنا يطلب إيتانا مرة ثانية العودة إلى الأرض وعدم المتابعة، ويشير النص إلى أنه يسقط لثلاث مرات متتالية ولكن النسر في كل مرة كان يلتقطه ويوقف سقوطه.

وبين السماء والأرض يتركنا النص بسبب انكسار اللوحة ونبقى متشوّقين لمعرفة التتمّة.

٦ ـ وفي جزء أخير من لوحة لم يبقَ منها الشيء الكثير، يمكن الاستنتاج على الرغم من التشويه، بأن إيتانا نزل إلى الأرض. وقد تكون عشتار قد حَنّت عليه وقدّرت له محاولته وكشفت له عن الدواء الذي ينشده، نقول ذلك لأن اللوائح الملكية السومرية تشير إلى أن إيتانا الملك وهو رابع ملوك ما بعد الطوفان من كيش قد خلفه في الحكم ابنه الذي دامت ملكيته حوالى ٤٠٠ سنة، بعد أن كان إيتانا حكم مدة ٦٣٥ سنة أو ١٥٠٠ سنة حسب اللوائح وعصر البشرية الذهبي في ذلك الوقت، انظر النص رقم (٦٥) بهذا الخصوص.

اللوحة (I-II)

الجزء (A)

بناء المدن ونزول الملكية من السماء

رَسَمَ الآلهة المدينة [. . .][١]،
الآلهة أسسوا [المدينة] . . .،
4 وضع الآلهة أسا [ساتها . . .]
[. . . . .]
الأنوناكي[٢]، الآلهة ـ العظام الذين يقررون المصائر
10 حين عقدوا مجلسهم، قرروا للبلاد (مصيرها)؛
خالقو الكون، الذين أوجدوا (كل) شكل،
أجلاّء أمام البشر كان الإيجيجو[٣].
عيّنوا من أجل البشر عيد (رأس السنة)،
ولكنهم لم يعينوا ملكاً على رأس البشر.
في ذلك الزمان لم تكن العمامة ولا التاج
يَعْصبان (الجبين)
15 ولم يكن بعد صولجان يزيّنه اللازورد،
ولم يكن خُلِق (بعد) أي عرشٍ في أي مكان[٤]

النص الموازي للنسخة (B)

الصولجان والتاج والعمامة والعصا

---

(١) وصلتنا عن هذا المدخل نسختان كلتاهما غير كاملتين، الأقدم (B) وهي أكثر تكثيفاً تعود إلى الفترة البابلية القديمة والثانية (A) هي أشورية ـ حديثة.

(٢) (Anunnaki).

(٣) مجموع آلهة السماء والأرض.

(٤) حول هذا المقطع الأخير تضمنت النسخة (B) نصاً آخر نعرضه إضافةً (دون ترقيم).

(جميعها) كانت أمام آنو، مودعةً في السماء.
لم يكن هناك حاكم لشعبِ (عشتار)
عند ذلك نزلت الملكية من السماء.

عودة لمتابعة المدخل السابق

الآلهة ـ السبعة كانوا يزجلون الأبواب على البشر
في الأماكن المأهولة كانوا يزجلون [الأبواب]
وكان الإيجيجو يحيطون بالمدينة.
إلا أن عشتار [كانت ترغب] بأن يكون
للبشر راعٍ،
وكانت تفتش عن ملك [من أجل البلاد].
فعمد إنليل (إذن) إلى التحري عن
العروش في السماوات [...]،
وفتّش في كل مكان [عن عرشٍ للملك]؛
[لأنه لم يكن هناك] ملك في البلاد.
عند ذلك هبطت الملكية من السماء
وقرّر [إنليل خلق ملك من أجل البلاد]
آلهة البلاد [...]
[...............]

يتوقف هذا المدخل بسبب نقص كبير في اللوحة وعندما يُستأنف النصّ في الجزء التالي فإنّنا نجد أنفسنا أمام حكاية النسر والحيّة.

عهد الصداقة بين نسر وحية وتوثيقه بقسمٍ أمام شمش

[...............]

[فتح النسر فمه وقال للحيّة]:
«تعالي لنعقد [اتفاقاً] فيما (بيننا)،
تعالي لنصبح شركاء أنا وأنتِ!»
[فتحت الحية فمها و [قالت للنسر]:
«ليكن ذلك [وأمام شمش]
لنؤدِ قسم التعاهد
وليكن [العقاب] القاسي ضماناً له (؟)]؛
و [ليكن بالنسبة لنا] كحرمات الآلهة!
لِننتصب (إذن) و [لنتسلق الجبل]
ولنقسم بالأرض[١] [أن نبقى أصدقاء (؟)]».
أمام شمش البطل، أدّيا (عند ذلك) قسمهما:
«الذي يتجاوز منّا حدّ[٢] شمش
[فليُسلّمه] شمش لأذى، يد الجلاّد![٣]
الذي (بيننا) يتجاوز حدّ شمش،
من أجله فلتُفقد المسالك
كي لا يعود يجد طريقه
ولتبعده الجبال عن الوصول إليها.
وليقع عليه مباشرة السلاح الذي يُرمى إلى الصدفة،
وليطح به فخّ حُرم شمش وليبقهِ أسيراً!»
وبعد أنْ أدّيا قسمهما بالأرض [أمام شمش]،
وبعد أن انْتَصَبَا معاً وتسلّقا الجبل، معاً صار
حَمْل في مسكنيهما ومعاً وُلد لهما (فراخ)
كان ذلك تحت ظل شجرة صفصاف حيث ولدت الحيَّة

---

(١) أوردنا هنا المعنى الحرفي وبعض المترجمين يكتبون «بالعالم السفلي» (؟).
(٢) حدّ شمش هو هنا مضمون الميثاق المعقود.
(٣) في النسخة الموازية (E) يَرِد عدد أكثر من اللعنات وبترتيب آخر.

(بينما) فوقها كانت ولادة فراخ النسر

وبالنسبة للحَبَل والولادة، فإن النسخة (D) تقدم نصاً أكثر تفصيلاً هو التالي:

في رأس شجرة ولد للنسر فراخه
بينما كانت الحية تلد تحت الصفصافة (نفسها).
وفي ظل شجَرة الصفصاف هذه،
النسر والحية كانا يأتيان كحليفين
ويقسمان على أن يكون الواحد
بالنسبة للآخر رفيقاً
وأن يكشف عن رغبات قلبه

نتابع فيما بعد النص السابق:

التعاون بينهما على الحراسة وإطعام الفراخ

19 كل منهما كان له يومه لمراقبة [الأخطار]
20 وعندما كان النسر يعود من صيْده
بالثيران أو الحُمُر الوحشية،
كانت الحية تأكل منها وفراخها يأكلون
منها بدورهم
وعندما كانت الحية تعود من صيدها
بالعَنز البري أو الغزلان،
كان النسر يأكل منها وفراخه
يأكلون منها بدورهم.
وعندما كان النسر يعود من صيده
بالخرفان البرية أو الثيران الوحشية
25 كانت الحية تأكل منها وفراخها بدورهم يأكلون

وعندما كانت الحية تعود مبن صيدها
بفهد الصحراء أو بحيوان التراب (؟)
كان النسر يأكل منه وفراخه بدورهم يأكلون.
(هكذا) حصل النسر (على حصّته) من الغذاء
وفراخه كبروا وتم نموّهم.
وبعد أن كبر فراخ النسر وإذْ تمّ نموّهم
اكتملت (أخيراً) أجنحتهم،

النسر ينوي الشر في قلبه وينفذ جريمته

تصوّر النسر في قلبه أفكاراً شرّيرة.
وعندما أضمر الشر في قلبه،
قرر التهام صغار حليفه.
فتح النسر فمه قائلاً [لصغاره]:
«أنا سآكل فراخ الحيّة
[ولكي أنجو (؟) من غضـ]ـب الحيّة
سوف أصعد إلى السمٰوات وأمكث فيها
و (لن) أنزل (إلا) لأحطّ على رؤوس
الأشجار لآكل الثمار»
أما الأصغر بين فراخه والأكثر ذكاءً
قال للنسر أبيه هذه الكلمات:
«لا تأكلهم يا أبي: فشباك شمش
سوف تحتجزك
وفخّ حرم شمش سوف يطيح بك
ويبقيك أسيراً!
لأن الذي يتجاوز حدّ شمش
فإن شمش سوف يسلّمه لأذى يد [الجلاّد] !»

لم يستجب النسر إليهم، لم يستجبْ
النسر إلى ما قاله ابنه.
نزل وأكل صغار [الحيّة]،
وعادت الحية في المساء، عندما زال النهار
وكانت معها حصّتها من إتاوة اللحم
الذي وضعته على مدخل جحرها:
نظرت إلى الجحر، فلم يعد موجوداً؛
وانحنت فوقه: فلم [تجد فراخها] !
وبأظافرها حفرت عندئذ التراب
ومن الجحر كانت دوامات الغبار
تُظلمُ السماء

ابتهال الحية إلى شمش لمعاقبة الجاني

(عند ذلك) قعدت الحية وبكت
وأمام شمش سالت دموعها (قائلة):
«وثقتُ بك، أيها البطل شمش!
أنا قدّمت للنسر هدايا الصداقة؛
رهبتُ عهدي أمامك واحترمته؛
لـمْ أنوِ الشرَّ نحو رفيقي:
وها هو عشه لم يصبه أذىً
وجحري تم اكتساحه؛
فتحوّل جحر الحيّة إلى مكان رثاء وتفجّع؛
فراخ النسر لم يصبهم أذى
وصغاري أحيلوا إلى العدم!
إنّه نزل وأكل ذريتي!
المصيبة التي أوقعها عليّ، نعم يا شمش،

أنتَ تعرفُها.
وإن كان أكيداً أي شمش، أن
شِباكك هي كالأرض الفسيحة
وفخاخ معاثرك كاتساع السمٰوات،
فالنسر (إذن) يجب ألا ينجو من شباكك
إنه (هو) فاعل الشر التي ارتكب الخطيئة[١]
وأضمر الأذى لصديقه!»

شمش يعِدّ الحية للانتقام من النسر

[لدى سماعه] لشكوى الحيّة
فتح شمش فمه [وقال] لها:
«إتبعي الطريق، اجتازي [الجبل]
من أجلكِ أعددتُ[٢] ثوراً وحشياً
افتحي جوفه، اثقبي [بطنه]
استقري [في بطنه].
[وجميع] طيور السماء
[سوف تحط لتأكل من لحمه]؛
والنسر معها [سوف يأتي ليأكل من لحمه]
دون أن يعلم المصيبة التي تنتظره؛
ومن اللحم سوف يفتش عن أطراه
وسوف يتقدم من الشحم الذي يغطي الأمعاء:
وعندما يتم دخوله إليها،
أمسكي به أنتِ من جناحيه

---

(١) ورد في النسخة (G) بالنسبة لهذا السطر: «(هو)، فاعل الشر، أنزو الذي أضمر السوء لصديقه» ـ حول الطائر أنزو انظر النصين (٦٢) و (٧٤).
(٢) بمعنى أمته ليكون لحمه طعماً.

قدّي ريش قوادمه،
وانتزعي الريش عن جناحيه
وارميه في حفرة،
ليموت فيها جوعاً وعطشاً!»
وكما قال لها البطل شمش
ذهبت الحية (و) اجتازت الجبل.
ولدى وصولها قرب الثور الوحشي
فتحت جوفه، ثقبت بطنه
واستقرّت في بطنه.
جميع الطيور التي كانت في السماء
حطّت لتأكل من لحمه.
ولو أنّ النسر عرف ما كان يتهدّده
مع مجموعة[1] الطيور ما كان
ليحاول أكل اللحم!

النسر يقع في الأسر بسبب جشعه

ولكن النسر فتح فمه وقال لأبنائه:
«تعالوا لنهبط، ولنأكل نحن (بدورنا)
لحم هذا الثور الوحشي!»
الأصغر بين أبنائه والأكثر ذكاءً
وجّه هذه الكلمات إلى أبيه النسر:
«لا تهبط يا أبي! قد تكون
الحيّة مختبئة في هذا الثور الوحشي!»
ولكن النسر، دون تفكير قال هذه الكلمات:

(١) حرفياً أبناء الطيور أو بني الطيور.

«أريد النزول لآكل لحم هذا الثور الوحشي
فكيف يمكن للحية أن تأكلني؟»
لم يستمع إليهم ولم يستجب
لما كان يقوله ابنه.
هبط وحطّ فوق الثور الوحشي
ولمرة أولى تفحّص النسرُ اللحمَ
وحاول أن ينظر إلى ما هو أمامه
وإلى ما هو وراءه
ومن جديد تفحّص اللحمَ
وحاول دوماً النظر إلى ما هو أمامه،
وإلى ما هو وراءه
ثمّ تقدّم بحذر (؟) خطوة خطوة، واقترب
من الشحم الذي يغطي الأمعاء.
وعندما أتمّ دخوله إليها أمسكت الحيّة
بجناحيه....[1]
فتح النسر فمه (عند ذلك) وقال للحية:
«أطلب منك الرحمة وكخطيبٍ
سوف أقدّم لك هديّة!»
ولكن الحيّة فتحت فمها قائلةً:
«بماذا أجيب شمش في الأعالي
إذا ما تركتك؟
و (عند ذلك) عليّ أنا، سوف يوقع (شمش) عقابك.
هذا العقاب الذي يتوجّب عليّ
بكل دقّة فرضه عليك!»

---

(١) تم إهمال السطر ١٠٩ بسبب التشويه.

فقدّت له ريشَ قوادمه،
وانتزعت الريش عن جناحيْه
ورمته في حفرة حيث
سيموت جوعاً وعطشاً.

النسر يتضرع إلى شمش لإنقاذه

(وفي الحفرة) كان النسر في كل يوم
لا يتوقف عن التضرّع لشمش راجياً:
«أأموت في هذه الحفرة؟
من (يا شمش) سيعْلم بأنني نفّذت عقابك؟
أنا النسر، اتركني أعش
وإلى الأبد سوف أعرّف باسمك!»
فتح شمش فمه وقال للنسر:
«لقد كنت سيئاً حتى اشمأزّ منك قلبي:
أنت تجاوزت حدود الآلهة وحرماتها
حتى لو كنت تشارف على الموت،
فلن أقترب منك!
(ولكن) أوافق أن يأتي لمساعدتك[1]
رجل سوف أرسله إليك».

دخول إيتانا مسرح الأحداث مذكراً شمش بتقدماته

في كل يوم كان إيتانا يسترحم شمش:
«أي شمش، لقد أكلتَ خِرفاني
الأكثر سِمنة،
وتشبّعت التربة من أجلك بدمِ أكباشي

---

(١) حرفياً كما في اللغة العربية: «أن يأخذ بيدك».

لقد كرّمت الآلهة واحترمت
أرواح الموتى
وغُمرت العرّافات من قبلي
بقرابين السوائل
كما أرضيت الآلهة بتضحية أكباشي
أي إلّهي فليصدر من فمك (أمر)
من أجلي[1]،

إيتانا يطلب من شمش تحقيق أمنيته بمنحه وريثاً

أعطني النبات[2] الذي يساعد حمل المرأة
إكشف عن العشبة التي تساعد على الحَمْل!
إرفع الحِملَ (الذي يثقل كاهلي)
[إجعل أن يكون] لي اسم[3]

شمش يستجيب

فتح شمش فمه وقال لإيتانا:
«خذ الطريق واجتز الجبل:
تصل (عند ذلك) إلى حفرة، أنظر بداخلها
(في هذه الحفرة) يوجد نسر،
وهو الذي سوف يكشف لك
النبات [المساعد على الحَمْل]».
وكما قال له شمش البطل
أخذ إيتانا الطريق، [واجتاز الجبل]

---

(١) يذكر توجه إيتانا إلى شمش، بتوجه موسى إلى يهوه.
(٢) التداوي بواسطة الأعشاب كان معروفاً ويذكر ذلك بنبات تجديد الشباب في ملحمة چلچامش.
(٣) بمعنى أن يرزقه ولداً يرثه ويحمل اسمه.

ثمّ وجد حفرة ونظر فيها،
في داخلها [كان نسر مرتمياً]:
ذلك ما كان بنهاية الأمر، ما كان
أعدّه شمش [من أجله]

اللوحة الثالثة

النسر يعد شمش بمساعدة إيتانا في كل ما يطلب إذا ما أنقذه

فتح النسر فمه [وقال هذه الكلمات
إلى شمش إلّهه]:
«[إذا ما] أخر [جني من هذه الحفرة]
[وإذا ما تلقّيت من قبله] صغار العصافير
[وإذا ما استرجعت قواي]،
فسأقدّم له كل ما يرغب به.
5 وسأعمل كل ما يقوله هو
[شرط أن ينفذ كل ما سأقوله أنا!»
7 وبأمر من شمش البطل، أخرجه إيتانا من الحفرة؛

يختلف هنا نوعاً ما النص (B) البابلي القديم الموازي ويقدم لنا التفاصيل التالية:

عمد إلى مساعدته؛ خلال سبعة [أشهر
قام بتغذيته (؟)]
وفي الشهر الثامن أخرجه من الحفرة
كان النسر قد تلقى غذاءه،
وكان صوته كمثل أسد يزأر،

(إذْ) كان قد استعاد قواه.
وفتح النسر فمه وقال لإيتانا:
«يا صديقي لنكن شريكين أنا وأنت
قل لي ما ترغبه مني وأنا أعطيك إيّاه!

نعود هنا لمتابعة النص السابق.

8 تلقى صغار العصافير [واستعاد قواه].
عند ذلك فتح النسر فمه وقال لإيتانا
10 أنت إذن، [قل] لي لماذا أتيت؟
فتح إيتانا فمه وأجاب النسر:
«يا صديق أعطني «النبات» المساعد على الحَمْل
إكشف لي عن النبات المساعد على الحمل
[إرفع الحمل الذي يثقل كاهلي]
واجعل أن يكون لي اسم!»
[...............]

هنا يبدأ نقص كبير أودى بكامل نهاية اللوحة. ولا ندري إذا ما كان الحصول على النبات الذي يفتش عنه إيتانا قد ارتبط أم لا بالصعود إلى السماء، ولكن بداية اللوحة التالية تظهر لنا إيتانا وقد قَبِلَ القيام بهذه الرحلة الخطرة مع النسر.

اللوحة الرابعة

في النقص والتشويه الحاصلين في بداية اللوحة، يمكن التعرف من السطرين ٣ و٥ أن النسر كان يشير إلى «بوابة» آنو وإنليل وإيا السماوية ومن ثم بوّابة سين وشمش وأدد. كما كان يستذكر على ما يظهر الإلّهة عشتار التي كانت تجلس بدون شك على عرشها في أعلى درجات السماء محاطة بالتألق الإلّهي الخارق (السطر الثامن).

[...............]
قال النسر لإيتانا:
15 «يا صديقي، رائعة هي [المناطق السماوية (؟)]

تعال لكي أحملك نحو سماء آنو
ضع [صدرك] على صدري،
على الطرف السفلي من جناحي، ضع [يدك]
وعلى الجهة العلوية من جناحي ضع [ذراعك]!»
وضع [إيتانا] صدره على صدر (النسر)
ووضع يده على الطرف السفلي من جناحه
ووضع ذراعه على الجهة العلوية من جناحه،
(و) بقوةٍ سَنَدَ ثِقله عليه.
وعندما أصعده إلى مسافة فرسخٍ[١] مضاعف
قال النسر لإيتانا:
«أنظر يا صديقي (قلْ لي) كيف ترى البلاد؟[٢]
أحطْ البحر بعينيك، فتّـ [ـش بنظرك] عن شواطئه!
ـ لم تعد (؟) البلاد سوى جبل
وصار البحر كمياه [نهر (؟)]
وعندما أصعده إلى مسافة فرسخين مضاعفين،
قال النسر لإيتانا:
«انظر يا صديقي (وقلْ لي) كيف ترى البلاد؟
ـ لم تعد البلاد [سوى هَضَبة]!»
وعندما أصعده إلى ثلاثة فراسخ مضاعفة
قال النسر لإيتانا:
«انظر يا صديقي (وقل لي) كيف هي البلاد؟
ـ صار البحر كجدولٍ حول رقعة[٣] بستاني!»

---

(١) نستعمل هنا تعبير فرسخ دون تبني مسافته الحقيقية لأن النص المعتمد لم يشر إلى التسمية الأكادية ويذكرنا الفرسخ المضاعف بالساعات المضاعفة في ملحمة جلجامش.
(٢) البلاد هنا تعني الأرض كما ستظهر من الفضاء.
(٣) وحدة المساحة المستعملة بالأكادية هي الإيكو (ikou) وإيكو البستاني هنا يساوي (٣٦٠٠ م^{٢}).

الوصول إلى سمٰوات آنو

بعد أن تمّ صعودهما إلى سمٰوات آنو
مرّا ببوابة آنو وإنليل وإيا
(عند ذلك)، النسر وإيتانا سجدا معاً
[. . . . .]

يوجد هنا نقص كبير في اللوحة وعلى ما يظهر فإنّ إيتانا يتردّد قبل المتابعة لمرحلة ثانية من الصعود ويريد العودة إلى الأرض. ونقدّم فيما يلي ظهر جزء اللوحة (N).

إيتانا يتردّد في المتابعة

[. . . . .]
«الحمل [ثقيل جداً بالنسبة إليك]
«اترك [. . . . .]
[. . . . .]
هكذا [أجاب] النسر [إيتانا]:
«[. . . . .]
أريد حملك [إلى علو أكبر في السماء (؟)]
هيا و [. . . . .]
لا يوجد طير [آخر يضاهي] النسر
لا أحد [غيره باستطاعته حملك (؟)]
تعال يا صديقي [لأحملك إلى سماء عشتار (؟)]:
مع عشتار ذات السناء
[يوجد النبات المساعد على الحمل (؟)]،
وإلى جوانب عشتار السامية [. . .].
[ضع ذراعك] على الطرف العلوي من جناحي
[وضع يدك] على الطرف السفلي من جناحي!»

وضَع (إيتانا) [ذراعه على الطرف العلوي من جناحه]
[ووضع يده] على الطرف السفلي من جناحه.
فأصعده (النسر) لمسافة فرسخ مضاعف:
«يا صديقي (قل لي) كيف هي البلاد؟[١]
ـ من البلاد [.....]،
والبحر الواسع وكأنه زريبة!
أصعده إلى فرسخين مضاعفين:
«(قل لي) يا صديقي كيف [هي] البلاد؟
ـ صارت البلاد بمساحة موسار[٢]
وصار البحر وكأنه مِزْكَن غسيل!»
وحين أصعده إلى ثلاثة فراسخ مضاعفة
«يا صديقي انظر (وقل لي) كيف [هي] البلاد؟
ـ مهما أمْعَنتُ النظر، فالبلاد
[لم تعد مرئية (؟)]
ومن البحر المتسع لـمْ أعد أستطيع
أن أُشبعَ [نظري] !
يا صديقي أنا ما عدت أريد
الصعود إلى السمٰوات!
وجّه سيرك لكي [أعود إلى الأرض (؟) !»
وإلى مسافة فرسخٍ مضاعف
سقط (إيتانا)
ولكن النسر (أسرع) بالهبوط
وتلقّاه [على ظهره]

(١) من هنا يعتمد ظهر الجزء (N).
(٢) (mousar) وحدة المساحة هذه تعادل ٣٦ م^2 أي ١/ ١٠٠ من مساحة الإيكو الواردة في السطر ٣٧ من اللوحة الرابعة.

وإلى فرسخين مضاعفين سقط (إيتانا)
ولكن النسر (أسرع) بالهبوط
وتلقّاه [على ظهره].
إلى ثلاثة فراسخ مضاعفة سقط (إيتانا)
ولكن النسر (أسرع) بالهبوط
وتلقّا [ه على ظهره]
[.................]

التتمة ناقصة بسبب انكسار اللوحة، ولا ندري تماماً كيف تنتهي مغامرة إيتانا. وفيما إذا عاد سالماً إلى الأرض، إلا أن ظهر جزء اللوحة (N) يسمح لنا بالاستنتاج، بأن العودة قد تـمّت فعلاً. ولا ندري إذا كانت عشتار قد رقّت لحاله وزوّدته بالنبات المطلوب، ولكننا نعلم كما أوردنا ذلك في مقدّمة عرض النص أن إيتانا رزق ابناً ملك من بعده. والمقطع الأخير المتوفر لدينا هو كما يلي:

[.................]
قرينة إيتانا قالت له:
[...] لي أنا، البيت [...]؛
وبما أن إيتانا قريني، [...]،
مثلك أنت [...]
إيتانا، الملك [......]
شبحه [....]
وليؤمن الخلاصَ في البيت [...][1]

(١) لا ندري إذا ما كانت الأبيات الأخيرة والتوجّه إلى شبح إيتانا الملك والتذكير بمغامرته، كان عبارة عن فأل لاستجلاب الخصب إلى زوجين طالبين لوريث. ويأخذ عندئذٍ تعبير الخلاص في السطر الأخير معنى الاستجابة.

الـــلاحـــق

الملحق رقم (١) ـ نصوص متفرقة عن الطوفان
(راجع الصفحة ٢٧٦)

الملحق رقم (٢) ـ الطوفان التوراتي
(راجع الصفحة ٣٠١)

الملحق رقم (١) ـ نصوص متفرقة عن الطوفان

(a) ـ نسخة مكتبة أشور بانيبال

تكاثر البشر وردّ فعل إنليل

العمود الرابع

[لم تكدْ تمضي مدة اثنتي عشرة مائة من السنين]
حتّى تمّ تو [سيع] رقعة البلاد
[وتكاثر عدد السكان]
ولكن ضجيجهم أزعج إنليل:
إذ هرب منه النوم بسبب هذا الصخب.
فعقد اجتماع المجلس
و [تو] جه إلى الآلهة، أبنائه (قائلاً):
«أصبح ضجيج البشر لا يطاق
وهذا ما يزعجني
هرب مني النوم [بسبب (كل) هذا الصخب][١].
أَصدِروا إذن أوامركم لكي يحلّ (عليهم) الوباء
[لكي يتمكن] نامتار[٢] من [تخـ] ـفيف ضجيجهم!
ولتنفخ ضدّهم عواصف
المرض والحمى والأوبئة والطاعون!»
أمروا إذن أن يحل عليهم الوباء
لتمكين نامتار من تخفيف ضجيج البشر:

---

(١) نلاحظ اعتباراً من هذا السطر الأسلوب المفخّم لهذه النسخة بالنسبة لبساطة ونقاوة أسلوب نسخة نور ـ آيا وحوالي فترة ألف عام تفصل بين النسختين.
(٢) (Namtar) إلّه الأوبئة والطاعون.

فنفخت ضدهم عواصف
[المـ] ـرض والحمى والأوبئة والطاعون

تدخل الفائق ـ الحكمة وإيا

إلا أنه على مصير رجلٍ اسمه الفائق ـ الحكمة[١]،
كان [سيده] إيا يسهر.
كما أن إلّهه إيا، كان يعدّه (بطيبة خاطر) محاوراً له.
فتح الفائق الحكمة فمه وباشر الكلام
[متوجهاً] إلى إلّهه إيا[٢]:
«البشر يشكون أيها الإلّه إيا
فالمرض الآتي من لدن (الآلهة) يلتهم الأرض!
أيها الإلّه إيا، الناس يتذمرون،
المرض الآتي من لدن الآلهة يلتهم الأرض!
بما أنكم خلقتمونا
أبعدوا عنا إذن
المرض والحمى والأوبئة والطاعون!»
[فتح إيا فمه، وبا] شر كلمته
متوجهاً إلى الفائق ـ الحكمة:
«[أصدر أوامرك إلى المنادين [ليعلنوا]،
في البلاد بكل وضوح:
«توقفوا عن تكريم آلهتكم!
وكفّوا عن التضرع إلى إلّهاتكم
ولكن لازموا في توجهكم [نامتار] (وحده)

(١) (Atar-Hassis).
(٢) (Ea) هو أنكي السومري إلّه الحكمة والذكاء ومهارة الصنع والمدافع عن البشر.

[إليه وحده قدموا قرابينكم ـ الغذائية
إليه وحده، [قدّموا الأطعمة ـ المطبوخة (؟)]
ولا تتبركوا [إلا به (؟)]
عند ذلك حين تغمره كل هذه الهدايا
سوف يعمد إلى إيقاف عمله المؤذي!»

النص لا يكرر هنا تطبيق تعليمات إيا ويتابع بعد إيقاف نامتار أذاه وعودة البشر إلى التكاثر والضجيج.

إنليل يعمد إلى إرسال المجاعة

عقد [إنليل] اجتماع المجلس
وتوجّه إلى الآلهة أبنائه (قائلاً):
«لا ترسلوا لهم إذن [. . .]
ومع ذلك فعوضاً عن تناقصهم
[فالبشر] أصبحوا أكثر عدداً
ضجيجهم يزعجني
ويهرب مني النوم، بسبب (كل) هذا الصخب
إقطعوا إذن الأرزاق عن البشر
ولتتضاءل حتى الندرة نباتاتهم ـ الغذائية!
وليعمد أدد[١] في الأعالي إلى إيقاف أمطاره؛
وليسدّ على مجاري المياه في الأسفل
كي لا يصل الفيض من منابعه!
ولتُنقِص الحقول غلالها:
ولتحجب عنهم الإلّهة نيسابا عطاء ثدييها

---

(١) (Adad) إلّه الرياح والأمطار والمياه السطحية.

حتى تجفَّ المروج المعشبة (؟)
وليغطِّ الملحُ السهلَ الفسيح!
ولتغلق الأرض رحمها
لكي لا تخرج منه الخضار بعد ذلك
ولكي لا تنبت فيه الحبوب!
هكذا ستحلّ على البشر لعنة[١]
والأرحام المعقودة لن تحمل أطفالاً!»
قطع الآلهة إذن الأرزاق عن البشر
وتضاءلت حتى الندرة نباتاتهم ـ الغذائية!
أوقف أدد في الأعالي أمطاره
وسدّ على مجاري المياه في الأسفل
بحيث لم يعد الفيض يصل من منابعه.
وأنقصت الحقول غلالها:
إذ «حجبت عنهم نيسابا ثدييها»
فجفّت المروج المعشبة (؟)
وغطّى الملح السهل الفسيح.
«أغلقت» الأرض رحمها
فلم تعد الخضار تخرج منه
ولم تعد تنبت الحبوب.
هكذا حلّت على البشر لعنة
والأرحام المعقودة لم تعد تحمل أطفالاً.

العمود الخامس

2 بينما [كان إيا بمسوخه]

---

(١) تجدر الإشارة هنا، إلى أن نسخة نور ـ آيا التي تسبق هذه النسخة بحوالى ألف عام لم تتضمن لعنة البشر.

1 يحرس المزلا [ج الذي يصدّ (؟) البحر]،
كان في الأعالي [أدد] يحبس أمطاره]
ويسدّ على مجاري المياه في الأسـ [ـفل
بحيث لم يعد الفيض يصل من منابعه].
5 أنقصت الحقـ [ـول غلالها]:
و «حجبت عنها] نيسابا [ثدييها]»
فجفّت المروج المعشبة (؟)
وغطّى [الملح] السهل الفسيح
[فأغلقت الأرض ر] حمها
فلم [تعد تخرج منه الخضار
ولا الحبوب تنبت فيه!]
وعلى البشر حلّت لعنة
فلم تعد [الأرحام المعقـ] ـودة تحمل أطفالاً.
(10 ـ 12) [. . . . . . .]

المجاعة تتفاقم

13 [عندما] حلّت [السنة الثانية
أفرغت] الأهراءات؛
وبحلول [السنة الثالثة]
بدّل الحرمان [كل ملامحهم]
15 وبحلول [السنة الرابعة]
كان الناس يشغلون [مكاناً أصغر فأصغر]:
إذ ضمرت [أكتافهم العريضة،
وكانوا يطوفون] الشوارع [مرهقين]
[وبحلول السنة الخامسة]

منعت البنات أمهاتهن [من الدخول]
[ولم تعدالأمهات يفـ] ـتحن [الباب لبناتهن
وكانت البنات] يراقبن [موازين أمهاتهن]
والأمهات [(موازين بنا] تهن؛
[وبحلول السنة السادسة
جعلوا] البنات طعاماً لهم
وجعلوا الأبنـ [ـاء قوتاً لهم]
وكانت [. . . . .] مليئة بالـ [. . .]
[وكان البيت] يلتهم البيت الآخر.
وكانت [الوجوه] كأنها مغطاة
بطحين حبوبٍ مُنتَشة (؟!)
ولم يبق للناس سوى رمـ [ـق] حياة

إيا يتدخل من جديد

إلا أنه، على مصير رجلٍ اسمه الفائق ـ الحكمة
[كان إ] يا سيـ [ـده] يسهر:
ولأنّ لا [. . . . .] معه
[فإلَهُهُ] إيا، كان يَرَاه محاوراً له (بطيبة خاطر) !
ولكن الفائق ـ الحكمة توقف عن التعامل مع إلَهه
ونقل إلى ضفة النهر مَرْقده
عندما كانت جميع مجاري المياه جافة.

العمود السادس

[بحلول] السنة [الثانية]
[أُفرغت الأهراءات]؛
[وبحلول السنة [الثالثة]،

بذّل [الحرمان] كل ملامحهم؛
وبحلو [ل] السنة الرابعة
كان الناس يشغلون مكاناً [أصغر فأ] صغر:
إذ ضَمُرت أكتافهم العريضة
وكانوا يجوبون الشوارع مرهقين؛
وبحلول (السنة) الخامسة،
منعت البنات أمهاتهن من الدخول
ولم تعد الأمهات يفتحن الباب لبناتهن
وكانت البنات يراقبن موازين أمهاتهن
وتراقب [الأمّهات] (موازين) بناتهن؛
وبحلول (السنة) السادسة
جعلوا [البنات] طعا [ماً] لهم
وجعلوا الأبناء قوتاً لهم.
وكانت [...] مليئة بالـ [....]
وكان البيت يلـ [ـتهم] البيت الآخر
والوجوه وكأنها (مغطاة) بطحين حبوبٍ مُنتَشّة
ولم يبق للناس سوى رمق حياة!
المهمّة التي [...] كان تلقّاها [...]،
دخلوا [...]
[....] تعليمات الفائق ـ الحكمة:
«إلَهي، البلاد [...]
حتّى أنّه [لم ....] إشارة ...

الأسطر (٢١ ـ ٢٥) مفقودة.

26 بعد أن [. . .]
سوف أنزل إلى الأبسو لأسكن بقربك!
السنة الأولى [. . .]

(h) ـ مقطع ما بعد العام ٥٠٠ ق. م

ظهر اللوحة/ العمود الأول

إنليل أزعجه الضجيج

[فتح إنليل فمه وباشر كلامه] متوجّهاً
[إلى الآلهة أبنائه (قائلاً):
«ضجيج البشر] علا كثيراً من جديد
أنا لم [أعد أستطيع النوم] وسط (كل) هذا الصخب] !
أصدروا إذن أوامركم لكي يقوم [آنو وأدد]
بحراسة المناطق العلوية؛
و (ليحرس) سين[1] ونرچال[2] [الأرض بينهما]؛
والمزلاج الذي يسـ [ـدّ على البحر]
فليحرسه إيا بوا [سطة مسوخه] (؟)]
وبإصدار الأوامر إلى آنو و [أدد]
لحراسة المناطق [العلوية]
وإلى سين ونرچال، الأرض بينـ [ـهما]
ولكي يحرس إيا بواسطة مسوخـ [ـه] (؟)
المزلاجَ الذي يسدّ البحر،

تدخل الفائق ـ الحكمة من جديد

إلاّ أنّ الفائق ـ الحكمة، هو، [. . .]
وهو يذرف الدموع دائماً [. . .]
كان يقدّم القرابين [. . . .]

---

(١) سين (Sin) الإلّه القمر.
(٢) (Nergal) إلّه العالم السفلي وقرين إيريشكيجال.

بينما الأقنية [. . .]
والليل كان هادئاً (؟) [. . . . . .]

الأسطر (١٧ ـ ٤٤) أي حتى نهاية العمود مفقودة فيما عدا بعض الكلمات وبدايات مشتّتة لبعض الأسطر، مما يجعل متابعة المحتوى مستحيلة. ويمكن التساؤل عمّا إذا كان الفائق ـ الحكمة كان يؤدي ليلاً على ضفاف النهر بعض الطقوس التعويذية الموجهة إلى إيا. وعلى ما يظهر فإن إيا يستجيب له مرسلاً أحد «مسوخه» وقد يكون أحد المخلوقات المسماة (لحمو (؟)) لمساعدة البشر دون معرفة الوسيلة لذلك.

العمود الثاني

إنليل يوجّه اللوم إلى إيا

[. . . . . . .]
[كنتُ أصدرتُ الأوامر] إلى آنو وأدد
بحراسة المناطق العـ [ـلوية]
[وسين ونرچال]، الأرض بينهما،
وأن [تحـ] ـرس [أنت] ومعك مسوخك (؟)
[المزلاج الذي يسـ] ـدّ (؟) البحر!
[ومع ذلك فقد أ] عنت البشر للثراء من جديد!»

دفاع إيا:

فتح [إيا فمه] وباشر كلامه
وتوجه إلى رسل إنليل (قائلاً):
«[من المؤكد] أنك كنت أمرت
أن يحرس <آنو> وأدد المناطق العلوية؛
وسين ونرچال، الأرض بينهما
و [أن أحـ] ـرس [أنا] مع مسوخي (؟)

[المزلاج الذي يـ] ـسد البحر
[ولكن عندما . . .] أفلتت منّي [. . .]
٣٦٠٠ (وزنة) من الأسماك [. . .]،
[كميات مماثلة من الأسماك العادية . . .]
[و . . . من] الأسماك [. . .] كنت وضعتها على حدة:
كلها اختفت،
بعد انكسار مزلاج سد البحر!
عندما [قاصـ] ـصت حرّاس البحر
وفرضت عليهم [. . .] عقوبةً
قاصصتهم مرة أولى
(ومن جديد) فرضت عليهم عقوبة!
[. . .] وتبلغوا هذه الرسالة
وبعد اجتيازهم (؟) البحر الفسيح
[جاءوا لتكرارها] أمام إنليل ـ الباسل (معلنين):
«[بكل تأكيد] كنت أصدرت أوامرك
بأن يحرس آنو وأدد المناطق العلوية
[وسين ونر] چال الأرض بينهما،
وأن أحرس [أنا] مع مسوخي (؟) !
[المزلاج الذي يـ] ـسد البحر.
ولكن عنـ [ـدما [. . .] أفلتت منّي
٣٦٠٠ (وزنة) من الأسماك [. . .]
[كميات مماثلة من الأسماك ـ العادية . . .]
[و . . .] من الأسماك [. . .]، التي كنت وضعتها جانباً
كلها اختفت،
بعد انكسار مزلاج (سدّ البحر) !
وعندما قاصصت (؟) حراس البحر

وفرضت عليهم [. . .] عقوبةً
بعد أن قاصصتهم مرة أولى
فرضت عليهم من جديد عقوبة!»

إنليل يقرر أن يفرض على الآلهة أداء قسم لعدم البوح بقرار إحداث

الطوفان

فتح [إنليـ]ـل فمه وباشر كلمته
متوجهاً إلى الآلهة بكاملهم (قائلا):
«تعالوا جميعكم لتأدية قسم بخصوص الطوفان!»
بوشر بجعل آنو يؤدي القسم،
ثم تبعه إنليل ومن ثم أبناؤه معه

البقية مفقودة.

(i) ـ مقطع آخر يعود لما قبل عام ٥٠٠ ق. م

وجه اللوحة

الفائق ـ الحكمة يطرح الأسئلة على الإلّه إيا بصدد الطوفان

«إلّهي إيا، شعرت بك تدخل
[سمعـ]ـت وقع خطوات تشبه خطاك!»
انحنى الفائق ـ الحكمة، وسجد
ثم انتصب واقفاً (أمام إيا)
وفتح [فمه] من جديد قائلاً (له):
«[إلّهي]، شعرتُ بك تدخل
سمعت وقع خطوات تشبه خطاك؛ ـ
إلّهي [إيا] شعرت بك تدخل
سمعت وقع خطوات تشبه خطاك
[. . .] سبع سنوات
[. . . ـ]ـك جعل المسا [كين] يموتون عطشاً (؟)
[. . .] ـ كسر حديث ـ[1]: شاهدت وجهك!
أحطني إذن، علماً [بقصدك (؟)]
فتح [إيا] فمـ]ـه وباشر كلمته
[متوجهـ]ـاً إلى سياج القصب:
[«سياج! أيها السياج!] حاجز! يا حاجز!
اسمعني [يا سياج] . . .

نقص الأسطر الباقية من وجه اللوحة التي لا يمكن معرفة عددها.

---

(١) كسر في اللوحة الأصلية، أشار إليه الناسخ.

ظهر اللوحة

بدء الطوفان واستفحاله

[. . . . .]
[و] ضع [. . .]
[وبعد دخو] له عمد إلى سدّ [الكوة]
عند ذلك، فالإعصار ـ كسر حديث ـ[1]
تلته الأنواء
وباتجاه الرياح ـ الأربع، امتطى أدد بغاله:
ريح ـ الشمال وريح ـ الجنوب وريح ـ الشرق
وريح ـ الغرب!
ثارت هبات الريح والعصفات والرياح الشمأل
والريح ـ السيئة . . . والرياح الأخرى تدافعت
ـ كسر حديث ـ[1] وبقربه هَجَمَتْ ريح ـ الجنوب
وريح ـ الغرب نفخت،
[. . .] كان [. . .]
عَرَبة الآلهة [. . . .]
[خرّ] ب وجَلَد ومزّق [الأرض (؟)]
كان نينورتا[2] [يتقـ] ـدّم
[جاعلاً] سدود السماء [تطفح].
وكان نرچال[3] يقتلع دعائم الكوات العلوية
وبمخالبه كان [أنـ] ـزو[4] يمزق وجه السماء

(١) إشارة وضعها ناسخ اللوحة.
(٢) (Ninurta) الإلّه المحارب، سيد الأرض وابن إنليل وهو الذي تغلب على الطائر أنزو (انظر الملاحظة ٣).
(٣) (Nergal) إلّه العالم السفلي.
(٤) (Anzou) الطائر الأسطوري الذي سرق من إنليل لوحة الأقدار بقصد الاستيلاء على السلطة.

[. . .] البلاد: فكـ [ـسر] مثل جرّة حيويتها.
وبدأ الطوفان [. . .]
وعلى البشر وقع الجِزْم [وكأنه الحرب] !
[. . .] آنو، جَرّف الطوفان
[. . .] حتى أن الآلهة ارتجفوا.
وبناء على أوامره، انضم إليه أبناؤه،
[. . .] قدر ما يريد

البقية مفقودة.

(j) ـ مقطع متحف فيلادلفيا[١]

تعليمات إيا بخصوص بناء الفلك

ظهر اللوحة

[. . . . .]
«سأشرح لك [. . .]
[. . .] سوف يغمر دفعة واحدة جميع البشر.
[. . .] قبل أن يظهر الطوفان،
[. . .] سوف تجمع كافة [. . .]
ابنِ لك فلكاً كبيراً [. . .]
يجب أن تكون بنيته من القصب الممتاز:
وسوف تطلق على الفلك تسمية «منقذ الحياة» !
اسقفه بشكل متين.
[وفي هذا الفلك] بعد بنائك له
[أركب فيه . . .] الحيوانات البرية وأطيار السماء!
كدّس فيه [. . .] . . .»

(١) يعود إلى النصف الثاني من الألف الثاني لما قبل الميلاد.

(k) ـ مقطع النصف الأول من الألف الأول ق . م

وصف الفلك ومخطط بنائه

[. . . . .]
«[. . .] مثل دائرة
من الأعلى إلى الأسفل، يجب أن تكون
«قلفطتها»[١] سميكة .
[. . .] سدّ بشكل محكم سطح [غاطسها؟]،
ثم انتظر] الإشارة التي سوف [أعطـ] ـيكها،
عند ذلك ادخل [إلى الفلك] واغلق الكوة
بعد أن تكون قد [حملت] طحينك
وأرزاقك وممتلكاتك،
(أركِبْ فيها) [زوجتـ] ـك وعائلتك
وأقرباءك وصنّا [عك][٢]
[والحيوانات] البريّة الكبيرة والصغيرة:
كل آكل عشب،
[وسوف أر] سلها إليك[٣]، لتنتظرك
أمام مقرك!»
فتح عندئذٍ [الفائق ـ الحكمة فمه وباشر كلامه
[متوجـ] ـهاً إلى إيا إلّهه :
«لكنني لم يسبق لي [قـ] ـط أن بنيت
فلكاً [. . . . (؟)] !

(١) تعبير باللغة الدارجة تمّ شرحه في ملاحظة السطر ٣٣ من (٥٦ ـ و) أعلاه.
(٢) في هذا النص اهتمام بإنقاذ الصناع و الحرفيين بالإضافة لعائلة وأقرباء الفائق ـ الحكمة.
(٣) هنا، إيا هو الذي يوجه الحيوانات نحو الفلك.

ارسم لي مخططه على [الأ] رض[1]
وبعد أن أراه، سوف أعرف
كيف [أبنيه]» !
رسم [إ] يا على الأرض مخطط الفلك:
«[سوف أنفذ] كل ما أمرتني
به يا إلّهي!»

(١) التصميم الهندسي ورسم المخططات قبل القيام بالأعمال الإنشائية، كان معروفاً في ما بين النهرين، وعلى أقل تعديل، منذ ملكية لغش الثانية بدلالة أن تمثال الملك چوديا (٢١٤٤ ـ ٢١٢٤) ق.م. وهو في وضعية الجلوس، يحمل أمامه لوحةً رسم عليها مخطط المعبد الذي بناه لآلهة مدينته.

الملحق رقم (٢) ــ الطوفان التوراتي

الأصحاح السادس/ تكوين

أسباب إحداث الطوفان

1 وَحَدَث لما ابتدأ الناس يكثرون على الأرض
وَوُلِدَ لهم بناتٌ،
2 أنّ أبناءَ الله[١] رأوا بنات الناس،
أنهن حسنات. فاتخذوا لأنفسهم نساءً
من كل ما اختاروا.
3 فقال الربُّ، لا يَدِينُ روحي في الإنسان إلى الأبد.
لِزَيغانِهِ هوَ بَشَرٌ وتكون أيامه
مئة وعشرين سنة[٢]
4 كان في الأرض طغاة[٣] في تلك الأيام، وبعد
ذلك أيضاً، إذ دَخَل بنو الله على بنات
الناس وولدن لهم أولاداً. هؤلاء هم
الجبابرة الذين منذ الدهر ذَوُو اسم.
5 ورأى الرب أن شر الإنسان قد كَثُر في الأرض
وأنّ كُلَّ تصوّر أفكار قلبه، إنما هو
شرير كل يوم.
6 فحزِنَ الربُّ أنه عَمِلَ الإنسانَ في الأرض وتأسف في قلبه

---

(١) يجد مفسرو هذا المقطع صعوبة في تحديد هذه العلاقة الجنسية بين أبناء الله وبنات الناس التي نتج عنها ولادة عمالقة أو جبابرة هم النيفاليم (Nephalim) واعتبر التفسير اليهودي أن أبناء الله؛ هم هنا ملائكة ارتكبوا الخطيئة. وأمّا الكنيسة فقد رأت فيهم، وفي تفسير يعود إلى القرن الرابع الميلادي: سلالة سيث، وفي بنات الناس سلالة قايين قاتل أخيه (؟).

(٢) يحدد هنا الرب عمر البشر لكي تبقى روحه مدة أقل في زيغان الجسد لأن شر الإنسان قد كثر.

(٣) هم الجبابرة أو النيفاليم المشار إليهم أعلاه وكان لهم اسم، أي شهرة.

7 فقال الرب أمحو عن وجه الأرض الإنسان الذي
خلقته. الإنسان مع بهائم ودبّابات وطيور
السماء. لأني حزِنتُ أني عملتُهُم.
8 وأما نوح فوجد نعمة في عينيّ الرب
9 هذه هي مواليد نوح. كان نوح رجلاً باراً وكاملاً
في أجياله. وسار نوحُ مع الله
10 وَوَلَدَ نوحُ ثلاثَةَ بنين، ساماً وحاماً ويافث(١)
11 وفسدت الأرضُ أمام اللهِ وامتلأت الأرض ظلماً.
12 ورأى الله الأرضَ فإذا هي فَسَدَتْ. إذْ كان
كل بشرٍ قد أفسد طريقَهُ على الأرض.

الربّ يكلّم نوحاً وقرار الإبادة

13 فقالَ اللهُ لنوحٍ، نهايةُ كل بشرٍ قد أتت أمامي.
لأن الأرض امتلأت ظلماً منهم،
فها أنا مُهلِكُهُم.

تعليمات إعداد الفلك

14 إصنعْ لنفسكَ فُلْكاً من خشبِ جُفْرٍ. تجعل
الفلك مساكنَ وتطليه من داخل ومن خارج بالقار.
15 وهكذا تصْنعه، ثلاثمائةِ ذراع يكون طول
الفلك وخمسينَ ذراعاً عرضه، وثلاثينَ
ذراعاً ارتفاعه.
16 وتصنعُ كوّاً للفلكِ، وتكمّلهُ إلى حد ذراعٍ(٢)

---

(١) من هنا، ومن هنا فقط، تمّ تبني وتعميم تسمية السامية والساميين على سكان منطقتنا! وكذلك إبداع اصطلاح «اللغات السامية» من قبل المؤرخ الألماني شلوتزر في عام ١٨٧٥، على مجموعة اللهجات العربية القديمة التي عرفتها منطقتنا وبخاصة الأكادية والكنعانية والأوغاريتية والآرامية والعبرية هي لهجة من لغة كنعان.

(٢) الذراع = حوالى نصف متر.

من فوق. وتضَعُ بابَ الفلكِ في جانبه.
مساكن سفلية ومتوسطة وعلوية تجعلُهُ.
17 فها أنا آتٍ بطوفانِ الماء على الأرضِ لأهلكَ
كلَّ جسدٍ فيه روحُ حياةٍ من تحت السماء.
كلُّ ما في الأرض يموتُ.
18 ولكن أقيمُ عهدي مَعَكَ. فتدخلُ الفلكَ، أنتَ
وبنوكَ وامرأتك ونساء بنيك معك.
19 ومن كل حَي، من كل جسدٍ، اثنين من كل تُدخلُ
إلى الفلك لاستبقائها معك. تكون ذكراً وأنثى.
20 من الطيورِ كأجناسها، ومن البهائم كأجناسها، ومن
كلّ دبّابات الأرض كأجناسها. اثنين من
كلٍ تدخلُ إليك لاستبقائها.
21 وأنتَ فخذْ لنفسكَ من كل طعام يؤكلُ واجمعهُ
عندك، فيكون لك ولها طعاماً.
22 ففعلَ نوح حسبَ كلّ ما أمره به الله،
هكذا فعل.

الأصحاح السابع/ تكوين

1 وقال الربُّ لنوحٍ، أدخلْ أنت وجميع بنيك
إلى الفلك، لأنّي إياك رأيت بارّاً
لديّ في هذا الجيل.
2 من جميع البهائمِ الطاهرة تأخذ معك سبعةً سبعةً
ذكراً وأنثى. ومن البهائم التي ليست بطاهرة
اثنين ذكراً وأنثى.
3 ومن طيور السماء أيضاً سبعةً سبعة، ذكراً
وأنثى لاستبقاء نسلٍ على وجه الأرض.

توقيت حدوث الطوفان

4 لأني بعد سبعة أيامٍ أيضاً، أمطرُ على الأرض
أربعينَ يوماً وأربعينَ ليلة. وأمحو عن
وجه الأرضِ كلَّ قائمٍ عملتُه.
5 ففعلَ نوحُ حَسَبَ ما أمرِه به الربّ.

الطوفان ووصفه

6 ولما كان نوحُ ابنَ ستِ مائةِ سنةٍ صار
طوفان الماء على الأرض.
7 فدخَلَ نوح وبنوه وامرأته ونساء بنيه معه
إلى الفلك من وجه مياه الطوفان
8 ومن البهائم الطاهرة، والبهائم التي ليست بطاهرة،
ومن الطيور وكل ما يدبّ على الأرض
9 دخل اثنان اثنان إلى نوحٍ، إلى الفلك، ذكَراً
وأنثى كما أمر الله نوحاً[١].
10 وحدث بعد السَبعةِ الأيامِ أن مياه الطوفان
صارت على الأرض.
11 في سنةٍ ست مائةٍ من حياةِ نوح، في الشهر
الثاني، في اليوم السابع عشر من الشهر[٢]،
في ذلك اليوم، انفجرت كل ينابيع الغمر
العظيم وانفتحت طاقات السماء

---

(١) التكرار فيما سبق وفيما يلي هو بسبب اعتماد جامعي التوراة على نصين أُثبِتا معاً، وبشكل متداخل مع فروقات في بعض التفاصيل.

(٢) لا ندري إذا كانت التواريخ الدقيقة والمفصّلة التي يستعملها النص التوراتي نتجت عن سعي الراوي لإعطاء الحادثة صبغة تاريخية تقلل من أهمية الرمز الأسطوري... أو إذا ما كانت الأرقام تشكل رموزاً تكهنية اشتهر بها البابليون وكذلك الكبّاليون (Kabbalistes) اليهود في ما بعد.

12 وكان المطر على الأرضِ أربعين يوماً
وأربعين ليلة.
13 في ذلك اليوم عينِه، دَخَل نوحٌ وسامٌ وحامٌ ويافثُ
بنو نوحٍ وامرأة نوحٍ وثلاثُ نساءِ
بنيه معهم إلى الفلك.
14 هم وكلُّ الوحوش كأجناسها، وكلُّ البهائم كأجناسها
وكل الدبّابات التي تدب على الأرض كأجناسها
وكل الطيور كأجناسها، كل عصفور، كل ذي جناح.
15 ودَخَلَتْ إلى نوحٍ، إلى الفلك، اثنين اثنين من كل
جسدٍ فيه روح حياة.
16 والداخلات، دخلت ذكراً وأنثى، من كل ذي
جسدٍ كما أمره الله. وأغْلَقَ الربُّ عليه.
17 وكان الطوفان أربعينَ يوماً على الأرض. وتكاثرت
المياه ورفعت الفلك. فارتفع عن الأرض.
18 وتعاظمت المياه وتكاثرت جداً على الأرض.
فكان الفلكُ يسير على وجه المياه.
19 وتعاظمت المياه كثيراً جداً على الأرض. فتغطّت
جميع الجبال الشامخة التي تحت كل السماء.
20 خَمْسَ عَشَرةَ ذراعاً في الارتفاع، تعاظمت
المياه. فتغطّت الجبال.
21 فَماتَ كلُّ ذي جسدٍ كان يدبّ على الأرض،
من الطيور والبهائم والوحوش وكلّ الزحّافات
التي كانت تزحفُ على الأرض وجميعُ الناس.
22 كل ما في أنفِه نسْمةُ روح حياةٍ، من كل
ما في اليابسةِ مات.
23 فمحا الله كلَّ قائمٍ كان على وجه الأرض، الناس

والبهائمَ والدبّابات وطيور السماء. فامّحت
من الأرض وتبقّى نوحٌ والذين معه في الفلك فقط.
24 وتعاظمت المياه على الأرض مائة وخمسين يوماً.

الأصحاح الثامن/ تكوين

انحسار مياه الطوفان

1 ثمّ ذَكّرَ اللهُ نوحاً، وكلّ الوحوشِ وكل البهائم التي
معه في الفلك. وأجاز الله ريحاً على
الأرضِ فهدأتِ المياه.
2 وانسدّت ينابيع الغمر وطاقات السماء، فامتنعَ
المطرُ من السماء.
3 ورجعت المياه عن الأرضِ رجوعاً متوالياً. وبعد
مائة وخمسين يوماً نقصت المياه
4 واستقرّ الفلك، في الشهر السابع، في اليوم السابع عشر
من الشهر على جبال أراراط.
5 وكانت المياه تنقص نقصاً متوالياً إلى الشهر العاشر
وفي العاشر من أول الشهر ظهرت رؤوس الجبال.
6 وحدث بعد أربعين يوماً، أنّ نوحاً فتح طاقة الفلك
التي كان قد عملها
7 وأرسل الغراب فخرج متردداً حتّى نشفت
المياه عن الأرض.
8 ثم أرسل الحمامة من عنده ليرى، هل
قلّت المياه عن وجه الأرض
9 فلم تجدِ الحمامة مقرّاً لرجلها، فرجعت إليه
إلى الفلك، لأنّ مياهاً كانت على وجه الأرض

فمدّ يَدَهُ وأخذها وأدخلها إلى الفلك.

10 فلبِثَ أيضاً سبْعَةَ أيامٍ أُخَرَ، وعادَ
فأرسل الحمامة من الفلك.

11 فأتت إليه الحمامة عند المساء، وإذا ورقةُ
زيتون خضراء في فمها، فعلم نوح
أن المياه قد قلّت عن الأرض.

12 فلبثَ أيضاً سبعةَ أيام أُخَرَ وأرسل الحمامة،
فلم تعد ترجع إليه أيضاً.

13 وكان في السنة الواحدة والست مئةٍ في الشهر
الأول، في أول الشهر، أن المياه نشِفَتْ
عن الأرض. فكشَفَ نوحُ الغطاء عن الفلك
ونظر فإذا وجه الأرض قد نشِفَ.

14 وفي الشهر الثاني، في اليوم السابع والعشرين
من الشهر جفّت الأرض.

الربُّ يكلم نوحاً

15 وكلّم الله نوحاً قائلاً،

16 أخرج من الفلك، أنتَ وامرأتُك وبنوكَ،
ونساءُ بنيك معك.

17 وكل الحيوانات التي معك من كل ذي جسدٍ،
الطيور والبهائم وكلّ الدبّابات التي تدبّ
أخرجها معك. ولتتوالد في الأرض، وتثمر
وتكثر على الأرض.

18 فخرج نوحٌ وبنوه وامرأته ونساء بنيه معه

19 وكل الحيوانات، كل الدبابات وكل الطيور، كل
ما يدب على الأرض كأنواعها خرجت من الفلك.

التقدمة وقرار الربّ

20 وبنى نوحٌ مذبحاً للرب. وأخذ من كل البهائم الطاهرة
وأصعَدَ مُحرَقاتٍ على المذبح

21 فتنسّم الربّ رائحة الرضا. وقال الربّ في
قلبه، لا أعود ألعن الأرض أيضاً من أجل
الإنسان، لأنّ تَصَوُّر قلبِ الإنسان
شريرٌ منذ حداثته ولا أعود أيضاً
أُميت كل حي كما فعلت.

22 مدّة كل أيام الأرض زرعٌ وحصادٌ، وبردٌ
وحرّ، وصيف وشتاء، ونهار وليل، لا تزال.

الأصحاح التاسع/ تكوين

مباركة نوح وبنيه وبأوامر الربّ

1 وباركَ الله نوحاً وبنيهِ وقالَ لهم أثمروا واكثُروا
واملأوا الأرضَ

2 ولتكن خشيتكم ورهبتكم على كل حيوانات الأرض
وكل طيور السماء، مع كل ما يدبّ على الأرض
وكل أسماك البحر قد دُفِعَت إلى أيديكم.

3 كل دابّة حيّة تكون لكم طعاماً.
كالعشب الأخضر دفعت إليكم الجميع.

4 غير أنَّ لحماً بحياتِه دمِهِ لا تأكلُوه.

5 وأطلبُ أنا دَمَكم لأنفسكم فقط، من يدِ كل حيوانٍ
أطلُبه. ومن يد الإنسان أطلب نَفْسَ
الإنسان، من يد الإنسان أخيه.

6 سافِكُ دمِ الإنسان بالإنسان يُسْفَكُ دمُه

لأن الله على صورته عَمِلَ الإنسان.
7 فأثمروا أنتم، واكثُرُوا وتوالدوا في
الأرض وتكاثروا فيها.

عودة إلى قرار الرب وميثاقه مع البشر

8 وكلم الله نوحاً وبنيهِ قائلاً:
9 وها أنا مقيمٌ ميثاقي معكم ومع نسلكم من بعدِكم،
10 ومع كل ذوات الأنفس الحيّة التي معكم، الطيور
والبهائم وكل وحوش الأرض التي معكم،
من جميع الخارجين من الفلك حتّى كل حيوان الأرض.
11 أقيم ميثاقي معكم، فلا ينقرض كل ذي جسدٍ
أيضاً بمياه الطوفان ولا يكون أيضاً
طوفانٌ ليُخرّب الأرض.
12 وقال الله، هذه هي علامة الميثاق الذي أنا
واضعه بيني وبينكم وبين كلّ ذوات
الأنفسِ الحيّة التي معكم إلى أجيال الدهر.
13 وضعتُ قوسي في السحاب فتكون علامَةَ ميثاقٍ
بيني وبين الأرض.
14 فيكون متى أنشر سحاباً على الأرض
وتظهر القوسُ في السحاب
15 أنيّ أذكُرُ ميثاقي الذي بيني وبينكم. وبين
كل نفسٍ حيّةٍ في كل جسدٍ، فلا تكونُ
أيضاً المياهُ طوفاناً لتهلك كلَّ ذي جسدٍ.
16 فمتى كانت القوس في السحاب، أبصرها. لأذكُر
ميثاقاً أبدياً بين الله وبين كل نفسٍ
حيّة في كل جسدٍ على الأرض.

17 وقال الله لنوحٍ، هذه علامة الميثاق الذي
أنا أقمتُهُ بيني وبين كل ذي جسدٍ على الأرض.

نوح المزارع وحادثة سُكرِهِ وإيجاد المناسبة للعنة حام وبالتالي لعنة ابنه كنعان!

18 وكان بنو نوحٍ الذين خرجوا من الفلكِ:
ساماً وحاماً ويافث. وحامٌ هو أبو كنعان
19 هؤلاء الثلاثة هم بنو نوح، ومن
هؤلاء تشعّبت كل الأرض.
20 وابتدأ نوح يكون فلاحاً وغرس كرماً.
21 وشرب من الخمر فسكِرَ وتعرّى داخل خبائه.
22 فأبصر حام أبو كنعان عورة أبيه
وأخبر أخويه خارجاً.
23 فأخذ سامٌ ويافثُ الرداء، ووضعاه على
أكتافهما ومشيا إلى الوراء وسترا عورة
أبيهما وَوَجْهاهُما إلى الوراء. فلم
يبصرا عَوْرة أبيهما.
24 فلمّا استيقظ نوحٌ من خَمرِه، عَلِم ما فعله
به ابنه الصغير
25 فقال ملعون كنعان[1]، عبد العبيد
يكون لإخوته
26 وقال مبارك الربُّ إلّه سام، وليكن

(١) يمكن الرجوع إلى أمثلة أخرى عن الاتجاهات السياسية في سفر التكوين التوراتي في كتاب: «مع الكلمة الصافية» لقاسم الشواف الصادر عن دار الأجيال في دمشق عام ١٩٦٩ (الرجوع بشكل خاص إلى الصفحتين ٤٨٨ و٤٨٩).

كنعان عبداً لَهم.

27 ليفتح اللهُ ليَافَثَ فيسكن في مساكن سام،
وليكن كنعان عبداً لهم.

28 وعاش نوحٌ بعد الطوفان ثلاث مِئةِ
وخمسين سنة.

29 فكانت كل أيامِ نوحٍ تسعَ مِئةِ
وخمسين سنة ومات.

المحتويات

(*) أرقام النصوص الواردة في الكتاب.

الفصل الثاني

الفصل الثالث

ديوان الأساطير

سومر وأكاد وآشور

الكتاب الأول

أناشيد الحب السومريّة

* يتعلق «أناشيد الحب السومرية»، بنصوص الخصب والإخصاب، أو كما يقول الشعراء السومريون، «بمنيّ السماء» يخصب الأرض و«بماء القلب» يخصب الأرحام.

* تحت عنوان ماء الأرض وماء القلب يعرض الفصل الأول، كيف تمّ بواسطة الماء إحياء بلاد دلمون من قبل الإلّه أنكي، وكيف يقع الإلّه إنليل في غرام ننليل ذات البهاء والظرف. ويقدّم لنا تفاصيل حيّة عن خطبته وزواجه من سود الجميلة. ولا ينسى تتبّع الإلّهة إنانا حين تنزل من سمائها لتتفقّد أحوال الأرض حيث يغتصبها بستاني أنكي.

* ينقل إلينا الفصل الثاني أجمل أناشيد الحبّ والجنس، بين أشهر حبيبين عرفهما عالمنا القديم، أي علاقة الراعي دوموزي وإلّهة الخصب والجمال إنانا، لينتقل بعد ذلك إلى دور ملوك سومر في مراسم الزواج الإلّهي، وهنا أيضاً نقرأ عن سومر أناشيد حب رائعة حتى في عفويتها «الإباحية».

* ولذا أمكن القول بأن مجمل أناشيد الحب المعروضة، تشكل ما يمكن أن يسمّى «نشيد أنشاد سومرياً»، مِمّا جعل الفصل الثالث ينتقل إلى عرض دراسة هي الأولى من نوعها في اللغة العربية حول توازي نشيد الأنشاد السومري مع نشيد الأنشاد التوراتي المنسوب لسليمان الملك.

* الكتاب الأول من مجموعة ديوان الأساطير، يقدّم للقارىء العربي ذخيرة ثقافية فريدة ـ جمالياً ومعرفياً وتاريخياً.

هذا الكتاب الثاني من مجموعة «ديوان الأساطير» يطرح المواضيع الرئيسية التالية:

* البدء والأصول،

واستعراض قصص التكوين والخلق في ما بين النهرين التي سبقت تحفة النظر الشاملة في:

* قصيدة التكوين والخلق البابلية،

مُكرّسةً ارتقاء الإلّه مردوك ومردّدةً أسماءه الخمسين تمجيداً له.

* قصيدة الفائق الحكمة وقصة إنقاذ البشر من الطوفان:

وتروي تاريخ البشرية من الخليقة حتى الطوفان، وهذا النص هو في أساس الموضوعات التي تأثرت بها التوراة.

* الثواب والعقاب

في انطباقه على الآلهة وعلى الملوك والمدن.

* مسرحية البكاء على خراب سومر ومدينة نفّر:

وهو أقدم نص عن المسرح الديني السومري الذي سبق المسرح الاغريقي بألف عام.

* العادل المعذّب والعدالة الإلّهية:

وهو في أساس قصة أيوب التوراتية.

* الصعود إلى سماء الآلهة،

في كلٍّ من مغامرتي أدابا الحكيم وإيتانا الذي صعد إلى السماء على جناح نسر، ونبلِ سعيه.

ISBN 1 85516 336 5

DAR AL SAQI
دار الساقي